مُدن تراثيّة
٤

رشيد

النشأة الازدهار الانحسار

إشراف: د. جليلة جمال القاضي

د. محمد طاهر الصادق

د. محمد حسام إسماعيل



دار الآفاق العربية

رشيد

النشأة الازدهار الانحسار

الكتاب : رشيـد

اشراف د . جليله جمال القاضى

د . محمد طاهر الصادق

د . محمد حسام إسماعيل

الناشـر : دارالآفاق العربية

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران ـ مدينة نصر

تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيـداع : ٣٥٤٦ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : **977 - 5727 - 64 - 2**

طبع وفصل ألوان : عربية للطباعة والنشر

العنوان : ٧ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين

تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ـ٣٢٥١٠٤٣/ فاكس : ٣٢٩١٤٩٧

صورة الغلاف : منزل حسيبه غزال

تصميم الغلاف : د . جليلة جمال القاضى

الطبعة الأولى

ديسمبر ١٩٩٩

رشيد

النشأة الازدهار الانحسار

إشراف

د . جليلة جمال القاضي
د . محمد طاهر الصادق
د . محمد حسام إسماعيل

دار الآفاق العربية

شكر وتقدير

يتقدم المحررون بخالص شكرهم إلى الدكتور/ صلاح بهنسي مدرس الآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة المنيا، والأستاذ المفكر/ حلمي شلبي، على ما بذلاه من جهد مشكور في قراءة المخطوطة وإبداء الملحوظات القيمة التي ساهمت في إخراج هذا الكتاب في أحسن صورة.

كما يتقدمون بخالص شكرهم لهيئة الآثار لتقديمها يد العون للحصول على الصور الفوتوغرافية القديمة لمنشآت ومنازل رشيد.

المشاركون

١- أ.د. عبد الرحيم عبد الرحمن، أستاذ التاريخ المعاصر - جامعة العين - دولة الإمارات.

٢- أ. د. طاهر الصادق، أستاذ التخطيط الإقليمي والعمراني المتفرغ، كلية التخطيط العمراني والإقليمي، جامعة القاهرة.

٣- أ. م. د. جليلة القاضي، باحثة بالمعهد الفرنسي للأبحاث العلمية للتنمية والتعاون O.R.S.T.O.M (حاليا I. R. D.).

٤- د. يسري عزام، أستاذ مساعد بقسم العمارة - كلية الهندسة - جامعة الإسكندرية.

٥- د. حمزة عبد العزيز بدر، أستاذ مساعد الآثار الإسلامية - كلية الآداب - جامعة السلطان قابوس بعُمان.

٦- د. عوض الإمام، أستاذ مساعد الآثار الإسلامية - كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادي.

٧- د. محمد حسام الدين إسماعيل، مدرس الآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة عين شمس.

٨- أماني عويس أمين، أثرية بالمجلس الأعلى للآثار.

٩- مهندس/ وائل زكي، مدرس مساعد بكلية التخطيط الإقليمي والعمراني - جامعة القاهرة.

تحرير ومراجعة النص

د. محمد حسام الدين إسماعيل

د. جليلة القاضي

المحتوى

تمهيد

يتناول هذا الكتاب عمران مدينة رشيد منذ نشأتها -الحقيقية أو المفترضة- أي منذ أن وردت الإشارة إليها في النصوص القديمة إلى بداية القرن العشرين، مع تتبع المراحل المختلفة التي مرت بها هذه المدينة، والتركيز على أزهى عصورها -أي الفترة الواقعة بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر- وتحليل عوامل الصعود والأفول، متسائلاً في النهاية عن مستقبل التراث المعماري الفريد الذي تحتويه.

بدأت قصة هذا الكتاب منذ أكثر من عشرة أعوام - بالتحديد عام ١٩٨٦- عندما تعاظم الشعور عند بعض مدرسي مادة تاريخ تخطيط المدن بفقر وأحياناً القصور التام لمادة علمية يعتمد عليها. وواقع الأمر إن المدن المصرية - باستثناء القاهرة والإسكندرية- لم تحظ حتى الآن - على حد علمنا - بدراسات تاريخية أكاديمية موثقة وشاملة تلقي الضوء على عمرانها وعمارتها في حقبة زمنية بعينها، أو في حقبات متتالية. فمعارفنا عن تلك المدن لا تزيد عن ما جاء في كتب التراث المتداولة وأوصاف الرحالة والقواميس الجغرافية، ولم تضف إليها الدراسات الحديثة سوى القليل.

في ظل تلك المعطيات وجد مدرس مادة تاريخ تخطيط المدن نفسه أمام مفارقة عبثية، فالهشاشة المعرفية عن مدن العالم العربي بشكل عام والمدن المصرية الثانوية بشكل خاص، يقابلها ثراء وزخم المادة العلمية الخاصة بالمدن الأوروبية، بحيث أصبح تاريخ تخطيط المدن هو تاريخ المدينة الأوروبية، مع الإشارة إلى المدن الكبرى التي تمت دراستها والتي تعد على أصابع اليد الواحدة، أي القاهرة - بغداد - فاس - حلب ودمشق.

ومع تنامي الوعي بضرورة إثراء مادة تاريخ التخطيط من خلال القيام بأبحاث جادة عن تاريخ العمران في المجتمع المصري، ومع إدراك أن هذا العمل يتخطى مجهود باحث منفرد، فقد بادرت مجموعة من المعماريين والمخططين من كلية التخطيط الإقليمي والعمراني وقسم العمارة بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية بتكوين مجموعة بحثية بالتعاون مع المعهد الفرنسي للبحث العلمي من أجل التعاون والتنمية O .R. S. T. O. M. لدراسة تاريخ عمران المدن المصرية الثانوية.

ربما تبدو هذه المبادرة للوهلة الأولى كشكل من أشكال "المغامرة" العلمية! فالمبادرون جلهم من المخططين والمعماريين، كيف تراءى لهم أنهم مؤهلون للقيام بعمل ليس من صميم اختصاصهم؟ وما هي مدى مشروعية تلك المبادرة وما هي حدود

مصداقية هذه المجموعة؟

فالتاريخ علم من العلوم الإنسانية له قواعده ومدارسه ومناهجه ولا يمكن أن يرتجل! إلا إنه إلى جانب تلك الحقيقة التي كانت حاضرة بدون شك في ذهن المخططين، هناك حقيقة أخرى وهى تعدد أفرع التاريخ، بحيث أصبح تاريخ المدن أو تاريخ المستقرات البشرية من اختصاص علماء التاريخ والجغرافيا والعمران والمعمار، وليس أدل على ذلك من أن أهم مرجعين في تاريخ المدينة أحدهما "المدينة على مر العصور" الذي قام بتأليفه لويس ممفورد عالم تاريخ الحضارات، والثاني "قصة المدينة" وضعه المهندس المعماري الإيطالي ليوناردو بينوفيللو. وإن اختلفت مداخل ومناهج تناول العمران الحضري العالمي على مر العصور، فمساهمة الاثنين في إثراء علم تاريخ المدن وتخطيطها متساوية وعلى نفس القدر من الأهمية. بل يمكن أن نزعم إن المعماري والمخطط بحكم تكوينه الأكاديمي والعلمي وانطلاقه من تحليل عناصر الموقع والموضع وهيكل البنية الحضرية وتشكلها وتطورها، مرتكزاً على الدراسات الكارتوجرافية أكثر قدرة على إلقاء الضوء على بعد جديد يساهم في استنتاج مورفولوجية المدينة في حركتها، كما يمكنه صياغتها في فترات متتالية مما يساعد على فهم الأحداث التي أثرت في هذه الحركة وتأثرت بها. أي انه أكثر قدرة على إرساء العلاقة الجدلية بين الحدث التاريخي والوعاء المادي الذي تم فيه. إلا إن هذا لا يلغي ضرورة تضافر جهود المخطط والمؤرخ والجغرافي في مجال دراسة تاريخ المدن.

لذا فقد تم تكوين مجموعة بحثية متعددة التخصصات عام ١٩٨٦، ضمت إلى جانب المجموعة المبادرة علماء تاريخ وآثار وجغرافيا، إلى جانب تخصصات أخرى مثل الديموجرافيا وعلم الاجتماع الحضري والاقتصاد.

وقد حددت المجموعة منذ البداية مستويين لتناول تاريخ تخطيط المدن المصرية:

المستوى الأول هو المستوى الإقليمي، ويتناول بالدراسة والتحليل جغرافيا العمران في حركتها في إقليم محدد، وقد وقع الاختيار على إقليم الدلتا.

المستوى الثاني وهو المستوى العمراني، ويختص بدراسة حالة مدينة أو أكثر، ومن الأفضل أن تتبع الإقليم الذي تمت دراسته بشكل أشمل حتى يتم إرساء العلاقة بين الجزء والكل.

هذا وقد تبنت المجموعة البحثية منهج الجغرافيا التاريخية في تناولها لعمران الدلتا، حيث إنه يتسم بشمولية النظرة وربط الظواهر والمحددات بعضها ببعض.

هذا وقد بدأت المرحلة الأولى من البحث في يوليو ١٩٨٧ وانتهت في يناير ١٩٨٨،

وخلال هذا العام قام أعضاء المجموعة البحثية بالدراسات المكتبية الأولية، وقاموا بتوثيق وجمع البيانات المتناثرة في عشرات الكتب والمراجع والرسائل العلمية، وعلى إثر هذه المرحلة تم إصدار تقرير أول تحت عنوان "مدن مصر ذات التبادل الحضاري – مدن الدلتا" في نوفمبر ١٩٨٨، تناول بالتحليل أثر العوامل المختلفة (طبيعية – اقتصادية – سياسية – إدارية ودينية) على تغير العلاقات داخل شبكة مدن الدلتا منذ العصور الفرعونية إلى يومنا هذا، وتبادل الأدوار بينها وازدهار البعض واندثار الآخر ومسبباته.

وانتقالاً من الدراسة الشاملة للمدن الثانوية بدلتا مصر إلى دراسة أكثر تعمقاً وتفصيلاً وقع اختيارنا على ثلاث مدن ساحلية هي "رشيد و"دمياط" و"بورسعيد" كعينات للبحث، ويرجع اختيارنا لتلك المدن بالذات للأسباب الآتية:

١- تعتبر هذه المدن مداخل مصر وثغورها الهامة على البحر المتوسط، أي أنها بمثابة حلقة الاتصال بين مصر ومدن حوض البحر المتوسط، ويمكننا اعتبارها أيضاً نماذج للتبادل الحضاري والثقافي بين المدن المصرية والمدن البحر أوسطية، هذا التبادل الذي ظهرت آثاره على جميع أوجه الحياة، وترك بصماته على المعمار والعمران في شمال مصر. وإذا كانت مدينتا "رشيد" و"دمياط" أعرق وأقدم من مدينة "بورسعيد"، إلا أن الأخيرة تعتبر وريثة مدينة "بيلوز" الضاربة في القدم. هذا وقد مرت المدن الثلاث بفترات من الازدهار والتدهور نتيجة لأسباب سياسية واقتصادية كان لها تأثير واضح على ملامحها العمرانية والمعمارية، مما يجعلها مجالاً خصباً للدراسة.

٢- تتميز تلك المدن بسمات متباينة على الرغم من وحدة صفتها الوظيفية كثغور ساحلية مثل مدينة "بور سعيد"، أو كموانئ بحرية ونهرية في آن واحد، مثل مدينتي "رشيد" و"دمياط"، فنجد أن لكل مدينة شخصيتها المستقلة سواء من ناحية شكلها الخارجي أو البيئة الجغرافية أو نمط تخطيطها أو عمارتها، وقد مكنتنا تلك الخصائص المتباينة من القيام بدراسة مقارنة بين المدن الثلاث.

٣- تكتسب مدينة "رشيد" ميزة واضحة باحتوائها على أكبر تجمع من الآثار التي يرجع معظمها إلى العصر العثماني بعد مدينة "القاهرة"، كما تعبر مدينة "بور سعيد" عن نمط "التخطيط الاستعماري" الذي شكل البيئة العمرانية للعديد من المدن الكولونيالية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فينفرد معمار "بور سعيد" من بين سائر المدن المصرية باحتوائه على الكثير من سمات العمارة التركية واليونانية. أما مدينة "دمياط" فتتميز بدروبها المتعرجة التي تعبر عن عمران العصور الوسطى،

كما تتميز بنشاطها الاقتصادي الهام نتيجة لامتهان سكانها بمهنة واحدة هي صناعة الأثاث التي اشتهرت بها بين المدن المصرية.

وقد تقرر البدء بدراسة مدينة "رشيد" كأولى عينات البحث، بهدف إرساء الخطوط العريضة لمنهج نظري وتطبيقي يمكننا من دراسة تاريخ المدن بوجه عام.

وتتلخص الخطوات المنهجية كالآتي:

أولاً: منهج التحليل العمراني والمعماري

يتطلب هذا المنهج وجود خرائط جغرافية ومساحية تتيح التعرف على المواقع المختلفة التي احتلتها المدينة على مر العصور ومحيطها البيئي ومحدداته، ومن جانب آخر شكل الكتلة العمرانية واتجاهات نموها ونمط التخطيط المتبع وشبكات الطرق ومواقع المنشآت العامة والتقسيم الاجتماعي والوظيفي للحيز الحضري واستعمالات الأراضي والأنماط المعمارية وخصوصيتها الخ...

إلا إن دارس تاريخ تخطيط المدن يلحظ القصور الشديد لهذه المادة العلمية الأولية والأساسية. فأول خرائط مفصلة وضعت للمدن المصرية الهامة – ومن بينها رشيد – ترجع إلى نهاية القرن الثامن عشر، وقام برسمها علماء الحملة الفرنسية، والذين أمدونا أيضاً برسومات لنماذج الدور الهامة في تلك البلدة. وقد مر قرن من الزمان قبل أن تقوم الإدارة البريطانية بعمل خرائط مساحية للقطر المصري ومدنه، كما أن الحفائر الأثرية التي تمت في تلك المنطقة لم تكتمل.

وفي ظل تلك المعطيات لا يوجد أمام الباحث سوى الانطلاق من دراسة الوضع الحالي للمدينة ومقارنته بالأوضاع السابقة في الخرائط المتاحة، مما يسمح بتحديد حدود الكتلة العمرانية وتطورها على مدى قرنين. وترجع أهمية دراسة رشيد إلى وجود كم لا بأس به من المنشآت التي ترجع إلى العصر العثماني مازالت قائمة إلى الآن داخل النسيج القديم، والعديد منها تم رفعه معمارياً من قبل هيئة الآثار وكذلك بعض الباحثين المصريين والأجانب.

إلا إننا إذا اكتفينا بالاعتماد فقط على البيانات المتاحة فلن يضيف ذلك كثيراً إلى من سبقونا، حتى إذا اختلفت أساليب ووسائل التحليل والمداخل، لذا كان علينا أن نسبر غور الفترات السابقة على الحملة الفرنسية من خلال استغلال الوثائق العربية الخاصة بمدينة رشيد، المحفوظة في أرشيف وزارة الأوقاف ودار الوثائق القومية ودار المحفوظات والشهر العقاري (نقلت وثائق الشهر العقاري بالقاهرة والإسكندرية ودمنهور في الثلاث سنوات الأخيرة إلى دار الوثائق القومية بالقاهرة) وأرشيف مدينة مرسيليا

بفرنسا التي تحوي وثائق الأوقاف الشرعية ودفاتر المحاكم الشرعية ودفـاتر الجمـرك ودفاتر الروزنامة.

ثانياً : تحليل نصوص الوثائق وإعادة صياغة نسيج المدينة

تخص تلك الوثائق التصرفات العقارية في الفترة الواقعة بين القرن السادس عشـر وحتى نهاية القرن التاسع عشر، وقد قمنا بتقسيم هذه الفترة إلى خمس فترات زمنيـة – كل منها يشتمل قرناً انتهاءً بالقرن العشرين– أوردنا عن كل فترة وضعـها العمرانـي وخريطتها طبقاً للخطوات التالية:

١ـ دراسة وثائق التصرف العقاري المسجلة بمحـاكم القـاهرة والإسـكندرية ورشـيد (بأرشيف دار الوثائق القومية بالقاهرة الآن)، وكذلك أوصاف الوقفيـات (بأرشـيف وزارة الأوقاف ودار الوثائق القومية) بدءاً من القرن السادس عشر وحتـى القـرن التاسع عشر، وعمل كروكي لكل وثيقة مُوضح عليه اسـتعمال المكـان المذكـور بالوثيقة واسم المالك مع توقيع حدوده من كافة الجهات وأوصافها.

٢ـ تجميع كروكيات الوثائق الخاصة بكل قرن – مع الأخذ في الاعتبار تقارب تواريـخ التصرف العقاري – جنباً إلى جنب مع توقيع الحدود على بعضها حتى تشكل كـل مجموعة كروكيات منطقة كاملة بطرقها ودورها وأسواقها، ثـم تجميـع المنـاطق لتغطي أغلب أجزاء المدينة.

٣ـ دراسة وصف الرحالة في الفترة الزمنية محل الدراسة والتوقيع وتمحيص القرائـن العلمية والتاريخية، إلى جانب الاستفادة بروايات المحققين فـي أصـول الأمـلاك والأنساب من أهالي الثغر الرشيدي، حتى يمكن استكمال خريطة المدينة فـي تلـك الفترة بأكمل صورة وأكثر دقة.

٤ـ مراجعة تتابع التطور العمراني بين الفترات الزمنية المتتابعة واستبعاد النتائج الغـير منطقية في إحدى الفترات بالمقارنة بالفترات السابقة واللاحقة، كذلك تعديل وتصحيح أوضاع الشوارع بالنسبة للجهات الجغرافية الأصلية والتـأكد مـن صحـة مواقـع الأراضي الفضاء داخل الكتلة والاطمئنان إلى التتابع المنطقي مع الأخذ في الاعتبار كافة التطورات والوحدات التاريخية خلال حقبة الدراسة.

والواقع أنه قد ساعدنا كثيراً مع بدء الدراسة بالقرن السادس عشر والسابع عشر دقة كُتاب ومحرري الوثائق العقارية التي لم تقف عند حد الحصر، بل كانوا يصفون المباني للقارئ بالمشاهدة التي يمكن أن يراها زائر المبنى في كل الأركان وكذلـك المطـلات والعلاقات بين أجـزاء المبنى وبعضها البعض وبين المبنى كاملاً ومحيطه الخـارجي،

في حين كانت الوثائق فيما بعد تميل إلى الاختصار مع دقة حصر أجـزاء ومشـتملات المبنى، والوصف كان مقتضباً وأحياناً يشار إلى ممارسة التعامل على هذا المبنى سابقاً.
غير أن الصعوبة التي واجهتنا بصفة عامة تمثلت فيما يلي:

١- تغير أسماء بعض الشوارع أو إطلاق أسماء مختلفة على أجزاء من الشارع الواحد.

٢- تعدد ألقاب بعض الملاك.

٣- طول فترات الإيجار وحق الاستغلال والتي كانت تصل أحياناً إلى ٩٩ سـنة، ممـا كان يصعب معه وصل التتابع التاريخي لموضوع الوثيقة في الفترات الزمنية المتلاحقـة إلا في المرحلة الرابعة من تحقيق الخريطة.

٤- إزالة العقار أو إهماله وتهدمه ثم تحوله إلى أرض فضاء أو اسـتعمال آخـر دون ورود ذلك في أي من الوثائق إلا عند إعادة التعامل عليه بأي شكل من الأشكال، وكـان يتم اكتشاف ذلك في المرحلة الثالثة من مراحل تحقيق الخرائط.

ثالثاً: الدراسات الميدانية

بالإضافة إلى ما قمنا به من توظيف المعلومات التي أمدتنـا بـها الوثـائق، فـان الدراسات الميدانية المبدئية أتاحت الآتي:

١- تحديد المناطق التاريخية والمعمارية الهامة وتحديد تاريخها واعتبار هذه البؤر نقـاط ارتكاز تمكننا من إعادة صياغة النسيج القديم على الأقل بالنسـبة للعصـر العثمـاني- مستعينين بالصور الفوتوغرافية القديمة ووثائق الوقفيات.

٢- تحديد تاريخ إنشاء المباني وذلك من أجل تحديد المناطق الأقدم والمناطق الأحـدث ودراسة خصائصها من الناحية العمرانية والمعمارية.

٣- توقيع الحدود التقريبية للمدينة في العصور المختلفة.

٤- رسم خريطة حديثة للمدينة من خلال مجموعة الخرائط التي حصلنـا عليـها مـن مجلس المدينة للتعرف على النسيج العمراني الحالي.

٥- تحديد مواقع الأنشطة الاقتصادية الحالية ومقارنتها بما كانت عليـه فـي العصـر العثماني وبداية عصر محمد علي.

٦- دراسات الوضع الحالي للمدينة (أواخر الثمانينيات) -بجميع أبعاده- وتحديـد إقليـم جديد للمدينة.

٧- عمل الرفع المعماري لعمارة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشـرين - أو مـا أطلق عليه د. يسري عزام "العمارة المختلطة" - التي لم تحظ إلى الآن بأية دراسة.

لقد كون مجموع تلك الدراسات - التي استغرقت من المجموعة البحثية حوالي أربع

سنوات – حصيلة علمية غاية في الثراء قمنـا بتوثيقها وإصدارها عـام ١٩٩٤م فـي تقرير من ثلاثة أجزاء، تناول الجزء الأول منهم عمران رشيد علـى مـر العصـور، واختص الجزء الثاني بعمارة رشيد مع التركيز على عمارة العصر العثمـاني وتسـليط الضوء على عمارة القرن التاسع عشر والتطورات التي لحقت بها في العصر الحديـث، أما الجزء الثالث فيتناول دور رشيد الحالي في إقليمها ليخلص إلى استشـراف دورهـا المستقبلي.

وعلى اثر صدور هذا التقرير الذي وزع على الجامعات ومراكز الأبحاث، فكرنا في إعداد كتاب يمس جمهوراً أوسع من الأكاديميين والباحثين.

وفي الواقع فان فكرة إصدار كتاب فكرة ناجحة وطيبة، ويمكن من خلالـها تحقيـق أحد أهدافنا الأساسية، أي تعميق الوعي التاريخي بالمدن المصرية ومجتمعها من خـلال وجودها على مر الزمان، وفهم الدروس الأساسية والقواعد التي شكلت البيئة العمرانيـة والاجتماعية لهذه المدن، اقتناعاً منا بأن الوعي التاريخي بهذا الوجود وعمقه هو مطلـب ملح يمكن للمدينة من تشخيص واقعها والتعبير عن هويتها –معماراً وعمراناً– كذلك إن هذا الفهم هو الأساس الواقعي لأي حركة نحو المستقبل.

إلا أن هناك مشكلة واجهتنا واستغرقت منا وقتاً طويلاً في النقاش يعزى إليه تأخر صدور هذا الكتاب – هل نقوم بنشر الخمسمائة صفحة التي تضمنها التقريـر بأجزائـه الثلاثة؟ أم نلخصها؟ وإذا قمنا بعمل نوع من التحرير والتلخيص فان ذلك سوف يؤثـر بالتأكيد على ثراء المادة ويبتر أجزاء كثيرة منها. هل نكتفـي بنشـر الجزأيـن الأول والثاني فقط؟ أي الدراسات التاريخية للمدينة منذ النشأة وحتى بداية القرن الحـالي، دون التطرق لعمرانها الحالي الريفي والحضري؟

وفي الواقع لم نستطع حسم الأمر حتى كاد مشروع هذا الكتاب أن يدخل طيّ النسـيان، وظن الكثيرون الذين كانوا ينتظرون إصداره – أننا قد صرفنا النظـر عنـه بصـورة نهائية، وإنه لم يكن سوى حلم من الأحلام الكثيرة التي تبتلعها مشـاغل الحيـاة أو عـدم الاتفاق! ثم كان أن لعب الزمن دوراً حاسماً في حسم الخـلاف حـول صـورة الكتـاب وحجمه، فنحن اليوم على مشارف القرن الحادي والعشرين، ومنذ أن انتهينا مـن دراسـة المدينة إلى اليوم جرت تغيرات كثيرة، ولم تعد رشيد عام ١٩٨٦ بسكانها الـ ٥٢,٠٠٠ نسمة تقارن برشيد اليوم التي أضيف إليـها ١٠,٠٠اسـاكن جديـد، وتغـيرت حدودهـا الجغرافية، وكذا استعمالات الأراضي، وشيدت مدينـة جديدة على أطرافها الصحراويـة، وأصبحت هناك ضرورة ملحة لتحديث كل البيانات الإحصائية، أي القيام بعمـل أبحـاث

ميدانية جديدة تستغرق منا سنوات أخرى، وعندئذ يدخل بحق هذا الكتاب في طي النسيان.

لذا اضطررنا لتبني الاختيار الأول وإصدار الكتاب وبخاصة بعد ظهور معلومات جديدة تخص الفترة المملوكية، على أن نصدر جزءاً ثانياً في ظروف أكثر ملاءمة، وبذلك تخرج إلى النور دراسة تاريخية رائدة أعادت صياغة نسيج مدينة، وحددت استعمالات أراضيها، ومواقع المنشآت فيها، وحدود كتلتها، واتجاهات نموها من القرن السادس عشر إلى بداية القرن العشرين، من خلال تضافر جهود أطراف وتخصصات متعددة.

والله ولي التوفيق

أ. م. د. جليلة القاضي

باريس، أغسطس ١٩٩٨

المقدمة

" رشيد* بفتح الراء المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون المثناة التحتية وفي آخرها دال مهملة، بليدة غربي النيل الغربي عند مصبه في البحر شرقي الإسكندرية على مرحلة منها، ومصب النيل في البحر عند رشيد خاصة يسمى الأرمسية وتخافه المراكب عند طلوعها فيه من البحر. قال العزيزي وهي على ضفة النيل والبحر المالح بعيد عنها بثمانية عشر ميلاً، وهي ثغر جليل، والأرمسية بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وضم الميم وكسر السين المهملة ثم تحتية مشددة وهاء انتهى من تقويم البلدان لأبي الفداء.

وهي الآن من أشهر مدن الديار المصرية وثغر من ثغورها، واقعة بقرب البحر الرومي على نحو فرسخين، وعلى الشاطئ الغربي لفرع النيل الغربي المسمى قديماً بولبتين، وبعد وضع هذه المدينة عليه سمى بحر رشيد كما سمى الإفرنج الشرقي فرع دمياط لوقوعها عليه، ولم يتكلم عليها من ساحوا الديار المصرية قديما مثل الأب سيكار وبوكوك ونحوهما، وأول من تكلم عليها المسن فقال: "أنها أخذت في الظهور في خلافة المتوكل على الله الخليفة العباسي سنة ثمانمائة ونحو السبعين من الميلاد أيام بطريركية كومسا بطريرك الإسكندرية، وقبل حدوثها كان مرسى جميع المراكب مدينة فوه، فلما تراكمت الرمال في بغاز هذا الفرع تعسر وصول المراكب الواردة من الخارج إليها، فوضعت مدينة رشيد". وكانت في زمن السياح سواري بعيدة عن البغاز بفرسخين، وقال أبو الفداء: "أن مدينة رشيد كانت في القرن الثالث عشر من الميلاد قرية صغيرة على الشاطئ الغربي بقرب مصبه في المالح". ولما ساح بلون الديار المصرية سنه ١٥٣٠ ميلادية قال: "أن رشيد أصغر من فوه". ولما غلبت الدولة العلية على هذه الديار أهمل أمر الخلجان فبطل رسوّ المراكب على مدينة فوه بالكلية وقامت مقامها في ذلك مدينة رشيد، وأخذت من حينئذ في التقدم والأهمية والعمارية لكثرة توارد المتاجر الأجنبية والمصرية عليها حتى بلغت في سنة ١٧٧٧ ميلادية أعظم درجة واتسعت فكان طولها على شاطئ البحر فرسخاً وعرضها ربع فرسخ كما ذكر ذلك السياح سواري في سياحته، وهو سياح فرنساوي وسمى كلود، ولد سنة ألف وسبعمائة

---

* علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، ج١١، ص٧٥-٨١.

وخمسين ميلادية بمدينة وترى من بلاد بروتانيا ومات سنة ألف وسبعمائة وثمان وثمانين، ساح في جزائر البحر الرومي وأقام بمصر خمس سنين ورجع إلى مملكة فرنسا وكتب خطابات لمصر وبلاد اليونان وترجم القرآن وسيرة الرسول والآداب الإسلامية ومقدمة عربية، انتهى من قاموس الفرنج وكذا الأب سيكار فرنساوي وهو قسيس من طائفة الجزويت ولد سنة ألف وستمائة وسبع وسبعين ميلادية، وساح في مصر والشام سنة سبعمائة وستة، وتعلم العربي ومات بالطاعون سنة سبعمائة وست وعشرين، وله مراسلات إلى مصر.

ثم في نزهة الناظرين أن الوزير علي باشا متولي مصر سنة ست وخمسين وتسعمائة هجرية في شهر شعبان قد جدد في رشيد عمارة كبيرة من خانات وحوانيت، وكذا فعل في مدينة فوه، وأقام في الوزارة أربع سنين، انتهى. وفي الضوء اللامع للسخاوي أن فيروز الرومي العرامي-نسبة إلى خليل ابن عرام نائب الإسكندرية -عمر دهراً طويلاً وأنشأ برجاً بثغر رشيد ووقف عليه وقفاً، وكانت له مشاركة في الجملة ويحفظ بعض تاريخ، مات بالقاهرة في حدود الخمسين.

ولم تزل هذه المدينة آخذة في الازدياد إلى اليوم حتى صارت تشتمل على نحو ألفين وثلثمائة مسكن، وصارت أبنيتها في غاية المتانة والإحكام، مزينة الظاهر والباطن، ذات دور فسيحة وقصور مشيدة مع طيب الهواء واعتداله، وبعض قصورها مشرف على النيل أو على أرض المزارع، إلا أن شوارعها وحاراتها ضيقة غير مستقيمة، ولا ميادين بها، وبها محكمة شرعية مأذونة بتحرير الحجج وسماع الدعاوى، ومساجد جامعة معمورة بالصلاة نحو خمسة وعشرين جامعاً وعشر زوايا، وأكثرها بمنارات مرتفعة ارتفاعاً حسناً، منها الجامع الكبير له شبه بالجامع الأزهر في الاتساع وكثرة العمد، وأرضه مفروشة بألواح الخشب، ومنها جامع المحلاوي في غاية الرونق والانتظام، فيه العلوم وفيه درس دائم، وضريحه به مشهور يزار.

وبها أسواق ذات حوانيت حسنة الوضع نحو ستمائة حانوت مشحونة بالمتاجر، وفيها فنادق تنيف على الثلاثين وقهاو بكثرة، وأنوال لنسيج ثياب القطن الغليظ، وفيها خمس حمامات، وثلاث عشر معصرة، واثنتان وخمسون طاحونة تديرها الخيل، وطاحونة بخارية، وعشرة مخابز، وثلاث كنائس: واحدة للأقباط وواحدة للأروام وواحد لليهود، ودير واحد للفرنج، وشوادر للأخشاب وغيرها نحو ثمانية عشر، وعشرة وابورات لضرب الأرز منها اثنان للديوان وثمانية للأهالي، وتسع دوائر للأرز تديرها الخيل،

ومعمل دجاج ومعمل صيني وورشة رخام وفوريقة لعمل الورق وورشه لآلات الموسيقى وورش لحلج القطن، وفيها حرف كثيرة كالنجارة والحدادة والدباغة والخياطة، ويوجد بها محصولات كيماوية وأجزاء لتركيب الأدوية والشمع والعسل والروائح العطرية، وجميع أنواع الملبوسات والمطرزات والطرابيش وغير ذلك من الحرف والبضائع، وفيها جملة من صيادي السمك ولهم نحو اثنين وعشرين قارباً معدة للصيد غير ما يأتي من البلاد المجاورة كأهالي الجزيرة وبرج مغيزل، وفيها للسمك سوق دائم، وفي السوق وكالة يوضع فيها السمك يقال لها "وكالة الشربجي"، وجمله أرباب الحرف فيها من الرجال ألفان ومائتان وتسعة وأربعون ومن النساء ست وأربعون، وميناؤها دائماً مزدحمة بالسفن الشراعية والبخارية وبأنواع المتاجر للشحن والتفريغ، وبعضها ينحدر في البحر المالح إلى إسكندرية ودمياط وغيرهما، وبعضها يقلع في داخل القطر لتوزيع السلع في البلدان، فلذا كان كثير من أهلها ملاحين وتجاراً يضربون في الأرض.

وفي بحريها حدائق ذات بهجة فيها كثير من الفواكه والخضر مثل التين والزيتون والنارنج والبرتقال والمشمش والفجل والبصل والجزر وحب العزيزة -وهذا الصنف مختص برشيد وما يقاربها من البلاد التي في شرقي النيل- وفيها نخيل بكثرة ثمره في غاية الجودة ويتأخر نضجه عن معتاد نخيل القطر أكثر من شهر، ويتجر به في مصر وإسكندرية وخلافهما، وهو أصناف فمنه: الزغلول ومنه السماني ومنه الحيَاني ومنه بنت عيشة وغير ذلك، ويزرع في أرضها الأرز كثيراً، وأرزها كالبلاد المجاورة لها يقال له السلطاني يأكل منه أمراؤها ويتجر بباقيه في البلاد وربما وصل إلى القسطنطينية وبلاد الفرنج، ومزرعتها تسقى بالآلات إلا في أيام النيل فبالراحة، وهذا في غير أراضي الجناين، وأما هي فتسقى بالآلات حتى في زمن النيل، وفيها كثير من شجر الخيار شنبر المستعمل في الطب، والأطباء يمدحون هذا النوع الناتج في أرضها، ولعلو قيمته وارتفاع ثمنه يخلط التجار عليه غيره يوهمون المشترى أن الكل رشيدي.

وفي خارجها خمس وعشرون مقبرة لأموات المسلمين، فيها كثير من مقامات الأولياء، ومقبرة واحدة للنصارى بجوار كنيستهم، ومقبرة للفرنج.

ومسطح معمور المدينة بما فيها من الفوريقات والدوائر ومحلات العساكر نحو سبعمائة ألف متر وتسعة آلاف ومائة وأربعة وستين متراً، غير الفضاء الذي بخلالها، وغير مناشر الأرز.

وكل سنة يعمل فيها ثلاثة موالد في ثلاثة أشهر جمادى الآخرة ورجب وشعبان.

وعندها جزيرة يقال لها الجزيرة الخضراء في شرقي النيل فيها ملاحة رشيد المشهورة بينها وبين النيل نحو ربع ساعة وتنحصر بين أرض المزارع وبحيرة البرلس، وفي شمال رشيد بجوار الجناين على شاطئ البحر قشلة متسعة يقيم بها العساكر الجهادية، ومن بحري هذه القشلة مقبلاً إلى التلول رصيف بحافة البحر متين، وفي بحريها أيضاً على نحو فرسخ بالشاطئ الغربي قلعة حصينة مربعة الشكل في كل زاوية من زواياها برج عليه مدافع وفيها العساكر الكافية، وتجاه القلعة بالشاطئ الشرقي بطارية مسلحة عليها أيضاً مدافع وفيها عسكر ومهمات كافية لحماية القطر من تلك الجهة كباقي الثغور الإسلامية، فلا تتمكن السفن الطارئة من الدخول من البغاز إلا بالتأمين والدلالة، سيما مع صعوبة البوغاز وعدم اهتداء الطارئ إلى حيث يدخل لتغير المدخل في أوقات السنة، فتارة يكون بعيداً في البحر وتارة يقرب من البر وتارة يتحول إلى الشرق وتارة إلى الغرب، وذلك بسبب تصادم النيل والبحر فيتكون عن ذلك رمال ولا تبقى إلا فتحة صغيرة تمر فيها المراكب بدلالة رئيس البغاز، فلذا كثيراً ما يحصل تلف لمراكب وبضائع عند هبوب الريح. وفي جنوب المدينة على الشاطئ الغربي أيضاً تل مرتفع في وسطه برج أرتدم نحو نصفه، وفي أسفل التل حوض نصف دائرة يدل على أن هذا المحل كان مرسى للمراكب في الأعصر الخالية، وقد حفر بعض الناس سابقاً في هذا الموضع فوجد عشرين عموداً من الرخام فترتب على ذلك سجنه ومضايقته وسلب أمواله، وظن بعض الجغرافيين أن مدينة كانوب القديمة كانت في هذا الموضع وليس ظنه بصواب، لأن مدينة كانوب كانت في محل بوقير أو بقربه، والذي يقرب من الصواب أن هذا التل في محل مدينة بولبتين كما قاله العالم دنويل، أن مدينة بولبتين كانت على بعد قليل من رشيد، فلعل العمد التي وجدت هناك من آثار تلك المدينة التي تكلم عليها استرابون وانيتي البيزانتي، وفي غربي هذا التل مدافن أموات رشيد، وفضاء متسع مغطى بالرمال."

هكذا تحدث علي باشا مبارك في خططه التوفيقية عن رشيد، أشهر مدن الديار المصرية في القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر.

ورشيد هي الاسم المصري للمدينة وهو مستمد من الأصل القبطي رشيت الذي يرجعه بعض المؤرخين إلى اسمها الفرعوني Rakhit أو ريخيتو - وقد حورها العرب لتصبح "رشيد"- أما الأجانب فقد أطلقوا عليها Rosette أو Rosetta وهي الوردة الصغيرة -ولا عجب في ذلك- فأوصاف الرحالة تجمع على أن تلك البلدة كانت تحف بها

وتملأها الأشجار والبساتين -واحة مزهرة على أطراف الصحراء- وسواء كان القادم من النيل أو من الطريق البري كانت رشيد تبهره بحسنها، وتنسيه أهوال اجتياز البوغاز أو عناء الطريق الفاصل بينها وبين الإسكندرية، فنجد الرحالة سافاري يعبر عن ذلك بقوله "*بعد رحلة شاقة عبر الأطلال عندما يجد المرء نفسه في مدينة ضاحكة محاطة بالأشجار والخضرة فإن النفس تتمرد ويصبح المرء على استعداد لكي يستمتع بكل جمال الطبيعة ... إن الإنسان ليظن نفسه في جنات عدن جديدة.*" [١].

أما كلوت بك فيعبر عن انبهاره بما يلي: "بعد اجتياز البوغاز يرتسم في باصرة الإنسان منظر يفتن العقل ألا وهو منظر سهول الدلتا وقد فرشت ببساط طبيعي من سندس أخضر ونثرت عليه الحاصلات الذهبية اللون ورسمت فيه صور غابات النخل والقرى والمدائن تعلوها منارات المساجد ذاهبة إلى السماء كأنها سهام حادة النصال وتلك السهول تمتد إلى أقصى مدى النظر فتنتهي إلى حيث ينتهي الأفق وتعجز الباصرة عن نظر ما وراه"[٢].

كانت رشيد إذن مدينة تخلب اللب، متى نشأت وكيف زهت وازدهرت وكيف تطورت وما هو الحال الذي آلت إليه ولماذا هوت هذه المدينة من المرتبة الرابعة بين مدن مصر إلى المرتبة الرابعة والخمسين؟

هذا ما سوف يتطرق إليه هذا الكتاب الذي يتكون من ثلاثة أبواب رئيسية.

يتناول الباب الأول المسميات القديمة لأسلاف رشيد -أي ريختو، بولبتين، ورشيت- وهى الأسماء التي عرفت بها المدينة في كتب التاريخ والبرديات، من هذه المدن من تركت بعض الشواهد على وجودها مثل أعمدة وتيجان أو قطع من الحجارة تعرض في المتاحف أو تزين إلى يومنا هذا المنازل والجوامع، وأشهرها "حجر رشيد" المنسوب إلى أحد معابدها القديمة، والذي ساهمت به المدينة في فك طلاسم الكتابة المصرية القديمة وتعريف العالم أجمع بالحضارة المصرية وسبر أغوارها، وبعض من هذه المدن من لم يترك سوى الاسم تاركا الباحثين في حيرة شديدة، مدن الحلم نسجت حولها القصص والأساطير، سكنها "أفضل الناس" [٣] أو ريخيتو، "وقاوموا الملك مينا أثناء زحفه لتوحيد الشمال والجنوب، أو في مقولة أخرى" سوقاً تجارية رائجة فيها ولاسيما في عصر

---

١ - Savary".lettres sur l'Egypte- " tome 1 . p.46

٢ - كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، ص٤٢٢.

٣ - إبراهيم عناني: رشيد في التاريخ، ص١٤.

الأسرة ٣٦"، كذلك لم تسلم مدن الواقع من تلك الأقاويل التي لم تثبت صحتها على وجه اليقين، فبولبتين كان يصنع بها العجلات الحربية في القرن الخامس[١]. عن مدن الحلم ومدن الواقع من أسلاف رشيد السابقة على الفتح العربي سوف نستعرض الآراء المختلفة والجدل الذي أثير حول التجمعات السابقة عليها، وحول مواقعهم المفترضة، بهدف إلقاء الضوء على كينونة تلك التجمعات، حيث يضع هذا الجدل وجودها في الحقبات السابقة على الفترة المملوكية موضعاً للشك. ونحن لا ندعي هنا إننا سوف نحسم هذا الأمر -ولكن على أقل تقدير- نناقش مقولات لم تثبت صحتها إلى الآن.

وننتقل في الباب الثاني إلى تناول عمران وعمارة رشيد في العصر العثماني -أي أزهى العصور التي عرفتها المدينة- بادئين بالحياة الاقتصادية والاجتماعية، حيث كان للازدهار الاقتصادي إبان هذه الفترة تأثير واضح على العمران والعمارة كما أشار علي باشا مبارك، وننهي هذا الباب بتحليل عوامل أفول رشيد.

أما الباب الثالث والأخير فيختص بعمارة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد أفردنا لهذا الموضوع جزءً مستقلاً في حد ذاته نظراً للسمات الخاصة لتلك العمارة.

---

١ ـ نفس المرجع السابق.

الجزء الأول

من ريخيتو إلى رشيد

رشيد

أ رشيد، وأنـــت جنة خلد لو أتاح الإله في الأرض خلداً
حين سموك "وردة" زهى الحــ ـسن، ورد الخدود لو كن وردا
توجت رأسك الرمال بتبر وجرى النيل تحت رجليك شهدا
وأحاطت بك الخمائل زهرا كل قد فيها يعانق قدا
والنخيل النخيل! أرخت شعورا مرسلات، ومدت الظل مدا
كالعذارى يدنو بها الشوق قربــا ثم تنال مخافة اللوم بعدا
حول أجيادها عقود عقيق ونضار وصفاءه ليس بصدا
يا ابنة اليم لا تراعـــي فأني قد رأيت الأمور جزرا ومدا
ن ويمسي وعيده المر وعدا قد يعود الزمان صفو كما كا

علي الجارم

ديوان الأعمال الكاملة

شكل رقم (١) خريطة رشيد عام ١٨٩٧



الموقع والموضع

١ الموقع الجغرافي

تقع رشيد الحالية على الضفة الغربية لفرع رشيد أسفل خطِ عرض ٣٥"٣"٢٨"، وعلى خط طول ٣١"٣"٣٤، يحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الشرق فرع النيل الذي يحمل اسمها، ومن الغرب خليج أبو قير، ومن الجنوب تل أبو مندور يليه الكثبان الرملية.

وتحتل رشيد موقعا متطرفاً بالنسبة للمدن الكبرى فهي تقع على بعد ٦٠ كيلو متراً شرق مدينة الإسكندرية وتفصلها عن عاصمة المحافظة دمنهور ٥٥ كيلو متراً.

وإن كان موقع المدينة الحالية أو أسلافها بمحدداته الجغرافية ظل ثابتاً فان الموضع قد تغير عدة مرات نتيجة للعلاقة الثنائية بين النهر والبحر. الثناء به فقد أدى توغل مجرى النيل داخل مياه البحر وتراكم طبقات الطمي المترسب على الشاطئين إلى إطالة الفتحات أو المصبات حتى أن بعض المواقع على الشاطئ كانت فيما مضى أكثر تقدماً قد باتت اليوم هي نفسها أكثر تراجعاً. لذلك هناك اعتقاد كبير -يدل عليه العديد من الشواهد- مؤداه أن موقع مدينة بولبتين كان يوجد إلى الجنوب من رشيد غير بعيد عن حصن أبو مندور، "وفي الواقع فانه يوجد أسفل هذا الحصن خليج صغير نصف مائل يبدو أنه كان يستخدم فيما مضى كميناء، إلا أن رمال الصحراء قد سدته، ومنذ فترة غير بعيدة تمت تنقيبات في هذا المكان فعُثر فيه على أعمدة رائعة من الجرانيت وهذا سبب جديد يحبذ الاعتقاد في صحة الرأي الخاص بالموقع المحتمل لمدينة بلولبتين القديمة"[1].

هذا عن موقع بولبتين، أما عن مواقع المدن الأخرى التي شيدت تباعا ونمت ثم اندثرت بعد الفتح الإسلامي، فمن المرجح أن تكون دائماً أكثر اتجاهاً إلى الشمال من سابقتها حتى تقترب من فتحة المصب.

ويُرجح أن المدينة في العصر الفاطمي بُنيت على أطلال بولبتين القديمة، فقد اكتشفت بعثة هيئة الآثار المصرية العاملة في منطقة أبو مندور بجنوب رشيد وجود ٢٢٢٠ عملة برونزية ترجع إلى العصر الفاطمي داخل ٢٠ اناءً فخارياً على عمق

---

١ ـ علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، ج٣، دراسات عن المدن والأقاليم، ص٢٢٥.

٥ أمتار أثناء قيام البعثة بعمل حفريات بمقابر المنطقة لاكتشاف آثار بولبتين[١].

ظل النهر يلقي بطميه في البحر إذن منذ آلاف السنين مكوناً لسان مصب الفرع الذي أخذ في الامتداد داخل البحر لمسافات وصلت أقصاها حتى نهاية القرن التاسع عشـــر، وبدءا من أوائل القرن العشرين بدأ خط الشاطئ في التقهقر نظـــراً لتنـــاقص كميـــات الرسوبيات الواصلة للمصب، نتيجة لإقامة الأعمال الصناعية الخاصة بالتحكم في ميـــاه النهر من جهة والتوسع في استخدام المياه في الزراعة من جهة أخرى، ثم انقطعت تماما بعد إنشاء السد العالي عام ١٩٦٥ وزاد معدل النحر عن ١٥٠ متراً في السنة.

ونستطيع أن نقيس تأثير هذه العوامل على منطقة رشيد بقياس المسافة بين المدينـــة ونقطة المصب أو الأشتوم في فترات مختلفة، وقد أظهرت دراسة قام بها د. الهلالي عن الفترة الواقعة بين عامي ١٨٠٠ و١٩٢٦– أي على مدى ١٢٦ عاماً– نمو لسان رشـــيد داخل البحر بمعدل ٤٠ متراً في العام – أي انه قد أضيفت إلى مساحة اليابسة ٥ كيلـــو مترات[٢]. وبدءا من هذا التاريخ بدأت قوى مختلفة تؤثر على اللسان تسببت في تغييرات بخط الشاطئ بيانها كالتالي: قوى الرياح – الأمواج – التيـــارات البحريـــة المـــد والجزر والترسيب[٣].

فعوامل الترسيب أنهت وجود الجزيرة الخضراء التي كـــانت توجـــد عنـــد مدخـــل المصب –وطالما وصفها الرحالة– فأصبحت جزءاً من الضفة الشرقية والتحمت بها عام ١٨٠٠ وأصبح اللسان ممتدا كشبه جزيرة معرضاً للغمر والتآكل بمعدلات تراوحت بين ٣٠ إلى ٥٠ متراً في العام وقد تسارع هذا المعدل بعد بناء السد العالي[٤].

وقد ورد في تقرير اللجان التي شكلتها أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا ومعـــهد علوم البحار (فرع الشواطئ) إن أعماق البحر تزداد مع الوقت و تقترب من الشـــواطئ. وبالرجوع إلى خرائط شاطئ البحر في المنطقة منذ عام ١٨٧٠ حتى عام ١٩٢٣، كـــان الشاطئ يقع على بعد ٢٣٥٥ متراً شمال طابية رشيد. وفي عام ١٩٤٠ أصبح الشـــاطئ على بعد ١٦٠٠ متر من الطابية، ثم على بعد ١١٠٠ متر من الطابية أي أن البحر يأكل

---

١ ـ الاهرام، ١٩٩٣/٦/١٣.

٢ ـ الهلالي.

٣ ـ نفس المرجع السابق.

٤ ـ المهندس علوي مكي: منطقة رشيد وحمايتها من التآكل، مقالة منشورة.

٣٣ متراً كل سنة. وفي عام ١٩٧٦ أصبح الشاطئ عند موقع الطابية وتهدم جزء منها. وفي عام ١٩٨٠ دخل البحر بعد موقع الفنار وانهار عدد كبير من شاليهات المصيف. وفي نهاية عام ١٩٨٤ أنهى البحر على كل ما تبقى من المصيف ولم يبق منه شيء. وأصبح مجموع المساحة التي اقتطعها البحر ما يربو على ١٠ كيلو مترات في غضون ثمان سنوات مهدداً بابتلاع قرية برج رشيد وكذلك ١٢ ألف فدان زراعية شمال المدينة[١].

وقد جاء مشروع بناء حاجز الأمواج عام ١٩٨٥ –والذي تم تنفيذ جزء كبير منه– ليوقف عدوان البحر على اليابسة وقد تكلف ٥٤ مليون جنيه[٢].

٣ رشيد في التاريخ القديم

جاء في دائرة المعارف الإسلامية عن رشيد ما يلي: "(روزيت Rosette بالعربية رشيد) هى مدينة مصرية تقع غرب فرع رشيد عند خط عرض ٣١ وطول ٢٤ وهى بولبتين القديمة"[٣]، وفي القاموس الجغرافي لمحمد رمزي[٤]: "قاعدة مركز رشيد هى من مدن الثغور المصرية القديمة، وردت في جغرافية سترابون باسم بولبتين Bolbitine وهى واقعة على مصب فرع بولبتين".

هذا وقد ذكرها أميلينو في قاموسه الجغرافي مشيراً إلى أن اسمها مشتق من الاسم القديمRachit الذي يوجد في البرديات القبطية"[٥]، ومن أهم الإشارات التي وردت عن رشيد الفرعونية ما أورده بورتر آند موس Porter and Moss عن وجود جزء من عامود عليه كتابات من الجانبين محفوظ في المتحف البريطاني ويرجع إلى عهد ابسمانيك الأول ويرجح أنه جلب من معبد آتوم[٦]، كذلك ورد في نفس المصدر أن هنالك جزء آخر من نفس المعبد يرجع إلى عصر نختنابو Nechtanbo الأول، مزدان بنقش

---

١ ـ الوفد ٢٥/٨/٨٨.

٢ ـ نفس المرجع السابق.

٣ ـ ENCYLOPEDIE DE L'ISLAM - p.1246.

٤ ـ محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الثاني البلاد الحالية، القاهرة ١٩٥٨، ص٢٢.

٥ ـ AMELINEAO (E, La Geographie de l'Egypte A l'Epoque copte, Paris 1954 p. 404-405.

٦ ـ Bertha Porter and Rosalina Moss, Topogaphical Biblioglaphy of Ancient Egyptian Hlieoglyphic text, 7 volumes, Ox ford, 1927-52.

يظهر هذا الملك الفرعوني أثناء تقديمه لقربان"[1].

ويعضدد هذه الإشارات ما يسوقه Breccia Evaristo عن أن "هناك العديد من القطع المعمارية التي جلبت من المنشآت الرومانية والإغريقية ومن الجبائز أن تكون من بولبتين القديمة"[2]، وفي موضع آخر "كثيراً ما نلاحظ في المباني التي شيدها العرب وجود أجزاء معمارية جلبت من المنشآت الرومانية والإغريقية لبولبتين القديمة. وهناك أيضاً العديد من تلك القطع متروكة في الخلاء. هذا وقد تم العثور على مخطوطة ضمن عدة مخطوطات تشير إلى وجود معبد خصص لعبادة كليوباترا". "ويمكننا أن نرى قطعة رائعة من الجرانيت الأخضر جلبت بالتأكيد من معبد مصري قديم ثم أعيد استعمالها في كنيسة كاثوليكية وهى محفوظة حالياً في متحف الإسكندرية"[3].

وبشكل عام فان الأطلال الفرعونية كثيرة وتتمثل في أعمدة جرانيتية وتيجان من الرخام من الطرز الكورنثية والآيونية أعيد استخدامها في العديد من المباني العامة والخاصة"[4]. وعلى الرغم من أن كل تلك النصوص ترجح وجود شواهد مادية على وجود تجمع يرجع إلى الفترة الفرعونية في منطقة رشيد -إلا إننا نلاحظ انتفاء اليقينية- وذلك واضح في استخدام كلمات مثل: من الممكن، ويمكن أن. ونسوق هنا رأى الأثري لبيب حبشي -الذي قام بعمل حفريات عديدة في الدلتا- هذا نصه: "لقد عثرت في قلعة قايتباي على بعض القطع الحجرية التي ترجع إلى العصر الفرعوني، وهذه القطع قد أعيد استخدامها في بناء القلعة، كما كانت تحمل أسماء ملوك الأسرة السادسة والعشرين، وقد دفعني هذا الاكتشاف إلى التردد على رشيد عدة مرات، وأثناء تجوالي في المدينة لاحظت أنه قلما يوجد منزل أو جامع أو مبنى في هذه المدينة لا يخلو من بعض الأعمدة والتيجان والقطع الحجرية الأثرية، وأخص بالذكر المنشآت التي شيدت في العصر الذهبي للمدينة، أي في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن التاسع عشر، حتى أن جامع زغلول (١٥٩٠م) يحتوي على ٢٤٤ عاموداً من هذه الأعمدة القديمة، وعندما توجهت لزيارة صهاريج المياه الكائنة في باطن الأرض تحت بعض المنازل

---

١ ـ نفس المصدر السابق.

٢ ـ Breccia (Evaristo), Guide de la ville et du musee d'Alexandrie , Alex. 1907, p.139-140.

٣ ـ نفس المصدر السابق.

٤ ـ نفس المصدر السابق.

الكبرى حيث كانت تخزن المياه في أوقات التحاريق، لاحظت أن الأضلاع الداخلية لتلك الخزانات تتكون من أسطح حجرية ملساء عليها كتابات هيروغليفية، وقد توصلت إلى إن تلك الأحجار قد جاءت بالتأكيد من معبد الإله في سايس". "أن الحجر الذي يعرف الآن بحجر رشيد معروف بأنه جزء من معبد آتوم الذي كان يوجد في "بولبتين" القديمة إلا أنه لم يتم تحديد موقع هذا المعبد في منطقة "رشيد"، وكان هناك اتجاه إلى افتراض موقعه محل قلعة قايتباي. وفي فرضية أخرى أن هذا المعبد ربما كان يقع في تل أبو مندور، أي الموقع المفترض لبولبتين على بعد ٣ كم من جنوب رشيد الحالية، إلا إننا نستبعد أن يكون المعبد قد شيد في موقع قلعة قايتباي، ذلك أن الأراضي التي شيدت عليها هذه القلعة حديثة التكوين نسبياً نشأت من ترسيبات النيل، ومن جانب أخر فنحن لا نعلم أي شئ عن الموقع القديم لمدينة "بولبتين" في العصور الفرعونية والبطلمية، وكل معلوماتنا عن هذه المدينة أنها كانت تقع على الفرع البولبتيني الذي كان يحمل اسمها كما كان بها ترسانة لبناء السفن في العصر الروماني[١]. وعلى العكس من "رشيد" فقد كانت "سايس" عاصمة الأسرة السادسة والعشرين، وقد فضلها نختنابو الأول كما كانت تحظى باهتمام البطالمة. وإذا قمنا بإثبات أن الكثير من الكتل الحجرية التي أعيد استعمالها في مباني "رشيد" قد أتت من "سايس"، فيمكننا أيضاً أن نؤكد أن الأحجار التي ترجع إلى عصور ابسماتيك الأول ونختنابو الأول وأيضا حجر رشيد والتي توجد في المتحف البريطاني قد جلبت برمتها من "سايس"[٢].

إن ما يؤكده لبيب حبشي، إن لم يكن ينكر وجود مدينة "بولبتين" فهو يضع وجودها قبل العصر الروماني موضع للشك. وإذا كنا من جانبنا لا نشك في وجود تجمع أو مدينة حمل اسم "بولبتين" على أقل تقدير في العصر البيزنطي، حينما أصبحت عاصمة لكورة من الكور إلا إننا نجد صعوبة بالغة في رسم صورة واضحة عن الدور الذي لعبته تلك المدينة في العصور القديمة.

فمن المحتمل أنها كانت مجرد موقع حصين على أحد مداخل النيل السبعة أو مرفأ للسفن على أقل تقدير، ومما يدفعنا إلى هذا الرأي ما يلي: ما يذكره ديودور عن ساحل

---

١ ـ Habachi (Labib), Sais and it's Monuments, in Annales du Service des Antiquites Egyptiennes, 42, (1934), p.p.369-407.

٢ ـ نفس المصدر السابق.

البحر [1]، وما جاء في الوثائق التاريخية، وما ذكره سترابو، أنه قد ورد على مصر في زمن أبسماتيك كثير من الميلذيين في نحو ثلاثين سفينة ورست عند مصب فرع النيل البولبتيني، ثم توغلوا داخل الدلتا وشيدوا ما يعرف بالحائط الميليذي، ثم توغلوا غرباً وشيدوا مدينة "تقراطيس"[2]. ولم يعثر على أي أثر حتى الآن لهذا الحائط الميليذي، ويعتقد خطأ أن الحائط الميليذي هو حصن رشيد مكان الموقع الحالي لمدينة فوه التي يخلط الباحثون بينها وبين مدينة "ميتيليس"[3].

أما ما يهمنا فهو تشييد مدينة "تقراطيس" التي ستصبح فيما بعد أول ميناء تجاري هام في غرب الدلتا قبل نشأة "الإسكندرية". لقد تم اختيار موقع "تقراطيس" على بعد ٧٠كم من ساحل البحر وعلى الفرع الكانوبي، فما هى الأسباب التي جعلت هؤلاء البحارة[4] يختارون هذا الموقع ؟ سوف نسوق بعض الأسباب المنطقية التي تبرر هذا الاختيار وتتمثل في:

١-البعد عن ترسيبات النيل عند المصبات.

٢-خلو الساحل من التعرجات.

٣-البحث عن مكان آمن بعيداً عن مداخل النيل التي كانت دائمة التعرض للغزوات القادمة من البحر مما كان يشكل مخاطر على ازدهار النشاط التجاري.

٤-العيوب الملاحية للفرع البولبتيني التي تحدث عنها علماء الحملة بالتفصيل فيما بعد والتي سوف نشير إليها في هذا الباب.

لقد كان إذن للموقع الساحلي مساوئه بحيث كان من المفضل أن تنشأ المدن بعيدة عنه، وربما كان هذا شرطاً من شروط ازدهارها وبقاؤها. ومما يؤكد ذلك وجود معظم المدن في العصر الفرعوني عند خط عرض ٣١ "سيبنتوس" على الفرع السبنيتي، و"تانيس" على الفرع التانيسي، و"منديس" على الفرع المنديسى كلها تقع جنوب منطقة

---

١ ـ أنظر التقرير الاول، الفصل الاول.

٢ ـ Vandier, Peuples Mediterraniens- p.583.

٣ ـ عبد المنصف محمود: على ضفاف بحيرات مصر، بحيرة المنزلة وبحيرة البرلس، ص١١٦

٤ ـ فطن ابسماتيك الأول للمزايا الحربية للاغريق فبدأ في تعيينهم في الجيش النظامي المصري الذي كان على رأسه قواد من أصول ليبية وسورية . ثم اخذ في تشجيع الاغريق على الاستيطان بهدف مقاومة الفرس, وبالتالى فقد بدأ التجار الاغريق في استيطان مدن الدلتا بدءا من العام ٥٥٦ ق.م. اي قبل نشاة الاسكندرية بقرنين. VANDIER, Peuples, Op.Cit,.p.583.

البراري[1]. لا تشذ عن هذه القاعدة سوى "بيلوز" وربما "بولبتين" على اللســـان الممتـد داخل البحر والذي كان يسمى قرن الحمل Corne d'agneau، إذا كانت المدن التي تحمـل أسماء فروع النيل السبعة تقع داخل الدلتا وليس على الساحل، عن أي مدينة يتحدث إذن سترابو وهيرودوت والآخرون الذين أشاروا إلى وجود مدينة عند التقـاء فـرع النيـل بالبحر وتحمل اسم الفرع؟ هل كانت هناك مدن أخرى في هذه المواقع لها نفس أسـماء المدن الداخلية الموجودة داخل الدلتا والتي تركت العديد من الآثار التي سـاهمت فـي تحديد موقعها؟ وفي الواقع فان ديودور الصقلي الذي زار مصر إبان الغـزو الفارسـي يعطينا إجابة على هذا التساؤل فهو يقول[2]: "يصب النيل في البحر مـن خـلال سـبعة مصبات وعند كل مصب نشأت مدينة شيدت بها تحصينات وطوابي عالية وعلى جـانبي النهر الذي ربطت ضفتيه بكوبري من الخشب"، ثم يتحدث ديودور باستفاضة عن مصب الفرع البيلوزي وتحصينات مدينة "بيلوز"، ثم يضيف "عندما فطن جنود فرنابـاز انـه سوف يتعذر عليهم دخول مصر من خلال فتحة الفرع البيلوزي نتيجة لقوة تحصيناتـها، توجهوا إلى فتحة الفرع المنديسي ونزل ٣٠٠ جندي في المدينة المحصنة التـي كـانت توجد هناك"[3].

وترجع أهمية هذا النص إلى أنه يستعمل لفظ "Bourgade" أي المدينـة المحصنـة الصغيرة ليشير إلى المدينة التي احتلها الفرس عند المصب المنديسي والتي لا يمكـن أن تكون "منديس" فموقع "منديس" معروف، ثم أنها لم تكن قط مدينة محصنة صغـيرة، وإن دل هذا النص على شيء فهو يدل على ما افترضناه من أن المدن التـي كـانت عنـد المصبات عدا "بيلوز" و"كانوب" لم تكن سوى مجرد مدن حصينة صغيرة الحجـم بـها حامية –أي حاميات– يقطنها "المرابطون" كما وصفها العرب بعد ذلك، وربما كانت تلك المدن المحصنة في أقصى شمال الدلتا شبيهة بالمدن المحصنة على الحدود الجنوبية في مصر مثل حصن سمنا وآروناتي.

١ ـ لم يكن شمال منطقة البراري مقفراً وغير مسكون بل على العكس فقد أثبتت الحفريات قيام تجمعـات عمرانية هامة حول بحيرة البرلس منذ أقدم العصور.

٢ ـ Texte de Diodore.cite' in Bernand (A) -Le Delta Egyptien d'Apres les Textes Grecs - tome I - p.45

٣ ـ نفس المصدر السابق، ص٣٠-٣١.

كانت "بولبتين" إذن حصناً من تلك الحصون، ولم تكن تتمتع بالمكانة التجارية لـــــ "كانوب" أو "نقراطيس" كما أنها لم تتدهور كما هو شائع بعد نشأة الإسكندرية[1]، بل على العكس من ذلك ربما انتعشت بعد نشأة "الإسكندرية "، حيث لعبت دور ميناء الـــترانزيت كما لعبته "رشيد" الحديثة بعد ذلك في العصرين المملوكي والعثماني، وإلا لماذا أصبحت عاصمة إقليمية في العصر البيزنطي؟

وبالنسبة للصفة الإدارية لبولبتين -التي يمكنها أن تلقي الضوء على مكانتها- فتجدر الإشارة إلى أنه في العصر الفرعوني لم يكن هناك قسم مستقل يحمل هذا الاســـم، بـــل كانت بولبتين تتبع إدارياً المقاطعة السابعة "رع امنتي" أو "نفر امنتي"، ثم ظهرت بولبتين ككورة مستقلة من ضمن الثلاث والثلاثين كورة التي عدها جورج القبرصي في قائمتـه، كما ذكر شارل دي رونسيير Charles de la Ronciere عدد أربع عشر أسقفية في الإقليـــم الأول لمصر (أجيبت) في العصر البيزنطي، كانت كلـــها تابعـــة للكنيســـة الكاثوليكيـــة بالإسكندرية[2]. وفيما يلي مقاطعات البحيرة قديماً وبين الأقواس مقر أسقفية كـــل منـــها: متيليس (مصيل) - نقراطيس (النبيرة) - أندروبوليس (خزيتا) - ميتيلاييس (ادكو)، ثـــم مريوطيس (مريوط).

ومنذ دخول المسيحية مصر سنة ٥٤م نجد أسماء مراكز العمران ترد فـــي الآثـــار القبطية، فلأول مرة تهمل تسمية "بولبتين"، ويذكر أميلينو Amelineau إن الاسم القبطـــي لتلك المدينة هو Raschit ومنه اسمها العربي "رشيد"، لكنه يضيف بأنها لم تذكر ســـوى مرة واحدة في إحدى الوثائق القبطية على الرغم من شهرتها في مصر وأوربا. يمكن أن

---

١ ـ صلاح عبد الجابر عيسى: جغرافية العمران الريفي، دراسة تطبيقية عـــن مركـــز رشـــيد، القـــاهرة ١٩٨٢م، ص٦٦-٦٧. "من المعروف ان مدينة الإسكندرية تأسست عام ٣٣١ ق.م. مكـــان راقـــودة الفرعونية ومنذ ذلك الوقت دخلت فى منافسة شديدة مع مدينة "بولبتيـــن." طبقـــاً لبعـــض الروايـــات المشكوك فيها، فان أسلاف "رشيد" الحالية ترجع إلى عصر ما قبل الأسرة الفرعونية الاولى، وتذكـــر بعض الروايات أن الملك نارمر أثناء زحفه من الصعيد لتحقيق الوحدة بين الوجهين اصطـــدم بـــأهل هذه المنطقة وهم طائفة من المواطنين يسمون "ريخيتو"، ص٨.؛ عبد الجابر عيسى: المرجع الســـابق، ص٦٤ ؛ ويرجع هذا الكاتب الى:

Forster (E.M.), Alexandria , A History and a Guide, 1938, p:174.

وبالرجوع إلى هذا المصدر وجدنا أن فورستر يروي هذه الواقعة دون الاعتماد على أي نص تاريخي أو رواية أو وثيقة.

٢ ـ Charles de la Ronciere, La Geographie De l Egypte, p.205.

نستنتج من ذلك أن بولبتين قد أصابها التدهور، وأن الأقباط جددوها من بين المدن المحصنة التي تم الاستيلاء عليها عند غزو العرب لمصر[١].

٣ ثغور مصر عند الفتح العربي

من العسير التطرق لثغر رشيد عند الفتح العربي دون الإشارة إلى ثغور مصر وأهميتها النسبية. كانت مداخل مصر الهامة على الساحل الشمالي إبان الفتح العربي هي "بيلوز" في الشمال الشرقي، والإسكندرية في الشمال الغربي وبينهما "دمياط" و"رشيد"، أو "تامياتيس" و"رشيت" القبطيتان وكلتاهما مدن عواصم إقليمية أو قصبات لكور كما ورد في قائمة جورج القبرصي، كما كانت تلك المدن تشترك أيضا في كونها مقار لأسقفيات ممثلة في المجامع المسكونية بالإسكندرية"[٢]. وإذا نحينا "الإسكندرية" جانبا –نظرا لكونها مدينة كبرى لا تقارن بالمدن الأولى من حيث الوظائف التي تضطلع بها أو الحجم أو الأهمية– نجد أن الثغور الثلاثة السابقة الذكر تتفاوت أهميتها ووظائفها.

ففي الشرق جمعت "بيلوز" و"دمياط" بين الوظائف الحربية والتجارية والإدارية وتفوقت "دمياط" على "بيلوز" نظرا لكونها من المدن الصناعية حيث اشتهرت بصناعة الأنسجة الدقيقة مثلها مثل الثغور الأخرى الأقل أهمية كـ "شطا" و"تونة" و"تنيس". ففي ذلك الزمان كانت السفن الشراعية الكبيرة المحملة بالكتان وورق البردي والزجاج والمنسوجات الدقيقة تخرج كل يوم من "دمياط"، ثم تدخل إليها مراكب أخرى محملة بأخشاب الشام ومرمر اليونان ومعادن روما[٣].

أما "الفرما" (بيلوز)، فكانت مفتاح مصر من الشرق، تشرف على الطريق القادم من الصحراء وتملك ناصية البحر ويجرى إليها فرع من النيل يؤدي إلى مصر السفلي وكان الفينيقيون يدخلون مصر بمراكبهم من هذه الميناء وكانت أيضا رأس الطريق إلى بلاد العرب[٤].

في الشمال الشرقي إذن مدينتان (ثغران – متتزنان)، حتى لو كانت "الفرما" أو "بيلوز" سابقة على دمياط بعهود طويلة، ولكن أقدار المدينتين سوف تختلف، ذلك أن

---

١ ـ الفريد بتلر: فتح العرب لمصر.

٢ ـ نقولا يوسف: دمياط، الاتحاد القومي بدمياط، ص٧١.

٣ ـ نفس المرجع السابق، ص ٧٥.

٤ ـ عبد المنصف محمود: المرجع السابق، ج٢، ص٢٩.

"الفرما" لا يلبث أن أصابها التدهـور بـالتدريج نتيجـة لتضـافر العوامـل الطبيعيـة والاستراتيجية وحلت محلها دمياط حيث أصبحت مدخل مصر الوحيد في هذه الجهـة، وذلك لسببين:

أولاً: كانت "الفرما" أول موضع قوتل فيه عمرو بن العاص عند فتح مصر، وقد اضطر لهدم أسوارها وحصونها حتى لا ينتفع بها العدو إذا عاد إليها[1].

ثانياً: واكب الفتح العربي حركة الهبوط التاريخية لساحل البحر الشمالي وطغيان البحـر عليه، وقد انعكس هذا الهبوط على فرعي النيل الطبيعيين البيلوزي في الشرق والكانوبي في الغرب، بينما زاد حجم المياه في فرعي دمياط ورشيد، وقد تأثرت مكانة "بيلوز" بهذه التغييرات الفيزيوغرافية فانعزلت عن النظام المائي في مصر أولاً قبـل أن تدمـر ثـم تنتهي في القرن الثاني عشر أثناء الحروب الصليبية.

وعلى الرغم من مخاوف المسلمين الفاتحين من ركوب البحر والأنـهار وتفضيلـهم للمقام والسكن في المدن الداخلية، فلم يؤثر ذلك على عمران أو ازدهار مـدن الشـمال الشرقي وعلى رأسها "الفرما" -قبل تدهورها- وجزيرة "تنيس" و"دمياط"، وظلـت أهـم المدن وأكبرها حجما هى تلك المدن الساحلية، ذلك أن مصر كانت ما تزال في مرحلـة التبعية للخلافتين الأموية والعباسية[2]، وهذه التبعية لها تأثيرها في ضعف أو ضآلة نمـو المدن واقتصار أهميتها على تلك الواقعة في شرق الدلتا حيث كان توجه مصـر نحـو الشرق الآسيوي، مما أكسب المدن ذات العلاقات بالشام والعراق والجزيـرة العربيـة أهمية كبيرة أكثر من غيرها، وبالإضافة إلى ذلك كانت تتمتع باعتنـاء خـاص لصـد الحملات البحرية التي شنتها الدولة البيزنطية.

ا) رشيد

على الرغم من تشابه "رشيد" مع "دمياط" في الموقع الجغرافي والإداري، إلا أنها لم تقم بدور يقارن بما قامت به "دمياط" أبان الفترة العربية الأولى، وذلك لاختلاف معطيات الموضع بين المدينتين من جانب، وتأثير الإسكندرية وضواحيها وموانيها الثانوية على رشيد مـن جانب آخر.

---

١ ـ نفس المرجع السابق، ص٢٨.

٢ ـ عبد العال الشامي: مدن الدلتا في العصر العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة.

فالظهير الزراعي لـــ "رشيد" محدود للغاية إذ يكاد ينحصر في ما يحيط بضفتي النـــهر في منطقة المصب، كما كان انتشار التكوينات الرملية في غربي المدينة وزحفـــها علـــى العمران أكبر الأثر على الأراضي الزراعية وعلى العمران، فقد هجـــرت "رشـــيد" عـــدة مرات أمام زحف التكوينات الرملية ولجأ سكانها إلى "فوه" ثم عادت المدينة إلى حياتها من جديد، وفي النهاية فإن لمصب رشيد عيوبه الملاحية، إذ تغلقه الرمـــال المتســـربة بفعـــل الأمواج على شكل حواجز رملية، كما أن تيار النهر المتدفق في التقائه مع البحـــر يخلـــق مناطق ثائرة يصعب اجتيازها[1]. كل هذه الأســـباب مجتمعـــة، بالإضافـــة إلـــى وجـــود "الإسكندرية" و"كانوب" و"شيديا" و"الكريون" و"ماريا" .. الخ في غرب الدلتا، جعلـــت مـــن ثغر "رشيد" غير ذي أهمية سوى من الناحية الاستراتيجية كمدخل من مداخل أفرع النيل.

وعندما اشتدت هجمات الروم البحرية على ثغور مصر، في عهد الخليفة المتوكـــل خاصة تلك التي وقعت على "دمياط" و"تنيس"، أمر المتوكل ببناء حصن دميـــاط ســـنة ٨٥٣م، وأنشأ حينئذ الأسطول بمصر، كما أقام حصوناً أخرى في "تنيـــس" و"الفرمـــا ". كان إذن من المهم تجديد ثغر "رشيد" البعيد عن الساحل، وبالتالي عن هجمـــات الـــروم وتحصينه ضد الهجمات التي تقع عليه، هذا فضلاً عن أن مصب الفرع الكانوبي كان قد جف تماماً حوالي سنة ٨٧٠م وانحبس ماء النيل عن ترعة شديا (خليج الإســـكندرية)[2]، وتغير مسار الملاحة إلى فرع رشيد غير أن مخاطر اجتياز بوغاز هذا الفرع وعيوبـــه الملاحية وجهت السفن نحو "دمياط" التي ورثت" بيلوز" و"الإسكندرية".

ب) رشيد وفوه

يعتبر موقع فوه من مواقع المعابر باعتبار جزيرتها التي تقرب المسافة بين ضفتـــي النهر بالإضافة إلى وجود المعدية التي تربط بين رحلتي الطريق البري في وسط الدلتـــا وغربها، وقد تطورت فوه في ضوء اعتبارات خاصة منها تدهور رشيد نتيجة لزحـــف التكوينات الرملية وانتقال أهلها إلى تلك الأخيرة، ثم قيامها بالوظيفة الإدارية بدلاً مـــن رشيد لتصبح في النهاية قاعدة لعمل فوه والمزاحمتين في مرحلة الأعمال الكبرى.

إلا إننا لا نعرف متى حلت فوه محل رشـــيد أو العكـــس، ففـــي دائـــرة المعـــارف

---

١ ـ صلاح عبد الجابر عيسى: المرجع السابق نقلاً عن المقريزي: الخطط، ج١، ص١٨٩-١٩٠.

٢ ـ نفس المرجع السابق.

الإسلامية[1] جاء ما يلي: "حتى القرن التاسع الميلادي كانت السفن تتجه مباشرة لفوه وبسبب الترسيبات العالية في تلك المنطقة، بدأت المراكب ترسو عند رشيد في عصر المتوكل وعلى الرغم من ذلك فان أبو الفدا قد لاحظ أن رشيد كانت أصغر مساحة من فوه ..". ولا يخلو هذا الأمر من غموض، إذ أن فوه لم يكن لها وجود إداري على أقل تقدير قبل العصر الفاطمي، بينما كانت رشيد عاصمة أو قصبة كورة، فهل اقتصرت وظيفة رشيد في الفترة العربية الأولى على الوظيفة الدفاعية تاركة الوظيفة التجارية لفوه. إننا نميل إلى الاعتقاد أن تجديد ثغر رشيد – أو إعادة بناء رشيت القبطية في عصر المتوكل كان لأسباب دفاعية.

٣-١ العصر الفاطمي

على إثر الغزو الفاطمي لمصر سنة ٩٦٩م، وتأسيس مدينة القاهرة كعاصمة، نشطت التجارة الخارجية التي لم تعد مقصورة على الإسكندرية فقط، بل شاركتها فيها رشيد ودمياط.

٣-١-١ دمياط

فضلاً عن كونها ميناء هام وثغر مصر الأول في التجارة القادمة من الشام، ومدينة من أهم مراكز صناعة النسيج، فقد أصبحت دمياط من المدن الثقافية الهامة إذ غدت مساجدها مراكز علمية لكثير من الطلاب والرواد والفقهاء، والشعراء، والكتاب الذين سجل بعضهم مشاهداته[٢].

وفي عام ١٠٩٦ م زار مصر الأديب الأندلسي "أمية ابن أبو الصلت" ووضع الرسالة المصرية التي يقول فيها: "وليس تشتمل أرض مصر بعد الفسطاط الذي هو مقر الملك وكرسي الدولة على مدائن لها قدر في كثرتها ولا فخامتها، ولكن أجل مدائنها وأفخرها في الجهة الشمالية من الفسطاط هى الإسكندرية وتنيس ودمياط، وأما في الجهة الجنوبية إلى أقصى الصعيد فقوص وقفط. وينتهي عصر الدولة الفاطمية بتعرض دمياط لغزوة صليبي فاشلة عام ١١٦٩م[٣].

---

١ - Encyclopedie de l'Islam, Rashid, p. 1246.

٢ - نقولا يوسف: المرجع السابق، ص١٠٠، ١١٥.

٣ - نفس المرجع السابق، ص١١٩ ؛ العريني: مصر في عصر الأيوبيين، ص٣٦.

٣-١-٣ رشيد

في دراسته عن العمران الريفي لمنطقة رشيد يشير عبد الجابر عيسى إلى ظـــهور مراكز عمرانية جديدة في منطقة رشيد المجاورة للنهر مثل نواحي رشيد والجدية، كمـــا يظهر في أطلس الأمير عمر طوسون مركز عمراني لأول مرة وذلك في نفس الفـــترة وهو محلة الأمير في إقليم فوه والمزاحمتين. ويستنتج عبد الجابر عيسى مـــن ذلـــك أن استمرار استخدام فرع وميناء رشيد في التجارة في عهد الدولة الفاطمية خاصة عـــهدها الأول قد جعل العمران يدب فيها[١]. هذا وقد وصفها ياقوت الحمـــوي صـــاحب معجـــم البلدان (١٢٢٩م)، بقوله "بلدة صغيرة على شاطئ النيل وقريبة من الإسكندرية"، ثم أخذ يعدد أسماء الأعيان والعلماء الذين عاشوا في رشيد مما يـــدل علـــى مكانتـــها العلميـــة والثقافية.

هذا وقد ظلت رشيد قاعدة لعمل "رشيد" على اثر إعادة اراكة الأراضي المصرية في أواخر القرن الحادي عشر -حيث حلت الأعمال الصغرى محل الكبرى- وأصبحت فوه قاعدة لعمل المزاحمتين ورشيد قاعدة لعمل رشيد، ويرجح أن المدينين كانتا تتساويان في الأهمية في هذه الفترة (حوالي سنة ١٠٨٩م) فقد قال ياقوت عن فوه أنها "مدينة صغيرة على شاطئ النيل وقريبه من رشيد، بينها وبين البحر حوالي خمس Parasanges وبـــها أسواق كثيرة ونخيل "، وعن مدينة رشيد أنها "بليدة على ساحل البحـــر والنيـــل قـــرب الإسكندرية"[٢].

٣-٣ عصر الدولة الأيوبية

شهدت الإسكندرية بصفة خاصة في هذا العصر نشـــاطا تجاريـــاً واســـعاً نتيجـــة للامتيازات التي منحها الأيوبيون لتجار المدن الإيطالية[٣]. وكان قد تم إعادة تطهير خليج الإسكندرية في العصر الفاطمي عام ١٠١٣م بأمر الحاكم بأمر الله في جزئه الأدنى، مما ساهم في ربط الإسكندرية ببقية أقاليم القطر المصري.

ويُعزى ازدهار تجارة الإسكندرية في هذا العصر إلى تعرض دمياط للعديـــد مـــن الغزوات الصليبية وحصارها الذي استمر شهورا طويلة مما أثر على تجارتـــها، وفـــي

---

١ ـ عبد الجابر عيسى: المرجع السابق.

٢ ـ الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص٤٥.

٣ ـ سعيد عاشور: مصر في العصور الوسطى، ص ٤٠٤.

نفس الوقت فقد تم تدمير "تنيس" كلية عام ١٢٢٨م بأمر من الملك العادل حتى لا تقع في أيدي الصليبيين، وكانت "بيلوز" قد اندثرت أيضاً، أي إن مدن الشمال الشرقي التجارية لم تكن في ظروف تسمح لها بمزاولة نشاطها التجاري، في الوقت الذي تمتعت فيه مدن الشمال الغربي -الإسكندرية ورشيد- بأمان نسبي نتيجة لعدم تعرضهما للغزوات الصليبية المتكررة.

هذا وقد ذكر الوزير الأيوبي "ابن مماتي" رشيد من ضمن الثغور المحروسة المصرية مع الإسكندرية ودمياط وتنيس[1]، غير أنه أشار إلى أن ثغر رشيد كان الوحيد من بينها الذي ليس فيه خمس -أي ضرائب جمركية- وربما ألجأت الريح المراكب إلى دخولها وصعب إخراجها منها[2].

من المرجح إذن أن فوه قد ازدهر نشاطها التجاري بعد تطهير خليج الإسكندرية كميناء وسيط، حيث كانت البضائع التي تصل إلى الإسكندرية تتجه إلى فوه عن طريق هذا الخليج، ثم إلى فرع رشيد ومنه إلى القاهرة، وهذا ما يفسر لنا أنه في مرحلة الأعمال الكبرى (القرن الرابع عشر) -أي في بداية عصر المماليك- إرتقت فوه إلى مصاف قاعدة العمل فوه والمزاحمتين بينما تتقهقر رشيد، التي أصبحت مدينة ضمن عمل النستراوية ففقدت مكانتها كعاصمة إقليمية.

٣-٣ عصر الدولة المملوكية (١٢٥٠-١٥١٦م)

في هذه الفترة تم تخريب ثغر "دمياط" بعد رحيل حملة لويس التاسع عن المدينة سنة ١٢٥٠م وذلك خوفاً من عودة الفرنج إليها مرة ثانية، هذا فضلاً عن ضخامة ما كان ينفق على تحصينها ولم يتم البدء في إعادة بنائها وتحصينها إلا في عهد الظاهر بيبرس، أي بدءاً من عام ١٢٦٠م. لكن "لما رأى بيبرس أن دمياط الجديدة لم تعد تحميها أسواراً منيعة وأن السلاسل الجديدة التي تعترض النهر لا تقوى وحدها على المقاومة أمر بسد مصب النيل بالأحجار وذلك في عام ١٢٦١م حتى لا تستطيع سفن الأعداء أن تعبر داخل البلاد"[3]. وقام بيبرس في نفس الوقت ببناء قلعة أو حصن في رشيد سنة ٦٦٠هـ/٦١-١٢٦٢م، حيث جاء في الروض الزاهر *"وبنى لثغر رشيد مرقباً لكشف*

---

١ - عبد الجابر عيسى: المرجع السابق، ص٧٦.

٢ - نقولا يوسف: المرجع السابق، ص١٥١-١٥٧.

٣ - نفس المرجع السابق، ص١٥٩.

مراكب العدو"، وقال النويري *"وبنى مرقباً لثغر رشيد لكشف مراكب الفرنج"*[1].

وقد أثرت الحملات الصليبية والمخاطر التي هددت مصر في هذا العصر، ومن ضمنها الغزو المغولي، على النشاط التجاري لدمياط. هذا في الوقت الذي تم فيه تجديد وإعادة حفر خليج الإسكندرية في عصر الناصر محمد بن قلاوون، فأصبح المأخذ في جزئه الأعلى عند "العطف" مقابل "فوه" وازدهرت الحركة التجارية في "الإسكندرية" خاصة في عصر المماليك البرجية، كذلك أصبحت فوه أهم مدينة تجارية بعد "القاهرة".

هذا وقد لاحظ أبو الفدا في القرن الثالث عشر أن "رشيد" أصغر من "فوه"[2]، كما قدم عنها ابن دقماق صورة شاملة، فذكر موقعها عند مجمع البحرين، وذكر المنار الذي بناه الظاهر بيبرس لكشف البحر "وهذه البلدة كثيرة الرمال والنخيل، وأهلها قليلون، وعامتهم صيادون في السمك والطير وأهل هذه البلدة كلهم مرابطون"[3].

وتشير الحوادث التاريخية إلى استخدام ميناء رشيد في الملاحة الخارجية، ففي سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م سافر الأمير ناصر الدين بك بن علي بك بن قرمان بعد الإفراج عنه إلى بلاده في أسيا الصغرى من رشيد[4]. كذلك وجدنا حادثة اشتراك بعض مماليك السلطان الأشرف برسباي في تهريب أحد أفراد الدولة العثمانية الهاربين إلى مصر "سليمان بن أرخن بك بن محمد كرشجى بن عثمان" وضبطهم بثغر رشيد في سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م، ويظهر من هذه الحادثة عدم أهمية ميناء رشيد في هذا العصر لتسميتهم لها *فم رشيد*"[5].

كما ساهمت رشيد في إقلاع حملات السلطان برسباي البحرية التي انتهت بغزو جزيرة قبرص وإخضاعها للسيادة المملوكية سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م[6]. وعانت رشيد أيضاً من هجمات مراكب فرسان الاسبتارية بجزيرة رودس في عهد السلطان جقمق، عندما

---

١ ـ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٩١ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٤.

٢ ـ نفس المرجع السابق.

٣ ـ ابن اياس: بدائع الزهور، ج٣، ص١٥٥-١٥٦.

٤ ـ ابن تغري بردي: النجوم، ج١٤، ص١٨٠.

٥ ـ العيني: عقد الجمان، ص٤٨٤-٤٨٥ ؛ ابن تغري بردي: المنهل، ج٦، ص٢٣ ؛ الجوهري: نزهة النفوس، ج٣، ص٣٧٣.

٦ ـ المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٢٠ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج١٤، ص٢٩٠ ؛ د. سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص١٧٧.

هاجمت أربع سفن الثغر، واستولت على بعض الأبقار، وحوائج الناس بها سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م[١]، وفي حادثة هجوم على أربع سفن شحن بعد رسوها في رشيد سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م[٢]، وفي سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م[٣] أرسل السلطان جقمق حامية كبيرة لحفظ الثغر، وأخذ يعززها في الأعوام التالية، مما يوضح لماذا جدد أو أنشأ السلطان قايتباي -على حد قول ابن اياس- برجاً برشيد سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م إذ انه من الواضح أن هذا البناء تجديد لمرقب الظاهر بيبرس، وبنى حولها سوراً لحمايتها من الغارات[٤].

نستنتج مما سبق أن "رشيد" كانت مدينة ذات وظيفة دفاعية جل أهلها من المرابطين، ومهنة غالبية السكان هى الصيد، أي أنها لم تكن تقوم بدور تجاري يذكر، كما أنها كانت قد فقدت مكانتها كقصبة لكورة، وتنازلت عن هذا الدور لفوه، وقد زار مصر في العصور الوسطى العديد من الرحالة الأجانب والعرب وقد أجمعوا على عظمة الإسكندرية وثرائها، وأشاروا إشارات مقتضبة إلى رشيد، وأسهبوا في وصف دمياط القديمة التي خربت، وتحدثوا قليلاً عن دمياط الجديدة ودورها التجاري.

وقد زار الرحالة الفرنسي Gilbert de Lanoy مصر في عام ١٤٢٢م وقال عن رشيد أنها "قرية كبيرة منازلها مشيدة بالطوب – تبعد خمسة أميال عن فتحة المصب " -ثم تحدث عن الجزيرة الخضراء التي توجد عند التقاء النيل بالبحر – وأشار إلى وجود ميناء بحري – أما فوه فقد قال أنها " مدينة كبيرة جدا بدون أسوار"[٥].

لعبت لإسكندرية دور الميناء الرئيسي لمصر حتى بداية عصر المماليك الجراكسة، كما في أزهي عصورها، كما قامت فوه بدور ميناء وسيط. أما دمياط فكانت قد دخلت في مرحلة طويلة من النقاهة تحاول خلالها أن تنهض من الضربات المتوالية التي أدت إلى تخريبها أولا ثم تعطيل سريان المراكب منها واليها ثانيا، وأخيرا فان رشيد قد أصابها الكثير من التدهور فانحطت مكانتها الإدارية وفقدت بعضاً من أهميتها التجارية

---

١ - ابن تغري بردي: النجوم، ج١٥، ص٣٣٤ ؛ د. سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص١٨١.

٢ - ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج١، ص٢٩٨.

٣ - ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، ص٣٢٦، ٣٦٥، ٣٧٩ ؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٢٩٠.

٤ - ابن اياس: بدائع الزهور، ج٣، ص١٥٥-١٥٦.

٥ - Gilbert De Lanoy, Voyages.

(إذا كانت هناك أهمية تذكر)، فمنذ الفتح العربي وحتى نهاية عصر المماليك ظلت الإسكندرية معتنى بها بحيث لم يكن هناك أية دواعي لاستغلال ثغر رشيد في التجارة وقبل انتهاء عصر المماليك بنحو قرن وقع حريق عظيم في دمياط عام ١٤٢٥م حتى احترق قدر ثلثها، وشن بقايا الصليبيين بقيادة ملك قبرص هجوماً خاطفاً مروعاً على الإسكندرية عام ١٣٦٥م لم يقم للمدينة بعدها قائمة فقد انحط بها الزمن وقل سكانها[١].

وقد ارتبط بدء اضمحلال "الإسكندرية" نتيجة للغزوة القبرصية والتي تلتها غزوات أخرى على مجمل الثغور المصرية ومنها رشيد[٢]، بعامل آخر وهو احتكار البنادقة لمعظم النشاط التجاري في البحر المتوسط وإغارة الجنوية -تجار جنوة الذين دخلوا في منافسة شديدة مع البنادقة- على سواحل الشام ومصر وكذلك السفن المتجهة إلى هذين البلدين مما سبب كسادا في تجارة مصر الخارجية وأثر على تجارة "الإسكندرية" تأثيرا بالغاً[٣].

في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي اكتملت حلقة هذا الكساد باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح فقل شأن الثغور المصرية.

٣-٤- العصر العثماني

أهمل أمر الخلجان في عصر الدولة العثمانية فانعزلت الإسكندرية مرة أخرى عن النظام المائي لمصر، وازداد تدهورها كما بطل رسو المراكب كلية عند فوه.

وبالتالي فقد أصبحت رشيد -نظراً للضرورة التاريخية الملحة- نقطة الارتكاز للقادم من الإسكندرية إلى القاهرة عبر فرع رشيد أو القادم مباشرة من البحر إلى القاهرة. ومن الجدير بالذكر أن رشيد كانت أقرب الثغور المصرية إلى استانبول، وقد عرفت عصرها الذهبي في تلك الفترة حتى بلغت سنة ١٧٧٧م أعظم درجة واتساعاً، فكان طولها على البحر فرسخ وعرضها ربع فرسخ، كما ذكر الرحالة سافاري[٤]. وكانت دمياط مثل رشيد فلم تتوقف الحركة التجارية في مينائها ولم ينقطع الصادر والوارد، كما يتضح من مشاهدات الرحالة الذين زاروها في ذلك الوقت، فكان يصدر من مينائها

---

١ ـ Attiya.A.(A.S), The Cruisade in The Latter Middle Ages,London 1938 p. 77.

٢ ـ ابن تغري بردي: النجوم ج١٤، ص٢٨٩، ٢٩٠.

٣ ـ عبد العزيز سالم: الاسكندرية، تاريخ نشأتها.

٤ ـ علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، ج١١، ص٧٥.

الأرز والمنسوجات والقمح والبطارخ والملح، وكانت السفن ترد إليها محملة بالأخشاب والصابون والتبغ والفواكه[1].

وعند مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨م كانت دمياط المدينة الثانية بعد القاهرة من حيث عدد السكان وجاءت المحلة الكبرى في المرتبة الثالثة تليها رشيد ثم الإسكندرية[2]. والواقع أن هذا "إنما يشير إلى توازنات عصر جيوماتيكي سابق ومنقرض برمته منذ كشف طريق رأس الرجاء الصالح وتحول البحر المتوسط إلى بركة من الملاحة المحلية الساحلية أو شبه الساحلية، فلقد كان في هذا بروز الموانئ المصبية الداخلية، دمياط ورشيد، وانهيار الموانئ البحرية البارزة كالإسكندرية التي هوت إلى قرية صيد ضئيلة قوامها بضعة آلاف من السكان"[3].

عاشت إذن رشيد عصرها الذهبي في هذه الفترة – وكل ما تبقى منها في عصرنا الحالي – يشهد على هذا العصر. ونظراً لوجود كم لا بأس به من الوثائق المكتوبة ونصوص تاريخية للمؤرخين والرحالة ودفاتر الجمارك وآثار مادية لتلك الفترة تتمثل في المنازل والجوامع وكذلك الخرائط بدءاً من نهاية القرن الخامس عشر .. الخ، فقد تمكننا من خلال دراسة وتحليل هذه البيانات ومقابلتها من رسم صورة لعمران رشيد وعمارتها والحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها خلال تلك الفترة.

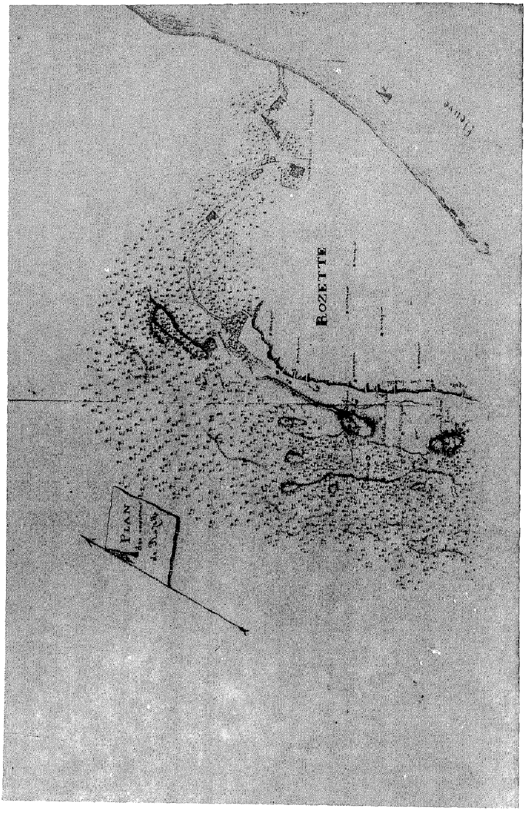
---

١ ـ نقولا يوسف، المرجع السابق، ص ٧٥.

٢ ـ طبقا لتعداد سكان مصر لعلماء الحملة، احتلت "القاهرة" المرتبة الاولى بين المدن المصرية بعدد سكان قدره ٢٧٠,٠٠٠نسمة، تليها "دمياط" ٢٧,٠٠٠ نسمة فـ "المحلة" ١٧,٠٠٠ نسمة فـ "الاسكندرية" و"رشيد" ١٥,٠٠٠. جمال حمدان: المرجع السابق، ج٤، ص٣٣١. أما صلاح عبد الجابر عيسى فقد قدر عدد سكان "رشيد" في بداية القرن التاسع عشر بـ ٣٥,٠٠٠ نسمة– أي ضعف تقدير الحملة الفرنسية، وأشار الى أن كلوت بك قال ان هذا العدد تناقص الى النصف في عصر محمد علي. صلاح عبد الجابر عيسى: المرجع السابق، ص٨٣.

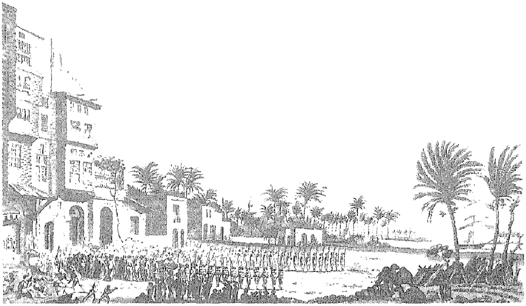
٣ ـ جمال حمدان: شخصية مصر، ج٤، ص٣٣.

شكل رقم (٢) رشيد عام ١٧٧٩

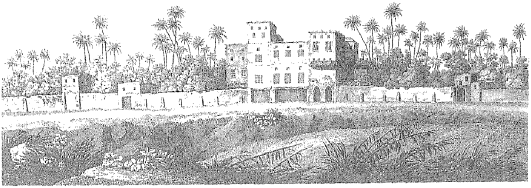


لوحات الجزء الأول

لوحة رقم (1)



قوات نابليون فى رشيد (عن وصف مصر)



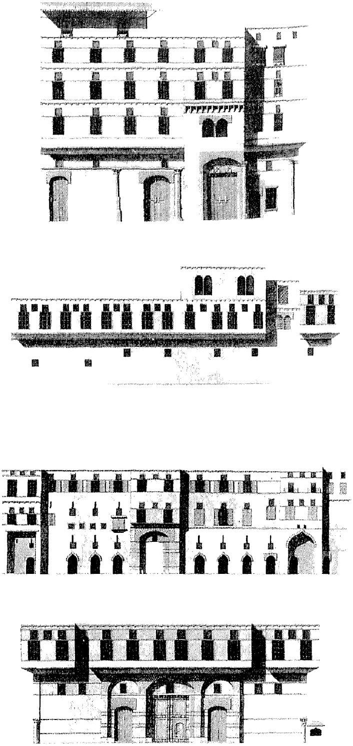
منزل فى أحد ضواحى رشيد (عن وصف مصر)

لوحة رقم (٢)



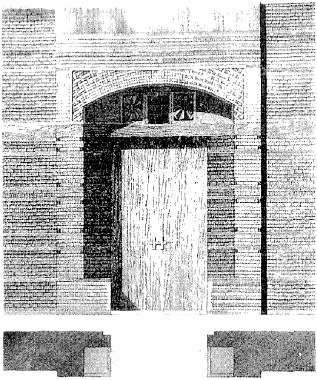
صورة عامة لمدينة رشيد

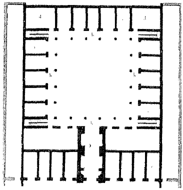
لوحة رقم (٣)



منازل في رشيد (عن وصف مصر)

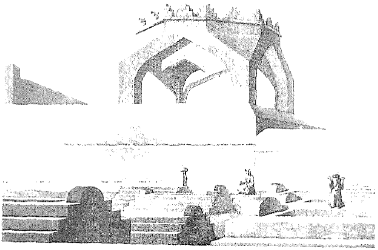
لوحة رقم (٤)

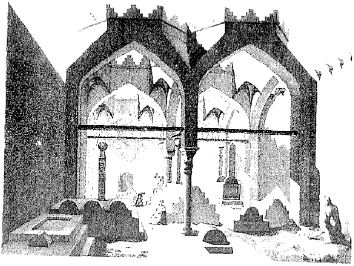




واجهة و مسقط أفقى لمنزل فى رشيد
(عن وصف مصر)

لوحة رقم (٥)





مقابر فى رشيد عن وصف مصر

الجزء الثاني

عمران رشيد في العصر العثماني

حتى

نهاية القرن التاسع عشر

الفصل الأول

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في رشيد أبان العصر العثماني

عندما دخل العثمانيون مصر أدركوا أهمية ثغر رشيد، وقام السلطان سليم الأول بعد دخوله مصر بزيارة رشيد، وأبدى اهتماماً بها، ثم ازداد اهتمام الولاة العثمانيين بها وبعمرانها وحصونها وقلاعها، حتى أصبح أول عمل يقوم به كل والي يأتي إلى مصر عن طريق البحر، بعد نزوله في الإسكندرية، هو زيارة ثغر رشيد ليتفقد تحصيناتها، وزيارة أولياء الله الصالحين، ويذكر مؤرخ معاصر لفترة محمد باشا الملقب بقول قوآن "معمر مصر" عن زيارته لرشيد مصحوباً ببعثة الشرف التي استقبلته أنه عندما وصل إلى رشيد توجه" *إلى الحصار الذي هناك بنفسه النقية، فوجده في غاية العمار والإتقان، والأسلحة الكاملة والعدة الوافرة الشاملة، وحصل بذلك الحظ العظيم، والبسط الزايد، وأنعم على من بالحصار من العسكر والمرابطين، وأرباب الشعاير التي به والمقيمين*"[1]. وكانت هذه عادة كل باشا عثماني يأتي إلى مصر عن طريق البحر.

ولقد كان اهتمام العثمانيين بثغر رشيد يفوق اهتمامهم بكل الثغور المصرية، ومن هنا ازدهر عمرانها وأصبحت محورا تجاريا من الدرجة الأولى طوال العصر العثماني[2]، والدليل الشاهد على ذلك الوكالات التجارية العديدة والخانات والفنادق والقيساريات، والحمامات والطواحين، وقد أصبحت ميناء رئيسيا في التصدير والاستيراد بينها وبين الموانئ العثمانية الرئيسية.

وكما تدل المصادر المعاصرة للعصر العثماني فان رشيد كانت تستقبل طوال العصر العثماني جميع الهاربين من وجه سلطات القاهرة، كي يتمكنوا من الهروب على ظهر إحدى السفن التي يموج بها ميناؤها إلى الدولة العثمانية أو إلى أي مكان آخر يريدونه،

---

١ ـ البكري: كشف الكربة في رفع الطلبة، ص ٣٤٠ ؛ محمد محمود زيتون: اقليم البحيرة، ص ١٢٧.

٢ ـ محمد محمود زيتون: المرجع السابق، ص١٢٨-١٣٠.

وذلك لكونها ميناء دائب الحركة في كل وقت لأنها أصبحت أهم الثغور المصرية في ذلك العصر.

وسنناقش العناصر التالية في ضوء المكانة التي أحرزتها رشيد في ذلك العصر:

١ الحياة الاقتصادية

الحديث عن الحياة الاقتصادية يشمل العناصر الآتية: الزراعة والصناعة والتجارة داخلياً وخارجياً، ويمكن أن نضيف الدخل الاقتصادي الذي تدره الجمارك القائمة برشيد، وسنتناول كل من هذه العناصر بشيء من التفصيل لنضع صورة واضحة للحياة الاقتصادية التي كانت قائمة برشيد.

أ – الزراعة

حينما نتكلم عن الزراعة في رشيد فان الحديث لا يكون عن رشيد وحدها بصفتها مدينة، وإنما نتكلم عن رشيد كقسم إداري، حيث انتشرت الزراعة حول رشيد بصورة كثيفة وبخاصة الأرز الذي يعد محصولاً رئيسياً اشتهرت به رشيد وبلغ إنتاج الفدان سبعة أو ثمانية أرادب[١] وتدرب سكان المناطق التابعة لرشيد على اقتلاع نبات الأرز وشتله، وأحياناً كانوا يستعينون بعمال من بلبيس والمنصورة لخبرتهم في هذا العمل، كما اشتهرت رشيد بزراعة الشعير، وكان محصول الفدان عالياً حيث وصل ما بين ثمانية وعشرة أرادب كان يصدر معظمه إلى دمياط والقصير، كما وجدت زراعة نبات السمار الذي كان يستخدم في صناعة الحصير[٢]، كما وجدت زراعة القصب والفول والخضروات والخيار النيلي، وزراعة النخيل والبساتين التي تزرع البرتقال واليوسفي والموز والجوافة والعنب الأسمر والبطيخ، ثم زراعة القمح والبرسيم والليمون[٣].

وكانت رشيد تقوم بتصدير محصول الأرز إلى بلاد الشام واليونان عن طريق السفن الشراعية من مينائها. وهكذا كان لرشيد نشاط زراعي يقوم به بعض من أبنائها وأبناء المناطق المحيطة بها والتابعة لها إدارياً، وكان للإنتاج الزراعي دوره في اقتصاد رشيد، فهى تصدر إلى المدن المصرية الأخرى بعضاً من هذا الإنتاج، وتصدر إلى الخارج

---

١ ـ صلاح هريدي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة رشيد، ص٣٣١.

٢ ـ جيرار (ب.س): الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، ج٤، ص٦٢، ٦٨-٦٩.

٣ ـ عباس السيسي: رشيد المدينة الباسلة، ص١٣٥.

جزءاً أخر[1]، ولاشك إن ذلك يؤدي إلى الرواج والازدهار الاقتصادي بها، وبالمناطق التابعة لها.

ب - الصناعات

وجدت في رشيد في العصر العثماني صناعات يدوية عديدة كان لها تأثيرها على اقتصاد المنطقة، مثل صناعة ضرب الأرز وتبييضه[2]، كذلك صناعة المنسوجات الحريرية والتي كانت لها شهرة كبيرة في ذلك العصر، كذلك صناعة المنسوجات الكتانية، والتي كانت تطرز بخيوط من الحرير الأبيض، وكانت هذه المنسوجات المطرزة تستعمل بصفة خاصة في صنع قمصان النساء، ومن الصناعات التي كانت رائجة في رشيد السفن وقلفطتها، وصناعة قلوع المراكب من الكتان وهذه الصناعة لا تزال قائمة برشيد حتى يومنا هذا، وكذلك صناعة صيد السمك وتمليحه وتجفيفه وبيعه، ومن الصناعات التي إشتهرت بها رشيد صناعات الأدوات الخشبية[3]، كذلك وجدت برشيد صناعة السكر الذي كان يتم تصدير الجزء الأكبر منه إلى الخارج[4]، واشتهرت رشيد بصناعة الصباغة في العصر العثماني، وكانت النيلة المادة الأساسية للصباغة ويتم استيراد جزء كبير منها من الخارج وعلى وجه الخصوص من بلوخستان والتركستان، وكذلك كانت في رشيد صناعة المقاطف التي كانت تتم صناعتها من سعف النخيل وكان إنتاج هذه الصناعة يطلب في أسواق كثيرة[5]، وكانت معظم منتجات رشيد يصدر جزء كبير منها إلى الخارج، لكونها ميناء يرد إليها التجار الأجانب، وترسو فيها السفن من كل الجنسيات فيقبلون على مصنوعاتها ليسوقوها في بلادهم.

ج – التجارة

كانت تجارة رشيد في العصر العثماني ذات شقين فلها تجارتها الداخلية مع مختلف المدن المصرية، كذلك لها تجارتها الخارجية مع الدولة العثمانية وبلاد الشام وبلدان المغرب العربي والبلاد الأوربية، وكانت رشيد في نفس الوقت تقوم بدور المدينة

---

١ ـ نفسه، ص١٣٩.

٢ ـ نفسه، ص١٣٩-١٤٠.

٣ ـ جيرار (ب. س): المرجع السابق، ص١٢١، ١٢٢-١٢٤، ١٤٢-١٤٣، ٢٠٨.

٤ ـ محكمة الإسكندرية، سجل١١، ٤١، ماده ١٣٦، بتاريخ ٢١ رجب ٩٧٨هـ/١٩ ديسمبر ١٥٧٠م.

٥ ـ عباس السيسي، المرجع السابق، ص٢٩، ١٣١.

المخزن للسلع الواردة إليها والسلع التي ستصدر منها وكانت رشيد عامرة بالوكالات التي كانت تعتبر بمثابة مؤسسات تجارية كبيرة تدور فيها حركة البيع والشراء للداخل والخارج، وأشهر هذه الوكالات التي كانت قائمة في العصر العثماني: وكالة الطابونة، وكالة أبو علي، وكالة السادات، وكالة الباشا، ووكالة مجهولة الاسم، ووكالة القنصل، وكالة ظاظا، وكالة الخضار، وكالة الحدادين، وكالة وهيبة، وكالة خرابة الحنة[1]. وقد كان لأهل رشيد نشاط كبير في مجال التجارة وهذا يفسر السبب وراء وجود عناصر رشيدية كثيرة في معظم المدن المصرية، وبصورة خاصة في الإسكندرية. وكانت رشيد مستودعا ضخما لسلع أوربية وشامية وتركية ومغربية[2]، وقد وجدت في رشيد فنادق أوروبية منذ القرن ١٦م، وازدادت كثرة في القرن ١٨م، ومنذ القرن ١٦م كان للبنادقة فندقا خاصا بهم في رشيد نظرا لاتساع نشاطهم التجاري[3].

ومن التجارات التي كانت نشطة في رشيد في العصر العثماني تجارة الأرز، حيث كان البحارة من أبناء رشيد والبرلس يقومون بنقل هذه السلعة إلى الإسكندرية وكان جزء كبير من هذه التجارة يصدر إلى الدولة العثمانية. وكان التجار العثمانيون هم الذين يقومون بعملية شراء الأرز من الإسكندرية، وشحن الكميات المشتراة على سفن مملوكة لعثمانيين أو مصريين، وقد شارك المصريون كثيرا في نقل السلع المصدرة إلى جميع المناطق العثمانية، وغالبا ما كان يصل الأرز المصدر للدولة العثمانية إلى أزمير، كما صدر الأرز إلى جهات أخرى غير بلدان الدولة العثمانية[4].

وتأتي في الأهمية بعد تجارة الأرز تجارة القمح، وكان المغاربة المقيمون برشيد يشتغلون في تجارة القمح، لانها كانت تدر أرباحا طائلة، وكان القمح يصدر إلى الخارج وبخاصة إلى الجهات التابعة للدولة العثمانية كما كان يباع للتجار الإفرنج الذين يوجدون بمصر[5]، ولكن عند حدوث أزمات داخلية في القمح، كانت تصدر الأوامر بعدم تصديره إلى الخارج، وكانت توضع رقابة شديدة على السفن المغادرة لميناء رشيد حتى لا تكون حاملة للقمح.

---

١ ـ عباس السيسي: المرجع السابق، ص٢٢٨-٢٤٠.
٢ ـ جيرار: المرجع السابق، ص٢١٠.
٣ ـ محمد محمود زيتون: المرجع السابق، ص١٢٩.
٤ ـ محكمة الإسكندرية، سجل١٢، ص١٣٧، بتاريخ ٨ صفر ٩٨٦هـ/١٦ أبريل ١٥٧٨م.
٥ ـ نفسه، سجل١١، ص٢١٦، مادة بـ ٨٦٣، بتاريخ ١٣ ذي القعدة ٩٧٨هـ/٨ ابريل ١٥٧١م ؛ سجل٧، ص١٢، مادة ٢٥٨، بتاريخ ١١ ربيع أول ٩٧١هـ/١ نوفمبر ١٥٦٣م.

وراجت تجارة الحبوب وتصديرها عن طريق ميناء رشيد، فكانت هناك تجارة الفول والشعير وغيرها حيث كان الطلب كبيراً على هاتين الغلتين اللتين تستعملان في غذاء الحيوانات فضلاً عن حاجة الإنسان[١]. وكانت تجارة المواد الغذائية رائجة في رشيد، فهناك تجارة السكر الذي كان يأتي اليها من فوه، وتجارة القصب وكان نظام التجارة في هذه السلع يتم عن طريق المشاركة في تجارتها، وكانت تجارة عسل النحل شائعة في رشيد حيث كانت تأتي اليها منه كميات كبيرة من القاهرة[٢]، كما كانت تجارة بلح العجوة رائجة فيها، ولها رجالها الذين يعملون بهذه التجارة. هذا بالإضافة إلى تجارة الجبن بمختلف أنواعه. وكانت هناك أنواع من الجبن ترد إلى رشيد من الدول الأوربية وقبرص[٣]، كذلك كان يرد إلى رشيد الجوز القبرصي الذي كان يباع في أسواقها[٤]، كما كانت تجارة التمر من التجارات الرائجة في رشيد، وغالباً ما كان يتم بيع السلع بالتقسيط وكان هذا هو الأسلوب الشائع في هذه التجارة[٥].

وقد وجدت في رشيد شركة مساهمة لتجارة الكتان والعجوة، وكان رأس مال الشركة العيني والنقدي مقسماً بين الشركاء وكل حسب حجم رأس ماله، على أن يقسم الربح بين الشركاء بنسبة رأس المال، كما حدد في العقد لكل واحد من الشركاء نوع العمل الذي يضمن استمرار الشركة في عملها بصورة جادة[٦].

وقد احتكر المغاربة المقيمون برشيد تجارة البقسماط، كما عمل هؤلاء المغاربة وكلاء للتجار الحلبيين المقيمين باستانبول والمسئولين عن توريد البقسماط إلى الآستانة[٧]، ولذا فإننا نجد أن الأوامر تصدر بتوريد القمح الخاص بصناعة البقسماط، وتوريده للوسطاء الذين يوردونه إلى الإمارة السلطانية، وكانت تجارة البقسماط تتداول بالتقسيط في رشيد[٨].

---

١ ـ نفسه، سجل٨، ص١٦، مادة ٤٨، بتاريخ ١٢ محرم ٩٧٣هـ/٩ أغسطس ١٥٦٥م.

٢ ـ صلاح هريدي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة رشيد، ص٣٣٦، ٣٣٧.

٣ ـ عباس السيسي، المرجع السابق،ص١٣٠-١٣٢، ١٤٦.

٤ ـ محكمة الإسكندرية، سجل٥، ص١٩٨، بتاريخ ١٣ رمضان ١٠٠٣هـ/٢٢ مايو ١٥٩٥م.

٥ ـ عباس السيسي، المرجع السابق، ص١٣٢.

٦ ـ محكمة الإسكندرية، سجل١٤، ص٣٥٧، مادة ١١٦٥، بتاريخ ١٥ ربيع ثان ٩٨٧هـ/١١ يونية ١٥٧٩م.

٧ ـ نفسه، سجل١٥، ص٩، مادة ١٤، بتاريخ١ ذي القعدة ٩٨٨هـ/٨ ديسمبر ١٥٨٠م.

٨ ـ نفسه، سجل١٦، ص١٨٥، مادة٤٥٥، بتاريخ ١٧ محرم ١٠٠٣هـ/٢ اكتوبر ١٥٩٤م.

أما عن تجارة الزيت الحار، فكان يعمل بهذه التجارة أفراد الجالية المغربية برشيد الذين كانوا يعصرون الزيوت ويبيعونها، وكان ينافسهم في هذه التجارة اليهود الربان الذين كانوا يصرون على بيع الزيت بالعملة الذهبية، وقد وجد البيع بالتقسيط في هذه التجارة[١].

كذلك كان يرد إلى رشيد البن اليمني الذي يرد إلى مصر عن طريق ميناء القصير، ومنها يوزع على المدن المصرية ومنها رشيد، وفي رشيد تتم المتاجرة في البن بالجملة والتجزئة[٢]، كما شهدت أسواق رشيد المتاجرة في البيض[٣]، وقد اشتغل بعض المغاربة بتجارة الخضر، حتى أصبحت شهرة بعضهم "المغربي الخضري"[٤]، وقد اشتغل الحجازيون بتجارة الزبيب الأسود، والذي كان يتاجر به أبناء جدة مع التجار الأروام[٥].

وقد راجت في رشيد تجارة المنسوجات بمختلف أنواعها استيراداً وتصديراً بينها وبين موانئ بلاد الشام والموانئ الأوربية، وأهم المنسوجات التي كانت تتبادل في أسواق رشيد هي: الكتان والجوخ والمنسوجات الحريرية، والصوفية، فضلاً عن المنسوجات الهندية التي كانت ترد إليها من القاهرة والسويس، وكانت أروج المنسوجات تجارة، الكتانية منها، لشهرة رشيد بصناعة الكتان[٦]، وعملت بتجارة المنسوجات مختلف الجاليات التي وجدت برشيد سواء أكانت جاليات أوربية أو الجالية المغربية والشوام[٧]، وكان جزء من هذه التجارة يصدر إلى الخارج عن طريق التجار الأجانب، والجزء الآخر يشحن إلى الإسكندرية[٨]، وقد ثبت أن كثيراً ما كان يتم البيع في المنسوجات عن طريق المقايضة، فكان يتم مقايضة غزل نسيج الكتان بمصنوعات أخرى مثل الحرير وغيره من السلع، وغالباً ما كان يباع الجوخ على أقساط شهرية، شريطة أن يكون هناك

---

١ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المغاربة في مصر في العصر العثماني، ص٦٣-٦٤، ص٨٣.

٢ ـ نفسه، ص٦٤.

٣ ـ محكمة الإسكندرية، سجل١٦، ص٢٢، مادة ٥٦٤، بتاريخ ١٤ شعبان ٩٧١هـ/٢٨ مارس ١٥٦٤م.

٤ ـ صلاح هريدي: المرجع السابق، ص٣٣٩.

٥ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن:الحجازيون في مصر في القرن العاشر الهجري، ص١٤٦.

٦ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن: المغاربة في مصر، ص٦٦-٧٤.

٧ ـ صلاح هريدي: الشوام وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الإسكندرية في العصر العثماني، ص٦٦٣-٦٨٢.

٨ ـ محكمة الإسكندرية، سجل١٦، ص٣٨٣، مادة ١٠٤٨، بتاريخ ١١ جماد ثان ٩٩٥هـ/١٩ مايو ١٥٨٧م.

ضمانة لتسديد الأقساط في موعدها[1]، وقد كانت لرشيد شهرة في بيع نوع من أغطية رؤوس السيدات، حجازية مصنوعة من النسيج[2].

كذلك اشتهر الرشيدية بخلط الصوف المغربي بالكتان المصري، ثم يستخدمونه في صنع الأحزمة الصوفية[3]، وكانت الأخشاب تستورد من الخارج على يد الإيطاليين وبعض العناصر الأوربية الأخرى ثم يقومون بتوزيعها على التجار المصريين من أهالي رشيد. وكان هؤلاء التجار المصريون يقومون ببيع هذه الأخشاب للتجار المصريين في المدن المصرية الأخرى، ويلتزمون بتوريد حصة من هذه الأخشاب إلى الترسانة بالإسكندرية، وكان يجب عليهم في هذه الحالة توريد الزفت اللازم لصناعة المراكب مع الخشب[4]، وقد كان لبعض المغاربة نشاط في تجارة الأخشاب[5]. أما عن تجارة الزجاج وبخاصة تجارة زجاج المرايا، فقد كانت تجارة رائجة في رشيد، حيث يستورد من الدول الأوربية، وبخاصة المدن الإيطالية ثم يعاد توزيعه على تجار الزجاج المصريين في المدن المصرية الأخرى فضلاً عن التجار المصريين والمغاربة الموجودين برشيد[6].

وقد لعبت رشيد دوراً بارزاً في تجارة الحيوانات وخاصة تجارة الجمال وكان يقوم بهذه التجارة العربان. وكان من المعتاد أن تذكر مواصفات الجمل أو الناقة وأنها خالية من أي عيب في عقد البيع[7]، وكان العربان دائماً يفضلون الفضة عند بيعهم للحيوانات، كما اشتغل بعض الأهالي بهذه التجارة، وكانت عملية البيع تتم أحياناً عن طريق المقايضة على الجمال بحيوانات أخرى مثل البغال، التي كانت من الحيوانات الهامة في هذا العصر، حيث تستعمل في السواقي والطواحين والنقل وغير ذلك، ولذا فان ميدان

---

١ ـ نفسه، سجل١٨، ص٣٨٤، مادة ١١٨٣، بتاريخ ١ ربيع اول ٩٩١هـ/٢٥ مارس ١٥٨٣م ؛ سجل١٦، ص١٩٣، مادة ٤٧٧، بتاريخ ٢٢ محرم ١٠٠٣هـ/٧ أكتوبر ١٥٩٤م.

٢ ـ نفسه، سجل٧، ص١٢٩، مادة ١٢٥، بتاريخ ٢٣ محرم ١٠٠١هـ/٣٠ أكتوبر ١٥٩٢م.

٣ ـ أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية، محكمة الجزيرة الخضراء، سجلات ٥، ١٢، ٢٣ ؛ أرشيف الشهر العقاري بالقاهرة، محكمة القسمة العسكرية، سجل١٦٥، ص١٨٢.

٤ ـ عباس السيسي: المرجع السابق، ص١٤٢ ؛ صلاح هريدي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة رشيد، ص٣٤٣.

٥ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص٦٥.

٦ ـ ج دي شابرويل: وصف مصر (١)، دراسة في عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ص٣٦٣.

٧ ـ محكمة الإسكندرية، سجل٦، ص٦٢، ماده ١٥٧، بتاريخ ١٧ ربيع ثان ١٠٠٤هـ/٢٠ ديسمبر ١٥٩٥م.

هذه التجارة اتسع وشارك العربان فيه أهل رشيد والشوام، كما شارك في هذه التجـــارة أهل ادكو والصعايدة[1].

ومن التجارات التي كانت رائجة في أسواق رشيد تجارة جلود الحيوانـــات[2]، التـــي كانت تتم عملية بيعها أحياناً عن طريق المقايضة على المحاصيل الزراعية مثل القمـــح والشعير والفول وغير ذلك من الحاصلات، واشتغل بهذه التجارة الأوربيون وبخاصـــة الفرنسيين، وكانت تجارة الجلود تتم أحياناً بالتقسيط على أقساط شهرية.

ومن الأنشطة التجارية التي كانت رشيد مركـــزاً مـــن مراكزهـــا تجـــارة العبيـــد والجواري، حيث كان العبيد السود والبيض كثيراً ما يتم تصديرهم عن طريـــق رشـــيد، ومن دراسة الوثائق المتعلقة بتجارة العبيد يمكن رصد الحقائق التاليـــة المتعلقـــة بـــهذه التجارة:

أولاً: كان ثمن العبد تبعاً لجنسيته، فالعبد المعروف الجنسية يباع بسعر أعلى من العبـــد المجهول الجنسية.

ثانياً: كان سعر الجارية أحياناً أعلى من سعر العبد.

ثالثاً: كانت تتم عملية بيع العبيد بالجملة أحياناً.

رابعاً: كان تاجر العبيد(الجلاب أو اليسرجي) يقايض على العبيد بسلع أخرى مثل الجوخ والأقمشة القطنية.

خامساً: كان العبد أو الجارية تتم عملية البيع فيهما أو كلاهما عن طريق الإسقاط نظـــير دين ما لشخص آخر.

سادساً: كانت تتم عملية المعاينة والفحص لتأكد المشتري من خلو العبد أو الجارية مـــن أي عيب قبل الشراء.

سابعاً: كان غالبية تجار الرقيق من أبناء المنوفية، وقد شارك في هذه التجـــارة بعـــض الأوروبيين وبخاصة الإيطاليين وقد شارك كذلك في هذه التجارة بعض المغاربة.

كان عقد البيع ينص على أن العبد خال من أي عيوب، وأن الفحص الجيد قد تم عليه قبل قبول المشتري، وكان ذلك الشرط يذكر خوفاً من حالات الغش التجاري. وعمومـــاً

---

١ ـ صلاح هريدي: المرجع السابق، ص٣٤٤ ، ٣٤٥.

٢ ـ نفسه، ص٣٤٦.

فإن هذه التجارة كانت رائجة تماما في رشيد، حيث إنها ميناء وسوق مفتوح للاستيراد والتصدير[1].

وهناك تجارة كانت رائجة في رشيد، بحكم كونها ميناء، وبحكم وجود جاليات أوربية وغير أوربية بها، وهى تجارة الخمور المستوردة من سالونيك، وقد اشتغل بهذه التجارة اليهود الذين قاموا بدور الوكلاء للتجار الأوربيين في الخارج الذين أعطوا توكيلاتهم في هذه التجارة لليهود[2]، وكثيرا ما كانت هذه التجارة تتم عن طريق المقايضة بسلع أخرى وبخاصة الكتان.

وكانت هذه الأنشطة التجارية في مجملها تنقسم إلى قسمين: التجارة الخارجية، وتشمل عملية الاستيراد وعملية التصدير بين رشيد والموانئ الأوربية والموانئ العثمانية بصورة عامة، وموانى المدن الإيطالية بصورة خاصة والتجارة الداخلية وهى تشمل التجارة داخل رشيد والحركة اليومية فيها، والتجارة مع المدن المصرية بعامة والإسكندرية بصورة خاصة[3]، وهذان النوعان من التجارة هما اللذان يحددان الحركة الاقتصادية اليومية.

د - الجمارك والضرائب

دفاتر الجمارك ترصد صورة يومية لحركة الوارد والصادر من رشيد، وترصد ملاحظات حول حركة التصدير والاستيراد من دفتر جمرك رشيد وإسكندرية وبحر الشرق الخاص بالفترة من ١٣ ربيع أول ١٢١٣هـ حتى غاية ربيع آخر سنة ١٢١٤هـ/٢٥ أغسطس ١٧٩٨-٣٠ سبتمبر ١٧٩٩م، أي في عهد الحملة الفرنسية، المحفوظ بباريس، ومنه نلاحظ الآتي:

أولا: أن حركة الاستيراد والتصدير ليست يومية فمثلا كانت هناك عملية استيراد يوم ٩ ربيع أول ١٢١٣هـ/٢١ أغسطس ١٧٩٨م، ثم لم تأت سفن إلى الميناء إلا يوم ١٢ ربيع أول ١٢١٣هـ/٢٤ أغسطس ١٧٩٨م.

---

١ ـ نفسه، ص٣٤٦.

٢ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن: فصول من تاريخ مصر الاقتصاد والاجتماع في العصر العثماني، القاهرة ١٩٩٠م، ص٢٤٦-٢٥٠.

٣ ـ نفسه، ونفس الصفحات.

ثانياً: المواد التي كانت تصل إلى الميناء عن طريق الإستيراد هي: الدخان، سكر، بن، صمغ، عصفر، قماش، خيار شمر، زبيب، لون، صابون، عطارة، ملايات، خمور، سلك، وغير ذلك من المواد مثل الخوخ، زهرة القرنفل، سجاجيد مختلفة، حرير خام من بورمه وأبيض وأصفر من قبرص.

ثالثاً: الصادرات هي جميع الأقمشة الهندية المستوردة من الهند ويعاد تصديرها إلى الخارج، تمرحنة، النشادر، السلمكة، كتان بأصناف مختلفة، حبهان كبير وصغير، حنة، بن وارد اليمن، خشب السنط، جذور الزعفران، صمغ عربي وارد سنار وجدة ويعاد تصديره، وجلود بقر، بخور مختلف الأنواع، سن الفيل ومواد أخرى عديدة كانت تدخل في ميدان التصدير.

رابعاً: تذكر جملة الجمارك الخاصة بكل يوم، ثم تذكر جملة المتحصل في نهاية كل شهر، ثم يخصم من الجملة ما دفع في الجوامك أي المرتبات والباقي يدخل في ديوان الجمرك، فمثلاً جملة دخل شهر رجب ١٢١٣هـ/ديسمبر ١٧٩٨م، كانت ٧٩٦٠٢ بارة، دفع منها جوامك أي مرتبات ١١٧٢٠ بارة، وأصبح صافي دخل الجمرك وما دخل الخزينة فعلاً ٦٧٨٨٢ بارة[1].

خامساً: أما النسبة المئوية المفروضة على كل سلعة مستوردة أو مصدرة من كل المواني المصرية بما فيها رشيد، فقد حددها لنا ج. دي شابرول في كتاب وصف مصر في النص التالي[2]: "ويتفاوت مقدار الرسوم المفروضة على البضائع المستوردة من أوربا وآسيا بحسب أثمانها، فهي تبلغ ٨% على المجوهرات، وبالنسبة لصبغة النيلة وبضائع أخرى ثمينة ٩%، الجوخ والورق .. الخ، ١٣%، والرصاص، وبضائع أخرى رخيصة القيمة ١٥-١٦% البضائع الواردة من تركيا، ٢٠%، وتبلغ الرسوم الجمركية ٨-١٥%، أما الأخشاب وورق التبغ والصابون والفواكه فتدفع رسومها نقداً". " أما البضائع المصدرة من مصر إلى أوربا فتبلغ الرسوم المفروضة عليها من ١٥-٢٠% والمتبع أن يُدفع على هذه البضائع أن تدفع رسوماً إلى القناصل وإلى أشخاص آخرين حتى تحصل على تصريح بالخروج، وكان تصدير البن والأرز والحبوب ممنوعاً في

١ ـ نفسه، ص١٩٠-١٩١.

٢ ـ دفتر جمرك رشيد ووارد المعاشات من مصر المحروسة ووارد التقارير من الإسكندرية ووارد بحر الشرق في الفترة من ربيع أول ١٢١٣هـ/اغسطس ١٧٨٩ - ربيع ثان ١٢١٤هـ/سبتمبر ١٧٩٩م، يحفظ هذا الدفتر بيارأشيف فرنسا، ص١.

معظم الأحيان وتحصل البضائع المصدرة إلى تركيا على بعـــض التســهيلات حســب الظروف".

ويمكن من هذا النص أن نرصد بعض الملاحظات:

أولاً: إن المواد الثمينة كانت جماركها أقل من المواد الرخيصة التي كـــانت جماركــها أعلى.

ثانياً: إن هناك تسهيلات للمواد المصدرة إلى الدولة العثمانية لأنها الدولة صاحبة السيادة على مصر.

ثالثاً: كانت هناك رشاوى تدفع على المواد المصدرة إلى أوربا للقناصل ولبعض أفـــراد الإدارة.

رابعاً: هناك سلع كانت تدفع رسوم جماركها بالأجل أو عيناً، ومواد تدفع رسومها نقـــداً مثل الخشب وورق التبغ (الدخان) والصابون والفواكه.

ويمكن الإشارة إلى حجم ما كان يدره جمرك رشيد على ميزانية البلاد، فقـــد كـــان صافي دخل الجمرك في ربيع أول ١٢١٤هـ/أغسطس ١٧٩٩ مبلغ ٤١٤٨٤٨ بـــارة[١]، وهذا مبلغ كبير القيمة بمقياس ذلك الزمن.

وهكذا كان النشاط الاقتصادي في رشيد متعدد الميادين، خصب الإنتاج والدخل وكان ذو فاعلية على اقتصاديات الحياة اليومية في رشيد ذاتها، كما كان له أثر كبـــير علـــى الدخل العام للقطر المصري في ذلك العصر.

٣- الحياة الاجتماعية

كانت الحياة الاجتماعية في رشيد ذات سمة خاصة ولتوضيح ذلك لابد من الإشـــارة إلى التركيب الاجتماعي للفئات التي عاشت في رشيد بما فيهم أهل رشيد ذاتها، ونجـــد على رأس هذه الفئات.

أ - رجال الإدارة

كانت المناصب الإدارية يتوزعها الأتراك والمماليك فيما بينهم، فوالي رشيد علـــى رأس هذا الجهاز وهو خاضع لسنجق البحيرة، ثم رجال العربان المسئولين عـــن حفـــظ قلعتها، والدفاع عنها، وفرقتا الاسباهية والجاويشية مسئولون عن حماية الأمن الداخلـــي،

١ ـ ج. دي شابرول: المرجع السابق، ص٢٧٣.

ويأتي شيخ العربان وهو رئيس العربان في رشيد والمسئول عمـــا يقـع منـهم مـن تصرفات تخل بالأمن، وكانت هذه الفئة تتمتع بمميزات مادية وأدبية واسعة علـى كـل الفئات الأخرى[١].

ب – كبار التجار

منذ بداية العصر العثماني بدأت رشيد تشهد نشاطاً تجارياً متزايداً، وبدأت تظهر فئـة كبار التجار التي تنتمي إلى جنسيات مختلفة، بالإضافة إلى المصريين من هـذه الفئـة، فهناك الأروام ثم المغاربة والشوام، ثم الأوربيون، وكانت هذه الفئة هـي التـي تقـوم بعمليات الاستيراد والتصدير وتكون لديها رأس مال كبير استطاعت عـن طريقـه أن تكون لنفسها مكانة اجتماعية متميزة داخل المجتمع الرشيدي، ثم كان التحـام أفرادهـا بأقرانهم في القاهرة والمدن المصرية الأخرى مما جعل هذه الفئة تتمتع بمكانة اجتماعية بارزة على مستوى المجتمع المصري.

وأصبحت الوكالات التي توجد في رشيد بمثابة منظمات تجاريـة لـهؤلاء التجـار الكبار، وأحياناً تكون في ملكهم، ومن هنا كان نشاطهم كبيراً، وكان لكل تاجر وكـلاؤه في المدن المصرية الأخرى[٢]، أي أنها فئة لها نشاط ممتد في أرجاء البلاد.

ج – صغار التجار

كان رأس مال هذه الفئة صغيراً، ولذا كانت تجارة أفرادها محدودة ولجـأ بعـض أفرادها من أجل توسيع ثرواتهم –إلى حد ما– إلى أسلوب المشاركة، علـى أسـاس أن يدفع كل شريك مبلغاً معيناً حسب نص العقد، ويصبح المبلغ المدفوع من الطرفين هـو رأس مال الشركة، على أن يتولى أحد الشركاء إدارة عملية الاستثمار المتبقية بعد ذلـك بين الشركاء بالسوية، وبهذا الأسلوب استطاع بعض أفراد هذه الفئة أن يحسـنوا مـن مستواهم المادي، بل استطاع بعضهم أن يلحق بفئة كبار التجار[٣].

---

١ ـ دفتر جمرك رشيد السابق، الصفحة الاخيرة.

٢ ـ محكمـة الإسـكندرية، سـجل٦، ص٦٢، مـاده ١٥٧، بتـاريخ ١٧ ربيـع أول ١٠٠٤هـ / ٢٠ نوفمبر ١٥٩٥م.

٣ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن: فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي، ص١٤٥–١٨٣.

د - أصحاب الحرف

كان العاملون بالحرف، السابق الإشارة إليها وغيرها، ذوي تأثير اجتماعي بارز في مجتمع رشيد، وكان أصحاب هذه الحرف قادرين مادياً، لان مصنوعاتهم كانت رائجة آنذاك في المجتمع المصري، بل أن هذه الحرف أعطت اسمها للعائلات التي عملت بها، ولا تزال هذه العائلات تحمل اسم هذه الحرف حتى الآن، فهناك عائلة الفساسي، أي العائلة التي كانت تقوم بصنع الفسيفساء، وعائلة المناديلي التي كانت تقوم بصناعة المناديل، وعائلة العسالة أي العائلة التي كان أفرادها يقومون بصناعة العسل وتجهيزه للبيع، وعائلة الصايغ، الكحكي، الدخاخني، الحمامي، السنان أي الذي يسن السكاكين، وجرار، وغيرها من الحرف التي اشتغل أهل رشيد بها، وأصبحت علماً على عائلاتها، وكان أصحاب هذه الحرف يكونون فئة اجتماعية أخرى[1].

وقد نشأت علاقات اجتماعية قوية بين هذه الفئات لتبادلها العمليات التجارية والمنفعة فيما بينها، كما ثبت لنا الترابط بين أبناء المجتمع الرشيدي، وشاعت عمليات التزاوج بين أبناء وبنات رشيد وبين أبناء وبنات الجاليات العربية: شامية ومغربية، وكذلك حدث الترابط الاجتماعي بين أبناء رشيد وبنات الجاليات الأجنبية التي وجدت برشيد، حتى أن مينو القائد الثالث للحملة الفرنسية، أعجب بسيدة مصرية رشيدية عندما كان حاكماً لرشيد، وأسلم وتزوج بها، كذلك كان تأثير الاحتكاك اليومي بالجاليات العربية والأجنبية التي انتشرت برشيد وعاشت في أحيائها، واشتغال أفرادها بالمهن التي تمس حياة المجتمع الرشيدي اليومية، تأثيراً كبيراً على عادات وتقاليد المجتمع الرشيدي[2].

هكذا كانت الحياة الاقتصادية والاجتماعية في رشيد في الفترة العثمانية تتميز بالحركة والتفاعل والتطور وظلت على هذا الحال حتى نهاية القرن ١٨م، حيث تدخل رشيد في القرن ١٩م في مرحلة جديدة لها نظامها وحركتها.

٣ الحياة الاقتصادية في رشيد في القرن التاسع عشر

ظل النشاط الاقتصادي والتجاري مزدهراً في رشيد حتى أواخر القرن ١٩م، فقد بلغ عدد المتاجر نحو ستمائة متجراً، بالإضافة إلى ثمانية عشر شادراً للأخشاب، وسوق للأسماك، بالإضافة إلى ازدحام مينائها بالسفن الشراعية والتجارية، وبكافة أنواع

---

١ ـ نفسه، ص١٧٠-١٧١.

٢ ـ عباس السيسي: المرجع السابق، ص.

المتاجر للشحن والتفريغ، وإلى جانب الدور الذي كانت تقوم به رشيد في التجارة الخارجية، فقد كانت تعد أيضاً سوقاً لمنتجات الإقليم، ومركزاً لتجارة الجملة والتجزئة، كما كانت تستوعب العمالة من الريف المحيط بها، ولعبت الوظيفة التجارية الدور الأول في العلاقات القائمة بين المدينة وإقليمها المجاور.

كانت حرفة التجارة إذن من الحرف الهامة لسكان مدينة رشيد، فهى تقوم بدور الوساطة والتوزيع للإقليم الريفي المحيط بها، وقد تكون سلعها من إنتاج المدينة أو مجلوبة من مناطق أخرى، كما تقوم بتمويل الريف وتسويق محاصيله، إذ يعتمد الريف المحيط بالمدينة عليها في الحصول على احتياجاته مما أحدث رواجاً تجارياً بالمدينة.

وبالنسبة للصناعة فقد ظلت العديد من الصناعات مزدهرة في رشيد في القرن الماضي، فكان بها مصانع للغزل والحدادة (أكثر من عشرين دكاناً للحدادة). وبحكم موقعها واعتبارها ميناء، أقيم بها جميع الصناعات التي تلزم صناعة السفن مثل صناعة النشارين (الذين يقومون بنشر الكتل الخشبية الكبيرة والثقيلة) وقد استعيض عنها الآن بورش النجارة الميكانيكية. بالإضافة إلى صناعة قلوع المراكب (التي أنشئت في عهد محمد علي) وجميع الصناعات الفرعية من حدادة ونجارة، وذلك قبل أن تتحول الملاحة من رشيد إلى الإسكندرية، وقد أخذت هذه الصناعة بصورتها الواسعة تتلاشى من رشيد في الوقت الذي هاجر فيه أصحابها إلى الإسكندرية، واستعيض عنها الآن بصناعة مراكب الصيد التي تعد من أبرز الصناعات في رشيد الآن. هذا بالإضافة إلى مصانع الرخام والورق والجلود والآلات الموسيقية والحديد وذلك لوجود الخام في رمل المنطقة حول البوغاز وفي تلال أبو مندور[١]. كما اشتهرت رشيد إلى منتصف القرن ١٩م بصناعة صباغة الملابس، واختفت هذه الصناعات الآن ولم يعد هناك أي مصبغة في رشيد لتقدم صناعة الأقمشة بصفة عامة.

ومن الصناعات التي لم يصبها التدهور تلك التي ارتبطت بالنخيل مثل الجوالات من خوص النخيل، وكانت تستخدم لتصدير الأرز، غير انه حل مكانها الجوالات المصنوعة من الخيش الهندي، كما يصنع من ليف النخيل ما يسمى بالحبال الليف وتقوم عليه في رشيد صناعة من أكبر الصناعات وهى صناعة الأقفاص. وقد برعت رشيد في عمل خوص الطرابيش إبان الحرب العالمية الثانية، كما استخدم الخوص لعمل

---

١ - عبد الرحيم عبد الرحمن: فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي، ص٢٨٠، ٢٩٩.

المقاطف، كما يصنع من الخوص أيضاً ما يسمى "شلق" وهو عبارة عن خوص يجدل بحيث يصبح كالدوبارة. وبدأت هذه الصناعة في رشيد خلفاً لصناعة المقاطف التي اشتهرت إلى نهاية القرن ١٩م، ولا تزال صناعة المقاطف موجودة في رشيد حتى الآن، ولكن وجود الخيش المصنوع من الكتان قد تقدم على هذه الصناعة.

وعن صناعة الطوب الذي عجز الكثيرون عن معرفة الطريقة التي صنعت بها الطوبة الرشيدية السوداء التي بنيت بها المنازل الأثرية، فقد كان في رشيد ما لا يقل عن ١٥ ورشة لصناعة الطوب أكثرها يقع بحري المدينة، وبعد بناء السد العالي أصيبت بالتوقف والإفلاس، مما دعا أصحابها إلى شراء أراضي زراعية أخرى وتجريفها للاستفادة بالطمي في الصناعة، وتبعاً لذلك زادت أسعار الطوب. ونتيجة لإقامة السد العالي سافر معظم الحرفيين والعمال الذين كانوا يقومون بصناعة الطوب إلى الخارج، وأصبح العاملون في هذه الصناعة الآن لا يتجاوز اثنين، لظهور الآلات الحديثة.

أما صناعة الجبن فقد بدأت في رشيد على أيدي بعض الأجانب الذين جاءوا إليها لقربها من مدينة الإسكندرية، غير انهم لم يستمروا بسبب بعض العادات والتقاليد الخاصة برشيد، وفي النصف الأخير من القرن ١٩م عادت صناعة الجبن إلى رشيد على أيدي أبنائها، وبدأت هذه الصناعة تنتشر حتى جاوزت المدينة إلى الأرياف المجاورة.

ومن الأنشطة الاقتصادية الهامة في رشيد في هذا القرن صيد الأسماك، فرشيد تتمتع بكثير من المسطحات المائية: البحر المتوسط وفرع رشيد الذي يضم كثيراً من الترع والمصارف والقنوات، وبحيرة ادكو. وتختلف أنواع الأسماك في المنطقة، ولكن أهمها جميعاً هو ما يرتبط بمنطقة البوغاز ذاتها، وهو نوع السردين الذي كان يكثر قبيل موسم فيضان النيل ليتغذى على الطمي المتدفق إلى البحر، أما الأسماك المصادة من النهر فأهمها الثعابين والبلطي والبياض، بالإضافة إلى الأسماك البحرية وأهمها البوري والجمبري والكابوريا والقاروص. وكان لموسم السردين أهمية كبيرة في حياة أهالي رشيد ليس للصيادين فقط ولكن لأصحاب المهن التي ترتبط أيضاً به ومنهم: عمال القفف التي يوضع فيها السردين، مصانع الثلج، العاملين بالنقل والتسويق، صناعة المراكب وتجهيزها، صناعة الغزل الصيادي الخاص بصيد السردين. كما اشتهرت رشيد بتمليح الفسيخ حيث أنها تتميز بطريقة متوارثة في عملية التمليح.

الفصل الثاني

عمران وعمارة رشيد في القرن السادس عشر الميلادي

تعتبر مدينة رشيد المدينة الأولى في مصر بعد مدينة القاهرة التي مازالت تحتفظ نسبياً في بعض أجزاءها بطابعها المعماري المميز، بما تحويه من آثار إسلامية قائمة ترجع إلى العصر العثماني. وتتنوع تلك الآثار ما بين آثار مدنية ودينية وحربية ومنشآت خدمات اجتماعية. وإذا كانت تلك الآثار المعمارية القائمة لفتت الأنظار فاتجهت إليها يد العناية والرعاية، وتناولها العديدون بالبحث والدراسة، فان مدينة رشيد تنفرد أيضاً بميزة لم يتم الإلتفات إليها من قبل بشكل جاد، وهى توافر كم هائل من الوثائق الخاصة بتلك المدينة، تشتمل على كافة التصرفات الشرعية من بيع وشراء وإرث وزواج وطلاق وهبة واستبدال ووقف، وكافة القضايا التي تعكس نمط الحياة في تلك المدينة منذ بداية العصر العثماني وحتى الوقت الحاضر. وتتنوع تلك الوثائق التي تقدر بالملايين على النحو التالي:

١ – وثائق محكمة رشيد: محفوظة بأرشيف الشهر العقاري بمدينة دمنهور، وتقع في ٣٥٥ سجلا يحوي كل منها قرابة ٢٠٠٠ وثيقة[١].

٢ – وثائق محكمة رشيد في القرن ١٩م: محفوظة بأرشيف دار المحفوظات القومية بالقلعة[٢].

٣ – وثائق محكمة الإسكندرية: محفوظة بأرشيف الشهر العقاري بمدينة الإسكندرية،

---

١ ـ تمت دراسة كل وثائق القرن ١٠هـ/١٦م، وهى السجلات أرقام من ١-١٩ من سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م إلى سنة ١٠٠١هـ/١٥٩٣م، ثم اختير بعد هذا التاريخ عينات عشوائية من سجلات القرون ١١-١٣هـ/١٧-١٨م، وسنشير إليها في الهوامش ب "رقم السجل، المادة، الصفحة".

٢ ـ تمت دراسة وثائق المباني من السجلات أرقام ١-٣٢، اعتبارا من سنة ١٢٦٤-١٣٠١هـ/١٨٤٨-١٨٨٣م، وسنشير إليها في الهوامش ب "محفوظات، رقم السجل، المادة، الصفحة".

وتقع في ٣٥٠ سجلاً، تحوي مئات الوثائق الخاصة بمدينة رشيد[١].

٤ – حجج الوقف العثمانية: بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة[٢].

٥ – حجج الوقف العثمانية: بأرشيف دار الوثائق القومية بالقاهرة[٣].

٦ – وثائق محكمة الصالحية النجمية: محفوظة بأرشيف محكمة الشهر العقاري بالقاهرة[٤].

وتعكس تلك الوثائق الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وأشكال التخطيط العمراني المختلفة بمدينة رشيد من منتصف القرن ١٠هـ/١٦م وحتى القرن ١٣هـ/١٩م، حيث وجدنا من بين هذه الوثائق ما يبين المواقع التجارية والتجمعات الحرفية بالمدينة وأخطاطها المختلفة، وأسماء أسواقها وشوارعها ودروبها وحاراتها وأزقتها، والتي ظل الكثير منها محتفظا بنفس المسميات حتى الآن، مما مكننا من تتبع تلك المسميات، والتعرف على مواقعها، والتغيرات التي طرأت عليها في تلك الفترة، كما تتبعنا ما تغير منها من وقت إلى آخر من خلال تلك الوثائق. كما أمكن من خلال الوثائق التعرف على كثير من الأنماط المعمارية التي اندثرت من المدينة، وخاصة تلك التي اندثرت بحكم التطور، من سيارَج ومصابغ وطواحين وقاعات نسيج (أنوال) أو قاعات حياكة ومعامل شمع ومعاصر ومعامل سكر، وغير ذلك من المنشآت الصناعية التي تعرضت للتطور الحديث، كما تعرفنا من خلال تلك الوثائق على أنواع العملات المستخدمة في العصر العثماني وحتى أواخر القرن ١٩م.

وعلى أية حال فان دراستنا لوثائق مدينة رشيد، سواء ما كان محفوظا منها بأرشيفات الشهر العقاري بدمنهور والإسكندرية والقاهرة، أو بدفترخانة وزارة الأوقاف ودار المحفوظات ودار الوثائق بالقاهرة، يتجه أساسا إلى دراسة كل ما يتعلق بالمنشآت المعمارية بمدينة رشيد منذ القرن ١٠هـ/١٦م، وتعكس المعلومات التي تضمنتها وثائق تلك المدينة في العصر العثماني[٥] ازدياد أهمية هذا الثغر حتى أصبح ميناء مصر الأول، إذ أن رشيد أقرب الثغور إلى اسطنبول من جهة، ومن جهة أخرى كان لانسداد خليج

---

١ ـ تمت دراسة ٣ سجلات من القرن ١٠هـ/١٦م.

٢ ـ تمت دراسة ١٣ حجة وقف.

٣ ـ تمت دراسة حجة وقف واحدة خاصة بوقف داوود باشا.

٤ ـ تمت دراسة وثيقة وقف خاصة بالرويعي صاحب الحي الشهير بالقاهرة، والتي تحوي عدة مباني قبلي مدينة رشيد جهة جامع زغلول.

٥ ـ لم نجد حتى الآن وثائق مملوكية تذكر مباني في رشيد.

الإسكندرية منذ نهاية العصر المملوكي[1] دور هام في جعل مدينة رشيد الثغر الموصل من الإسكندرية –عن طريق البر– إلى القاهرة عن طريق النيل[2]، ومن ثم حظيت المدينة باهتمام الوزراء والأمراء، وأنشئت بها الوكالات والفنادق والقياسر والمساجد والعديد من المصانع التي تنتج سلع ذلك العصر.

كان للازدهار الاقتصادي لرشيد في العصر العثماني وحتى نهاية القرن ١٩م تأثير واضح على تطورها العمراني، ولكي نعطي هذا التطور حقه من الدراسة فقد قمنا بتقسيم هذه الحقبة إلى خمس فترات زمنية، كل فترة تشمل قرناً تنتهي بالقرن العشرين، نورد عن كل حقبة وصفها العمراني وخريطتها والتي تم تحقيقها طبقاً للمراحل التي أشرنا إليها. وقد استطعنا من خلال مقابلة البيانات التي أمدتنا بها وثائق الوقف والشواهد المادية الحالية من منازل وجوامع ووكالات وغيرها، إلى جانب نصوص المؤرخين ومشاهدات الرحالة الأجانب، وكذلك دراسات علماء الحملة الفرنسية من رسم صورة تقريبية لمعالم رشيد إبان كل مرحلة من تلك المراحل.

ونود أن نلفت نظر القارئ إلى إنه نتيجة لاختفاء العديد من الدور والمنشآت العديدة الأخرى من تجارية وصناعية وحربية ودينية، فإننا استعضنا عن الرسومات بوصف مفصل لبعض تلك المنشآت، واستعضنا عن هذا النقص بنماذج لمنشآت مازالت موجودة وصور لأخرى اندثرت، كما قمنا برفع معماري لبقايا أخر وكالة قائمة في رشيد.

******

امتدت رشيد في تلك الفترة بطول يصل إلى حوالي ٩٠٠ متر على النيل، وبعمق يصل في اقصاه إلى حوالي ٢٥٠ متر، وشملت المدينة على ما ذكر بالوثائق على ٣٧ خطا (شارع)، ضمت أسواقا كثيرة منها العام ومنها المتخصص في تجارة بعينها، ومعظم الشوارع نسبت أسماؤها إلى الصنعة التي تمارس فيها – مثل خط السرجة أو

---

١ ـ د. جمال الدين الشيال: الإسكندرية، طوبغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ص٢٤٢-٢٤٥.

٢ ـ كان الباشا العثماني يأتي عن طريق البحر إلى الإسكندرية، ثم يتوجه برا إلى رشيد فيمكث فيها عدة أيام، ثم يتوجه عن طريق النيل إلى القاهرة. أنظر على سبيل المثال: الدمرداشي: كتاب الدرة المصانة في أخبار الكنانة، ص٦، حيث ذكر *"وإذا بساعي أتى وعرف أن حسن باشا السلحدار طلع بندر إسكندرية، نزلت له الملاقية .. وأتوا به ثغر رشيد، أقام الأيام المعلومة، ونزلوه في السفاين على وجه بحر النيل المبارك، لما وصلوا به تحت ناحية الوراق .."*.

الصاغة أو خط وكالة السكر – أو إلى مجموعة ساكنيه – مثل خط البنايين أو خط الشناطين– كما ينسب اسم الشارع إلى أكبر عائلاته مثل خط سالم النجار أو خط علي تراب أو خط سيدي النني.

وقد قسمت المدينة في الوثائق إلى أربعة أقسام: قبلي وبحري وغربي وأوسط، وإذا ما قسمت المدينة إلى قطاعات عرضية، نجد القسم البحري هو القطاع الشمالي ثم جنوب القسم الأوسط وشماله الغربي، ثم جنوب المدينة نجد القسم القبلي وجنوبه الغربي.

تميز بالمدينة شارع القصبة الموازي لنهر النيل، ومجموعة شوارع عمودية عليه تصل ما بين النيل والشارع القصبة (شارع السوق الكبير وامتداده في شارع زغلول) –شارع المحلي حاليا– ثم تمتد الشوارع العرضية غربا في الأراضي الفضاء وأراضي النخيل والأراضي الصحراوية وتستقبل أسواقا أسبوعية نوعية، كسوق الطيور وسوق اللبن والجبن وما إلى ذلك.

ويغلب علي استعمالات الكتلة العمرانية بالمدينة الاستعمال الديني المتمثل في الجوامع الكبرى مثل جامع زغلول، والمساجد مثل مسجد النور (المشيد بالنور) ومسجد الرباط، والمقامات مثل مقام سيدي المحلي – كان شرق المحراب بمسجده الحالي– والاستعمال الأغلب هو التجاري متمثلا في الوكالات الكثيرة والكبيرة ومعظم مباني المدينة السكنية لم يخل من دكاكين وحوانيت للتجارة أو كمخازن لبعض التجار.

لم تتعد مساحة المدينة في تلك الفترة ٤٥ فدانا ويشير تحليل وصف المباني والبناء والطرقات بالمدينة أن عائلات ممن سكنوا ضفة النيل كانوا يشيدون مراسيهم واستراحاتهم على مساحات من طرح النهر والذي يبدو آخذا في توسعة الرقعة العمرانية للمدينة جهة الشرق، وأخذت تلك المساحات تزيد من نسبة الاستعمال السكني مع ثبات الامتداد شمالا وجنوبا، في حين كان الامتداد جهة غرب المدينة حثيثا في تلك الفترة، ويقطن به كثير من الصيادين والزراع، أما طبقة التجار فسكنت في الشريط القائم بين النيل والشارع القصبة، ويبدو شارع دهليز الملك – وهو شارع عرضي– يقسم المدينة إلى قسمين متساويين، وساكنيه من علية القوم مثل الحاكم والقاضي وكبار الموظفين والأمراء وقباطنة البحار.

أقسام المدينة

١- الجهة القبلية

اشتملت تلك الجهة علي ثلاثين شارعا تحوي ١٣٨ مسكنا، وكان يطل علي الشارع من أربعة إلى خمسة منازل على الصفين، وهذا يشير إلى أن تلك الجهة ضمت حوالي ٣١ بلوكا سكنيا، لقد كانت الشوارع بتلك الناحية قصيرة ينسب اسمها بالأولوية التالية:

- اسم الحرفة أو السوق القائم بها.
- اسم أول من بنى بها مبنى.
- مقصد الشارع.

وقد ذكر بتلك الناحية الأسواق التالية:

سوق الغلال – سوق الغزل – سوق الأرز – سوق الطعام العتيق – السوق العتيق – سوق اللبن، ويبدو أن هناك تطابقا بين سوق الطعام العتيق والسوق العتيق فهما يقعان على امتداد شارع واحد. في حين أشار "علي باشا مبارك" في "الخطط التوفيقية" إلى أن هناك سوقا دائم للسمك، وفي السوق وكالة يوضع فيها السمك يقال لها *"وكالة الشوربجي"*، وكما ذكرنا آنفا أن بعض الشوارع كانت تنسب أسماؤها إلى ما يؤدي إليه الشارع، فربما دل ذلك علي أن شارع حدرة الكماحين هو الشارع المؤدي إلى وكالة الشوربجي[١].

وضمت تلك الجهة::

* طاحونة شاهين سعادات – وطاحونة علي قلبة – مدقين أرز – مضرب واحد.
* سيرجه ضيف – العصارة – فرن – وكالة يعقوب أنطون.
* معمل الطوب وبجواره أرض فضاء سميت بأرض المعمل، ويبدو أنها كانت حكرا لذلك المعمل يفرش فيها الطوب.
* بيت القهوة – قاعة للقزازة.
* الدار الكبيرة – قصر فيروز الصلاحي – دار الحكمة.
* مقبرة الشيخ عبدا للاه – سيدي سعد الله.

---

١ ـ على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ٢٠ جزء ، الطبعة الاولى سنة ١٣٠٥هـ، ج١١، ص٧٥.

تبدو هذه الجهة كأكبر جهات المدينة سكنا وكثافة سكانية، وقد ورد ذكر أسماء عائلات كبيرة تملكت أكثر من مسكن ومكان منهم عائلات: فتوح - سنان - الريس - القباني - الهندي - المطير - بريمات - الرشيدي - الجلفاط - النستراوي - منيف - القبودان - البرلسي.

كما ضمت ألقابا نسبت للمهن مثل: الشيال - المؤذن - الرزاز - النحاس - الشماع - البزاز - العطار - الإسكافي - النجار - الحبال - الحلاق - العلاف - القصبي - الصاجاتي - الزلباني - العداس - الفرارجي - الصايغ - السماك - الحداد - العجاتي - السيوفي - القفاص - الشناطي - الحايك - الخشاب - الكتاني - الصياد - القصاب - الخياط - الجرشاوي - قيم الجامع - سيف البحر المالح - السنبوسكي.

كما ذكرت لأسماء أغلب الظن أنها من أصول ليست مصرية، أو الأرجح أنها غربية مثل:

أبو الحلوف - شراب - البنواني - شختيرة - عطوط - العجيمي - الشويحي - البارينارى - الغيطاني - بيبرس - بلقينة - قلقاس - المغربي - السبيتي - عدس - بشلق - كحله - زقيلمه - العقيبي - أبو قاعد - تماز - الركبدار.

كذلك ورد ذكر شارع الصيادين الذي سمي خط حدرة الكماحين ولم يستدل على مكانه.

٢- الجهة البحرية

تكونت تلك الجهة من ١٩ شارعا ضمت ١٠٥ مسكنا، من هذه الطرق خمسة تؤدي إلى أراضي حدائق ومزارع بدأ يزحف العمران تجاهها وهى أرض الجندي (وقف مسجد الجندي) - أرض الحوش - أرض الشناطين - أراضي البحار - أراضي الصفين، وقد كان الطلب على المساكن قليلا، كما كانت الشوارع أكثر طولا بالمقارنة بشوارع الجهة القبلية، وبعض الأراضي المذكورة كانت تتخلل الرقعة السكنية مثل أرض الجندي والحوش فنجد المساكن تصطف على جانب واحد من الطريق وعلى مسافات متقطعة.

ومن أهم منشآت الجهة البحرية وكالة الوزير علي باشا، ويبدو أنها هى التي أشير إليها في الخطط التوفيقية حيث ورد أن الوزير علي باشا ـ متولي مصر ـ

سنة ٩٥٦ هجرية قد جدد عمارة كبيرة من خانات وحوانيت في رشيد[1]، كما يدل على أنها كانت قائمة فيما قبل، إما أنها في شكل عدة مبان لعدة ملاك، وإما أنها موجودة على شبه هيئتها ولكن أجزاء منها خربة أو مهملة. كما ورد بالوثائق ذكر وكالة وحمام ليوسف القبودان تقع شرق وكالة علي باشا، كما ذكر مسجد الجندي ومقام المحلي، ويبدو أن المقام لم يبن بجواره أي مسجد حتى هذا الوقت.

وضم بحري المدينة معصرة الزيت الحار ووكالة السكر وسيرجة لبدر الدين القباني بجوار ساحة قيسارية علي باشا، كما امتد سوق الغلال من الجهة القبلية حتى الجهة البحرية أيضا، هذا بالإضافة إلى سوق بيت القهوة. ومن أهم شوارع هذه الجهة: الشناطين – الأوسية – النستراوية – محمد بهلول البرلسي – محمد الجلفاط.

ويقع مسجد الجندي ومسجد النور (المشيد بالنور) على شارع محجة السوق، وورد ذكر لمسجد القصبي بهذه الجهة، وشارع محجة السوق هو شارع رئيسي بتلك المنطقة اتجاهه بحري/قبلي، وهو الفاصل بين وكالة الوزير على باشا التي تقع على الجانب الغربي منه ووكالة وحمام يحيى يوسف الواقعة بالمنطقة الشرقية من الشارع، وهو على امتداد خط (شارع) الجامع الكبير الواقع قبلي المدينة، والواضح أن ذلك الشارع على إمتداد القصبة الرئيسية، وقد سمى قسمه الجنوبي خط الجامع الكبير وأوسطه خط السوق الكبير والقسم الشمالي خط محجة السوق.

٣ – الجهة الوسطى

بها ثمانية شوارع فقط بخلاف محجة السوق مقام عليها ٢٥ منزلا، وضمت وكالة يوسف القبودان وشارعها سمي باسمها وباقي الشوارع هي: أولاد النشار – القلايين – الصوادمة – سالم عيسي النجار – سيدي عبد الله الصامت – زاوية قزمان.

٤ – الجهة الغربية

لم يذكر بها سوى خمسة شوارع هي شارع الشيخ صلاح الدين، وخط كور الحردي، وخط أرض البنايين، وخط الدار الكبيرة (التي تقع بالجهة القبلية)، وخط الجامع الكبير ويؤدي إلى مسجد زغلول، وورد ذكر وكالة وفرن وطاحونة لم يستدل على مالكيهم أو أماكنهم. انتهت هذه الفترة علي هذا الوضع المذكور بالوثائق عدا ما لم

---

١ ـ نفسه، ج١١، ص٧٦.

يأت ذكره مثل المقابر بالجهة الجنوبية الغربية، حيث أشار إليها علي باشا مبارك أنـــها خمس وعشرون مقبرة وواحدة للنصارى بجوار كنيستهم ومقبرة للفرنج.

وقد زار رشيد في هذا القرن العديد من الرحالة ونورد هنا نصين مـــن مشـــاهدات بعض منهم عامي ١٥٤٧، ١٥٨٧م: *"رشيد مدينة جميلة بدون أسوار، ولتجار فينسيا بها ممثل يطلق عليه القنصل –وهو يشرف على سير التجارة– والمراكب التي تصلها مـــن البحر تتجه إلى فرع النيل تمر أمام المساكن ..."، أما ميناء رشيد فهو يعج بالبضـــائع التي تأتيه من بلاد بعيدة "، "وتوجد قلعة صغيرة عند مدخل النيل، كما تبعد المدينة عـن مصب النيل بمقدار فرسخين ويتحدث أهل هذه المدينة اللغة العربية كما يوجد العديد من اليهود". "والمدينة تحوطها غابات النخيل، وبيوتها فسيحة ومزدانة بالخشب الذي يأتيـــها من القسطنطينية"*[١].

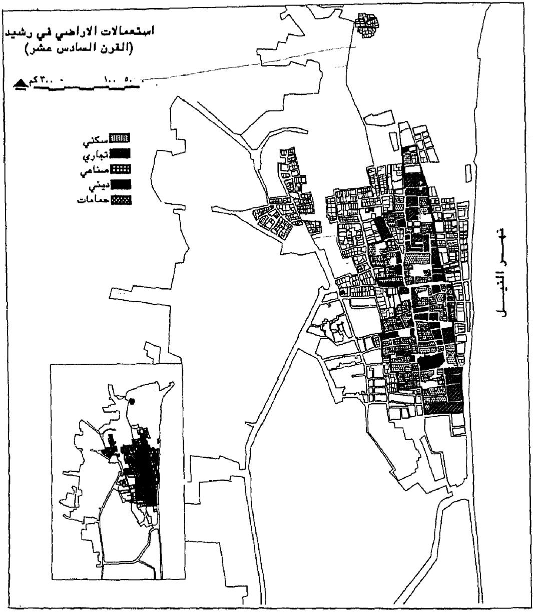
"مدينة جميلة مشيدة بعناية"، "وعندما وصلنا يوم ٩ مايو ١٥٨٨، نزلنا في فندق، بـــدت لنا هذه المدينة العتيقة متسعة، وطولها أكبر من عرضها و تقع علـــى ضفـــاف النيـــل مباشرة، أما منازلها فمشيدة بالطوب المحروق ويقطنها المسلمون والمسيحيون والعـــرب، وهي تستغل كميناء وسيط للبضائع التي تجمعها المراكب النيلية الصغيرة للقاهرة، وتلـك المراكب لا تستطيع أن تغامر بالذهاب إلى البحر –خاصة إذا عرفنا مخـــاطر بوغـــاز رشيد– وبالتالي فان البضائع تحمل مرة أخرى على مراكب كبيرة – يطلق عليها اســـم "Tshuma"وتتجه إلى الإسكندرية غربا، لذلك فان مياهها تعج باستمرار بـــالكثير مـــن المراكب ذات الأحجام المختلفة"[٢].

---

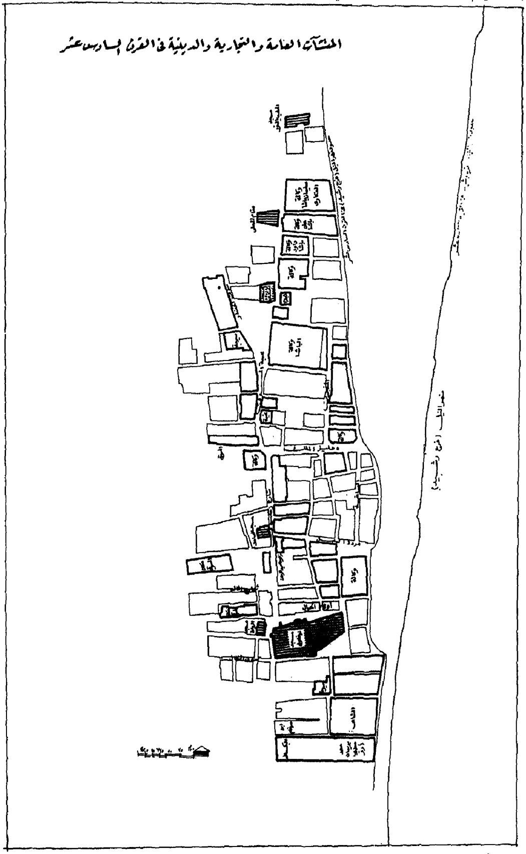
١ - Le Voyage en Egypte- Pierre Belon Du Mans, 1517. Rosette 91 a, 98 b, 99a, 98b, 103a.

٢ - Voyages en Egypte des annees 1587-1588, 23,43,44,45,47.

{شكل رقم ٣، خريطة المنشآت العامة والتجارية والدينية ق ١٦}



{شكل رقم ٤، استعمالات الأراضي ق ١٦}



منشآت القرن السادس عشر

١- المنشآت الدينية

ذكر "*جولوا*" أحد علماء الحملة الفرنسية في دراسته الموجزة عن مدينة رشيد "*وفي المساء عندما ينادي المؤذنون الناس من فوق مآذنهم للصلاة، فليس ثمة ما هو أكثر روعة من منظر مدينة رشيد*"[١]، والواقع أن الإطلاع على وثائق رشيد العثمانية يكشف أنها كانت تعج بالمساجد والزوايا والأضرحة، وقد بقي العديد من مساجد وأضرحة رشيد الأثرية قائما حتى الآن، بعضها على حاله والبعض الآخر ادخل عليه من الترميمات والتجديدات على مر العصور ما غير من معالمه وأبدلها، ولا شك أن عمران رشيد وحالتها الاقتصادية وما كانت عليه من رواج، بالإضافة إلى مكانتها كرباط بعد سقوط هذه الوظيفة عن دمياط في أعقاب غزو الفرنسيين لها في منتصف القرن ٧هـ/١٣م، كل ذلك انعكس على منشآتها الدينية فتعددت بها المساجد والزوايا وانتشرت في جميع أرجائها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا.

لن نتطرق في هذه الدراسة إلى دراسة التصميم المعماري أو الزخرفي لمساجد رشيد، ولكننا سنقتصر على تأصيل وتوثيق بعض مساجدها الأثرية وإرجاعها إلى تاريخها الصحيح، كما سنبين ما كشفت عنه الوثائق من مساجد وزوايا ترجع إلى عصور مختلفة، ومواقع تلك المساجد والزوايا وبعض المكونات الوثائقية المتعلقة بإنشائها ومنشئيها، وما عليها من وقف، وما بها من وظائف حسبما يرد في كل وثيقة من معلومات خاصة بتلك المنشآت، وسنلحق بهذه الدراسة قائمة بالمنشآت الدينية التي وردت في الوثائق التي اطلعنا عليها.

١ - مسجد زغلول قبل سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥م

هو أكبر مساجد رشيد، بل هو أكبر مساحة من الجامع الأزهر[٢] بعد الإضافة التي لحقت به في القرن ١١هـ/١٧م، وقد أرجع بعض الباحثين هذا المسجد إلى

---

١ ـ علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج٣، ص٢٢٨.

٢ ـ يشترك هذا الجامع مع الجامع الأزهر الذي بناه جوهر الصقلي والجامع الكبير بدمياط في أنه له ثلاث أروقة حول صحن مكشوف وليس له أروقة في الجهة الشمالية الغربية، لذا نرجح أن جامع زغلول يرجع بنائه أو تجديده إلى العصر الفاطمي.

القرن ١١هـ/١٧م[١]، وأرخه البعض الآخر بسنة ٩٨٥هـ/١٥٧٧م[٢] ونسبه إلى شخص يدعى "زغلول"، غير أن الوثائق التي اطلعنا عليها تشير إلى أن هذا المسجد كان قائما قبل هذا التاريخ، فقد ورد ذكره في وثيقة ترجع إلى سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥م نصها:

"استأجر المعلم أحمد بن علي ابن منيسف بماله لنفسه من الشيخ .. نور الدين علي بن الشيخ عبد الرازق والمعروف بالنحرير الناظر الشرعي على وقف الجامع .. الكائن بالثغر بالجهة القبلية المعروف بجامع زغلول فأجره ما هو جاري في وقف الجامع المذكور وذلك جميع حاصلين متلاصقين الكائنين بالثغر المذكور بالجهة القبلية بجوار المستأجر المذكور .."[٣].

كما ذكرت معظم الوثائق التي ترجع إلى القرن ١٠هـ/١٦م هذا الجامع بأنه *الجامع الكبير*" أو "*مسجد المرحوم الشيخ عبد القادر السنهوري*"، فقد ورد بهذا الاسم في وثيقة وقف مؤرخة في ٢٤ جماد أول سنة ٩٨٣هـ/٣١ أغسطس ١٥٧٥م لدار بالجهة القبلية من المدينة "*على مصالح الجامع الكائن بالثغر المذكور من الجهة القبلية المعروف بمسجد المرحوم الشيخ عبد القادر السنهوري*"[٤]، كما ورد أيضا في وثيقة إيجار لحانوت ضمن وقف الجامع مؤرخة في ٤ رمضان سنة ٩٨٣هـ/٧ ديسمبر ١٥٧٥م باسم *الجامع الكبير الكائن بالثغر المعروف بالسنهوري*"[٥]، كما اكتفت بعض الوثائق باسم "الجامع الكبير" اعتمادا على شهرته بهذا الاسم أو لكونه فعلا الجامع الكبير للمدينة[٦]، ونجد كذلك العشرات من الوثائق التي أطلقت عليه أسم *الجامع الكبير المعروف بالشيخ عبد القادر السنهوري*"[٧]، ثم أصبح يطلق عليه *"المسجد المعروف قديما بالشيخ عبد القادر السنهوري"*[٨].

---

١ ـ د.سعاد ماهر: مساجد مصر، ج٥، ص٢١١.

٢ ـ ابراهيم العناني: المرجع السابق، ص١٨٣.

٣ ـ ١٦،٥٧،٧، بتاريخ ٣ربيع ثان سنة ٩٨٣هـ/١٢ يوليو ١٥٧٥م؛ وقد جاء أسم المدعو زغلول هذا في أحد وثائق وقفه على الجامع "الحاج نور الدين علي بن محمد بن علي عين الأكابر والتجار بثغر رشيد المحروس الشهير بزغلول"، أنظر: ١، ٢٩٣، ١٦٦-١٦٨، بتاريخ ١٤ صفر سنة ٩٥٦هـ/١٤ مارس ١٥٤٩م.

٤ ـ ٣٥٢،٧، ٩١.

٥ ـ ٥٧٦،٧، ١٤٠.

٦ ـ ١٥٦،٦٣٧،٧، مؤرخة في ٧ جماد ثان سنة ٩٨٣هـ/١٣ سبتمبر ١٥٧٥م.

٧ ـ ٦٦٩،٧ و٨١٦ و٨٩١ وترجع الى سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥-١٥٧٦م ؛ ٣٨٢،٨ وترجع الى سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧-١٥٧٨م ؛ ٩، ٥٠٦ وترجع الى سنة ٩٩٢هـ/١٥٨٤م.

٨ ـ ١٧،٦٠،١٧، بتاريخ ١٩ شوال سنة ٩٩٧هـ/٣١ أغسطس ١٥٨٩م، وهى وثيقة ايجار شونة من أوقاف المسجد، وتقع بالقرب منه.

وجدنا أيضا وثيقة أخرى تحدد موقع هذا الجامع بالنسبة للنيل، فتذكر أسم الحاج عبد الواحد بن النوري علي المغربي *"الناظر الشرعي على الجامع الكبير المعمور بذكـــر الله تعالى الكائن بالثغر من الجهة القبلية بشاطئ النيل المبارك المعروف بالمرحوم الشـــيخ عبد القادر السنهوري"*[1]، ومن ثم فقد كان هذا الجامع يطل على النيل مباشرة أو بـــالقرب منه –على الأقل– ثم تحرك النيل في اتجاه الشرق.

لحقت أيضا بهذا الجامع إضافة كبيرة من الجهة الشرقية في سنة ١٠١٦هـــ/١٦٠٨م ذكرتها لنا وثيقة جمعت منشآت الخواجا أحمد بن المرحوم الخواجا أحمـــد ابـــن الخواجـــا محمد الشهير بالرويعي عين التجار بالديار المصرية والأقطار الحجازية والبنادر والثغـــور الإسلامية التي جددها –كما تذكر الوثيقة– بعد أن أجر الأرض المقامة عليها من أوقـــاف الجامع التي وقفها عليه الحاج علي زغلول ثم بناها[2]، ويذكر فيها *"التوسعة"* التي أضافـــها لهذا الجامع من الجهة الشرقية والتي تمثل الآن الجزء المجدد مـــن الجـــامع المســـتعمل للصلاة، كما أنشأ حوله مجموعة كبيرة من المباني وكذلك ساقية لإمداد مرافـــق الجـــامع بالمياه، توضح لنا تلك المباني التي ذكرتها الوثيقة عمران هذه المنطقة فـــي هـــذا الوقـــت بالمنشآت الصناعية والسكنية والتجارية، وتذكر الوثيقة وصف الجامع والساقية كالآتي:

"(ص٣٧٩ س٣) *وجدد وعمر من ماله وصلب حاله جميع ما يأتي ذكره فيه من ذلـــك جميع التوسعة بالجامع الكائن بثغر رشيد المحروس المعروف بالحاج علي زغلول القائم بناءه/ وبناء ما يأتي ذكره فيه على أرض جارية في وقف الجامع المذكور وهي تواجـــو الخواجا أحمد الرويعي ومنفعته المدة الطويلة من الحاج محمد الشهير نسبه الكريم بـــابن الديب/ الناظر الشرعي على الجامع المذكور المعين تواجره المذكور بالمستند الشـــرعي المخلد تحت يده وهي بالجهة الشرقية من الجامع المذكور القائم بها جملة من الأعمـــدة الصوان يعلوها/ قناطر معقودة بالطوب ..* (ص٣٨٠ س٦) *.. وجميع الساقية الســـهايل بجوار بحر/ النيل المبارك بالثغر المذكور المتوصل من مجراتها الماء إلى فساقي جامع زغلول المذكور وبيوت خلائه والمغاطس التي به المحـــدودة بحـــدود أربعـــة القبلـــي للصهريج المذكور بعضه/ وباقيه لأرض هناك بيد أربابها والبحري للشارع والشـــرقي للبحر الأعظم والغربي للمجراة المتصلة بالفساقي المذكورة ..*".

---

١ ـ ١٦، ١٣٦، ٣٨–٣٩، بتاريخ ٢٣ محرم ٩٩٦هـ/٢٤ ديسمبر ١٥٨٧م.

٢ ـ أرشيف الشهر العقاري بالقاهرة، محكمة الصالحية النجمية: سجل٤٨٢، مادة ٨٨٧، ص٣٧٩–٣٨٠، بتاريخ ٢ ذي الحجة سنة ١٠١٦هـ/١٩ مارس ١٦٠٨م.

وقد ورد أسم هذا الجامع بجزأيه في وثيقة إسقاط وظيفة إمامته كالآتي: *المسجد المعمور بذكر الله تعالى الكائن قبلي الثغر المعروف بالحاج علي زغلول والخواجا أحمد الرويعي*"، وإسقاط وظيفة *قراءة الحديث بعد العصر بمسجد أحمد الرويعي*"، وكذلك وظيفة *الإفتاء والتدريس بجامع الحاج علي زغلول*"[1]، أي أنه كان هناك إمام واحد للجامع بجزأيه، وأن وظائف التدريس والإفتاء وكذلك قراءة القرآن كانت مقسمة على جزأيه حسب وقف كلا منهما.

٢ - مسجد النور قبل سنة ٩٨٥هـ/١٥٧٧م

هو نفسه المسجد المعروف حاليا بمسجد *"المشيد بالنور"* والمؤرخ بسنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م، اعتمادا على لوحة تأسيسية تعلو مدخل المسجد، والواقع أن بعضا من لوحات التأسيس يضعها الشخص الذي يجري ترميما شاملا أو إصلاحا أو إعادة بناء في بعض الأحيان كما يضعها مؤسس المنشأة، وقد ذكر هذا المسجد في عدة وثائق، أقدمها يرجع إلى سنة ٩٨٥هـ/١٥٧٧م، وهى وثيقة إيجار قطعة أرض *الكائنة بالثغر بالجهة البحرية من جملة أرض مسجد النور*"[2]، كما ورد في وثيقة أخرى ترجع إلى سنة ٩٨٩هـ/١٥٨١م باسم الحاج *ابن أحمدين الناظر الشرعي على أوقاف المسجد المعمور بذكر الله تعالى الكائن بالثغر بالجهة البحرية المعروف بمسجد النور*"، وذلك في وثيقة إيجار قطعة أرض جارية في أوقاف هذا المسجد[3]، كما حددت لنا إحدى الوثائق موقعه على نحو أكثر دقة، فذكرت *"المسجد المعمور بذكر الله تعالى الكائن بالثغر بالجهة البحرية بشاطئ بحر النيل المبارك المعروف بمسجد النور*"[4]، أي أن هذا الجامع كان يقع على شاطئ النيل مباشرة، فتكون المنطقة التي يقع بها الآن بيت عرب كلي (متحف رشيد) ومبنى مجلس المدينة قد استجدت بعد القرن ١٠هـ/١٦م، وكذلك وزد

١ ـ ٢٣٥،٣٦٣،٧٨، بتاريخ ٢٨ ذي القعدة سنة ١٠٧٨هـ/١٠ مايو ١٦٦٨م.

٢ ـ ٢٠١،٦٢٩،٨، بتاريخ مستهل رجب سنة ٩٨٥هـ/١٤ سبتمبر ١٥٧٧م.

٣ ـ ١٣،٦٢،١١، بتاريخ ١٨ رجب سنة ٩٨٩هـ/١٨ أغسطس ١٥٨١م؛ ونجد ذلك أيضا في نفس السجل (رقم ١١) رقم ١٥٣،ص٣٢، بتاريخ ٢ شعبان سنة ٩٨٩هـ/١ أغسطس ١٥٨١م؛ وسجل١٢،رقم٣٤١،ص٨٧، بتاريخ ٣ ربيع أول سنة ٩٩٠هـ/٢٨ مارس ١٥٨٢م.

٤ ـ ٢٠٦،٧٧٧،١٤، بتاريخ ٢٩ جمادى الأول سنة ٩٩٤هـ/١٨ مايو ١٥٨٦م، وهي وثيقة ايجار صادرة من ناظر أوقاف المسجد "الحاج الأجل المحترم النوري علي بن المرحوم الحاج الأجل التاجر المكرم محمد الشهير نسبه الكريم بابن أحمدين".

في نصوص وثائق أخرى متعلقة بمعاملات على أوقافه[1].

كما وردت إشارات لهذا المسجد في وثائق القرن ١١هـ/١٧م في الإشارة إلى هذا المسجد، فنجد وثيقة وقف صاحبها الحاج سعيد بن علي بن محمد المغربي السلامي ما بناه من صهريج تعلوه قاعة ومجاز ومعالم بيت وحاصل ومطبخ ودهليز على هذا المسجد وعلى مسجد الاتفيني من بعد زوجته وذريته[2]، كما وجدنا وثيقة إيجار أخرى لمنزل من أوقاف هذا المسجد ورد بها أسم الناظر الشرعي عليها وهو *الشيخ زين الدين عبد القادر التميمي*"[3]. كل ذلك يجعلنا نرجع هذا المسجد إلى قبل سنة ٩٨٥هـ/١٥٧٧م.

٣ - جامع الجندي قبل سنة ٩٨٥هـ/١٥٧٧م

هو من الأماكن التي لا تزال قائمة ومسجلة ضمن الآثار ويحمل نفس الاسم حتى الآن، كان تاريخه المسجل به قبل إجراء هذه الدراسة هو ١١٣٣هـ/١٧٢١م، وان كان تاريخه الفعلي يرجع إلى قبل ذلك بكثير، فقد عثرنا على وثائق خاصة به ترجع أقدمها إلى سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م، منها وثيقة إيجار مكان مبني على *أرض محتكرة من جملة أراضي جامع الجندي الكائن بالثغر*"[4]، كما ورد أسمه أيضا في وثيقة نزاع على أرض من أوقافه بني عليها صهريج[5]، كما تذكر وثيقة ثبوت إيجار صادرة عن ناظر أوقافه "*الحاج شهاب الدين أحمد بن زين الدين عبيد بن نور الدين علي المعروف بابن بريمات*" أن هذا الجامع *الكائن بالثغر المذكور بالجهة البحرية المعروف بجامع الجندي*"[6]، كما وجدنا في وثيقة أخرى ترجع إلى أواخر القرن ١٠هـ/١٦م، وهي عبارة عن إثبات تبايع دار مبني على أرض محتكرة لوقف "*مسجد الجندي المعمور بذكر الله تعالى الكائن بحري الثغر*"[7]. وهكذا يظل جامع الجندي يتردد أسمه وأوقافه ووظائفه في وثائق رشيد من القرن ١٠ إلى ١٣هـ/١٦-١٩م، حيث ذكر باسم "*مسجد الأمير محمد الجندي*"[8].

---

١ ـ ٢٠٧،٧٨٠،١٤، بتاريخ ٢٩ جماد أول سنة ٩٩٤هـ/١٨ مايو ١٥٨٦م؛ ٢١٠،٧٩٢،١٤، بتاريخ مستهل جماد أخر سنة ٩٩٤هـ/٢٠ مايو ١٥٨٦م؛ ٢،٥،١٦، بتاريخ ٥ محرم سنة ٩٩٦هـ/٦ ديسمبر ١٥٨٧م.

٢ ـ ٤٦،١٥٦،٢١، بتاريخ ١٣ رمضان سنة ١٠٠٣هـ/٢٢ مايو ١٥٩٥م.

٣ ـ ٢٥٠،٧٠١،٥٠، بتاريخ ٢٤ جماد أول سنة ١٠٤٢هـ/٧ ديسمبر ١٦٣٢م.

٤ ـ ١٠٢،٣٦٠،٨، بتاريخ ٢١ ربيع ثان سنة ٩٨٥هـ/٨ يوليو ١٥٧٧م.

٥ ـ ٢١٠،٧٣٤،٨، بتاريخ ٨ رجب سنة ٩٨٥هـ/٢١ سبتمبر ١٥٧٧م.

٦ ـ ٢١١،٧٣٩،٨، بتاريخ ٨ رجب سنة ٩٨٥هـ/٢١ سبتمبر ١٥٧٧م.

٧ ـ ٢٨٤،١٠٤٧،١٤، بتاريخ ٢٨ شوال سنة ٩٩٤هـ/١٢ أكتوبر ١٥٨٦م.

٨ ـ محفوظات،٢٥،٤٣،٦٨، بتاريخ ١٤ رمضان سنة ١٢٩٨هـ/٩ أغسطس ١٨٨١م.

٤ – مسجد العرب قبل سنة ٩٩٤هـ/١٥٨٦م

يقع هذا المسجد على رأس الشارع الرئيسي بمدينة رشيد، وهو شارع دهليز الملك، الذي تطلق عليه وثائق رشيد "*الشارع الأعظم*"، وعرف أيضاً في فترة من الفترات باسم شارع *أولاد عناية*" وهى الفترة التي تولوا فيها نظارة أوقاف مسجد العرب، ويحوي هذا الشارع أكبر مجموعة أثرية قائمة متجاورة حتى الآن بمدينة رشيد، ويعرف هذا المسجد حالياً باسم "*مسجد العرابي*" ومؤرخ بسنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م حسب اللوحة الخشبية التي تعلو المدخل الشمالي للمسجد، وتحمل أسم "*الحاج خليل بن الحاج إبراهيم*"، غير أنه بعد إطلاعنا على وثائق المدينة التي ترجع إلى العصر العثماني وجدنا أنها تثبت أن المسجد أقدم من هذا التاريخ بكثير، وأن تاريخ سنة ١٢١٩هـ لا يعدو كونه تاريخ تجديدات قام بها الحاج خليل المذكور وسجله على اللوحة التي اعتمد عليها في تأريخ هذا المسجد، ومن أقدم الوثائق التي ذكرته وثيقة ترجع إلى سنة ٩٩٤هـ، وهى وثيقة إيجار صادرة من الحاج سلامة بن أبي عناية الناظر على أوقاف المسجد وتحدد موقعه أنه "*الكائن غربي الثغر المعروف بمسجد العرب*"[١].

وتحدد وثيقة شراء أخرى موقعه بشكل أكثر دقة وهو يتفق مع الموقع الحالي للمسجد، حين تذكر عنوان المكان المشترى بأنه "*بالجهة الغربية من الجهة الوسطى بخط مسجد العرب*"[٢]، ومنها يبدو أن الشارع الذي يقع به هذا المسجد عرف باسمه.

ومن الوثائق الطريفة التي ترجع إلى أواخر القرن ١٠هـ/١٦م وتخص هذا المسجد تلك الوثيقة التي تحوي دعوى أقامها ناظر أوقاف المسجد وجماعة من سكان الخط والمصلين والمارين "*بالشارع الأعظم المعروف بأولاد أبي عناية*" إلى قاضي المدينة: "(س٦) *وشكوا وتضرروا من جماعة القلابين والحبالين الذين يكسروا الحبال بالشارع المذكور وعلى باب المسجد المذكور وممن ينشر السرجين*[٣] *بالقرب من المسجد وأن ذلك جميعه/ مما يضر الجار والمار ويؤذي المصلين بالمسجد المذكور ويذهب*

---

١ ـ ١٤،١١٠٨،٣٠٤، بتاريخ ١٠ ذي القعدة سنة ٩٩٤هـ/٢٣ أكتوبر ١٥٨٦م.

٢ ـ ١٦،١٣١،٣٥-٣٦، بتاريخ ٢٣ محرم سنة ٩٩٦هـ/٢٤ ديسمبر ١٥٨٧م؛ ١٨،٩٢٥،٢٧١، بتاريخ ١٩ شوال سنة ٩٩٩هـ/١٠ أغسطس ١٥٩١م، فقد ورد بها نفس التحديد، وهى عبارة عن دعوى من ناظر أوقافه الحاج سلامة بن علي الشهير بابن أبي عناية الرشيدي على أشخاص اعتدوا على قدسية المسجد.

٣ ـ السرجين والسرقين كلمة من أصل لاتيني stercus وتعرف في الايطالية sterco وهو الزبل والفرت والدمن. أنظر: طوبيا العنبسي: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، ص٣٥. وقد كانت هذه المواد تستخدم في صناعة النشادر التي اشتهرت بها رشيد. راجع ما يخص معامل النشادر فيما سبق.

بخشوعهم من رفع أصوات الحبالين والقلابين على المصلين وان الريح تهب على الشرجين فتلقيه بالمسجد/ المذكور فيتخصر بسببه ذلك وحصل بذلك الضرر والتأذي لجماعة المسجد المذكور وللمارين بالشارع المذكور لضيقه ممن يكسرون الحبال به وسألوا من مولانا المشار/ إليه أعلاه منع جماعة الكسارين ومن ينشر السرجين بالشارع المذكور دفعاً للضرر والأذى عن المسلمين فعند ذلك استخار الله ../ .. ومنع جماعة القلابين والحبالين ومن ينشر السرجين بالشارع المذكور من كسر الحبال ونشر السرجين لعموم الضرر والأذى بذلك وتكرر/ الشكوى بسبب ذلك من أهالي الخط المذكور والمارين به منعا شرعيا بالطريق الشرعي وأمر باجهار النداء بذلك بالخط المذكور ومتى قام أحد من جماعة الكسارين ومن ينشر/ السرجين هناك وخالف الأمر المذكور كان عليه ما يراه ولي الأمر في ذلك بالشرع الشريف والقانون المنيف وعلى ما جرى وقع التحرير وكتب ذلك ضبطا لواقع وبه شهد"[1].

أما عن وثائق القرن ١١هـ/١٧م فقد وجدنا وثيقة هامة فريدة خاصة بإجراء ترميم به بدأ في سنة ١٠٧٥هـ/٦٤-١٦٦٥م وانتهى سنة ١٠٧٧هـ/٦٦-١٦٦٧م على يد ناظره الشرعي، ونصها: ثبت لدى سيدنا ومولانا أقضى القضاة .. معرفة المسجد الكائن غربي الثغر المرقوم المعروف بمسجد العرب ومعرفة أماكنه الموقوفة عليه الكائنة بالثغر المرقوم أعلاه المشمول ذلك بنظر الشريف محمد بن الشريف محمد أيضا الشهير نسبه/ بأبي مرسي المعرفة الشرعية .. وأن السيد محمد الناظر المذكور أصرف من مال نفسه بالإذن الشرعي له من موالينا حكام الشريعة بالثغر سابقا على عمارة المسجد المذكور وأماكنه/ الموقوفة عليه في ثمن طوب وجير ورماد وأجرة بنائين وفعلاً وثمن أخشاب ومسمار وغير ذلك من الأمور اللازمة لجهة المسجد المذكور في مدة ثلاث سنوات أولها سنة خمس/ وسبعين وغايتها سنة سبع وسبعين وألف مبلغا قدره من الأنصاف الفضة العددية ثلاثة آلاف نصف فلوسا نحاسا وأربعون نصف فلوسا نحاسا حسبما/ شهد بذلك المحاسبة المسطرة من محكمة الثغر المرقوم المخلدة تحت يده وصار المبلغ المرقوم دينا له بشهادة كل من المعلم بدر الدين بن أحمد شيخ طايفة البنائين/ والمهندسين بالثغر المرقوم والمعلم محمد بن محمد المعروف بالقط البناء بالثغر المرقوم المؤديين بشهادتهم

---

١ _ ٧٧٢-٢٧٦،٩٤٣،١٨، بتاريخ ٢٢ شوال سنة ٩٩٩هـ/١٣ أغسطس ١٥٩١م.

بذلك التأدية الشرعية ثبوتا شرعيا وبمقتضى ذلك/ إذن مولانا أفندي المشار إليه بأعاليه السيد محمد الناظر المذكور أعلاه أن يستوفي المبلغ المذكور من غلة أماكن الوقف"[1].

٥ - مسجد علي المحلي حوالي سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٦م

ذكر ابن تغري بردي أن وفاة القاضي شهاب الدين أحمد المحلي الشافعي قاضي الإسكندرية، كانت بقرب ادكو بالمزاحمتين في ليلة الثلاثاء ١٣ جمادى الآخر سنة ٨٦٠هـ/١٩ مايو ١٤٥٦م ودفن برشيد[2]، أي أنه كان هناك مكانا دفن به في هذا الوقت، ولا يزال مدفنه داخل المسجد الذي نحن بصدده والمعروف به حتى الآن، على أننا وجدنا أسم هذا المسجد بالوثائق التي ترجع إلى العصر العثماني يحمل أسم "*نور الدين علي المحلي*" أو "*المحلاوي*"، وربما كان هذا الشيخ من ذرية الشيخ أحمد السالف الذكر.

ويقع هذا المسجد وسط المدينة الآن وقد أرخ قبل إجراء دراستنا هذه بسنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م، غير أننا عثرنا على العديد من الوثائق التي تشير إلى هذا المسجد أقدم من ذلك التاريخ بكثير[3]، بل انه وجد بالوثائق بداية من منتصف القرن ١٠هـ/١٦م[4] عند تحديد مواقع الأماكن بهذه المدينة كانت تحدد به كعلم للمنطقة المحيطة به، وجدنا أيضا وثيقة وقف ترجع إلى سنة ٩٩٠هـ/١٥٨٢م وقفت صاحبتها دارا على أن يؤول ريعها إلى ثلاثة مساجد منها هذا المسجد[5]، كما وجدنا أيضا وثيقة ترجع إلى أخر القرن ١٠هـ/١٦م وقفت صاحبتها جزء من ريع مبنى لها على قراء قرآن بهذا المسجد، كما حددت موقعه مع تحديد مبناها بأنه "*بالجهة البحرية بالقرب من مقام سيدنا العارف بالله تعالى الشيخ علي المحلاوي*"[6].

أما في القرن ١١هـ/١٧م فقد وجدنا وثيقة هامة ترجع إلى بدايته تشير إلى إصلاحات وترميمات به بالإضافة إلى حصر ريع أوقافه من أراضي وعقارات[7].

---

١ - ٣٦٩،٥٩٣،٧٨، ٣٠ ذي القعدة سنة ١٠٧٨هـ/١٢ مايو ١٦٦٨م.

٢ - ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٨١. على انه البعض ذكر أنه مات سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م، أنظر: هيئة الآثار المصرية: آثار رشيد.

٣ - وثيقة رقم ٣١٧-دار الوثائق؛ وثيقة رقم ١١٧٦-أوقاف، أنظر الجزء الخاص بالمنشآت التجارية من هذه الدراسة.

٤ - ٢٩٠،١٠٣٤،١٢، بتاريخ ٢٣ رجب سنة ٩٩٠هـ/١٣ أغسطس ١٥٨٢م.

٥ - أرشيف الشهر العقاري بالقاهرة: محكمة الصالحية النجمية، س٤٨٢، م٨٨٧، ص٣٧٩-٣٨٠.

٦ - ١٦٢،٥٥٨،١٨-١٦٣، بتاريخ ١٩ شعبان سنة ٩٩٩هـ/١٢ يونيو ١٥٩١م.

٧ - ٤٤٩،١٤٧٥،٢١، بتاريخ ٢ ذي الحجة سنة ١٠٠٣هـ/٨ أغسطس ١٥٩٥م.

٦ – مسجد قصر فيروز الصلاحي قبل سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥م

لا نعرف على وجه التحديد من هو فيروز الصلاحي، وإن كان من المرجح أنه هو *فيروز الرومي العرامي*" نسبة للغرس خليل بن عرام نائب إسكندرية، حيث ذكر السخاوي أنه "*عمر دهرا طويلا وأنشأ برجا بثغر رشيد ووقف عليه وقفا*" وانه "*مات بالقاهرة في حدود الخمسين*" أي سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦-١٤٤٧م[١]، وقد أثبتنا من خلال وثائق رشيد التي ترجع إلى العصر العثماني أن الأمير فيروز الصلاحي هذا كان يملك قصرا كبيرا كان يقع جنوب رشيد، فقد وجدنا أول ذكر له في الوثائق في وثيقة إيجار وكالة بالجهة الجنوبية بجوار قصر فيرز الصلاحي ترجع إلى سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥م[٢]، كما ورد في وثيقة أخرى خاصة بتعيين ناظر وقف جديد على قصر فيروز الصلاحي وعلى أوقافه ترجع إلى سنة ٩٨٩هـ/١٥٨١م، نصها:

"*أشهد على نفسه الكريمة .. سيدنا ومولانا أقضا قضاة المسلمين ../ .. مولانا أفندي مصلح الدين مصطفى الناظر في الأحكام/ الشرعية والقضية الدينية والتعلقات السلطانية بالثغر المذكور ../ الأشهاد الشرعي أنه أقام الحاج .. زين الدين صفر بن المرحوم الحاج حسن المعروف بالحمامي ناظرا شرعيا على المكان الكائن بالثغر/ بالجهة القبلية المعروف بقصر فيروز الصلاحي وعلى أوقافه عوضا عن المرحوم الأمير حرز sic بيكري بسبب وفاته وعين غيره ..*"[٣].

وأشارت وثيقة أخرى معاصرة للوثيقة السابقة إلى أن هناك "مسجد بقصر فيروز الصلاحي"، نصها: *أشهد عليه كل من مولانا .. الشيخ الإمام .. كمال الدين الشهير نسبه الكريم بالرحماني شيخ الإفتاء والتدريس بالثغر المذكور و.. الشيخ الإمام العالم/ .. محيي الدين أبي عبد الله محمد الرشيدي الشافعي نائب الحكم العزيز بالثغر .. والزيني جعفر بن عبد الله الأستدار بخدمة المرحوم قدوة الأمراء الكرام حرم بيك أمير الحاج/ بالديار المصرية كان تغمده الله برحمته .. ومن يذكر فيه شهودهم الأشهاد الشرعي .. أنهم قبضوا واستوفوا من الحاج ../ صفر بن الحاج حسن المعروف بالحمامي مستأجر أراضي العزبة الكائنة بالبر الشرقي الجارية في الوقف على المسجد بقصر فيروز*

---

١ ـ السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٧٦.

٢ ـ ١١٩،٤٧٩،٧، بتاريخ ٢٦ رجب سنة ٩٨٣هـ/٣١ أكتوبر ١٥٧٥م.

٣ ـ ٣٩،١٨١،١١، بتاريخ ٦ شعبان سنة ٩٨٩هـ/٥ سبتمبر ١٥٨١م.

الصلاحي الكائن بالثغر مبلغا وقدره"[1].

وجدنا أيضا وثيقة أخرى تفسر لنا ذلك الغموض، إذ يبدو أن قصر فيروز كان قد تهدمت بعض أجزائه وتخربت وهجر، فاستطاع قاضي القضاة بمدينة رشيد في ذلك الوقت استصدار أمرا من الباشا العثماني بالقاهرة وهو أويس باشا – تولى من سنة ٩٩٤-٩٩٩هـ/١٥٨٥-١٥٩٠م– بتحويل هذا القصر كله إلى مسجد، وليس من المستغرب أن تشير الوثائق السابقة على هذا القرار بعدة سنوات إلى *المسجد بقصر فيروز الصلاحي*" أو "*مسجد فيروز الصلاحي*" إذ يبدو أن قضاة رشيد قد أجازوا استخدامه مسجدا ومدرسة، ورتبوا له الطلبة وأرباب الوظائف وأنفقوا عليهم من ريع أوقاف فيروز ومنها العزبة المذكورة سابقا، أو أن يكون فيروز نفسه قد شرط في وقفه الأصلي –الذي لم نجده– أن يوقف القصر كمسجد ومدرسة بعد وفاته كما كان يحدث في الكثير من القصور والبيوت في عصره، ثم استصدر بعد ذلك الأمر بهدم الأجزاء المتخربة وتأسيس مسجد مكانها، ونص الوثيقة كالآتي:

"*بعد أن أعرض مولانا قاضي القضاة الناظر في الأحكام الشرعية بالثغر المذكور وعمله .. لمولانا الباشا دامت/ منزلته وزهت عظمته في أمر القصر الكائن قبلي الثغر المعروف بوقف المرحوم فيروز الصلاحي وأنه متهدم أعلاه ومشرف/ على السقوط وبرز الأمر العالي بجعله مسجدا ينتفع به للصلاة والتدريس والعلم والاعتكاف وغير ذلك وبرز الأمر العالي/ إهدم ما لا ينتفع به منه وعمارة المسجد وإنشائه لتتضاعف الأدعية الصالحة في الصحائف الشريفة ثم العالية/ ثم في ثاني عشرين تاريخه نقل مولانا أفندي المشار إليه ركابه السعيد إلى القصر المذكور ومعه جماعة مستكثرة من المسلمين وجماعة من/ أكابر البنائين الحاج أبي بكر وغيره وكشفوه الكشف الشافي المبرئ للذمة فرأوه مشرفا على السقوط من أعاليه وشرع في عمارته مسجدا وذلك بحضور الشيخ شمس الدين المدرس بالمكان المذكور وطلبته وأرباب وظائفه/ وغيرهم من المسلمين من أهل الثغر وغيره من يوم تاريخه ..*"[2].

ثم يتوالى بعد ذلك ذكر هذا المسجد أو القصر أو المدرسة في الوثائق، منها ما وجدناه في وثيقة وقف لعدة أماكن "*بالجهة القبلية بالقرب من سوق الغلال*"، وتحدد مكان

---

١ ـ ٨٣،٣٨٣،١١، بتاريخ ١٥ رمضان سنة ٩٨٩هـ/١٣ أكتوبر ١٥٨١م.

٢ ـ ٢٥٥،١٤٤٥،١٥، بتاريخ ١٣ رجب سنة ٩٩٥هـ/١٩ يونيو ١٥٨٧م.

كل منهم[1] بأنه "*بالقرب من المسجد المعروف بالمرحوم فيروز الصلاحي*"، أي أنه في المنطقة التي يقع بها مسجد زغلول حاليا.

عثرنا كذلك على وثيقة أخرى هامة خاصة بترميم هذا المسجد سنة ١٠٢٠هـ/١٦١٢م، يستفاد منها عن وجود قبة بهذا المسجد، ولا ندري هل هي قبة ضريح، أم قبة تتقدم المحراب أو المجاز؟ خاصة وأننا عرفنا أن فيروز مات بالقاهرة، كما أن الوثائق السابقة لم تشير إلى دفن أحد الأولياء به، ونص وثيقة الترميم كالآتي:

"سبب تحرير الحروف وموجب تسطير الصنوف هو أنه لمجلس الشرع الشريف ومحفل الدين المنيف بثغر رشيد المحروس .. لدى سيدنا ومولانا المتمسك/ بلطف الله .. أقضى القضاة أفندي حسن التميمي الجنيدي الحنفي الداري الناظر في الأحكام الشرعية والقضايا الدينية والأنظار الحكمية والتعلقات السلطانية/ بالثغر المذكور وتوابعه .. حضر مولانا الشيخ .. زين الدين مفتي المسلمين/ .. أبو المكارم منصور الرشيدي الأزهري الشافعي خليفة الحكم العزيز بالثغر .. وعلى يده بـرآة شريفة خاقانية .. عرض/ مولانا أقضى القضاة أفندي محمود الحاكم الشرعي سابقا بالثغر المذكور مؤرخة بالخامس من شهر جمادى الأولى سنة تاريخه متضمنة لما برزت به الأوامر الشريفة من الإنعام على مولانا الشيخ زين الدين/ منصور .. بوظيفة النظر على المسجد المعروف بالقصر الكائن قبلي الثغر وأخبر أن وظيفة النظر المذكورة معطلة بمقتضى أن الناظرين عليه سابقا هما الشيخ أحمد ابن المرحوم الحاج محمد كوكر والحاج/ سلامة ابن الحاج فرج المغربي مقصران في وظيفة النظر المذكورة وأن بناء المسجد المذكور محتاج للترميم والبياض وتبليط المجاز وترميم العتبة وسأل في الكشف عليه فأجيب لذلك ووجد صحبته/ من عدول محكمة الثغر من سيكتب اسمه فيه آخره إلى حيث المسجد المذكور وكشف عليه بمعرفة المعلم يوسف المعروف بابن لقيمة البناء بالثغر كشفا شافيا فوجد بناء المسجد المذكور من الجهة القبلية والجهة الشرقية محتاجا/ للعمارة والترميم والبياض ووجد مجازه محتاجا للتبليط وعتبته محتاجة للعمارة والترميم فأخبر المعلم يوسف المذكور أعلاه ووجد فوق سقفه نحو ثلاثمائة جريدة مخوص مفروشة/ للتسقيف وبداخله مواجر وشوالي فخار ملقاة بالجانب البحري منه وبها إزالة البناء ووجد غير مفروش فحافظ وأخبروا بذلك إخبارا مرعيا ثم بعد ذلك وبنحو عشرة أيام/ حضر مولانا

[1] ـ ٢٣٣،٧٦٢،٢٤، بتاريخ ٢١ شوال سنة ١٠٠٦هـ/٢٧ مايو ١٥٩٨م.

الشيخ زين الدين منصور المشار إليه وأخبر مولانا أفندي المومى إليه أعلاه دام عــلاه أن المسجد المذكور مقفول في غالب أوقات الصلوات متعطل الشعائر/ وسأل في الكشف عليه فأجابه مولانا أفندي المومى إليه لذلك ونقل ركابه السعيد وصحبتــه مــن عــدول محكمة الثغر من سيكتب أسيمه فيه آخره إلى حيث المسجد المذكور في وقــت صــلاة الظهر/ فوجد بابه مقفولا بالضبة ولم يوجد من يفتحه فغشيت ضبته وكشف عليه ثانيــا بمعرفة المعلم يوسف المذكور أعلاه فوجده بالصفة المشروحة أعلاه محتاجا بناؤه فــي الجهة القبلية/ والجهة الشرقية إلى الترميم والبياض وترميم العتبة وتبليط المجــاز كمــا شرح أعلاه هذا ما دل عليه الكشف المذكور فيه وكتب ذلك .. للواقــع لــيراجع عنــد الاحتياج إليه/ والسؤال عنه ويعرض على من له الأمر فيه تحريرا في السابع والعشرين من شهر شوال سنة عشرين بعد الألف (أول يناير ١٦١٢م) *من الهجرة النبوية وحسـبنا الله ونعم الوكيل*"[1].

وجدنا كذلك وثيقة هامة خاصة بضبط وتحرير متحصلات ريع أوقاف فيروز الصلاحي وتذكرها وتحدد أماكنها، كما تذكر توزيع هذا الريع نقدا على موظفــي المســجد المذكــور، وتشير إلى أجر كلا منهم، وهم: ٢ في وظيفة الإفتاء والتدريس، ٢ في وظيفــة الإعــادة و٣ مفتين، ومؤقت، وإمام وبواب، وفراش، ووقاد، ومؤذن، وخطيب، ومرقي، وطلبة[2].

٧ – مسجد برسباي قبل سنة ٩٩٠هـ/١٥٨٢م

كان يقع شمالي مدينة رشيد، ورد ذكره في العديــد مــن الوثــائق التــي ترجــع إلــى القرن ١٠هـ/١٦م، ويطلق عليه أحيانا "مسجد برسباي" وأحيانا أخرى *قبة برسباي*"، وكــان هذا المسجد معلقا، إذ تشير وثيقة تعيين إمام له إلى وجود حواصل أسفل المسجد، ونصها:

أشهد عليه الشيخ نور الدين علي بن مولانا الشيخ .. أبي عبد الله محمد الشهير نســبه الكريم بالرحماني .. شهوده الأشهاد الشرعي في صحة أوصافه/ المعتبرة شرعا أنه أقام الشيخ الفاضل القاري ياسين بن الشيخ أحمد بن عبد الله المنوفي إماما راتبــا بالمســجد الكائن بحري الثغر المعمور بذكر الله تعالى المعروف بــالمرحوم برســباي تغمــده الله برحمته/ يصلي بالمسلمين إماما في أوقات الصلوات الخمس وينوب عنهما في وظيفــة الآذان والفراشة والوقادة والبوابة بالمسجد المذكور على جاري عادتهما في ذلك وجعــلا

---

١ ـ ٢٤٧،١٠٢١،٢، بتاريخ ٣٠ شوال سنة ١٠٢٠هـ/٤ يناير ١٦١٢م.

٢ ـ ٤٣٠،١٢٣٨،٥٠، في شهر رمضان سنة ١٠٤٢هـ/مارس-ابريل ١٦٣٢م.

له في نظير ذلك ما يتحصل من أجرة الحواصل/ الكائنة سفل المسجد المذكور وأذنه في قبض أجرة ذلك ممن يكن ساكنا بهم إذنا شرعيا وقبل ذلك لنفسه الشيخ ياسين المذكور قبولا شرعيا وبه شهد .."[1].

كما ورد ذكره باسم "قبة" في وثيقة إيجار بياض أرض غيط *الكائن بحري الثغر بالقرب من البرج وقبة بارسباي*"[2]، وكذلك في وثيقة تنازل أحد الشيوخ لولديه عن وظائف في *قبة المرحوم برسباي*"، ونصها: "أشهد على نفسه الزكية سيدنا ومولانا أقضى قضاة الإسلام .. أفندي السيد الشريف محمد الناظر في الأحكام الشرعية بالثغر/ .. شهوده الأشهاد الشرعي أنه قرر الشيخ .. علم الدين سليمان وأخيه لأبيه الشيخ .. برهان الدين إبراهيم ابني سيدنا/ ومولانا .. الشيخ .. كمال الدين صدر المدرسين عمدة المحققين أبي عبد الله محمد بن المرحوم .. علاي الدين/ الحنفي المفتي بالثغر المذكور من والدهما المشار إليه .. في الثلث من المزملة بصهريج المسجد المعمور بذكر الله تعالى المعروف بالرباط بموجب شرط واقفه/ وفي الثلث من وظائف قبة المرحوم برسباي تغمده الله برحمته الكائنة بحري الثغر المعلوم ذلك علما شرعيا بالسوية بينهما .."[3].

ورد بعد ذلك ذكر هذا المسجد باسم *المسجد المعمور بذكر الله تعالى الكائن بحري الثغر المعروف بالمرحوم بارسباي ويعرف بالقبة*"[4]، كما عرف باسم "*زاوية قبة برسباي*"[5].

كان لبرسباي هذا أوقاف عديدة بمدينة رشيد، وكانت تحديدا في شمال المدينة[6]، كما يبدو أن أوقاف كل من برسباي وفيروز الصلاحي السابق الذكر كانت ترجع إلى العصر المملوكي، إذ عثرنا على وثيقة خاصة بتقرير "*زين الدين منصور بن المعلم عبد اللطيف الرشيدي الشافعي*"، بالإضافة إلى قاضي رشيد ناظرين شرعيين على أوقاف كل منهما[7]، مما يؤكد أن كلا منهما كان من غير وريث أو انقرضت ذريتهما فآلت أملاكهما إلى

---

١ ـ ٢٢٨،٨٢٧،١٢، بتاريخ ١٨ جمادى الأولى سنة ٩٩٠هـ/١٠ يونيو ١٥٨٢م.

٢ ـ ٧٩،٣٠٥،١٤، بتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ٩٩٤هـ/٢٤ فبراير ١٥٨٦م.

٣ ـ ٤٩،١٧١،١٨، بتاريخ ٢٠ جمادى الآخرة سنة ٩٩٩هـ/١٥ ابريل ١٥٩١م.

٤ ـ ٥٤٢،١٨٥٩،٢٤، بتاريخ ٧ جمادى الآخرة سنة ١٠٠٧هـ/٥ يناير ١٥٩٩م.

٥ ـ ١٣٣،١٦٩،٧٨، بتاريخ ١١ ذي القعدة سنة ١٠٧٨هـ/٢٣ ابريل ١٦٦٨م.

٦ ـ ٢٥٣،٨٣٧،٢١، بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ١٠٠٣هـ/٣٠ أغسطس ١٥٩٥م.

٧ ـ ٥٤٢،١٨٥٩،٢٤، بتاريخ ٧ جمادى الآخرة سنة ١٠٠٧هـ/٥ يناير ١٥٩٩م.

القاضي الشافعي وديوان المواريث الحشرية[1]، يؤكد ذلك أيضا وثيقة أخرى متعلقة بتعيين ناظر على هذا المسجد وأوقافه بأمر شريف من الديوان العالي مباشرة، ونصها: *لدى مولانا الناظر في الأحكام الشرعية والتعلقات السلطانية بالثغر المرقوم .. حضر صدر المدرسين زين الدين عبد الرحمن الحنفي وبيده بيورلدي/ شريف من الديوان العالي بمصر المحروسة مؤرخ بثالث شهر القعدة سنة تاريخه متضمن تقرير/ مولانا الشيخ عبد الرحمن المذكور في وظيفة النظر والتحدث على الرواقين الكائنين بحري الثغر المرقوم المعروفة إحداهما بزاوية السعدية والمعروفة أخراهما/ بزاوية قبة برسباي وعلى أوقافهما المنسوبة إليهما شرعا والمتضمن البيورلدي المذكور أعلاه أيضا بعزل السيد الشريف أحمد جوربجي بن السيد عبد الفتاح مستحفظان من النظر/ على الزاويتين المذكورتين أعلاه ومنعه من معارضة مولانا الشيخ عبد الرحمن المشار إليه ..*"[2].

٨ – مسجد الاتفيني قبل سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٥م

كان بالجهة الشمالية من المدينة ولا يزال موجودا حتى الآن، وان دخلت عليه بعض الإصلاحات والتجديدات، ورد ذكره في عدة وثائق وقف أصحابها أماكن للصرف عليه، وجاء أسمه بشكلين، الأول *المسجد الكائن بحري الثغر المعروف بمسجد أولاد الاتفيني*"[3]، والثاني *الجامع الكائن بحري الثغر المعروف بالادفيني*"[4].

١ ـ د.محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص٩٣.
٢ ـ ١٣٣،١٦٩،٧٨، بتاريخ ١١ ذي القعدة سنة ١٠٧٨هـ/٢٣ ابريل ١٦٦٨م.
٣ ـ ٤٧،١٥٩،٢١، بتاريخ ١٣ رمضان سنة ١٠٠٣هـ/٢٢ مايو ١٥٩٥م.
٤ ـ ٣٧٠،٥٩٦،٧٨، بتاريخ ٣٠ ذي القعدة سنة ١٠٧٨هـ/١٢ مايو ١٦٦٨م.

٣ - المنشآت التجارية

أولا: الوكالات

لعل من أهم النتائج التي كشفت عنها دراستنا لوثائق هذه المدينة ذلك العدد الضخم من الوكالات المنتشرة في جميع أرجاء المدينة، وخاصة في جهتها الشمالية والشمالية الشرقية، حيث يطل العديد منها على النيل مباشرة حتى يمكن إتمام عمليات شحن أو تفريغ البضائع بسهولة[١]، وينسب العديد من هذه الوكالات إلى أصحابها، بينما ينسب بعضها الآخر إلى أنواع التجارة التي خصصت لها، وتشير أسماء تلك الوكالات إلى امتلاك العديد من وزراء (باشوات) مصر في العصر العثماني لوكالات برشيد، ربما لقيامهم بدور تجاري، أو احتكارهم لتجارة معينة، أو للعائد المادي الكبير الذي تدره تلك الوكالات في ميناء تجاري هام مثل رشيد، ونذكر من تلك الوكالات ما يأتي:

١ - وكالة وقف سليمان باشا

بنى سليمان باشا الخادم الذي تولى حكم مصر مرتين أولهما سنة ٩٣١-٩٤١هـ/١٥٢٥-١٥٣٥م، والفترة الثانية سنة ٩٤٣-٩٤٥هـ/١٥٣٦-١٥٣٨م، وقد تضمنت وثيقة وقفه[٢] المؤرخة بأول رجب سنة ٩٣٦هـ/١ مارس ١٥٣٠م وصفا لوكالتين أنشأهما بحري الثغر، وقد وصفتهما الوثيقة كما يلي:

"(ص٢٢س١٠) .. *وجميع بناء المكان/ الكائن بثغر رشيد المحروسة بالجهة البحرية منها الذي أنشأه وعمره مولانا الواقف/ المنوه باسمه الكريم أعلاه .. على أربع قطع أرض حاملة متلاصقة/ جارية في إيجاره بمستندات شرعية ثابتة .. المشتمل بناء المكان/ المذكور بدلالة المستند الآتي ذكره فيه على وكالتين ومسجد ومنار وصهريج ومزملة/ وميضأة ومنافع وحقوق فالوكالة الأولى وهى القبلية تشتمل على بابين متقابلين/ مربعين يغلق على كل منهما زوجا باب خشبا نقيا مطبقا بالجميز بعتبة سفلى صوانا/ وعليا حجرا مشهرا مبني كل منهما بالحجر الفص الطراوي النحيت يدخل من كل منهما إلى دهليز* (ص٢٣) *معقود بالحجر الفص النحيت بكل من الدهليزين المذكورين مسطبتان متقابلتان/ فأحد البابين المذكورين بالواجهة الشرقية على بحر النيل المبارك والثاني*

---

١ ـ أنظر خريطة القرن ١٦م.

٢ ـ وثيقة رقم ١٠٧٤-أوقاف.

بالواجهة/ الغربية مبنية بالحجر الفص النحيت الطراوي بها صحف وحرمدانات حجرا أحمر وماوردة/ حجرا يتوصل من البابين المذكورين إلى ساحة الوكالة المذكورة ومن الشرقي إلى بحر النيل/ المبارك ومن الغربي إلى الشارع الأعظم بدايرها إحدى وعشرون حاصلا بأبواب/ مقنطرة وأعتاب حجرا صوانا وأكتاف وقناطر مبنية بالحجر يغلق على كل منها فردة باب/ خشبا نقيا معقودة الحواصل المذكورة بالطوب الآجر وبها خمسة بيوت راحة يتوصل/ إليها من ساحة الوكالة المذكورة وثلاث مدارات سلم حجرا أحمر نحيتا يصعد منها إلى علو/ الوكالة المذكورة يتوصل منها إلى خمسة وعشرين مسكنا مركبة على الحواصل المذكورة والدهليزين/ مبنية بالطوب الآجر بكل منها مرحاض ومطبخ وأسطوانة ومنافع ومرافق وحقوق/ يغلق على كل منها بابان أحدهما بأوله والثاني على بقية منافعه وحقوقه وبصدر كل/ مسكن منها ثلاث شبابيك بعضها مطل على البحر وبعضها مطل على الشارع المذكورين أعلاه/ وبالجهة الغربية من الوكالة المذكورة من جهتها القبلية ركبة مبعضة ذرعها مقبلا/ مبحرا اثنان وعشرون ذراعا ومشرقا مغربا أحد عشر ذراعا بذراع البناء مشتملة الركبة/ المذكورة على واجهة غربية مبنية بالحجر الفص النحيت بها خمسة حواصل بأبواب مقنطرة/ وأعتاب حجرا صوانا يغلق على كل منها فردة باب خشبا نقيا يعلو كل باب منها شباكان/ حديدا برسم النور معقودة الحواصل الخمسة المذكورة بالطوب الآجر والمؤن يعلو الواجهة (ص٢٤) المذكورة صحف وحرمدانات وماوردة حجرا يعلو الحواصل الخمسة المذكورة خمسة/ مساكن مبنية معقودة بالطوب الآجر والمؤنة مطلة على الشارع الأعظم يشتمل كل منها/ على ما اشتملت عليه المساكن المذكورة أولا يصعد إلى المساكن الخمسة المذكورة من عقد سلم/ بالشارع القبلي الآتي ذكره فيه يغلق عليه فردة باب خشبا نقيا مفروش أرض دهليزي/ الوكالة المذكورة وساحتها وحواصلها والخمسة حواصل المذكورة بالحجر الأحمر النحيت/ ومساكنها الداخلة فيها والخارجة عنها ومجازاتها بالبلاط الكذان وذرع هذه/ الوكالة مع الركبة المذكورة مقبلا مبحرا من الجهة الشرقية من جانب البحر خمسة وخمسون/ ذراعا ومن الجهة الغربية كذلك ومن الجهة القبلية مشرقا مغربا كذلك ومن الجهة/ البحرية مشرقا مغربا أربعة وأربعون ذراعا كل ذلك بذراع البناء وعدة الحواصل/ الداخلة في الوكالة المذكورة والخارجة عنها ستة وعشرون حاصلا وعدة المساكن/ الداخلة فيها والخارجة عنها ثلاثون مسكنا المحصور كامل هذه الوكالة وركبتها/ بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى شارع فاصل بين ذلك وبين وقف ابن وهبية/ وفيه عقد باب السلم الذي يصعد منه إلى

المساكن الخمسة والحد البحري ينتهي/ إلى شارع فاصل بين ذلك وبين الوكالــــة الثانيــة الآتي ذكرها فيه معقود طرفاه بالطوب/ الآجر من الجهة الشرقية والغربية مركــب علـــى كل طرف منهما مسكن من حقوق الوكالة الثانية/ الآتي ذكرها فيه والحد الشرقي ينتــــهي إلى بحر النيل المبارك وفيه إحدى بابي الوكالة/ المذكورة والحد الغربي ينتهي إلى الشارع الأعظم وفيه إحدى بابي الوكالة المذكورة (ص٢٥) وأبواب الحواصل الخمسة والوكالـــة البحرية وهي الثانية تشتمل على ما اشتملت عليه الوكالة/ القبلية المذكورة أعلاه من البابين والدهليزين والمساطب والساحة والمدارات الثلاثة/ والإحدى وعشرين حــاصلا وأبوابــها المقنطرة وأعتابها الصوان وما يغلق على كل منها/ من درف باب خشبا وعلى بيتي راحة برسم الوكالة المذكورة وعلى ثلاثة وعشرين مسكنا/ مركبة على الحواصــل والدهلــيزين بطرفي الشارع المذكور مبنية بالطوب الآجر يشتمل/ كل منها على مـــا اشــتملت عليـــه مساكن الوكالة القبلية من جميع الأوصاف المذكورة أعلاه/ من غـــير زيـــادة ولا نقـــص مفروش أرضها وأرض دهاليزها وحواصلها ومساكنها وأسطواناتها/ ومجازاتها بـــالحجر النحيت ويشتمل المسجد المذكور الملاصق للوكالة البحرية من جهتها الشرقية/ مبحرا على باب مربع يغلق عليه زوجا باب خشبا نقيا وعلى عمودين رخاما يعلوهما ثمـــان/ قنـــاطر مبطن القناطر ست مقالي معقودة بالطوب الآجر وبه خلوتان وثلاث شبابيك/ نحاسا مطلـــة على بحر النيل المبارك ومدار سلم يصعد منه إلى منـــار المســـجد المذكـــور ومشـــتملة/ الميضأة المذكورة أعلاه على خمس بيوت أخلية برسم الراحة بـــأبواب مقنطـــرة معقـــودة بالطوب/ وساحة بها فسقية ماء عذب يجرى إليها من بحر النيل المبارك برســـم الطـــهارة يدخل إليها/ من باب مقنطر يغلق عليها فردة باب بالشارع الآتـــي ذكـــره فيـــه ويشـــتمل الصهريج المذكور/ ومزملته على باب مربع يغلق عليه فردة باب خشبا نقيا يدخل منه إلى دهليز مفروش أرضه/ بالحجر الأحمر يتوصل منه إلى المزملة المذكورة مفروش أرضـها بالرخام الملون بها فسقية برسم/ الماء العذب وشباك نحاسا كبيرا وعتبة رخامـــا ومســـقاه رخاما وخزانة مسبل جدرها (ص٢٦) بالبياض وبجانب المزملة مـــن جهتـــها البحريـــة حاصل بباب يغلق عليه فردة باب/ خشبا معقود الحاصل والمزملة والصـــهريج بـــالطوب الآجر مركب بإعلا المزملة والحاصل/ وبظهر الصهريج ثلاث مساكن تشتمل علـــى مـــا اشتملت عليه المساكن الأول المذكورة أعلاه/ من غير زيادة ولا نقص اثنان منها مطـــلان على الشارع محصور كامل الوكالة (البحرية) المذكورة/ والمسجد والميضأة والصـــهريج والمزملة والحاصل المذكور والمساكن الثلاثة المذكورة أعلاه/ بحدود أربعة الحد القبلـــي

ينتهي إلى الشارع المعقود طرفاه المذكور أعلاه والحد/ البحري ينتهي إلى شارع فاصل بين ذلك وبين دار بيد ورثة الخواجا قاسم ابن الجمال/ وفيه باب المسجد والمطهرة وباب عقد السلم المتوصل منه إلى المساكن الثلاثة المذكورة/ والحد الشرقي ينتهي إلى بحر النيل المبارك وفيه إحدى بابي الوكالة المذكورة والحد/ الغربي ينتهي إلى الشارع الأعظم وفيه الباب والآخر للوكالة المذكورة وباب المزملة والحاصل/ وجملة الحواصل الداخلة في الوكالة المذكورة والخارجة عنها اثنان وعشرون حاصلا وجملة/ المساكن الداخلة في الوكالة المذكورة والمساكن الثلاثة الخارجة عنها ستة وعشرون مسكنا/ لتتمة عدة حواصل الوكالتين المذكورتين والركبة والحاصل الخارج عن الوكالة البحرية/ ومساكنها ومساكن الركبة والمساكن الثلاثة الخارجة عن الوكالة البحرية مايه وأربعة/ وذرع الوكالة البحرية والمسجد والميضأة والصهريج والمزملة والحاصل والمساكن/ الثلاثة الخارجة عنها مقبلا مبحرا من الجهة الشرقية والغربية ستون ذراعا ومشرقا/ مغربا من الجهة القبلية أربعة وأربعون ذراعا كل ذلك بذراع البناء حسبما تضمن ذلك (ص٢٧) المستند الموعود به أعلاه الورق الشامي المحضر لشهوده المؤرخ بالرابع من شهر ربيع/ الأول الشريف سنة تاريخه ".

ذكر المؤرخون أن سليمان باشا أوقف على التكية التي بناها بالقاهرة وعلى المسجد الذي بناه ببولاق *أوقافا كثيرة من جملتها سوق الكتان الذي ببولاق ورشيد*"[١]، وقد كشفت لنا الوثائق بعد ذلك أن تلك الوكالة خصصت لتجارة الكتان، حيث أطلق عليها "وكالة الكتان"، وورد ذكرها في وثائق مبايعات كتان خاصة بسماسرة هذا الصنف من التجارة ترجع إلى سنة ١٠٠٣هـ/٢٢ يونيه ١٥٩٥م[٢].

وقد ظلت هذه الوكالة قائمة حتى الربع الأخير من القرن ١٩م، إذ وردت ضمن حدود وكالة أخرى في وثيقة مؤرخة في ١٦ فبراير سنة ١٨٨٢م[٣].

٢ – وكالة وقيسارية الوزير علي باشا

تقع هذه الوكالة بالجهة البحرية من الثغر ضمن أعيان عديدة تشكل وقف هذا الوزير –تولى الوزير علي باشا الذي ولي على مصر في شعبان سنة ٩٥٦هـ/أغسطس–سبتمبر ١٥٤٩م–، فبالإضافة إلى الوكالة المذكورة كان هناك ربع وساحة وقيسارية وبعض البيوت،

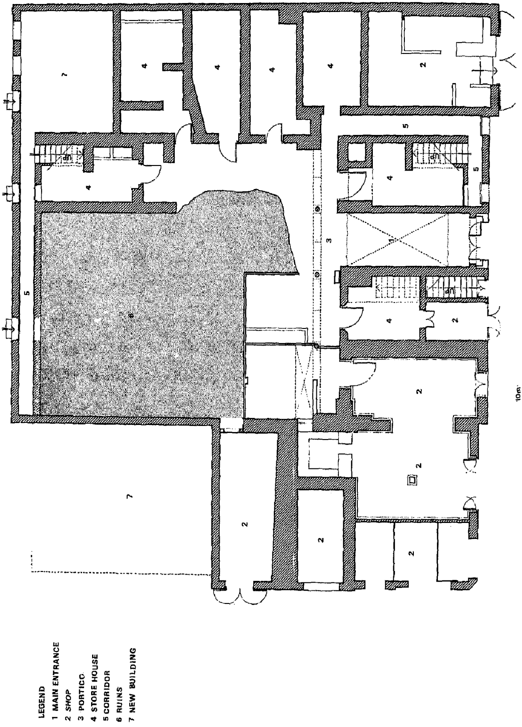
---

١ ـ أحمد شلبي بن عبد الغني: أوضح الإشارات، ص١٠٧–١٠٨.

٢ ـ ٢١، ١٤٣، ٤٥٩.

٣ ـ محفوظات، ٢٨، ١٧٣، ١٩.

(شكل رقم ٥، مسقط أفقي لوكالة علي باشا)



"جدد في رشيد عمارة كبيرة من خانات وحوانيت"[1]، وقد ورد بوثيقة إيجار هذه الوكالة أنها تشتمل على حواصل وطباق وحوانيت ومقاعد، وأن القيسارية المجاورة للوكالة المذكورة تشتمل إجمالا على حوانيت داخلها وخارجها ومقاعد وساحة تتقدمها من الجهة الشرقية، وقد بلغ إيجار هذه المنشأة سنة ٩٩٩هـ/١٥٩١م، ٥٨٠ دينارا[2]، كما بلغت القيمة الايجارية لأحد حوانيت هذه الوكالة لمدة ستة أشهر ١٥ نصف فضة[3]. وتشير إحدى وثائق القرن ١١هـ/١٧م[4] إلى أن مصطبة خارج باب تلك الوكالة كانت تؤجر للتجار، كما أن جدران مجاز الوكالة كانت بها خزائن تؤجر، وقد اتبع أسلوب بناء الخزائن بمجاز الوكالة وتأجيرها للتجار في وكالات القاهرة أيضا[5].

٣ – وكالة داود باشا

تولى داود باشا بن عبد الرحمن حكم مصر أحد عشر عاما متصلة، اعتبارا من ١٧ محرم سنة ٩٤٥هـ/١٦ يونيو ١٥٣٨م حتى ربيع الأول سنة ٩٥٦هـ/إبريل ١٥٤٩م، وأنشأ في مصر والحجاز العديد من المنشآت المعمارية المختلفة الأنماط[6]، ومن منشأته المندثرة الوكالة التي نحن بصدد دراستها، فقد وجدنا له حجتي وقف[7] الأولى كتبت في حياته عند امتلاكه لمبنى الوكالة، وتصفه كالآتي:

"(ص١٤س٩) .. *جميع البناء القائم على الأرض المحتكرة الكائن بثغر رشيد المحروس/ بالحارة البحرية بالقرب من مقام سيدنا الشيخ نور الدين علي المحلاوي المشتمل بدلالة مكتوب أصله الشاهد لمولانا/ الواقف المشار إليه فيه بملك ذلك الفصل المسطر بظاهر*

---

١ ـ البكري: المنح الرحمانية، ص١٦٤ ؛ الروضة المأنوسة، ص٨٧ ؛ علي مبارك: الخطط، ج١١، ص٧٥.

٢ ـ ١٨ ، ١٣٩، ٤٨٠، بتاريخ ٨ شعبان سنة ٩٩٩هـ/١ يونيو ١٥٩١م.

٣ ـ ١٨، ٦٦، ١٤٠، بتاريخ ١ رجب سنة ٩٩٩هـ/٢٥ إبريل ١٥٩١م.

٤ ـ ٥٠ ، ٦٨، ١٩٩، بتاريخ ١١ صفر سنة ١٠٤٢هـ/٢٨ أغسطس ١٦٣٢م.

٥ ـ وعلى سبيل المثال وكالة سليمان أغا السلحدار بالقاهرة، وثيقة رقم ١٧٦٨-أوقاف، بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٢٥٢هـ/٢٩ إبريل ١٨٣٦م.

٦ ـ أحمد شلبي بن عبد الغني:أوضح الاشارات، ص١٠٩-١١١.

٧ ـ وثيقة رقم٣٢٧-دار الوثائق، بتاريخ ١٥ شوال سنة ٩٥٧هـ/٢٧ أكتوبر ١٥٥٠م ؛ وثيقة رقم ١١٧٦-أوقاف، بتاريخ ١٥ شوال سنة ٩٧٢هـ/١٦ مايو ١٥٦٥م، وتذكر هذه الوثيقة التي كتبت بعد موت داوود باشا، حيث نتعرف منها أن أحمد أغا كتخدا داوود باشا اشترى أماكن أخرى وهدمها جميعاً وأنشاء وكالة جديدة ووقفها بموجب وصية داوود باشا له قبل وفاته من مبلغ ١٠ آلاف دينار تركها لتعمير أوقافه، ص١٠٢-١٠٥.

المكتوب المذكور المؤرخ بثامن شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وتسعمائة/ الثابت المحكوم فيه من قبل سيدنا الشيخ يحيى القرافي المالكي المشار إليه فيه على منافع ومرافق وحقوق شرعية المحصور بحدود/ أربعة دل عليها المكتوب المذكور فيه الحد القبلي ينتهي إلى الشارع الفاصل بين ذلك وبين المكان المعروف بعمارة المرحوم/ المغفور له سليمان باشا طاب ثراه والحد البحري ينتهي بعضه إلى الشارع المسلوك وبعضه إلى صهريج هناك وإلى أماكن/ بيد ملاكها والحد الشرقي ينتهي إلى بحر النيل المبارك والحد الغربي ينتهي إلى الشارع المسلوك بعضه وباقيه إلى (ص١٥) حواصل بيد ملاكها .."[١].

تذكر لنا الوثيقة الثانية أن ناظر الوقف الشهابي أحمد أغا كتخدا داوود باشا قد اشترى الأماكن المجاورة للوكالة –ولم تذكر تفاصيل لها– ثم هدمها وبنى وكالة جديدة، ونصها كما يلي:

"(ص١٠٤س١٣) *ثم اقتضى رأى الشهابي أحمد الكتخدا المشار إليه أنه اشترى* (ص١٠٥) *لجهة الأوقاف المذكورة أبنية قائمة أو أماكن كاملة واستأجر/ أراضي محدودة مددا متطاولة معدودة ثم أزال أعيان/ الأبنية التي كانت بمكاتيب أصولها مبنية وأنشأ وعمر على الأرض/ التي كانت حاملة لها والتي أضيفت إليها بالتواجرات الشرعية/ بثغر رشيد المحروس بالجهة التي ستعين في هذا الكتاب/ جميع بناء المكان الكائن بثغر رشيد المحروس بالجهة/ البحرية منه المشتمل بدلالة المكتوب الشرعي الشاهد بثبوت/ إنشائه وعمارته لدى سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله/ تعالى الشيخ الإمام العلامة العمدة بدر الدين على الرشيدي/ الشافعي خليفة الحكم العزيز بثغر رشيد المحروس المؤرخ المكتوب/ المذكور مع ما به من الحكم بموجب ذلك في رابع عشري شهر/ الله المحرم الحرام الذي هو الأول من شهور سنة ستين وتسعمائة/ المشمول في أعلاه بالاتصال والقبول والإمضاء من قبل الحاكم* (ص١٠٦) .. *على وكالة كاملة/ يتوصل إليها من بابين أحدهما شرقي والآخر غربي يغلق على كل/ منهما درفتان من الخشب النقي مشتملة الوكالة المذكورة على/ ثمانية عشر حاصلا من داخلها في ذلك بالصف القبلي خمسة/ حواصل وبالصف البحري أربعة حواصل وبالصف الشرقي ستة/ حواصل وبالصف الغربي ثلاثة حواصل يغلق على كل من أبواب/ الحواصل المذكورة درفة باب خشبا نقيا مفروش أرض الحواصل/ المذكورة وأرض الوكالة بالحجر الأحمر المنقوش وتشتمل أيضا على/ مرحاضين وسلم معقود ثاني يتوصل من كل منهما إلى*

---

١ ـ هذا المكان مذكور بنفس الأوصاف في الوثيقة رقم١١٧٦–أوقاف،ص٣٦–٣٧.

اثني عشر[1] (ص١٠٧) طبقة مركبة على غالب الحواصل المذكورة أعلاه من ذلك بالصف/ القبلي أربع طباق وبالصف البحري خمس طباق وبالصف الشرقي/ ثلاث طباق تشتمل كل طبقة على بيت يغلق عليه/ درفة باب خشبا نقيا يشتمل على مطبخ ومرحاض يغلق/ عليهما أيضا درفة باب خشبا نقيا مفروش أرض ذلك بالبلاط/ معقود كل من الحواصل والطباق بالطوب الآجر والجبس ويشتمل/ المكان المذكور أيضا على حانوتين يغلق على كل منهما درفتا/ باب من الخشب النقي وثلاثة حواصل مفروش أرضها بالحجر يغلق على كل منها درفة[2]/ باب خشبا نقيا وعلى مزملة مركبة على صهريج معد لوضع/ الماء مفروش أيضا بالرخام الملون بها شباك نحاس من الجهة/ البحرية وشباك نحاس آخر من الجهة الغربية وتشتمل أيضا على/ ستة أروقة منها أربعة علو الحانوتين والثلاثة حواصل بمجاز/ الباب الغربي والمزملة المذكور ذلك أعلاه يشتمل كل من الأربعة/ أروقة المذكورة على منافع ومرافق وحقوق فالرواق القبلي (ص١٠٨) والبحري منها على ثلاثة أواوين ودورقاعة وبسطة ومرحاض/ ومطبخ ومنافع ومرافق وحقوق ويشتمل كل من الرواقين الباقين/ من الأربعة على ايوانين ودورقاعة وبسطة ومطبخ ومرحاض/ ومنافع ومرافق وحقوق وأما الرواقان الباقيان من الستة/ فانهما مركبان على واجهة الوكالة التي من الجهة الشرقية/ فيشتمل كل رواق منها على ثلاثة لواوين ودورقاعة/ وبسطة ومرحاض ومطبخ ومنافع ومرافق وحقوق مفروش/ أرض ذلك جميعه بالبلاط مكمل بالأبواب والأخشاب/ على العادة ويشتمل البناء المذكور أيضا على رصيف/ شرقي الوكالة المذكورة مفروش أرضه بالحجر يتوصل/ منه إلى بحر النيل المبارك ويحيط بذلك جميعه ويحصره/ ويشتمل عليه حدود أربعة الأول منها وهو القبلي/ ينتهي إلى الشارع المسلوك المتوصل سالكه مشرقا لبحر (ص١٠٩) النيل المبارك الفاصل بين ذلك وبين وقف مولانا/ المرحوم سليمان باشا طاب ثراه وفيه عقدا سلم/ يتوصل من كل منهما إلى رواق من الأروقة المذكورة أعلاه/ والحد الثاني منها وهو البحري ينتهي إلى شارع مسلوك/ يتوصل سالكه مشرقا إلى بحر النيل المبارك أيضا الفاصل/ بين ذلك وبين المكان المعروف قديما بأولاد القيش/ وفيه عقدا سلم أيضا يتوصل من كل منهما إلى رواق/ من الأروقة المذكورة وفيه أيضا باب يتوصل منه/ إلى مزملة الصهريج المذكورة والحد الثالث منها وهو/ الشرقي يتوصل منه إلى بحر النيل

---

١ ـ ورد بين السطر ١٢ و١٣:سلم أول وسلم معقود.

٢ ـ هذا السطر يبدو أنه قد نسيه الناسخ فوضعه بالعكس بين السطور.

المبارك وينتهي/ إليه وفيه باب الوكالة الشرقي المذكور أعلاه والحد/ الرابع منها وهو الغربي ينتهي إلى الشارع الأعظم وفيه/ باب الوكالة الغربي المذكور أعلاه وعقدا سلم (ص١١٠) يتوصل منه إلى رواق من الأروقة المذكورة أعلاه وأبواب/ الحانوتين والثلاثة حواصل المذكورة أعلاه بحد ذلك ..".

٤ – وكالة أحمد باشا حافظ

تولى أحمد باشا حافظ حكم مصر من ٢٦ رمضان سنة ٩٩٩-رمضان ١٠٠٣هـ/١٢ يوليو ١٥٩١-مايو ١٥٩٥م[١]، ويرجح إنشائه للوكالة المذكورة في حدود سنة ١٠٠٣هـ، طبقا لما جاء في وثيقة وقفه[٢] فقد ورد بتلك الوثيقة أنه وقف:

"(س٢٤) .. وجميع/ المكان الكائن بحري ثغر رشيد المحروس وبنآ الوكالة الكائنة بذلك المستجدة الإنشاء والعمارة/ التي أنشأها وعمرها مولانا الواقف المشار إليه المشتملة على واجهة شرقية وغربية وما بها/ من الصهريج والمزملة والمنافع والحقوق ويحيط بذلك ويحصره حدود أربعة/ الحد القبلي إلى الشارع الفاصل بين ذلك وبين حمام القابودان والبحري إلى الشارع/ الفاصل بين ذلك وبين وكالة بن بريمات وفيه باب الصهريج المذكور والشرقي إلى بحر النيل/ وفيه أحد بابي الوكالة وأربعة حواصل والغربي إلى الشارع الفاصل بين ذلك وبين/ المكان المعروف بحاجي رايس وفيه الباب الثاني من الوكالة المذكورة وحاصلين ..".

وتشير إحدى وثائق تلك الفترة -وهى عقد إيجار خاص بهذه الوكالة- إلى أنها مستجدة الإنشاء وأنها ذات واجهة شرقية تطل على النيل مباشرة، ونص تلك الوثيقة[٣] على النحو التالي:

"(ص٣٢٤س١) من وكيل حضرت مولانا المقر الكريم العالي صاحب السعادة أحمد باشا بالديار المصرية كان الله له حيث كان هو سيدنا ومولانا/ شيخ مشايخ الإسلام .. مولانا/ حسين باشا زاده .. ومن السادة الموالي بالديار المصرية/ استأجر كل من الشمسي شمس الدين بن المرحوم محيي الدين محضر باشاه بالثغر المذكور الشهير

---

١ ـ أحمد شلبي بن عبد الغني:أوضح الاشارات،ص١٢٣ ؛ د.ليلى عبد اللطيف:الادارة في مصر في العصر العثماني، ص٤٣٢.

٢ – وثيقة رقم٩١١-أوقاف، بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٠٠٣هـ/١٨ إبريل ١٥٩٥م.

٣ ـ ٢١، ١٠٨٦، ٣٢٤-٣٢٥، بتاريخ أول صفر سنة ١٠٠٤هـ/٦ أكتوبر ١٥٩٥م.

بوالده وبحرفته وشقيقه/ الزيني عبد الرحمن الرجل التاجر بالثغر المذكــــور لأنفســـهما سوية بينهما والأجرة من مالهما كذلك فأجرهما الوكيل المشار إليه/ ما هو جــــار فــي استحقاق الموكل المومى إليه ومعروف بإنشائه ويجوز له إيجار ذلك وقبـــض أجرتـــه بالطريق الشرعي وذلك/ جميع الوكالة المستجدة الإنشاء الكائنة بالثغر المذكور بالجهـــة البحرية المشتملة على ثمانية وعشرين حاصلا واثنا عشر طبقة/ وثمانية ببيوت ومنـــافع ومرافق وحقوق مكمل ذلك بالأخشاب والأبواب والسقف على العادة المحصــــور ذلـــك بحدود أربعة/ القبلي والبحري والغربي كل منهم ينتهي إلى شارع مســلوك والشــرقي ينتهي إلى بحر النيل المبارك بحد ذلك وحدوده ..".

ومما يذكر أن الوثيقة نصت أن مدة عقد الإيجار السابق سنة كاملة، بقيمة ايجاريـــة مقدارها ٨٠٠٠ نصف فضة، المقدم منها ٣٠٠٠ نصف فضة.

وصلتنا كذلك وثيقة إيجار أخرى[1] أحدث من السابقة بثمانية وثلاثين عاما، تضـاعف فيها إيجار الوكالة المذكورة، وتؤكد تلك الوثيقة على موقع هذه الوكالــة محـددة أنـها "*بحري الثغر من الجهة الشرقية*"، وتضيف إلى معلوماتنا أن تلك الوكالة كان بها بيـت قهوة، ونص هذه الوثيقة كما يلي: "(س٦) *.. استأجر فخر أمثاله يحيـى بـن عبـد الله متفرقة[2]/ ديوان محروسة مصر بماله لنفسه من الأمير محمد جاويش الناظر الشـــرعي على وقف المرحوم الوزير حافظ أحمد باشا فأجره/ ما هو جار في الوقـــف المرقـــوم أعلاه ومشمول بنظره .. وذلك جميع الوكالة الكائنة بحري الثغر المرقوم أعلاه بالجهة/ الشرقية وما اشتملت عليه الوكالة المذكـــورة مـــن الأرضيـــة[3] والحواصـــل والطبـــاق*

١ ـ ٥٠، ٣٥٢، ١٠٠٥، بتاريخ ٥ شعبان سنة ١٠٤٢هـ/١٥ فبراير ١٦٣٣م.

٢ ـ كانت **الفرق العسكرية العثمانية** بديوان مصر عقب دخول العثمانيين أربع فرق، ثم زادها السلطان سـليمان القانونى سنة ١٥٢٤م إلى ست فرق أو أوجاقات، ثم صارت سبع فرق اعتبارا من سنة ١٥٥٤م بإضافة أوجـاق المتفرقة إليها، وكان أعضاء هذا الأوجاق أعلي منزلة ورواتب من أصحاب الأوجاقات الأخرى، وخدمتهم حفـظ القلاع الخارجة عن مصر من الجهة الشرقية مثل العريش وغيرها، ومن الجهة البحرية مثل الإسكندرية ودميـاط وأبو قير، ومن جهة الوجه القبلي مثل أسوان وابريم وغيرها. وجعل في الأوجاق المذكور معمار باشـا، ومنـهم قافلة باشا، ومنهم الجبجي باشا وهو الحاكم على البارودية ..". الروزنامجي:ترتيب الديـار المصريـة،ص١٨ ؛ أحمد السعيد سليمان:تأصيل ما ورد في الجبرتي من الدخيل، ص١٩٥-١٩٦.

٣ ـ **الأرضية** هى صحن الوكالة، أنظر وثيقة الخواجا جمال الدين ابن جرباش شاه بندر تجار مصر، رقم ٣٥١-دار الوثائق، المؤرخة في ١٠ رجب سنة ١٠٤٥هـ/٢١ ديسمبر ١٦٣٥م ؛ وثيقة الشريف بـاكير الخربطلى وزينب خاتون معتوقة الحاج محمد المغربي، رقم ٣٦٧-أوقاف، المؤرخة في ٢٤ جمـاد أول سنة ١١٩٥هـ/٢٤ مايو ١٧٨٢م، ويصفان وكالة جمال الدين الذهبي بالقاهرة، أثر رقم٤١١.

والحوانيت وبيت القهوة والمنافع والحقوق الداخلة فيه والخارجة عنه لذلك بموضعه/ شهرة تدل عليه وترشد إليه وتغني عن وصفه وتحديده المعلوم ذلك عندهما العلم الشرعي .. لينتفع بذلك المستأجر المرقوم أعلاه/ بسائر وجوه الإنتفاعات الشرعية[1] على الوجه الشرعي لمدة سنة كاملة ../ .. بأجرة مبلغها من الأنصاف الفلوس النحاس معاملة تاريخه بالديار المصرية ١٨٠٠٠ نصف ..".

*****

أمدتنا الوثائق أيضا بالعديد من الوكالات التي عرفت بالسلع التي تباع فيها أو اشتهرت بتجارتها، كوكالات الكتان والسكر والخيش والقماشين والعسل والجبن .. الخ، وسنذكر هنا عددا منها نستوضح منه تخطيطها المعماري بالإضافة إلى موقعها من المدينة.

٥ – وكالة الكتان

ورد ذكرها في وثيقة ترجع إلى أوائل القرن ١١هـ/١٦م وأنها تقع في الجهة البحرية من الثغر، ويتضح منها أن تلك الوكالة كانت مخصصة فعلا لتجارة الكتان، حيث تذكر خلافات بين سماسرة الكتان وتشير إلى حصص بعضهم في مبيعات الكتان[2]، وتحدد وثيقة أخرى موقع هذه الوكالة بدقة أكثر، فتذكر إنها تقع "*بحري الثغر من الجهة الغربية*"، وتذكر إنها كان يقابلها طاحون[3].

٦ – وكالة السكر

انتشرت صناعة السكر في مدينة رشيد –سنشير إلى مصانع أو مطابخ السكر بلغة ذلك العصر عند ذكرنا للمنشآت الصناعية– وقد كان السكر يصدر من رشيد إلى تركيا وغيرها من البلدان الخارجية وكذلك مدن وقرى مصر في الداخل، وقد عرفت إحدى وكالات المدينة بوكالة السكر "*بالجهة الوسطى من الثغر بخط الديوان ووكالة وقف علي باشا والحوانيت وأماكن المعروفة بأولاد أحمدين*"، وربما كانت هذه الوكالة إحدى وكالات

---

١ ـ كان من الانتفاعات الشرعية لمستأجر مثل هذه الوكالات في هذا العصر أن يكون له حق تأجيرها حاصل حاصل وحانوت حانوت ..الخ بأجرة أزيد من التي استأجر بها من ناظر الوقف أو وكيله. أنظر:وثيقة رقم٢١٦١-أوقاف.

٢ ـ ١٤٣،٤٥٩،٢١، مؤرخة في ٢٤شوال سنة ١٠٠٣هـ/٢ يوليو ١٥٩٦م.

٣ ـ ٣٩٤،١٣٢٢،٢٤، مؤرخة في ٢١صفر سنة ١٠٠٧هـ/٢٣ سبتمبر ١٥٩٨م.

الأمير يوسف القبودان، فقد ورد ذكرها بوثيقة ترجع إلى سنة ٩٨٩هـ/١٥٨١م، عبارة عن عقد إيجار لهذه الوكالة لمدة سنتين مقابل ١١٠ دينارا ذهبيا، وتحدد مكانها بالجهة البحرية من المدينة، وتذكر أنها تشتمل على حواصل وطباق أرضية[1]، ثم تحدد وثيقة أخرى موقع هذه الوكالة على نحو أدق، فتشير إلى أنها تقع على الجانب الشمالي من الشارع الأعظم – وهو الشارع الرئيسي بالمدينة إلى الآن– وأنها كانت بالجهة الوسطى بخط القفاصين[2]، وقد ظلت تلك الوكالة قائمة ومعروفة بنفس اسمها حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر[3]، حيث تذكر هذه الوكالة بمساحتها وحدودها التي تمدنا بعدد الحوانيت كما توضح لنا أيضا أسم جديد لإحدى وكالتي يوسف القابودان وهي وكالة الشعير، وتصفها كالآتي:

"(س١٠) .. *المشتملة الوكالة المذكورة على/ واجهة بها باب مركبة عليه ضرفتان من الخشب النقي المطبق وعلى زلاقة حجر كدان وصفتين صغيرتين من الرخام إحداهما/ على يمنة الداخل والثانية على يسرته وعلى مجاز يتوصل منه إلى صحن الوكالة المذكورة وبوسطه بلاعة للمطر مفروش أرض ذلك جميعه/ بالحجر الأحمر ويشتمل ذلك على طباق وعقود وأكتاف وعلى حوانيت وحواصل وصهريج مجعول الآن محل بابه حانوت ومنافع/ ومرافق وحقوق المحصور كامل ما منه ذلك أرضا وبناء بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى الوكالة المعروفة بوكالة الشعير الجارية/ في وقف المرحوم يوسف قابودان ابن المرحوم الزيني حامد بن علي والحد البحري والحد الشرقي ينتهي كل منهما إلى شارع مسلوك وفي/ البحري منهما باب كل من الوكالة والثلاث حوانيت والحانوت الرابع الذي هو محل باب الصهريج وفي الشرقي منهما باقي الحوانيت المذكورة/ والحد الغربي ينتهي إلى ما هو جار في ملك السيد حسن الكارة ابن المرحوم السيد علي الكارة بن حسين وقيس الوكالة المذكورة أعلاه ..*".

٧ – وكالة الخيش (وكالة بلال السكندري)

كانت بوسط الثغر في خط يعرف بالسويقة البحرية، وترجع إلى بداية العصر العثماني حيث ورد ذكرها في وثائق القرن ١٠هـ/١٦م، ولعل أهم ما لفت نظرنا عند

---

١ ـ ٩٣،٤٣٩،١١، مؤرخة في ١٧رمضان سنة ٩٨٩هـ/١٥ أكتوبر ١٥٨١م.

٢ ـ ٤٢٦،١٢٢٦،٥٠، مؤرخة في رمضان سنة ١٠٤٢هـ/مارس ١٦٣٣م.

٣ ـ محفوظات، ١٥٧،٢٤٦،١٠، مؤرخة في ١٠ذي القعدة سنة ١٢٨٢هـ/٢٧ مارس ١٨٦٦م.

دراسة هذه الوكالة من خلال وثائق القرنين ١١-١٢هـ/١٧-١٨م هو استخدام أحد حواصلها كسجن، ثم أعيد استخدام هذا السجن كحانوت للتجارة بعد ذلك، وقد عرفت بوكالة *الحبس* " لتميزها عن باقي وكالات المدينة باحتوائها على سجن *لمحابيس الشرع الشريف*"، كما أطلق عليها أيضا اسم "*وكالة بلال السكندري*" نسبة إلى منشئها في القرن ١٠هـ/١٦م، ثم عرفت بعد ذلك بوكالة *الخيش*" نسبة إلى التجارة التي كانت تتم بها. وقد ورد ذكرها باسم وكالة *الحبس*" في وثيقة استلام لها بموجب عقد إيجار لها لمدة سنتين على النحو التالي:

أشهد عليه الشيخ زين الدين عامر بن الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن المرحوم الشيخ العلامة العمدة العرف بالله تعالى برهان الدين إبراهيم الشهير/ نسبه الكريم بابن المحيريق نفع الله ببركة أسلافه شهوده الأشهاد الشرعي .. أنه تسلم الوكالة الكائنة بالثغر المذكور بالسويقة/ البحرية المعروفة بوكالة الحبس وتعرف بالرايس علي ابن المرحوم الرايس بلال السكندري بالإذن والتخلية الشرعيين بمقتضى تواجر شرعي صدر للشيخ/ زين الدين عامر المذكور في كامل الوكالة المذكورة وما اشتملت عليه من حواصل وطباق وسجن لمحابيس الشرع الشريف بالثغر وحوانيت خارجة/ عنها بالسوق بمحجة الثغر لها بموضعها شهرة تدل عليها وترشد إليها وتغني عن وصفها وتحديدها من مالكها الجناب العالي الرايس علي بلال المذكور أعلاه .."[١].

تذكر لنا وثيقة أخرى عبارة عن عقد إيجار لتلك الوكالة لمدة ثلاث سنوات بمبلغ ١٢٠ دينار، وصفا وتحديدا أدق لمكانها على الوجه الآتي:

"(س٤) *جميع الوكالة القديمة الكائنة بالثغر المذكور من أواسطه المعروفة بوكالة الحبس وما اشتملت عليه/ من الحواصل السفلية والطباق العلوية والحوانيت البرانية والمنافع والمرافق والحقوق الداخلة فيها والخارجة منها ../ المحصور كاملها بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى شارع مسلوك والحد البحري ينتهي إلى ما بيد أولاد الجنيدي والحد الشرقي ينتهي إلى محجة السوق وفيه بابها والحوانيت/ المذكورة والحد الغربي ينتهي إلى الشارع المسلوك بحد ذلك وحدوده ..*"[٢].

---

١ ـ ١٧، ١٦٧، ٥٢، بتاريخ ٥ ذي القعدة سنة ٩٩٧هـ/١٥ سبتمبر ١٥٨٩م.

٢ ـ ٢٤، ١٥٨٢، ٤٥٩، بتاريخ ١٥ ربيع الآخر سنة ١٠٠٧هـ/١٥ نوفمبر ١٥٩٨م.

يظهر لنا بعد ذلك أن السجن الذي كان داخل هذه الوكالة قد أعيد استخدامه لأغراض تجارية، حيث عثرنا على عقد إيجار لهذا الحاصل المستخدم كسجن لمدة تسعة أشهر بإيجار ستة وأربعين نصف فضة شهريا، وتنص الوثيقة[1] على: "(س٢) .. جميع *الحاصل الكائن داخل الوكالة الكائنة بحري الثغر بجوار المحكمة القديمة بالشارع الأعظم على يسرة/ السالك مبحرا وهو الحاصل المعروف بالسجن وما دار عليه الدرابزي الخشب تجاه الحاصل المذكور وما له من المنافع المعلوم عندهم شرعا* ..".

ويبدو أن هذا الحاصل استخدم كسجن مؤقت لوقوعه بجوار المحكمة القديمة كما ذكرت الوثيقة.

ثانيا: الفنادق

عرفت المدن الإسلامية الفنادق منذ بداية العصر الإسلامي وازداد انتشارها في العصرين المملوكي والعثماني، والواقع أن كلمة فندق كلمة يونانية الأصل وعرفت في الإيطالية[2]، والواقع أن المؤرخين وكتاب الوثائق لم يفرقوا بين الفنادق والوكالات والخانات والقياصر[3]، وربما كانت الفنادق يغلب عليها استخدامها لغرض سكن التجار والقادمين إلى المدينة رغم وجود بعض الحوانيت والمخازن بها، وعلى أية حال فإن استخدام مصطلح الوكالات كان الغالب في وثائق رشيد، وإن كنا نجد بين الحين والآخر مصطلح الفندق، فقد كان من الطبيعي أن تنتشر الفنادق في مدينة رشيد ذات الصبغة التجارية، وقد خصصت تلك الفنادق لإيواء التجار وغيرهم من المترددين على رشيد، ومن ذلك ما ورد بوثيقة ترجع إلى بداية القرن ١١هـ/١٧م عن فندق يسمى *"الفندق القديم"* يقع في الجهة القبلية من الثغر بالقرب من سوق الغلال وجامع زغلول[4].

ثالثا: القياسر

يطلق لفظ القيسارية في كثير من الأحيان على الشارع التجاري في المدن، وكذلك يطلق على نوع من المنشآت التجارية، واعتمادا على ما ورد بالوثائق فإن القيسارية عبارة عن بناء مستطيل أو مربع به عدة أبواب - ستة أو خمسة أو غير ذلك- تغلق

---

١ - ١٥٧،٤٩٧،٢١، بتاريخ مستهل ذي القعدة سنة ١٠٠٣هـ/٨ يوليو ١٥٩٥م.

٢ - آمال العمري: المنشآت التجارية في مصر في العصر المملوكي، ص١٣٩.

٣ - عوض الإمام: الأصول الوثائقية للوثيقة الجامعة للسلطان الغوري، ص٤٥٩.

٤ - ٢٣٣،٧٦٢،٢٤، بتاريخ ٢١ شوال سنة ١٠٠٦هـ/٢٧ مايو ١٥٩٨م.

ليلا ويقوم على حراستها البواب، وتشغل الواجهات الخارجية لها حوانيت يتفاوت عددها من واجهة إلى أخرى، ويؤدي الباب الرئيسي إلى ساحة تفتح عليها حوانيت أخرى، ويعلو الحوانيت الداخلية والخارجية مساكن علوية للتجار، تختلف بحسب مساحة كل منها[1]، وكانت القياصر تعرف باسم منشئها رغم توارثها جيلا بعد جيل[2]، ومن قياصر مدينة رشيد قيسارية علي باشا التي تقع بوسط الثغر من الجهة الشرقية، ويرجع تاريخ أنشائها إلى فترة حكم علي باشا من سنة ٩٥٦-٩٦١هـ/١٥٤٩-١٥٥٤م[3]، وهي ضمن أوقافه العديدة بتلك المدينة التي اشتملت على وكالة وربع وقيسارية وساحة وعدة بيوت، وتوضح إحدى الوثائق مكونات قيسارية علي باشا أنها تشتمل إجمالا على "*حوانيت داخلها وخارجها ومقاعد والساحة التي أمامها والبيوت*"[4].

أمدتنا وثائق محكمة رشيد بعقد إيجار لحانوتين ومقعد بتلك القيسارية يرجع إلى سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥م، وفيها نتعرف على قيمة إيجارهم في الشهر "*دينارا واحدا ومن الفضة وأربعة أنصاف*" وأن إيجار حانوت منهما والمقعد "*سبعة وعشرون نصفا*" وإيجار الحانوت الآخر "*ثمانية عشر نصف*"، مما يدل على أنه كان لكل حانوت إيجار حسب موقعه، وأن قيمة إيجار المقعد مختلف عن قيمة إيجار الحانوت[5].

رابعا: الأسواق

كان من الطبيعي أن تزداد وتتنوع الأسواق بمدينة رشيد وخاصة في العصر العثماني، وذلك لطابعها التجاري ووضعها كثغر هام في هذا العصر، وقد غلب على التخطيط المعماري للأسواق في المدن الإسلامية بصفة عامة نمط الحوانيت المتراصة على جانبي الشارع الرئيسي أو الشوارع الفرعية[6]، فقد كان لكل طائفة سوق خاص بها

---

١ ـ آمال العمري: المرجع السابق، ص١١٩ ؛ عوض الإمام: المرجع السابق، ص٤٥٥.

٢ ـ ١٨، ٤٨٠، ١٣٩.

٣ ـ البكري: المنح الرحمانية، ص١٦٤ ؛ الروضة المأنوسة، ص٨٧.

٤ ـ ١٨، ٤٨٠، ١٣٩، بتاريخ ٨ شعبان سنة ٩٩٩هـ/١ يونيو ١٥٩١م.

٥ ـ ٧، ٩٨٨، ٢٤٣، بتاريخ ٧ ربيع الأول سنة ٩٨٣هـ/١٦ يونيو ١٥٧٥م.

٦ ـ محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، ص٢٥٨. وقد أطلق لفظ السوق أيضا في القاهرة على القياصر التي يجتمع في حوانيتها تجارة واحدة، وفي بعض الأحيان كانت حوانيت الواجهة تكون سوق لسلعة معينة، وتكون الحوانيت التي حول صحن القيسارية سوقا آخر، وفي كثير من الأحيان كانت ضفتي الشارع الأعظم تنقسم إلى سوقين مختلفين من حيث البضائع المشهورين بها. أنظر: المقريزي: الخطط، ج٢، ص٩٧.

حسب السلع التي يتاجرون فيها، وتفيض وثائق مدينة رشيد بذكر الأسواق التي كانت تنتشر في جميع أنحاء المدينة، نذكر منها على سبيل المثال: سوق الجزاريين بالجهة القبلية[١]، وسوق الخضريين بالجهة القبلية[٢]، سوق الحطب بالجهة القبلية[٣]، وسوق الخبز بالجهة القبلية[٤]، وسوق الفاكهة[٥]، وسوق الغلال بالقرب من جامع زغلول بالجهة القبلية[٦]، والسوق القديم المعروف بسوق الطعام بالجهة القبلية[٧]، وسوق الخشابين بحري الثغر[٨]، وسوق البزازين بمحجة السوق[٩]، وسوق العسل[١٠]، وسوق الغزل[١١]، وسوق النحاسين بمحجة السوق[١٢]، وسوق الصاغة وسط الثغر[١٣]، وسوق الحدادين بوسط الثغر[١٤]، وسوق الأرز قبلي الثغر من شرقيه[١٥]، وسوق الخلعية بالجهة القبلية من جهتها الشرقية[١٦]، وسوق الخردكية بالجهة البحرية من شرقيه[١٧].

---

١ ـ ١٨،٨٢٥،٢٤٣-٢٤٤، بتاريخ ٦ شوال سنة ٩٩٩هـ/٢٨ يوليو ١٥٩١م.

٢ ـ ١٨،٤٦٠،١٣١-١٣٢، بتاريخ ٣شعبان سنة ٩٩٩هـ/٢٧ مايو ١٥٩١م.

٣ ـ ١٨،٥٢٥،١٥٠-١٥١، ١٤ شعبان سنة ٩٩٩هـ/٧ يونيو ١٥٩١م.

٤ ـ ١٨،٥٢٥،١٥٠-١٥١.

٥ ـ ١٨،٦٦١،١٩٧، بتاريخ ٩ رمضان سنة ٩٩٩هـ/١ يوليو ١٥٩١م.

٦ ـ ١٨،٨٥١،٢٥١، بتاريخ ١٠ شوال سنة ٩٩٩هـ/١ أغسطس ١٥٩١م.

٧ – ٣٥،١٦،٤، بتاريخ أول ربيع الثاني سنة١٠٢٠هـ/١٣يونيو١٦١١م.

٨ – ٣٥،٤٢٩،١٠٤، بتاريخ ٣ رجب سنة١٠٢٠هـ/١١سبتمبر ١٦١١م.

٩ ـ ٥٠،٨٥،٣٥، بتاريخ ١٦ محرم سنة ١٠٤٢هـ/٣ أغسطس ١٦٣٢م.

١٠ ـ٢٤،٦٣٥،١٨٩، بتاريخ ٢٧ رمضان سنة ١٠٠٦هـ/٣ مايو ١٥٩٨م.؟

١١ ـ٥٠،٤٥٥،١٦٩، بتاريخ أول ربيع الثاني سنة ١٠٤٢هـ/١٦ أكتوبر ١٦٣٢م.

١٢ ـ٥٠،٧٦٨،٢٧٣، بتاريخ ٩ جمادى الآخرة سنة ١٠٤٢هـ/٢٢ ديسمبر ١٦٣٢م.

١٣ ـ٢٤،٦٣٥،١٨٩، بتاريخ ٢٧ رمضان سنة ١٠٠٦هـ/٣ مايو ١٥٩٨م.

١٤ ـ٢٤،١٦٤٠،٤٧٦، بتاريخ ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٠٠٧هـ/٢٩ نوفمبر ١٥٩٨م.

١٥ ـ ؟،١٨٠،١٧٣-١٧٧، بتاريخ ٢٩ محرم سنة ١١١٨هـ/١٣ مايو ١٧٠٦م.

١٦ ـ ؟،٢٠٧،١٥٢، بتاريخ ٢١ جمادى الثاني سنة ١١٠٦هـ/٦ فبراير ١٦٩٤م.

١٧ ـ ؟،٣٧٧،٢٥٥-٢٥٦، بتاريخ ١٢ شوال سنة ١١٠٦هـ/٢٦ مايو ١٦٩٤م.

٣ - المنشآت الصناعية

رأينا ازدهار التجارة بمدينة رشيد باعتبارها أهم ثغر في مصر في العصر العثماني، وانتشار مختلف المنشآت اللازمة لتلك التجارة، ومع ذلك فقد كانت رشيد أيضا مدينة صناعية هامة في مصر في تلك الآونة، فقد أثبتت الدراسات الوثائقية لتلك المدينة منذ القرن ١٠-١٣هـ/١٦-١٩م تعدد وتنوع الصناعات التي كانت تتم بتلك المدينة، وخاصة صناعة الزيوت وما تستلزمه من معاصر وسيارج، وقاعات الحياكة وأنوال النسيج، مما يدل على ازدهار صناعة النسيج بها أيضا، ووجدت بها أيضا العديد من المصانع اللازمة لصناعة النسيج المذكور، أما صناعة السكر فان ما ورد بالوثائق يؤكد على ازدهار تلك الصناعة بها أيضا، كذلك ازدهرت صناعة ضرب وتبييض الأرز، فوجد بتلك المدينة في العصر العثماني العديد من مضارب الأرز خاصة في الجهتين الجنوبية والغربية، وقد أطلق عليها في الوثائق "*عيدان الأرز*". وجد برشيد أيضا العديد من المنشآت الصناعية الأخرى التي تتنوع ما بين معامل للطوب، ومطابخ للنشادر، ومعامل للكتان، ومعامل للشمع، بالإضافة للمنشآت الصناعية البسيطة اللازمة للحياة اليومية من مطاحن وأفران وغير ذلك. وسنتناول بالتفصيل بعض الأمثلة من هذه المنشآت من خلال ما ذكر عنها في وثائق تلك المدينة.

أولا: معاصر الزيت

١ - معصرة الحاج على تراب

تقع في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، وتعرف بمعصرة الزيت الحار، وقد وردت ضمن حدود قطعة أرض في وثيقة مؤرخة في ٣ ربيع ثان سنة ٩٩٤هـ / ٢٤ مارس ١٥٨٥م[١].

٢ - معصرة أولاد خلف الله

تقع وسط الثغر، ورد ذكرها ضمن حدود دار في وثيقة إيجار مؤرخة في ٢٩ محرم سنة ٩٩٦هـ/٣٠ ديسمبر ١٥٨٧م[٢].

---

١ ـ ١١٩،٤٦٦،١٤؛ كما وردة في حدود مكان آخر في وثيقة وقف رقم ٤٧٧،١٦٥٧،٢٤، بتاريخ ٢ جماد أول سنة ١٠٠٧هـ/١ ديسمبر ١٥٩٨م.

٢ ـ ٥٥،١٨٤،١٦.

٣ - معصرة الجمالي يوسف

تقع بالجهة الشمالية من الثغر، يرجع تاريخ إنشائها إلى سنة ٩٩٣هـ/١٥٨٥م، كانت ضمن أوقاف الجمالي يوسف بن النوري محمد بن القاضي عبد الله الرشيدي، ورد وصفا لها في وثيقة إخراج من الوقف المذكور كالآتي: "*.. جميع المعصرة الزيت الحار .. بالوقف المحكي تاريخه أعلاه* (سنة٩٩٣هـ) *وما اشتملت عليه من الطاحون الفرد المعدة لطحن البذر/ وعدتها وآلاتها والأربع نصبات وقواعدها والأربعة أحجار التي تعلوها المعدين لطحن البذر وبيتين العود وما لذلك جميعه من الأخشاب والأحجار/ والحوامل الخشب والعدة والآلة .. الحد القبلي ينتهي إلى شارع مسلوك وفيه بابان لها والحد البحري ينتهي إلى شارع مسلوك وفيه باب لدار بقر المعصرة المذكورة والحد الشرقي ينتهي إلى شارع مسلوك أيضا وفيه بابها الكبير والحد الغربي ينتهي لما بيد الرايس حسين بن جقمق ..*"[١].

ثانيا: السيارج

١ - سيرجة ابن منيسف

كانت تقع بالجهة الجنوبية الشرقية من ثغر رشيد وتطل على النيل مباشرة، ورد ذكرها في وثيقة وقف الشهابي أحمد بن الرايس نور الدين الشهير بابن منيسف، وهي من الوثائق الهامة، إذ تصف لنا مكونات السيرجة وطريقة تشغيلها في هذا العصر، حيث تذكر:"*.. المشتمل ../ إجمالا على سيرجة معدة لعصر السمسم تشتمل على مجاز به مصطبة لطيفة وعلى دورة بها نصبة سنوبرة يعلوها حجرين منافرين وعلى غرف معدة لقلي السمسم وثلاثة أدنان/ معدة لغسل السمسم ومعجن حجر ودار دواب ومنافع ومرافق وحقوق وعلى ثمان قاعات وسبع دهاليز وسبع غرف وبيت كبير يعلو السيرجة المذكورة وعلى منافع وحقوق ..*"[٢].

---

١ - ١٧،١٢٥٦،٤٠٥،٤، بتاريخ ١٧ ربيع الثاني سنة ٩٩٨هـ/٢٣ فبراير ١٥٩٠م.

٢ - ١٧،٢٨٢،٩٠، بتاريخ ١٧ ذي القعدة سنة ٩٩٧هـ/٢٧ سبتمبر ١٥٨٩م.

٢ – سيرجة ابن شادي التاجر الرشيدي

كانت تقع بالجهة الجنوبية من الثغر بسوق الأرز، ورد ذكرها في وثيقة شراء مؤرخة في ١٣ صفر سنة ٩٨٨هـ/٤ إبريل ١٥٨٠م، تصفها بأنها تتكون من "*سيرجة ودهليز وبيت يعلو ذلك*"، وأنها وكانت تعرف قبل ذلك بالحاج بدر الدين فتوح[١].

٣ – سيرجة ابن الصباغ

كانت هذه السيرجة تقع في الجهة الجنوبية من الثغر، ورد ذكرها ضمن وثيقة وقف المعلم شهاب الدين بن نور الدين علي بن الفقيه إبراهيم الشهير بابن الصباغ وبابن براق، وتوضح الوثيقة أنها كانت من إنشائه، وكانت ضمن مجموعة معمارية مكونة من هذه السيرجة وطاحون ودارين، وتصفها الوثيقة على النحو التالي:

"(س٤) .. *على سيرجة لطحن السمسم وعلى طاحون/ فرد فارسي فتح باب السيرجة المذكورة شرقيا على الزقاق الملغا الآتي ذكره ويغلق عليه زوجا باب خشبا نقيا مصفح بالحديد به زوجا حلق نحاسا يدخل منه/ إلى مجاز لطيف مفروش بالبلاط الكدان بيسرته مصطبة طولانية بها خزانتان لطيفتان وتتمة ذلك معد لقلي السمسم ودورة بها/ سنوبرة قائمة البناء بالطوب والحجر يعلوها حجران منافران مركبان لطحن السمسم بها عمود وفاس حديد ومعجن بأسفله صحن رخام وقائم على/ عمود رخام وثلاثة آذنان بجانب المعجن المذكور من الجهة الغربية ودار دواب لطيفة بها طوالة وبداخلها حوض ولها باب لطيف يتوصل منه/ لدار دواب الطاحون الآتي ذكرها وبداخل السيرجة المذكورة دايرة يصعد لها من عقد سلم من داخل السيرجة المذكورة بها درابزي خشبا/ نقيا بها حاصل معد لخزن السمسم وفتح باب الطاحون المذكورة أعلاه شرقيا من الزقاق المذكور ..*"[٢].

٤ – سيرجة بجوار قيسارية علي باشا

كانت تقع وسط الثغر، ورد ذكرها في وثيقة إيجار لمدة ٩٠ سنة بمبلغ ١٠ دنانير[٣]، وتصفها كالآتي:

---

١ _ ٩،١٣٥،٣٤.

٢ _ ١٣،٦٧،١٦، بتاريخ ١٩ شوال سنة ٩٩١هـ/٥ نوفمبر ١٥٨٣م.

٣ _ ٢١،٥١٢،١٦٠، بتاريخ مستهل ذي القعدة سنة ١٠٠٣هـ/٨ يوليو ١٥٩٥م.

"(س ٤) .. جميع/ الحصة التي قدرها ثلث الثمن قيراط واحد .. على الشيوع في كامل المكان الكائن بالثغر من أوسطه من الجهة الشرقية بجوار قيسارية/ المرحوم الوزير الأعظم علي باشا من الجهة البحرية المشتمل المكان المذكور على شيرجة مشتملة على دورة وصنوبين وفرن ورابية ومخزنين ودار دواب يعلو ذلك/ دهليز به تخانة لطيفة ومجاز تخانة ثانية على يمنة الداخل وبسطة بها بيتان متقابلان سفل الغربي منهما مطبخة وفيما بينهما إيوان من الجهة البحرية به طاقات/ مطلة على الشارع البحري يعلوه حضير تجاه حضير ثاني وعلى مرحاضين أحدهما بالتخانة الثانية والثاني بالدار المذكورة وعلى منافع ومرافق/ وحقوق ..".

٥ – سيرجة أولاد المطير

كانت تقع بالجهة الجنوبية من الثغر بسوق الجزارين، ورد ذكرها بوثيقة إيجار من وقف أولاد محمد المطير الصادر من محكمة طرابلس الشام في ٢٥ ربيع الثاني سنة ٩٥٦هـ/٢٣ مايو ١٥٤٩م، باجرة قدرها ٨٠ دينارا لمدة ٩٠ سنة، وأنها كانت ضمن مبنا مكون من حانوتين ويعلوها رواق وكانت مطلة على الشارع الأعظم مباشرة من جهتها الشرقية، وكانت هذه السيرجة تتكون من:

"(س١٢) .. سيرجة بها ثلاثة حواصل ومعجن ودويرة ورابية وسنوبرة بحجرين .. وفرن/ ودار دواب وعلى عقد السلم يصعد منه إلى دهليز ومجاز يتوصل منه إلى رواق علو الدهليز المذكور وبسطة ومطبخة ومرحاض يعلوهما غرفة لطيفة وعلى/ منافع ومرافق وحقوق .."[1].

ثالثا: المصابغ

ارتبط بصناعة النسيج التي ذكرناها صناعة الصباغة، بل إن مصر كانت تصدر حتى زمن الحملة الفرنسية بعض مواد الصباغة إلى المدن الأوربية[2]، ويستشف مما ورد بوثائق مدينة رشيد وجود العديد من المصابغ في أماكن متفرقة بها، من بينها:

١ – مصبغة عبد الرحمن الشماع

ورد ذكرها في وثيقة إيجار مؤرخة في ٢٩ محرم سنة ٩٩٦هـ/٣٠ ديسمبر ١٥٨٧م

---

١ ـ ٢٤٣،٨٢٥،١٨-٢٤٤، بتاريخ ٦ شوال سنة ٩٩٩هـ/٢٨ يوليو ١٥٩١م.

٢ ـ علماء الحملة الفرنسية: المصدر السابق، ج١، ص٢٤٧.

لمدة ثلاث سنوات باجرة ١٣ دينارا، وتصفها".. *جميع القاعة والساحة التي أمامها المعدة لعمل الصباغة الكائنة القاعة المذكورة سفل بيت الرايس علي* (المؤجر) .." [١].

وهناك العديد من المنشآت الصناعية الأخرى مثل مطابخ السكر والمقالي وقاعات الحياكة ومعامل الكتان وكذلك الطواحين والأفران ومعامل الطوب ومطابخ النشادر ومعامل الشمع وعيدان الأرز سوف نتحدث عنها بالتفصل عند الحديث عن عمائر القرون التالية.

رابعا: المقالي

ورد ضمن الوثائق الخاصة بمدينة رشيد نوع آخر من أنواع المباني التي تدخل ضمن ما يسمى بالمباني الصناعية، إذ وجدنا مقلاة للحمص كانت بالجهة الجنوبية من الثغر بالقرب من مسجد فيروز الصلاحي، وكانت ضمن مبنا مكونا من حواصل وعود لدق الأرز، وهذه المقلاة التي كان يعلوها مع الحواصل غرفة ودار [٢]، ولم نعثر -مع الأسف- على وصف لمحتويات مثل هذه المباني التي يمكن اعتبارها ضمن المباني الخدمية كالقهاوي مثلا.

خامسا: قاعات الحياكة

ورد بوثائق مدينة رشيد أيضا العديد من قاعات الحياكة، والمقصود بها مصانع النسيج، ويدل العدد الكبير الذي وصل إلينا من هذه القاعات على انتشار صناعة النسيج بهذه المدينة وتوزيعها على مختلف أنحاؤها، وتشير كتب الحملة الفرنسية إلى أن مصر عموما كانت تصدر القطن مغزولا ومنسوجا، كما كانت تصدر كميات ضخمة من الكتان وبعض مواد الصباغة [٣]. وكان يشغل العديد من هذه القاعات جزءا من منزل، كما وجدت قاعات منفردة أو ملحقة بمنشآت صناعية أخرى، وقد تراوح عدد الأنوال فيها بين اثنين وعشرة أنوال، ولم تقدم لنا الوثائق -مع الأسف- وصفا مفصلا لتلك القاعات أو طريقة عملها، ولكن يبدو أن هذه الصناعة كانت مزدهرة بتلك المدينة حتى خصصت قيسارية لتسويق منتجاتها عرفت بقيسارية البز [٤].

ومن الوثائق القليلة التي تعطينا بعض التفاصيل عن مكونات قاعة حياكة وثيقة شراء

---

١ _ ١٦،١٨٦،٥٥٠.

٢ _ ٢٤،٧٦٢،٢٣٣، بتاريخ ٢١ شوال سنة ١٠٠٦هـ/٢٧ مايو ١٥٩٨م.

٣ _ علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، ج١، ص٢٤٧.

٤ _ ٢١٠،٤؟،٢١٥-٢١٧، بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١١١٨هـ/٢١ يونيو ١٧٠٦م.

حصة ١٤ قيراطا من بناء مكون منها ومن دار لمدة ٦٥ سنة بمبلغ ٦٧ قرشا، كانت بالجهة الغربية من الثغر بخط الزعربية، وتصفها كالآتي:

"(س١٣) .. *على قاعة معدة لعمل الحياكة بها خمسة أنوال من الخشب كاملات العدة/ منها ثلاثة معدة لحمل ال-حفرة sic واثنان للمزر وخمس خوالي فخاد معدة للصبغ وعلى مجاز بجانب القاعة المذكورة يتوصل منه إلى وسط دار بها قاعتان/ متلاصقتان وعلى حضير وعلى غرفة علو المجاز المرقوم وعلى مطبخة ومرحاض ومنافع ومرافق ..*"[١].

ومما يؤكد أهمية وانتشار صناعة النسيج بهذه المدينة امتلاك فرد واحد للعديد من قاعات الحياكة في أماكن متفرقة منها، بعضها ملحق به مصبغة، والكثير منها تعلوه منازل، فنجد في العديد من الوثائق كوثيقة شراء باسم الزيني حجازي بن سالم ابن بطارخ الحايك المؤرخة في ٤ جمادى الأول سنة ١٠٩٧هـ/٢٩ مارس ١٦٨٦م[٢] لحصص مختلفة في ٣ أماكن بالجهة الشمالية من الثغر، بمبلغ ١٤٠ قرشا، وتصفهم كالآتي:

"(س٩) .. *جميع الحصة التي قدرها النصف والسدس .. شائعا ذلك/ في كامل المكان الكائن بحري الثغر المشتمل على أرض وبناء صهريج ودار أرضية وقاعة حياكة وعقد سلم يصعد منه/ .. بها بيت وثلاث غرف ومطبخة ومرحاض ..* (س١٣) *وجميع الحصة التي قدرها الثمن .. شائعا ذلك في كامل/ المكان .. المشتمل على أرض وبناء مصبغة ونولين حياكة بها ودار أرضية بها قاعتان وثلاث غرف ومجاز وبستر معين ومطبخة ومرحاض/ ومنافع ومرافق وحقوق ..* (س١٦) *.. وجميع الحصة التي قدرها قيراطان اثنان وربع قيراط ../ .. شائعا ذلك في كامل المكان .. المشتمل على قاعة حياكة بها سبعة أنوال حياكة ودار بها قاعتان وثلاث غرف ومنافع ومرافق وحقوق ..* (س١٩) *وجميع الحصة التي قدرها نصف السدس .. شائعا ذلك/ في كامل المكان .. المشتمل على أرض وبناء قاعة حياكة بها خمسة أنوال من الخشب ودار/ أرضية بها قاعتان وغرفة ومطبخة ومرحاض ومنافع ..*".

وإذا كانت قاعات الحياكة السابقة وما ألحق ببعضها من مصابغ غالبا ما تحتل الدور الأرضي أو جزءا منه مع منازل ويعلوها الدور والقاعات السكنية بمشتملاتها، فقد وجدت قاعات حياكة أخرى مستقلة ملحق بها منشآت خفيفة من الخشب يطلق عليها في الوثائق أسم "العيدان" – سنتحدث عنها عند ذكر "عيدان الأرز"– ومن تلك الوثائق التي تؤكد على

---

١ ـ ٩٥، ١٣٠، ٧٣، ٩، جمادى الأولى سنة ١٠٩٧هـ/٣ إبريل ١٦٨٦م.

٢ ـ ٩٥، ٨٣، ٤٨.

ذلك وثيقة تصادق على شركة بين ثلاثة أفراد تصف مكانا من هذا النوع كالآتي:
"(س٣) .. *جميع الحصة/ التي قدرها النصف والثلث والثمن .. شائعا ذلك في كامل الثلاثة عيدان/ والقاعة المعدة لعمل الحياكة الكائن ذلك بالثغر المذكور بالجهة القبلية ونظير الحصة المذكورة من الساحة التي أمام ذلك* .."[1].

أما عن الطاقة الإنتاجية لهذه القاعات فكانت تتراوح -كما ذكرنا- بين نولين وعشرة أنوال نسيج، حسبما وجدنا من معلومات من خلال وثائق هذه المدينة، ومن بين تلك الوثائق وثيقة[2] إيجار لحصة ٨ قراريط على الشيوع لقاعة والأنوال التي بها أيضا لمدة ٩٠ سنة بمبلغ ٣٢ قرشا بالجهة الغربية من الثغر، وهذه الوثيقة من الأهمية بمكان لاحتوائها على قياس الأرض الحاملة للقاعة، مما يساعدنا على تخيل المبنى بمحتوياته المذكورة، وتصفها كالآتي:

"*.. المشتمل على أرض وبناء قاعة حياكة مع نظير ذلك من عدة ثمانية أنوال معدة لعمل الحياكة مركبة بالقاعة المذكورة وقيس أرض ذلك مقبلا مبحرا خمسة عشر ذراع ومشرقا مغربا سبعة أذرع بذراع البناء المعتاد* ..".

سادسا: قاعات الحبال

انتشرت برشيد أيضا باعتبارها مدينة ساحلية تجارية صناعة الحبال اللازمة لسفن ذلك الوقت ولغيرها، وقد عثرنا على بعض الوثائق التي تشير إلى ذلك، منها وثيقة إيجار بين شخصين أحدهما عرف بهذه المهنة اسمه "*غانم بن أحمد بن علي الحبال الرشيدي*" لقاعة "*معدة لعمل الحبال المعروف بناؤها بالخواجكي البدري بن عبد الله*" مؤرخة في ٢٩ رجب سنة ٩٩٥هـ/٦ يوليو ١٥٨٧م لمدة عشرة أشهر بمبلغ تسعون نصف فضة[3].

ويبدو أن صناعة الحبال هذه ظلت معروفة في رشيد حتى القرن ١٣هـ/١٩م، إذ تذكر وثيقة إثبات ارث مؤرخة في ٢ ذي الحجة سنة ١٢٨٧هـ/٢٣ فبراير ١٨٧١م قاعة أخرى بملحقاتها كالآتي: "(س١١) .. *جميع المكان الكائن وسط الثغر بالخط المعروف الآن بمعمل الشمع المشتمل الآن على أرض وبناء/ قاعة معدة لعمل الحبالة بظاهرها قطعة أرض كشف سماوي يتوصل إليها من صدر القاعة المذكورة وعلى مكان يعلو ذلك*

---

١ _ ١٦،١٤٤٤،٤٩٩، بتاريخ ٢١ رجب سنة ٩٩٦هـ/١٦ يونيو ١٥٨٨م.

٢ _ ٥٠،٤٧٥،١٧٦، بتاريخ ٧ ربيع الثاني سنة ١٠٤٢هـ/٢٢ أكتوبر ١٦٣٢م.

٣ _ ١٥،٤،١٥٠،٢٦٦.

مشتمل/ على مساكن علوية وسفلية ومنافع ومرافق وحقوق المحصور كامل ذلك أرضـا وبناء بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى المكان/ الجاري في ملك المكرم السيد يوسف الزيني .. والحد البحري ينتهي إلى شيرجة ملك المكرم حسن/ .. والحد الشرقي ينتهي إلى شارع حضير ملغى فاصل بين/ ذلك وبين الوكالة المعروفة بوكالة العسل والحد الغربي ينتهي إلى شارع مسلوك وفيه باب كل من المكان والقاعة/ المذكورين .."[1].

ومما يدل على انتشار تلك الصناعة بمدينة رشيد أن صناعها كان لهم تجمع حرفي خاص بهم، وأن الخط الذي يقيمون به يعرف "*بخط الحبالين*"، ومما يؤكد على أهمية تلك الطائفة أن ذلك الخط هو نفسه الذي كان يعرف "*بخط الصاغة*" وسط الثغر قبل أن تتركز فيه هذه الفئة فعرف بها، فتذكر إحدى وثائق القرن ١٣هـ/١٩م عند تحديدها لموقع أحد الأماكن أن المكان المذكور "*.. بالثغر المرقوم من أواسطه بالخط المعروف قديما بالصاغة القديمة ويعرف الآن بحارة الحبالين ..*"[2].

تاسعا: الطواحين

تفيض وثائق مدينة رشيد بعدد وفير من الطواحين، إذ لا يخلو سجل من سجلات محكمة المدينة من ذكر طاحون أو أكثر، ونجد تلك الطواحين في أماكن متفرقة من المدينة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، وهى إما مفردة المدار أو مزدوجة، ويطلق عليها "*طاحون فرد فارسي*" أو "*طاحون زوج فارسي*"، ومن حسن الحظ أن تلك الوثائق تصف الطواحين المذكورة وصفا مفصلا يبين لنا عدتها وآلتها ومصطلحاتها المختلفة، فعلى سبيل المثال لوصف طاحون بعدتها وملحق بها بيت نجد وصفا في الوثائق كالآتي:

"(س٥) *.. المشتمل المكان المذكور على أرض وبناء يشتمل البناء المذكور على طاحون فرد فارسي ذات المدار الواحد فتح بابها شرقيا وعلق عليه زوجا/ باب خشب نقي يتوصل إليه من زلاقة مبنية بالحجر الكدان وعلى مصطاح ودورة بها نصبة وقاعدة حجر صوان يعلوها حجر منافر وعود وهرميس/ وجايزة طولانية وقوس وسمسطار وقادوس وبيت دقيق وعلى دار دواب بها حوض معد لسقي الدواب مكملة بالعدة والآلة على العادة يعلو/ الطاحون المذكورة دار بها دهليز وتخانة وعقد سلم ومعالم بيت مكمل بناؤه وغرفة أمام البيت المذكور من الجهة الغربية تعلو دار الدواب المذكورة وعلى مطبخ/ ومرحاض*

---

١ - محفوظات،١٤،٣٥٠،٢٢٥،

٢ - محفوظات،٣١،٨٠٧، بتاريخ ٢١ ربيع أول سنة ١٣٠٠هـ/٣٠ يناير ١٨٨٣م،

ومنافع ومرافق وحقوق وجميع الساحة الأرض المجاورة للطاحون المذكورة من الجهة الغربية بالمراغة الخالية من البناء يومئذ يحيط بكامل الطاحون/ ويحصره حدود أربعة الحد القبلي شارع مسلوك وفيه باب الغرفة المذكورة والبحري ينتهي إلى ما بيد شهاب الدين المعروف بابن سلار والشرقي/ شارع مسلوك وفيه باب الطاحون والحد الغربي ورثة موسى الملاح .."[1].

ولا تختلف بقية الطواحين التي ورد ذكرها في الوثائق عن النموذج السابق سواء من حيث مكوناتها المعمارية أو في عدتها وآلاتها، وان وجدت بعض الطواحين الملحقة بها منشآت أخرى وخاصة الأفران أو الحوانيت، كما يبدو أنها كانت تدر على أصحابها دخلا ثابتا لا بأس به مما شجع بعض أصحابها على وقفها سواء كان ذلك وقفا خيريا على جهات البر والتقوى من مساجد وفقراء وخلافه، أو وقفا أهليا على أنفسهم وذريتهم من بعدهم ثم تؤول بعد ذلك إلى الجهات الخيرية. كما نلاحظ أن معظم الطواحين لم تخرج عن الجهتين القبلية والوسطى.

١ – طاحون رمضان الطحان

كانت تقع بالجهة القبلية من الجهة الغربية من المدينة، ورد وصف لها في وثيقة إيجار حصة النصف على الشيوع لمدة تسعين عاما ثم شراء لهذه الحصة بمبلغ مائة دينار، وتصفها الوثيقة بأنها طاحون فرد[2].

٢ – طاحون زيادة الطحان

كانت بالجهة الوسطى من المدينة، ورد وصف لها ولمحتوياتها بأنها طاحون فرد ملحق بها دار علوها في وثيقة إيجار وشراء ستة قراريط على الشيوع بمبلغ ٥٤ دينارا، وتصفها الوثيقة بأنها مبنية على أرض محتكرة بناحية ابن طعانة، وإنها طاحون فرد[3].

٣ – طاحون ابن حلاوة الرشيدي

كانت بالجهة الوسطى من الثغر، ورد ذكرها بوثيقة شراء لحصة النصف على الشيوع في الطاحون وعدتها وفرن وغيرها بمبلغ ٢٠ دينارا[4].

---

١ ـ ٢٤،١٤٧٣،٤٢٩،٤٢٩، بتاريخ ٢٥ ربيع الأول سنة ١٠٠٧هـ/٢٦ أكتوبر ١٥٩٨م.

٢ ـ ١٣،٣٥٥،٨٣، بتاريخ ١٦ ذي الحجة سنة ٩٩١هـ/٣١ ديسمبر ١٥٨٣م.

٣ ـ ١٦،٩٩،٢٥، بتاريخ ١٨ محرم سنة ٩٩٦هـ/١٦ نوفمبر ١٥٩٠م.

٤ ـ ١٨،٤٣٦،١٢٤–١٢٥، بتاريخ ٣٠ رجب سنة ٩٩٩هـ/٢٤ مايو ١٥٩١م.

٤ - طاحون الحاج سالم الشيشيني التاجر بالقيسارية

كانت بالجهة القبلية من الثغر، ورد ذكرها في وثيقة تمليك لأولاد صاحبها، تمدنا بمزيد من التفاصيل عن المكونات المعمارية للطواحين الفرد الفارسي الملحقة ببيوت ذلك الوقت وما بها من عدد وآلات[١].

٥ - طاحون المعلم محمد المدعو شرباشي البناء

كانت بالجهة الوسطى غربي الثغر، ورد ذكرها في وثيقة[٢] إيجار وشراء لحصة النصف منها ومن ساحة أرض فضاء أمامها من الجهة القبلية بجوار دار الدواب باسم أحمد بن ناصر الدين النجار في الطواحين من المعلم محمد المدعو شرباشي البناء، وهى طاحون فرد فارسي.

٦ - طاحون المعلم علي الشرقاوي

كانت بالجهة القبلية بالقرب من المذبح، ورد ذكرها في وثيقة وقف المعلم علي بن سراج بن عمر الشرقاوي الأصل المدولب في الطواحين، التي تفيد أنها من إنشائه، وأنه يعلوها بيت ويجوارها ساحة[٣].

ثامنا: الأفران

كانت الأفران -ولا تزال- من المنشآت الاقتصادية الهامة المرتبطة بالحياة اليومية، وقد لاحظنا من خلال ما ورد عنها بوثائق مدينة رشيد أنها وزعت في مختلف أنحاء المدينة، وأن عقد إيجارها كان لمدة تتراوح بين السنة والثلاث سنوات بإيجار شهري محدد بالوثائق[٤]، كما كانت من المنشآت التي توقف، سواء كان وقفا خيريا أو أهليا. وقد لاحظنا أن وثائق القرن ١٠هـ/١٦م كانت تستخدم لفظي "*الفرن*" و"*الطابونة*"، فنجد في وثيقة إيجار أحمد المعروف بابن الطابوني من أحمد المعروف بابن حسين لفرن يذكر

---

١ ـ ١٤،٤٦،٢٢، بتاريخ ٢ ربيع الثاني سنة ١٠٠٤هـ/٥ ديسمبر ١٥٩٥م.

٢ ـ ٣٠٦،٩١١،٢٢، بتاريخ ١٨ شعبان سنة ١٠٠٤هـ/١٧ إبريل ١٥٩٦م.

٣ ـ ٤٢٩،١٤٧٣،٢٤، بتاريخ ٢٥ ربيع الأول سنة ١٠٠٧هـ/٢٦ أكتوبر ١٥٩٨م.

٤ ـ ١٤، ٢٢٣، ٥٩، بتاريخ ١٩ صفر سنة ٩٩٤هـ/٩ فبراير ١٥٨٥م، وهي عبارة عن عقد إيجار لفرن بالجهة الجنوبية من المدينة لمدة سنة بأجرة عن تمام السنة ١٨٠ نصف فضة، وعن كل شهر ١٥ نصف، مقسمة على المدة كلها.

أنها *"الفرن المعروفة بالطابونة الكائنة بالثغر بسوق الجزارين"*[١].

وجدنا أيضا وصفا بالوثائق لتلك المنشأة بمكوناتها المعمارية كالآتي: *المشتمل على بيت نار وبه مسطاح وقاعة معدة للعجين ومجاز"*[٢]، وفي وثيقة أخرى كالآتي: *المشتمل على بيت نار وقبة وزلاقة وقاعة معدة للعجين"*[٣]، كما وجدنا أفرانا يعلوها بيوت[٤] وألحق بها أيضا حوانيت[٥].

تاسعا: معامل الطوب

من المنشآت الصناعية التي اشتهرت بها مدينة رشيد عبر العصور، كما ورد ذكرها في عدة وثائق ولكن دون تفاصيل لمكوناتها، وقد ذكرتها إحدى الوثائق معملا بالجهة القبلية من المدينة من أوقاف الجامع الكبير –جامع زغلول– على إنها أرض براح كالآتي: *".. جميع الأرض البراح الكشف السماوي الخالية من البناء والنقض الكائنة بالثغر المذكور بالجهة القبلية بمعمل الطوب التي قيسها مقبلا مبحرا ستة عشر ذراعا يقاس ذلك مما بيد الحاج شحاته بن حجازي البناء بالثغر مقبلا ومشرقا مغربا أربعون ذراعا يقاس ذلك من نهاية شقة الشارع المسلوك الفاصل بين مقبرة المسلمين وبين الأرض المذكورة أعلاه مشرقا كل ذلك بذراع البناء المعتاد .."*[٦].

عاشرا: مطابخ النوشادر

قد يبدو غريبا لأول وهلة إذا ذكرنا أن هناك ارتباط وثيق بين صناعة ملح النوشادر وصناعة الطوب السابق ذكرها، بل وبالأفران أيضا، إذ أن صناعة ملح النوشادر تعتمد

---

١ _ ٩، ٢٥٠، ٦١، بتاريخ ٧ صفر سنة ٩٨٨هـ/١٦ ديسمبر ١٥٨٩م، وهي أجرة لمدة سنتين بمبلغ ١٤ دينار.

٢ _ ١٢، ١١٨٤، ٣٣٧، بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ٩٨٩هـ/١٩ يناير ١٥٨٢م، وهي وثيقة وقف أبو العباس أحمد بن أحمد بن الشيخ علاء الدين أبو الحسن بن شمس الدين أبو عبد الله محمد الحنفي الرشيدي خليفة الحكم العزيز بالثغر الشهير بابن الحداد لفرن غربي المدينة.

٣ _ ١٤، ١٠١٣، ٢٧٥، بتاريخ ٢٢ رجب سنة ٩٩٤هـ/٩ يوليو ١٥٨٦م، وهى وثيقة إيجار لفرن من أملاك أولاد الحاج عبيد بريمات بالجهة البحرية من المدينة بجوار طاحون لمدة ثلاث سنوات بأجرة عشرة أنصاف فضة عن الشهر، وشرط المؤجر أن يقوم المستأجر بتبليط الفرن.

٤ _ ٢٢، ١١٤٨، ٣٩٦، بتاريخ ٨ شوال سنة ١٠٠٤هـ/٥ يونيو ١٥٩٦م؛ ٢٤، ٥٦٦، ١٦٩، بتاريخ ١٥ رمضان سنة ١٠٠٦هـ/٢١ إبريل ١٥٩٨م.

٥ _ ١٨، ٤٣٦، ١٢٥، بتاريخ ٣٠رجب سنة٩٩٩هـ/٢٤ مايو ١٥٩١م.

٦ _ ١٤، ٤١٧، ١٠٦ ، بتاريخ ٢٣ ربيع الأول سنة ٩٩٤هـ/١٣ مارس ١٥٨٥م.

أساسا على الصناج الذي يستمد من قمائن الطوب ومن الأفران العمومية، وقد ذكر كولليه ديكوتيل عند وصفه لطريقة صناعة ملح النوشادر أن مدن وقرى مصر السفلى الواقعة على فرع رشيد يأتي منها أفضل أنواع الصناج الذي يعطي صنفا بالغ الجودة من ملح النوشادر[1]، كما ذكر أيضا في قائمة الصادرات المصرية تصدير "*ملح النشادر إنتاج المنصورة ورشيد نمرة ١*"[2]، ولعل هذا يفسر لنا ما ورد في بعض الوثائق الخاصة بهذه المدينة عن مصانع النوشادر ووقوعها بجوار معامل الطوب، وكانت الدولة تفرض عليها ضرائب تسدد للديوان مباشرة، وكانت تسمى "*مطبخ النوشادر*"، وقد وجدنا في إحدى وثائق المدينة وصفا لمطبخ منشأ حديثا في القرن ١٠هـ/١٦م في الجهة الجنوبية للمدينة ووصفا لآلاته كما يأتي:

"*حضر لدى سيدنا ومولانا أقضى القضاة فخر أقرانه الزيني/ السيد أغا بن عبد المنعم الوكيل بالديوان السعيد بالثغر والحاج إبراهيم والحاج عبد الواحد والمعلم عبد الرحمن أولاد المرحوم الحاج أبي العزين sic شعبان الفوي النحاس/ كل منهم بالثغر المذكور المعروفين بوالدهم أحدثوا بالثغر المذكور بالجهة القبلية منه بالقرب من معمل الطوب مطبخا لعمل النوشادر وأن على ذلك عادة مرتبة بجهة الديوان/ المقيد لدى مولانا أقضى القضاة المومى إليه أعلاه دام علاه في الكشف عن المطبخ المذكور وتحديد ما به من آلات طبخ النوشادر فأجابه مولانا المشار إليه أعلاه/ إلى ذلك وتوجه ومعه من سيكتب اسمه آخره إلى حيث المطبخ المذكور فوجد من الآلات المعدة لذلك الذي يعمل بها النوشادر جميع أربع نحاسات/ ..؟ وسبعة كوانين وفرن كبير ونحو مائة زجاجة مطينة*[3] *وغير ذلك من الآلات ..*"[4].

حادي عشر: عيدان الأرز

أطلق هذا المصطلح في وثائق مدينة رشيد العثمانية على المنشآت الخاصة

---

١ ـ عن كيفية صناعة ملح النوشادر في ذلك الوقت أنظر: علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، ج٥، ص٢٩١-٣١١.

٢ ـ نفس المصدر السابق، ج١، ص٢٤٧.

٣ ـ تصنع تلك الزجاجات من زجاج رديء أسود ملون، ثم تلطخ بالطين بطبقة يبلغ سمكها نحو ١٠ الى ١٢ مم، ويستخدم في ذلك سيقان الكتان المهروسة، وتستخدم هذه الزجاجات في تصعيد النوشادر من السناج في عملية ذات عدة مراحل. المصدر السابق، ج٥، ص٣٠٢.

٤ ـ ٨٣،٣٥٩،١٧، بتاريخ ٢١ ذي القعدة سنة ٩٩٧هـ/١ أكتوبر ١٥٨٩م.

بضـــرب وتبييض الأرز، ولا شـــك أن هذه الصناعة كانت منتشـــرة بمدينة رشيـــــد على نطاق واسع لما يشتهر به أرز رشـــيد من جودة وشهـــرة فائقة، وبصـــفة عامـــة فان الأرز كان يأتي في مقدمة صادرات مصر في ذلك الوقت، وخاصة الأرز الرشيدي الذي كان يصدر منه في زمن الحملة الفرنسية حوالي ٢٥ ألف إردب[١].

استمدت عيدان الأرز اسمها من تلك المنشآت الخفيفة التي تتخذ مـــن أعـــواد مـــن الخشب الزان أو البوص الفارسي، وتوضع بها طواحين لضرب الأرز، واتخذ بعضـــها الآخر لأغراض اللهو والمرح، وان كان هذا لا ينفي وجود بعـــض طواحيـــن ضـــرب الأرز في الطوابق الأرضية من المنازل، وقد أطلق عليها أيضا المصطلح الشائع "*عـــود لدق الأرز*". وكان الشخص المتخصص في إعداد وصناعة هذه الأعواد يطلق عليه أسم "*العيداني*" أو "*العويداني البوصاني*"[٢].

وقد عثرنا على العديد من الإشارات والأوصاف بوثائق البيع والشراء وأيضا الوقف لتلك المنشآت التي انتشرت بمدينة رشيد، وعلى وجـــــه التحديـــد بالجـــهتين الجنوبيـــة والغربية، فمن هذه الوثائق نجد وثيقة إيجار وشراء لعود وساحة بالجهة القبلية بمبلغ ٧٠ دينارا، تصف لنا مشتملات تلك المنشأة واستخدامها كالآتي:

"(س٢) .. *جميع المكان الكائن بالثغر بالجهة القبلية/ من الجهة الغربية المشتمل علـــى أرض وبناء يشتمل البناء المذكور على عود وساحة أمامـــه معـــد العـــود لـــدق الأرز المشتمل على ركبتين مركب على كل منهما لاطة خشب محددة وعلى/ ثلاثة صنـــاديق معدة لوضع الأرز الأبيض ومخزن لطيف مركب على العود المذكور درفتا باب خشـــب نقي مفروش أرض ذلك بالطوب الآجر مكمل بالأبواب والأخشاب/ والسقف على العـــادة المحصور ذلك بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى الشارع المسلوك والحد البحري إلـــى ساحة مسامته لبناء العود المذكور مبحرا إلى نهاية الشارع المســـلوك معـــدة/ الســـاحة المذكورة لتفريش الأرز وتشميسه وفيه باب العود المذكور والحد الشرقي إلى عود بيـــد المؤجر البائع المذكور والحائط التي بينهما مشتركة بين المؤجر البائع المذكور/ وبيـــن المستأجر المذكور نصفين بالسوية والحد الغربي إلى مستحقيه شرعا*"[٣].

---

١ ـ علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، ج١، ص٢٤٧.

٢ ـ عن وصف طواحين ضرب الأرز برشيد وطريقة عملها وأشكالها أنظر: علماء الحملة الفرنســـية: وصف مصر، ج٣، ص٢٢٥-٢٢٦.

٣ ـ ١٦، ١٢٨، ٣٤، بتاريخ ٢٣ محرم سنة ٩٩٦هـ/٢٤ ديسمبر ١٥٨٧م.

وجدنا كذلك وثيقة وقف تصف ثلاثة عيدان بالجهة الجنوبية متجاورة، بل وداخل حدود واحدة[1] كالآتي:

"جميع الثلاثة عيدان المتلاصقة الكائنة بالثغر المذكور من قبليه المعدة لدق الأرز بما اشتملت عليه من أبواب وسقف وصناديق معدة لدق الأرز وهو أصل ذلك ولطات محددة ومناشر تجاه كل منها من الجهة الشرقية معدة لنشر الأرز الشعير وحوائط دايرة على المناشر المذكورة مفروش أرض كل من الثلاثة عيدان المذكورة بالبلاط الكدان على العادة ومنافع ومرافق وحقوق يحصر ذلك حدود أربعة الحد القبلي والبحري والشرقي كل منهما ينتهي إلى شارع مسلوك وفي الحد الشرقي فتحت أبواب العيدان المذكورة بمناشرها مشرقا والحد الغربي ينتهي بعضه لما بيد ورثة المرحوم الحاج محمد وتتمته أرض تعرف قديما بشاش المحطة وبخيل الديوان".

وفي وثيقة إيجار أخرى وصف لخمسة عيدان متجاورة جنوب غربي المدينة يعلوها ست طباق -جمع طبقة- لتخزين الأرز، وتصفها كالآتي:

"(س١٤) .. جميع المكان الكائن قبلي الثغر من غربية المشتمل/ على خمسة عيدان معدة لدقة الأرز وما ينسب إلى ذلك من القطعة الأرض الملاصقة لها من الجهة القبلية المعدة لنشر الأرز وعلى عقد سلم من جهتها/ القبلية ليصعد منه إلى مجاز يتوصل منه إلى ست طباق معدة لخزن الأرز وعلى عقد سلم من جهتها البحرية يصعد منه إلى دهليز ورواق"[2].

وجدنا أيضا وثيقة شراء مساحة ١٤,٢٥ قيراطا على الشيوع في مكان يسمى *الدايرة*" كان يقع بالجهة الشمالية الشرقية للمدينة فيما كان يسمى بعزبة المغاربة المعروفة بعزبة سيدي أبو الريش، يحتوي هذا المكان على أماكن معدة لدق الأرز الشعير وكذلك ساحة لنشره في الشمس، وعلى زريبة وقاعات يعلوها مقعد، وقاعة لخزن الملح، ويبدو من وصف هذا المكان أنه كان خارجا نوعا ما عن دائرة عمران المدينة، وذلك من ضخامة المبنى وتعدد وظائفه، وتصفه الوثيقة كالآتي:

"(ص٢٠٩س٦) .. جميع الحصة التي قدرها النصف ونصف السدس أربعة عشر قيراطا وزيادة على ذلك ربع قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطا شائعا ذلك في كامل المكان/ المعبر عنه بالدايرة بحري الثغر المرقوم من شرقيه بالعزبة المعروفة

---

١ ـ ٢٢،٥٢،١٧، ٢ ربيع الثاني سنة ١٠٠٤هـ/٥ ديسمبر ١٥٩٥م.

٢ ـ ؟،١٢٢،٩٠-٩٢، بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني سنة ١١٠٦هـ/١١ ديسمبر ١٦٩٤م.

ديما بالمغاربة وتعرف الآن بالولي العارف بربه/ سيدي محمد أبي الريش عمت بركاته
المشتمل المكان المذكور على باب من حقوق العزبة المذكورة يدخل/ منه إلى سلوك sic
طيف يأتي ذكره فيه يتوصل منه إلى سلوك sic لطيف يأتي ذكره فيه يتوصل منه إلى
دايرة بها أربع لاطات/ من الخشب النقي كاملة العدة والآلة صالحة للإدارة معدة لدق
الأرز الشعير وتبييضه بداخلها حاصلان معدان/ لخزن الأرز بجانبها قاعة يعلوها طبقة
معدة لخزن الأرز الأبيض تجاه ذلك منشر لطيف معد لنشر الأرز/ الشعير وتشميسه
وعلى قاعتان من الجهة الشرقية بجانبها عقد سلم يصعد منه إلى عقد لطيف وعلى
قاعتين/ بالجهة الشرقية المذكورة أيضا متلاصقتين قبليا وبحريا إحداهما مركبة على
الهودي sic الآتي ذكره فيه وهي القبلية/ والأخرى بجانبها وهي البحرية وعلى قاعة
خامسة بالشارع الغربي الآتي ذكره فيه معدة لخزن الملح خارجة من الجهة/ البحرية
مقدار خمسة أذرع بذراع البناء المعتاد وبعد ذلك يتم تحديدها إلى الجهة البحرية وعلى
قاعة سادسة بمجاز الزريبة/ الآتي ذكرها فيه من الجهة القبلية على يسرة الداخل لها
معدة لخزن التبن وعلى باب كبير ثاني يعبر عنه بباب الزريبة/ يدخل منه إلى المجاز
المرقوم الفاصل بين القاعة التي به المذكورة وبين المكان المعروف بكل من محمد
وسليمان البحراوي/ وبالمكان المذكور يتم حد داخل الزريبة المذكورة من الجهة الشرقية
وبه أيضا يتم حد المجاز المرقوم من الجهة الغربية/ ويتوصل منه إلى الزريبة التي بها
طوالتان معدتان لعلف الأثوار والبقر يعلو كل طوالة منها تعريشة وعلى منافع ومرافق
وتوابع وحقوق المحصور ما منه ذلك بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى السلوك
اللطيف/ الموعود بذكره أعلاه الذي منه حق المرور والاستطراق مغربا إلى الشارع
الغربي الآتي ذكره فيه ومشرقا إلى الباب/ الكبير المذكور أولا أعلاه وقيسه مقبلا مبحرا
ذراع واحد ونصف ذراع بالذراع المذكور فاصل بين المنشر المرقوم وبين/ الهودي
الموعود بذكره أعلاه المعروف بقناة ذي الفقار قديما ويعرف الآن بالعربي العارف بربه
تعالى/ سيدي وأستاذي في الحق علي المحلي عمت بركاته الوجود والحد البحري ينتهي
بعضه من الجهة الشرقية إلى الشارع/ والى المكان المعروف بالحاج حسن الفيومي
وتتمته من الجهة الغربية إلى المكان المعروف بحموده باشا وبالحد البحري المذكور/
خرجه قاعة الملح المذكور أعلاه والحد الشرقي ينتهي بعضه من الجهة البحرية إلى
المكان المعروف بمحمد وسليمان البحراوي/ المذكور أعلاه وبعضه إلى الشارع
الفاصل بين باب الزريبة وبين المفازة المذكورة أعلاه وباقيه من الجهة القبلية/ إلى

المكان المعروف بالمرحوم علي عنيزة المنزلاوي والحد الغربي الموعود بذكره أعــلاه ينتهي إلى الشارع المسلوك الفاصل/ بين ذلك وبين منشر الدايرة المعروفــة بــالمرحوم أحمد جوربجي بن إسماعيل أغا السكندري ../ بثمن مبلغه عن ذلك من القروش الريــال الحجر الأبي طاقية مائة قرش واحدة واثنان وستون ريال"[1].

٤ – المنشآت المدنية

أولا: منشآت الرعاية الاجتماعية

لا شك في أن الأحوال الاقتصادية هى التي تشكل البنية الحضارية لأية مدينة، وفــي حالة مدينة رشيد فان موقعها وما بها من تجارة وصناعة وما يفــد إليــها مــن تجــار مستوردين ومصدرين ووسطاء، كل ذلك جعل مجتمع المدينة يعج بمختلف الطبقات على اختلاف مستوياتها، وما استتبع ذلك من وجود منشآت للخدمـــة الاجتماعيــة، أنشــيء بعضها كعمل من أعمال الـــبر والتقــوى والتقــرب إلـــى الله كالأســبلة والصــهاريج والبيمارستانات، وأنشيء البعض الآخر بقصد تحقيق الربح والمنفعة كالحمامات.

أ – الحمامات

كانت الحمامات تؤدي وظيفة صحية كما كانت تؤدي في نفس الوقت وظيفة دينيــة وأخرى ترفيهية، حيث كانت تتم بها بعض مراسم احتفالات الخطبة والزواج والختــان، وتعتبر الحمامات أيضا من المنشآت التي تدر ربحا منتظما وفيرا، ومن ثم فقد حــرص أصحاب الثروات على إنشائها ووقفها وقفا أهليا أو خيريا على أغراض البر والتقوى.

تتكون الحمامات معماريا –في معظم الأحوال– من واجهة بها بــاب يــؤدي إلــى الداخل، وباب يؤدي إلى المساكن التي تعلوه إن وجدت، وآخر يؤدي إلى المستوقد المعد للتسخين وبئر المياه ويعلوه الساقية وغير ذلك، ويؤدي باب الحمام إلى ممر يدخل منــه إلى مسلخ –وهو المكان الذي ينسلخ فيه الإنسان من ملابسه– ويتكون هذا المسلخ فــي الغالب من دورقاعة قد تتوسطها فسقية، يحيط بها أربعة أواوين، بها فــي كثــير مــن الأحيان حجرات لاستراحة ميسوري الناس، ويسقف المسلخ مــن الخشــب ويتوســطه شخشيخة، حيث يكون هذا المكان في درجة حرارة عادية ليستقبل المستحم بعد خروجــه من البيت الأول ليرتدي ملابسه ويخرج إلى خارج الحمام، ويوجد بالمسلخ بابان يــؤدي

---

١ ـ ؟،١٧٥،٢٠٨-٢٠٩، بتاريخ غرة ذي القعدة سنة ١١٧٧هـ/٢ مايو ١٧٦٤م.

أحدهما إلى ممر به دورات المياه والبيت الأول (بيت حرارة أول)، ويؤدي الآخر إلى مستوقد الحمام، ويتكون البيت الأول من إيوان واحد مخصص للاستراحة بعد الاستحمام حتى لا يخرج المستحم دفعة واحدة إلى الهواء العادي بالمسلخ، وقد وجدنا في حمام عزوز الباقي إلى الآن بمدينة رشيد أن البيت الأول يتكون من إيوانين، ونجد في هذا المكان باب يؤدي إلى الجزء الثالث من الحمام ألا وهو بيت الحرارة (بيت حرارة ثاني)، ويتكون في المعتاد من دورقاعة مثمنة يتعامد عليها أربعة أواوين يفتح منها ومن الأركان الأربعة الأخرى المكملة للمثمن أبواب تؤدي إلى حجرات (خلوات) ومغاطس، وسقوف البيت الأول والثاني عبارة عن أقبية وقباب يتخللها فتحات مستديرة في غالب الأحيان مغطاة بشرائح الزجاج (مضاوي) للإضاءة مع حفظ الحرارة داخل المبنى[1].

وقد ذكرت وثائق مدينة رشيد التي ترجع إلى العصر العثماني العديد من الحمامات في معاملات مختلفة من وقف وإيجار، ودعاوى لإصلاحها، ومحاسبات لترميمها أو شكاوى لذلك، نذكر منها ما يلي:

١ - حمام يوسف القبودان

كان يقع بالجهة الشمالية من المدينة، بشارع بورسعيد الآن، وكان ضمن أوقاف الأمير يوسف أمير اللواء السلطاني بالثغر السكندري وقابودان المراكب السلطانية العديدة بتلك المدينة، التي كانت تشتمل على حمام ووكالتين وحواصل وطباق وغيرها، وقد ورد هذا الحمام في عدة وثائق، منها وثيقة إثبات إيجار لأوقافه لمدة ثلاث سنوات بمبلغ ٣٥٠ دينارا عن السنة الواحدة، ترجع إلى سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٥م توضح مشتملات وقف الأمير يوسف وموقعها كما يلي:

"بعد أن أظهر من يده فخر الأماثل الحاج مصطفى بن عبد الله التاجر بالثغر حجة مكتتبة بالباب العالي بالقاهرة المحروسة مؤرخة مع ما بها من ثبوت وحكم/ من قبل مولانا الشيخ .. خليفة الحكم العزيز بالباب العالي بتاسع عشري شعبان/ المكرم سالف شهر تاريخه مضمونها أن في الأعيان الجناب العالي الأمير محمد بن المرحوم الجناب العالي البدري حسن بن الجناب العالي الأمير يوسف القابودان/ الناظر الشرعي على وقف جده المشار إليه جميع الوكالة الكبرى وما بها من الحواصل والطباق وعلو ذلك والحوانيت التي بها من الجهة الشرقية على الشارع الفاصل/ بين ذلك وبين وكالة المرحوم علي باشا وجميع

---

[1] ـ أنظر عن تخطيط الحمامات: PAUTY(E):LES HAMMAMS DU CAIRE.

الحمام الكائن بالثغر المذكور من الجهة البحرية المشتمل على منـــافع ومرافــق وحقــوق وجميع الوكالة الصغرى الملاصقة/ للحمام المذكور وما لها من المنافع والحقوق المعروف ذلك بوقف المرحوم الأمير يوسف القابودان المذكور الكائن بـــالثغر المذكـــور المحـــدود الموصوف ذلك بالحجة المحكى/ تاريخها أعلاه للحاج مصطفى المذكور أعلاه فاســتأجر منه ذلك لنفسه لمدة ثلاث سنوات كاملات من تاريخه بأجرة مبلغها عن كل سنة ثلاثمائــة دينار/ وخمسون دينارا الحال من ذلك أجرة السنة الأولى .."[١].

وجدنا كذلك عدة وثائق لمحاسبة المستأجر لتلك الأوقاف بعد حساب قيمـــة الـــترميم الذي أجراه، محددا بها ترميمات جرت بالحمام الذي نحن بصدده، مـــن بينـــها وثيقــة تصادق بين حفيد الأمير يوسف –الناظر على أوقافه– وبين مستأجر أماكن الوقف علــى صرف جزء من الأجرة على إصلاح الحمام ومصاريف أخرى على الأماكن المؤجـــرة ترجع إلى سنة ٩٨٦هـــ/١٥٧٨م، وتشير إلى تغيير رصاص الدسوت الخاصة بتســخين المياه للحمام، ونصها:

تصادق الجناب العالي العالمي الفاضلي الصارمي إبراهيم بن المرحوم الجناب العـــالي الشرفي يحيى بن المرحوم المقر الكريم العالي الجمالي يوسف أمير اللواء الســـلطاني/ وقابودان المراكب السلطانية جده المشار إليه بالثغر السكندري كان تغمده الله بالرحمـــة والرضوان .. وهو الناظر الشرعي على أوقاف جده/ الكائنة بالثغر مع الحاج صفر بـن الحاج حسن الحمامي مستأجر الأماكن الجارية في الوقــف الكائنـــة بـــالثغر التصـــادق الشرعي في صحة أوصافهما المعتبرة شرعا/ أن مبلغ الأربعمائة دينار المتأخرة بذمـــة الحاج صفر المذكور من أجرة الأماكن المؤجرة عن مدة أربع ســـنين وأربعـــة أشـــهر تمضي/ من ريع المباني الآتي في سنة سبع وثمانين وتسعمائة تلي مدة تواجـــر بريـــت ذمة الحاج صفر المذكور منها بمقتضى أن الصارمي إبراهيم الناظر المشار إليه قبـــض من ذلك مائة دينار/ واحدة وثلاثين دينارا وصرف في خمسين قنطارا من الرصـــــاص برسم دمث الحمام من يد الحاج صفر المذكور بإذن الصارمي إبراهيم الناظر ..؟ مـــن ذلك مائة دينار/ ثنتان وخمسة وسبعون دينارا وما قبضه المجلس الســـامي النـــاصري محمد بن البدري حسن بن عم الصارمي إبراهيم الناظر المشار إليه خمسة وســـبعون/ دينارا وما صرف لأرباب الوظائف بالمسجد الجاري في الوقف وفي ملـــي صـــهريج

---

١ ـ ٢١، ١١٨، ٣٧، بتاريخ ٦ رمضان سنة ١٠٠٣هـــ/١٥ مايو ١٥٩٥م.

الوقف ثلاثة عشر دينارا وأمرته الجناب العالي الصارمي إبراهيم المشار إليه للحاج صفر المذكور/ أن يصرف على الأماكن الجارية في تواجره الكائنة بالثغر من ماله فيما يحتاج الحال إلى صرفه من عمارة وترميم .."[1].

وجدنا أيضا وثيقة أخرى تفيد إصلاح الدسوت الرصاص الخاصة بالحمام وكذلك سقفه، ترجع إلى سنة ٩٩١هـ/١٥٨٣م، ونصها:

أشهد على الجناب العالي العالم العلامة العمدة الصارمي إبراهيم ابن المرحوم الجناب العالي الشرفي يحيى ابن المرحوم المقر الكريم العالي الأميري الكبيري الجمالي يوسف/ مير اللواء السلطاني والقابودان بالمراكب السلطانية جده المشار إليه بالثغر السكندري كان وهو الناظر الشرعي على أوقاف جده المشار إليه بمقتضى/ ما بيده من التمسكات المخلدة تحت يده شهوده الإشهاد الشرعي في صحته وسلامته وطواعيته واختياره من غير إكراه ولا إجبار أن ذمة الحاج الأجل الصارمي/ إبراهيم بن المرحوم الحاج نور الدين علي الشهير بابن المنوفي مستأجر جهات الوقف الكائنة بالثغر الرشيدي بريت للناظر المشار إليه أعلاه ولباقي/ المستحقين معه في الوقف من مبلغ قدره من الذهب السلطاني الجديد ثلاثمائة دينار من مبلغ الأجرة المتأخرة عليه/ على الوجه الشرعي بمقتضى أن الصارمي إبراهيم الناظر المشار إليه قبض من الحاج إبراهيم المستأجر المذكور مائة دينار واحدة وستين دينارا ودفع ذلك من دين/ شرعي كان على جهة الوقف وما صرف بمعرفة الناظر المشار إليه وإذنه على مصالح الوقف في ترميم الوكائل وتصليح دسوت الحمام وثمن/ رصاص وعمارة سطح المدرسة التي داخل الوكالة وعلى سطح الحمام وعمارة حائط المطهرة وبيوت الخلا بالمطهرة المذكورة وفي ملي صهريجي الوقف/ وعلى أرباب شعائر المسجد المذكور وفي ثمن حصر وزيت وعرققة sic مائة دينار واحدة وأربعون دينارا من ذلك ما هو بيد الشيخ عامر الإمام بالمسجد/ مائة دينار وما هو بيد الناظر المشار إليه وأصرفه أربعون دينارا وصدر ذلك بحضور الشرفي يحيى ابن المرحوم الجناب العالي الزيني منصور/ ابن أخي الناظر المشار إليه أحد المستحقين في الوقف وإطلاعه على ذلك وتصديقه/ الإطلاع والتصديق الشرعيين ليصير جملة ما قبض من الحاج إبراهيم المستأجر المذكور تسعمائة دينار من الذهب الموصوف أعلاه تصادقهما

---

١ ـ ٩، ٣،١٧، بتاريخ ١٦ صفر سنة ٩٨٦هـ/٢٤ إبريل ١٥٧٨م.

على ذلك تصادقا شرعيا .."[١].

وتفيد وثيقة أخرى عن أعمال ترميم لهذا الحمام مع باقي منشـآت الأمـير يوسـف القابودان ترجع إلى سنة ٩٩٩هـ/١٥٩١م، ونصها:

تصادق .. إبراهيم بن .. يحيى بن ../ .. الجمالي يوسف ../ وهو النـاظر الشـرعي على وقف الجمالي يوسف القابودان .. مع الحاج .. إبراهيم ../ .. الشهير نسبه الكريـم بابن المنوفي المستأجر لجهات وقف المرحوم الجمالي يوسف القابودان .. الكائنة بالثغر المذكور المشتملة على حمام ووكالتين/ وحواصل وطباق وحوانيت وغير ذلك مما هـو معلوم لهما شرعا ../ .. على أن الذي أصرفه الحاج إبراهيم المنوفـي .. مـن مالـه وصلب حاله على مصالح جهة الوقف المذكور أعلاه/ فيما احتاج الحال إليه ودعـت الضرورة إلى صرفه في مدة ثلاث سنوات تقدمت على تاريخه بالإذن الشـرعي فـي صرف ذلك من الصارمي إبراهيم/ الناظر الشرعي .. مبلغا قدره من الذهـب الجديـد معاملة تاريخه بالديار المصرية مائة دينار واحدة وثمانية وثلاثون دينارا على ما يبيـن فيه فمن ذلك/ ما أصرفه في المدة المذكورة أعلاه .. معلوم إمام المسجد الكائن داخـل الوكالة الكبرى وفي ملي الصهريج بالوكالة المذكورة وأجرة نجـار وكسـح/ سـراب الوكالة المذكورة أعلاه إحدى وستون دينارا وما أصرفه على تدويـر دسـوت الحمـام المذكور وعمارة سقف ساقيته على يد/ الشرفي يحيى بن الأمير منصور الشهير بـابن أخي الناظر المشار إليه أعلاه ستة وثلاثون دينارا وما أصرفه بعـد تدويـر الدسـوت المذكورة أعلاه في ثمن/ زيت لقدور الحمام وثمن بعض رصاص لذلك وأجرة بنـايين لترميم الحمام ولسقف الحرارة به وكسح سراب الكنية sic *وغيرها/ عن مدة السـنتين الأخيرتين من الثلاث سنين المذكورة أحد وأربعون دينـارا وأذن الصـارمي إبراهيـم الناظر الشرعي المشار إليه أعلاه/ للحاج إبراهيم المنوفي المستأجر المذكور أعـلاه أن يستوي على الحمام والوكالتين وتوابعهم من الطباق والحواصل والحوانيـت المعروفـة بهم/ الداخل ذلك في تواجره سابقا مدة شهرا كاملا وهو شهر شـعبان المكـرم شـهر تاريخه ما تعطل من أماكن الوقف المذكور وخلافه/ في مدة السنة الثالثـة مـن مـدة التواجر المذكور أعلاه إذنا شرعيا مقبولا بالطريق الشرعي .."*[٢].

---

١ ـ ١٣،١٩،٨٣، بتاريخ ٢٦ شوال سنة ٩٩١هـ/١٢ نوفمبر ١٥٨٣م.

٢ ـ ١٨،١٣٣،٤٦٦، بتاريخ ٤ شعبان سنة ٩٩٩هـ/٢٨ مايو ١٥٩١م.

٢ – حمام الخواجا عباد الله

تشير الوثائق الخاصة بأوقاف الجمالي عبد الله بن مصطفى الشهير بابن عبـــاد الله إلى أن هذا الحمام كان موجوداً قبل سنة ٩٨٣هـــ/١٥٧٥م حيث ورد ذكره في وثيقـــة مؤرخة في ٢٩ جماد ثاني سنة ٩٨٣هـــ/٥ أكتوبـــر ١٥٧٥م، وقـــد اشـــتملت أوقـــاف الخواجا ابن عباد الله بالإضافة إلى الحمام على وكالة وحواصـــل وربعيـــن وحوانيـــت ومنزل الخواجا ابن عباد الله نفسه، ويبدو أن هذا الحمام كان أهم هذه المنشآت الموقوفـة حتى أن الوكالة أطلق عليها في وثيقة إيجار ترجع إلى سنة ٩٨٣هــــ/١٥٧٥م "*وكالـــة الحمام*"، ونصها كالآتي: *استأجر الحاج علي بن عبد الواحد المولي بماله لنفســـه مـــن الشيخ شمس الدين بن الشيخ نور الدين الدمسيسي بن/ الشيخ علي بن الشيخ عبد الرازق البحيري فأجره ما هو جار في إيجاره وذلك جميع وكالة حمام الخواجا عبد الله .. ظاهر الحمام ../ .. ودار الخواجا التي تجاه دار بركة ..*"[١].

ورد ذكره أيضا في وثيقة إيجار لأوقاف ابن عباد الله لمدة سنة ونصف، ترجـــع إلـــى سنة ٩٩٩هـــ/١٥٩١م ونصها: "(س٣) .. *جميع الحمام المعروف بالخواجا عبـــاد الله .. وما اشتمل عليه من المستوقد/ والساقية والمنافع والحقوق وجميع الوكالة الملاصقة له ومـــا اشتملت عليه من الحواصل والطباق والحوانيت وبيتي القهوة وبيت القهوة الثالث المعروفـة بقهوة مازن والبيت/ المعروف بسكن الشيخ شمس الدين الدمسيسي والمصبغة التي بجـــانب الصهريج والعود المعد لدق الأرز الكائن قبلي الثغر والحاصلين اللذيـــن بجانبـــه وأرض شونة الحمام وما لذلك/ من المنافع والحقوق ما عدا بيت الناظر وبيت الشاد ..*"[٢].

وقد ظل هذا الحمام قائما حتى أواخر القرن ١٩م حيث عرف الخط الذي به ب "خط حمام الخواجا"[٣].

ب – البيمارستانات

البيمارستان كلمة فارسية مركبة من "بيمار" أي المريـــض، و"ســـتان" أي محـــل أو مكان[٤]، وقد عرفت مصر البيمارستانات أي المستشفيات منـــذ فـــترة مـــا قبـــل الفتـــح

---

١ ـ ٦٧٨،٧، ١٦٦.

٢ ـ ٣٥،١٨، ١٢٤،٤، بتاريخ ٢٩ رجب سنة ٩٩٩هـــ/٢٣ مايو ١٥٩١م.

٣ ـ محفوظات،٢٥،٤،٢-٣ ، بتاريخ ٢ صفر سنة ١٢٩٨هـــ/٣ يناير ١٨٨١م ؛ ٤٤،٧١،٢٥، بتـــاريخ ٢٩ رمضان سنة ١٢٩٨هـــ/٢٤ أغسطس ١٨٨١م.

٤ ـ طوبيا العنيسي: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، ص١٦.

الإسلامي، ويذكر مؤرخ مصر الإسلامية "المقريزي" أن أحمد بن طولون كان يجلس طبيبا بمسجده يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين، وأن هذا الطبيب كان يتخذ من خزانة الشراب في مؤخرة الميضأة مكانا له، وأن بتلك الخزانة الشرابات والأدوية وعليها الخدم، ثم أنشأ بعد ذلك مارستانه في أرض العسكر بين جامع ابن طولون وكوم أبو السعود الجارحي، وهو أول مارستان أنشئ بمصر، ثم أنشئ بعد ذلك العديد من المارستانات بها[1].

أما عن مدينة رشيد فلم يكن معروفا قبل هذه الدراسة التي نحن بصددها وجود بيمارستان بها، إذ عثرنا ضمن الوثائق التي اطلعنا عليها على وثيقة ترجع إلى أواخر القرن ١٠هـ/١٦م أشارت إلى وجود بيمارستان بتلك المدينة، وحددت الوثيقة موقعه بجوار الجامع الكبير المعروف بالشيخ عبد القادر السنهوري -جامع زغلول فيما بعد- من جهته الشرقية، وذكرت الوثيقة أن هذا البيمارستان كان يحتجز به المرضى، وأنه يوقف عليهم وعلى البيمارستان أصحاب الأوقاف، وأشارت الوثائق أيضا إلى أن هذا البيمارستان كان قد خرب ودثر ولم يبق له معالم وقت تحرير تلك الوثيقة في ٢٠ محرم سنة ٩٩٨هـ/٢٩ نوفمبر ١٥٨٩م، ومن ثم فلم تشر تلك الوثيقة إلى منشئ هذا البيمارستان أو عصر إنشائه، وهل يرجع إلى العصر العثماني؟ أم إلى العصر المملوكي؟ وهذا هو الأرجح. والوثيقة المذكورة عبارة عن طلب مقدم لقاضي المدينة لإسقاط ثلث ربع وقف ابن حسبو الرشيدي المرصد على مرضى بيمارستان.رشيد لخراب هذا البيمارستان واندثاره، ونص تلك الوثيقة كالآتي:

ثبت لدى سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام ../ .. مولانا أفندي محمود سقير الناظر في الأحكام الشرعية بالثغر ومضافاته .. معرفة المرحوم/ الحاج علي بن المرحوم الحاج إبراهيم الشهير بابن حسبو الرشيدي ووفاته إلى رحمة الله تعالى فيما تقدم من تاريخه ومعرفة الحرمة خديجة المرأة آمنة ابنة الحاج علي المذكور وعلى جميع وقف/ الحاج علي المذكور الكائن بالثغر المرصد ربع ثلثه على أكفان الأموات الغرباء بالثغر وربع ثلثه على مطهرة الجامع الكبير المعمور بذكر الله الكائن بالثغر المعروف بالشيخ عبد القادر/ السنهوري وربع ثلثه الباقي على المرضى بالمارستان الذي كان بجوار الجامع المذكور من جهته الشرقية المعرفة الشرعية النافية للجهالة شرعا أن الحاج

---

١ ـ المقريزي: الخطط، ج٢،ص٤٠٥ ؛ فييت: القاهرة، ص١٤٢.

علي/ الواقف المذكور شرط في وقفه للحاكم الشرعي أصالة بالثغر ولمن يقيمه الحاكم الشرعي ناظرا على الوقف المذكور بمعرفته الشاهد بذلك حجة الوقف المذكورة المؤرخة/ مع ما بها من ثبوت وحكم من قبل سيدنا ومولانا الشيخ .. شهاب الدين أحمد الغرسي الرشيدي الحنفي خليفة الحكم العزيز بثاني شهر/ شعبان سنة ست وسبعين وتسعمائة وأن الربع ربع الثلث المرصد على المرضى بالمارستان المذكور لم يصرف كون أن المارستان المذكور/ خرب ودثر ولم يبق له معالم ولا رسوم وأن خديجة بنت الواقف المذكور فقيرة محتاجة لاستحقاق ربع الثلث المرصد على الفقراء بل على المرضا/ بالمارستان المذكور وبها أهلية لذلك دون غيرها بشهادة كل من العلاي علي بن الحاج إبراهيم والحاج منصور بن الحاج علاء الدين الشبيري والحاج جامع بن الحاج عبد القادر/ البكسماطي والحاج سالم بن الحاج عبيد بريمات والمعلم عامر بن الحاج محمد الجويلي والبدري حسين بن محمد قلح الحصارجي المودعي شهادتهم لديه في ذلك ../ .. وقرر سيدنا ومولانا أفندي المومى إليه أعلاه .. الحرمة خديجة ابنة الواقف المذكور في استحقاق الثلث المرصد ريعه على المرضا بالمارستان المذكور بالمقتضى المشروح أعلاه وإذنها أن تتعاطى ..؟ ربع الثلث المذكور من الناظر الشرعي على وقف الحاج علي الواقف المذكور/ أعلاه تقريرا شرعيا وإذنا صحيحين شرعيين وقبلت ذلك الحرمة خديجة المذكورة أعلاه لنفسها .."[1].

ج – الأسبلة والصهاريج

من منشآت الرعاية الاجتماعية التي حرص الكثيرون من الحكام والميسورين على إنشائها باعتبارها عملا من أعمال البر والتقوى والتقرب إلى الله. وتقوم هذه المنشآت على توفير الماء للشرب وتسبيله للمارين والعابرين، وهى الأسبلة والصهاريج، وقد انتشرت ظاهرة إنشاء الأسبلة في العصر الإسلامي في مصر بشكل عام اعتبارا من القرن ٦هـ/١٢م[2]، وجرت العادة في عصري المماليك أن تلحق الأسبلة بالمدارس والمساجد والخانقاوات وكذلك الوكالات، وأن تعلوها الكتاتيب لتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم، ثم أصبحت وحدات معمارية مستقلة وعلى الأخص منذ بداية القرن ٩هـ/١٥م، وكذلك كان الحال في العصر العثماني، أما في

---

١ ـ ١٧، ٦٧٠، ٢٠٥.

٢ ـ محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص١٤٩.

مدينة رشيد فقد انتشر إلحاق الأسبلة والصهاريج في معظم المنشآت المعمارية من دينية ومدنية سواء كانت تجارية أو سكنية، فلا يكاد يخلو منزل من المنازل المتبقية من العصر العثماني من صهريج يعلوه شباك لتسبيل المياه[1]، كما وجدت برشيد بعض الأسبلة والصهاريج المنفردة، يعلو معظمها قاعات أو مكونا مع بعض المنشآت المعمارية مثل السيارج أو قاعات الحياكة أو الحوانيت وحدة معمارية واحدة، وكانت كل هذه الصهاريج والأسبلة تلحق بالمباني المختلفة كعمل من الأعمال التي لا تنقطع بموت الإنسان، مما يتفق مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، وعد منها الصدقة الجارية[2]. وتجدر الإشارة إلى انه كثيرا ما استخدم مصطلح سبيل أو صهريج بمعنى واحد، فيطلق الصهريج على مخزن المياه تحت الأرض، وعلى مكان التسبيل الذي يعلوه.

هذا ولم نعثر على وثائق خاصة بأسبلة ترجع إلى القرن السادس عشر سوى سبيل سليمان باشا الملحق بوكالته البحرية سالفة الذكر، ولكن وجدنا العديد من الوثائق الخاصة بالصهاريج مثل:

١ – صهريج ابن علبية

كان بالجهة البحرية من المدينة، ورد ذكره في وثيقة بيع وكالة مؤرخة في ٢٨ صفر سنة ٩٨٣هـ/٨ يونيو ١٥٧٥م، ضمن حدودها، وانه بالقرب من زاوية العقابية والشارع الأعظم[3].

٢ – صهريج الأمير يحيى أغا

كان يقع بالجهة البحرية تجاه حصار رشيد، ورد ذكره في وثيقة تمليك الأمير يحيى أغا بحصار صار(؟) أولاده الثلاثة لمبنى يحتوي على هذا الصهريج وتعلوه قاعة ويحيطه ساحة، ونصها كالآتي:

".. جميع الحصة التي قدرها النصف اثنا عشر قيراطاً شائعاً في جميع المكان الكائن بحري الثغر تجاه برج رشيد الشريف المشتمل على صهريج مبني بالحجر الكدان

---

١ ـ أنظر الجزء الخاص بوثائق المنازل، وكذلك المنشآت التجارية والصناعية من هذه الدراسة.

٢ ـ محمد أمين: المرجع السابق، ص١٤٩ ؛ فييت: المرجع السابق، ص١٤٥ ؛ اندريه ريمون: فصول من التاريخ الاجتماعي، ص١٠١.

٣ ـ ٩٤٣،٧، ٢٣٠.

والطوب الآجر يعلوه قاعة لم يكمل بابها وساحة بها جملون خشبي وبالساحة المذكورة شجرة بلح وشجرتين طرفة يحيط بذلك ويحصره حدود أربع القبلي إلى ما بيد علاي الدين والزيني منصور بلوك باشاه والحد البحري إلى شارع مسلوك فاصل بينه وبين الحصار المذكور والشرقي والغربي ينتهي كل منهما إلى شارع مسلوك .."[1].

٣ – سبيل سليمان باشا

كان يقع بالجهة البحرية من المدينة بالوكالة البحرية لسليمان باشا[2]، وقد ورد ذكره أيضا في وثيقة إثبات حادث سرقة في ٩ رمضان سنة ٩٩٩هـ/١ يوليو ١٥٩١م[3].

٤ – صهريج أولاد فتوح

كان يقع بوسط المدينة جهة الجامع الكبير –جامع زغلول–، ورد ذكره في وثيقة طريفة خاصة بسرقة شباك مزملته، ورد بها تقدير قيمة الشباك بخمسة دنانير، كما أشارت إلى أن هذا الشباك من الحديد موضوع على مزملة الصهريج، مما يؤكد لنا استخدام مصطلح (الصهريج) للدلالة على الصهريج المبني تحت الأرض، وكذلك لمكان التسبيل بأعلاه، ونذكر هنا نص تلك الوثيقة لأهميتها في تحديد موقع السبيل وبعض الأماكن المجاورة له في ذلك الوقت، ونصها:

"حضر كل من .. سالم بن المرحوم محمد و.. نور الدين علي بن المرحوم علي بن .. محمد وولديه هما .. علي وشقيقه .. كمال الدين و.. الحاج/ مصطفى بن .. أحمد من أهالي الحصار صار وأحمد والصارمي إبراهيم بن .. بدر الدين الشهير نسبه الكريم بأولاد فتوح وذكر أن الشباك الحديد الكبير الموضوع على مزملة الصهريج/ الجاري في استحقاقهم الكائن بالثغر من أوسطه تجاه الجامع الكبير من الجهة الغربية في ليلة أمس تاريخه تعدى عليه أحمد بن المرحوم الشيخ العلامة العمدة شهاب الدين أبي العباس أحمد الشهير/ نسبه الكريم بابن المغربي وقلعه وأخذه وتوجه به ليلا إلى دار سكنه الكائنة بالثغر بسوق الخضار المجاورة للمكان المعروف بأولاد الهين من الجهة الغربية المعروفة الدار المذكورة بالحاج علي/ ابن الحاج حسن الجلفاط وأن قيمة الشباك

---

١ _ ١٢٠،٤٩٢،١٣، بتاريخ ١٤ محرم سنة ٩٩٢هـ/٢٧ يناير ١٥٨٤م.

٢ _ أنظر وصف هذا السبيل فيما يخص وكالتي وقف سليمان باشا من هذه الدراسة، وثيقة وقف رقم ١٠٧٦–أوقاف، بتاريخ أول رجب سنة ٩٣٦هـ/١ مارس ١٥٢٩م.

٣ _ ٢٠٠،٦٧٠،١٨.

المذكور خمسة دنانير ذهبا جديدا وأنهم في يوم تاريخه اجتمعوا بأحمد الآخـــذ للشـــباك المذكور وسألوه عنه فاعترف لهم به وأنه يحضره/ لهم ليلا فطلبوا أن يحضــــره لــــهم نهارا فسبهم وشتمهم وأشهر على بعضهم السلاح وفر هاربا بسبب ذلـــك وأن الشـــباك المذكور موضوع بداخل دار سكنه المذكورة أعلاه إلى ساعة تاريخه وبابها/ مغلق عليه وسألوا من سادتنا وموالينا حكام الشريعة المطهرة المشار إليهم أعلاه في التوجـــه إلـــى الدار المذكورة وفتحها وإخراج الشباك المذكور منها وتسليمه لهم ليضعوه بمحله الـــذي قلع منه صيانة/ للمزملة المذكورة فأجابوا سؤالهم إلى ذلك وتوجهوا وصحبتهم كل مـــن الزيني منصور بن عبيد السوباشاة بالثغر والزيني مصطفى الينكجـــري منـــدوب فخـــر أمثاله الزيني كنعان كتخدا وقدوة الأمراء/ .. حسن بيك القابودان بالثغر .. ومن عـــدول المحكمة من سيضع خطه آخره وجمع لفيف من المسلمين إلى حيث الـــدار المذكـــورة أعلاه وفتح بابها بمعرفة كل من محمد الطيار شقيق أحمد المنهي في حقه المذكور أعلاه والحاج علي بن حسن المالك للدار المذكورة أعلاه ومباشرتهما لذلك فوجد الشباك الحديد المذكور بوسط الدار المذكورة وأخرج الشباك المذكور من الدار المذكورة وحضر/ إلـــى المحكمة المشار إليها وتسلم كل من الناهين المذكورين أعلاه الشباك الحديـــد المذكـــور أعلاه بعد ثبوته لدى موالينا المشار إليهم أعلاه أنه شباك مزملة الصهريج المذكور أعلاه كما شرح .."[1].

٥ – صهريج ابن الشحيح الانباري

كان يقع بوسط المدينة ضمن مجموعة معمارية مكونة من دار وقاعة حياكـــة، ورد ذكرهم في وثيقة إيجار حصة ثلث الثمن من المبنى[2].

ثانيا: المنازل

تميزت منازل مدينة رشيد بطراز معماري خاص بها سواء من حيث الزخـــارف أو التخطيط المعماري وطريقة البناء، ولم يقتصر ذلك الطراز على مدينة رشيد وحدها بـــل امتدت إلى المدن الواقعة على فرع رشيد والى الإسكندرية وبولاق أيضـــا، ومـــازالت رشيد تحتفظ بأكثر من عشرين منزلا أثريا مسجلا، وقد أجريت الكثير مـــن الدراســـات

---

١ ـ ١٦٧،٥٣٧،٢١، بتاريخ ٦ ذي القعدة سنة ١٠٠٣هـ/١٣ يوليو ١٥٩٥م.

٢ ـ ٤٧١،١٦١٩،١٤، بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٠٠٧هـ/٢٥ نوفمبر ١٥٩٨م.

على منازل رشيد وزخارفها الآجرية ومكوناتها المعمارية[1]، غير أن أيا من تلك الدراسات السابقة لم تعتمد على وثائق المدينة العديدة، بل اعتمدوا على الآثار القائمة حتى الآن، ومن ثم فسوف نتجاوز المنازل الأثرية المسجلة ونعتمد في هذه الدراسة على الأوصاف الوثائقية لمنازل مختلفة، إذ تزخر سجلات محكمة مدينة رشيد بأوصاف المنازل عند إجراء تصرفات قانونية عليها من بيع وشراء واستبدال وإيجار ووقف أو حصر تركة، وحتى محاضر السرقة وغير ذلك من التصرفات، كما تفيض هذه الوثائق بذكر المصطلحات الخاصة بأجزاء هذه المنازل والتي تتميز بها وثائق هذه المدينة.

أثرت الأهمية التجارية لمدينة رشيد على التصميم المعماري لمنازلها، فكان الطابق الأرضي في معظم الأحيان يستخدم لإغراض تجارية، كما استخدم لإغراض صناعية، ومن ثم فقد كان هذا الطابق يؤدي دور الوكالة، ويتكون من شادر أو قاعة وعقد سلم يؤدي إلى الأدوار العليا المخصصة للسكن، أو يتكون من حوانيت ومخازن وعقد سلم، وأسفل هذه المباني يوجد صهريج للمياه تحت الأرض ويعلوه السبيل في معظم الأحوال، ومن ثم فواجهة المنزل تحتوي على تلك الوحدات التجارية وعلى باب مستقل يؤدي إلى سلم يصعد منه إلى الدور الأول، وهو ما يطلق عليه دائما في الوثائق "*عقد سلم أول*"، إذ يوجد في كثير من الأحيان عقد سلم ثان يؤدي إلى الدور الثاني، وعقد سلم ثالث يؤدي إلى الدور الثالث وهكذا. ويتكون الدور الأول من "*دهليز*"، وهو عبارة عن مساحة مبلطة تطل عليها الحجرات، و"*تخانة*" ويقصد بها القاطوع بين المباني، و"*فسحة*" أو "*ميدان*" أو "*وسط دار*"، وتستخدم هذه المصطلحات الثلاثة بمعنى واحد، ويستخدم هذا الطابق للرجال واستقبالاتهم، وبهذا الطابق الأول عقد سلم ثاني يؤدي إلى الطابق الأعلى الذي يتكون أيضا من وسط دار أو ميدان وتخانات وأروقة وحضير، وقد لاحظنا من تكرار استخدام مصطلح "حضير" أنه يطلق على تلك المساحة المكشوفة المبلطة التي تطل عليها البيوت (الغرف)، وقد اعتقد بعض الباحثين أن مصطلح "مدير" يطلق على الدور الثالث كله المخصص للحريم[2]، والواقع أن مصطلح "حضير" يقابله في عمارة

---

١ ـ علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، ج٣، ص٢٢٨-٢٣٨ ؛ حسن عبد الوهاب: طراز العمارة الإسلامية في ريف مصر، ص٢٩-٣٤ ؛ العناني: رشيد في التاريخ، ص١٥٩-١٧٤.

٢ ـ العناني: المرجع السابق، ص١٦٢، حيث ذكر أن الدور الثالث خاص بالحريم، ويطلق عليه السهدير (أي مكان النوم)، والواقع أن آلاف الوثائق التي اطلعنا عليها تستخدم مصطلح "الحضير" وليس السهدير، وهو ليس مكانا للنوم، فهو مساحة مكشوفة مبلطة تتقدم الحجرات، ومكان النوم -كما سنرى- كان يطلق عليه "خزانة نوميه" أو "المبيت".

الريف في جنوب مصر مصطلح "*بسطة*"، ويحتوي الدور العلوي (الثالث والرابع) على عقد سلم يؤدي إلى حجرة عليا يطلق عليها "*الكشك*" أو "*القصر العالي*" أو "*الطيارة*". وسنتناول فيما يلي بعض الوثائق التي توضح مكونات منازل رشيد وأوصافها الوثائقية ومصطلحات منازل ذلك العصر.

١ – دار العابد المعروفة بالدار الكبيرة

كانت بحري المدينة، ورد ذكرها في وثيقة شراء جزء منه نصها: *اشترى أبا الطيب ابن المرحوم الحاج شمس الدين محمد ابن المرحوم الشهابي أحمد المغربي التونسي الشهير والده بالعابد بماله لنفسه من والدته الحرمة عايشة ابنت المرحوم أبو الطيب المغربية فباعته ما هو جار في ملكها بيدها وتصرفها وصاير إليها بالإرث الشرعي من زوجها المرحوم الحاج محمد العابد .. وذلك جميع الحصة التي قدرها نصف الثمن قيراطا واحدا ونصف قيراط وزيادة على ذلك ثلث قيراط وسدس من ثلث قيراط شائعا ذلك في كامل بناء الدار الكائنة بالثغر المذكور بالجهة البحرية المعروف بالدار الكبيرة المشتمل البناء المذكور على ثلاثة حواصل وأربع دهاليز وأربع مجازات وأربع بيوت وأربع غرف وعلى تخانات ومنافع ومرافق وحقوق المحصور ذلك بحدود أربعة الحد القبلي والبحري والغربي ينتهي كل ذلك إلى شارع مسلوك والحد الشرقي ينتهي إلى ما بيد الشيخ شهاب الدين الخواص ..*"[١].

٢ – منازل وقف ابن الخياط

كانت بالجهة البحرية من المدينة، ورد ذكرها في وثيقة وقف تصف خمسة بيوت ملحق بأحدها فرن، ونص الوثيقة كالآتي:

".. أشهد على نفسه .. الشيخ الإمام ../ نور الدين .. علي بن مولانا .. شمس الدين أبي عبد الله محمد الشهير نسبه الكريم بابن الخياط الشافعي ../ .. أنه وقف .. بما هو جار في ملكه بيده وتصرفه وحيازته واختصاصه ومعروف عنه/ بإنشائه وغرايسه وبعض الإرث الشرعي من والده .. وذلك جميع المكان الكائن بالثغر بالجهة البحرية منه المعروف بسكن الواقف/ المشار إليه وإنشائه القائم بناؤه على قطعة أرض من جملة أرض الغيط المعروف قديما بالجندي والأمير جارية في إيجار الواقف .. من الناظر

---

١ _ ١١٦،٤٦٧،٠٧، بتاريخ ٢٤ رجب سنة ٩٨٣هـ/٢٩ أكتوبر ١٥٧٥م.

الشرعي على المسجد ../ الكائن بالثغر المذكور المعروف بالجندي ومـن يشـركه .. يشتمل بناء المكان المذكور على واجهتين شرقية وغربية تشتمل/ الواجهة الشرقية منهما على حاصل ورواق مركب عليه إيوانان متقابلان ودورقاعة ومبيت بصـدر الإيـوان الغربي وسدلات وخزائن كتبية مركب عليها ومطبـخ ومرحـاض/ يتوصـل للـرواق المذكور أعلاه من عقد سلم بالشارع الشرقي الآتي ذكره فيه وعلـى ثـلاث حوانيـت وصهريج به مزملة ومخزن وشباك نحاس ودهليز به مبيت/ وخزائن كتبية مركب علـى الصهريج المذكور وعلى مجاز مستطيل به على يمنة الداخل عقد سلم يصعد منه إلـى ستة طباق والى معالم رواق كبير لم يكمل وبالمجاز المذكور على يمنة الداخل/ مزملـة للصهريج وبالمجاز المذكور أيضا على يسرة الداخل باب يتوصل منه إلى قاعة مصرية بها أربعة أواوين متقابلة وبأحد الأواوين المذكورة مبيت ودورقاعـة مبلطـة بـالبلاط/ الكدان معقود سقف القاعة المذكورة والمبيت بالطوب الآجر والجص والجبس وبالقاعـة المذكورة باب يفتح مقبلا يتوصل منه إلى مطبخ ومرحاض من حقوق القاعة المذكـورة/ وبالمجاز المذكور باب يتوصل منه إلى حوش على يمنة الداخل ويتوصل من المجـاز المذكور إلى دار بها قاعة مصرية فتح بابها من أمام ساحة الدار المذكور مشتملة علـى إيوانين/ ودورقاعة وسدلتين مسقفة نقيا وعلى إيوان بالجهة القبلية من الدار المذكـورة دائر عليه خركة من الخشب النقي مسقف نقيا وتشتمل الواجهة الغربيـة منـهما علـى دهليز/ يتوصل منه إلى عقد سلم بصدر مجاز الدهليز باب يصعد منه إلى سـلم رواق يشتمل على إيوانين ودورقاعة مفروشة بالبلاط الكدان ومبيـت وسـدلات ومرحـاض/ ومنافع وحقوق مسقف الرواق المذكور نقيا مبني جميعه بالطوب الآجر مكمل بـالأبواب والأخشاب على العادة ويحيط بذلك ويحصره حدود أربعة الحد القبلي بعضه/ إلى ما بيد أولاد قلبة وبعضه إلى ما بيد ورثة بن خطاب وتتمته إلى ما بيد ورثة ابن أبـو هـلال والحد البحري ينتهي بعضه إلى دويرة يأتي ذكرها فيه وبعضه إلى ما بيد ورثة/ الشـيخ محمد البرادعي وتتمته إلى الحواصل المعروفة بالخواجا محمد بـن عبـد الله والحـد الشرقي ينتهي إلى الشارع الأعظم الموعود بذكره بأعاليه وفيه باب الحاصل والصهريج وعقد السلم/ والثلاث حوانيت والمخزن والدهليز والمجاز المذكور ذلك بأعاليـه وبـاب أيضا يتوصل منه إلى عقد السلم المتوصل منه إلى الطباق ومعالم الرواق المذكور أعلاه والحد/ الغربي ينتهي إلى زقاق ملغا وفيه بابا الدهليز وعقد السلم المتوصل منـه إلـى الرواق الآخر المذكور وجميع بناء الدويرة الموعود بذكرها بأعاليه إنشاء الواقف المشار

إليه/ القائم بناؤها على قطعة أرض من جملة أراضي الغيط المذكور أعلاه الجارية في إيجار الواقف المشار إليه من ناظر المسجد المذكور ومن يشركه يشهد له بذلك مستندات شرعية/ .. يشتمل البناء المذكور على مجاز به فسحة ومرحاض وبيت مركب على ذلك ومنافع ومرافق وحقوق مكمل بالأخشاب والأبواب/ على العادة ويحيط بذلك ويحصره حدود أربعة الحد القبلي والشرقي ينتهي كل منهما إلى المكان المذكور أعلاه والحد البحري ينتهي إلى ما بيد ورثة الشيخ محمد البرادعي/ والحد الغربي إلى الزقاق الملغا المذكور أعلاه وفيه باب الدويرة وجميع بناء المكان الكائن بالثغر المذكور بالجهة البحرية المذكورة إنشاء الواقف/ المشار إليه المشتمل على حاصلين ودهليز به خزانة وعقد سلم ورواق مركب على ذلك به إيوانان ودورقاعة مفروش بالبلاط الكدان وبيت وغرفة ومطبخ/ ومرحاض ومنافع ومرافق وحقوق مكمل ذلك بالأخشاب والأبواب على العادة مسقف الرواق والدهليز المذكوران فيه نقيا قائم البناء المذكور على قطعة/ أرض من جملة غيط الأمير المذكور أعلاه جارية في تواجر والد الواقف المشار إليه وآلت إلى الواقف المشار إليه بالإرث الشرعي من والده المذكور وبالمقاسمة الشرعية على بقية ورثة/ والده .. يحيط بذلك ويحصره حدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى ما بيد سيدنا الشيخ محيي الدين شقيق الواقف/ المشار إليه والحد البحري ينتهي إلى دار تعرف قديما بابن عطابة والآن بين الشرفي يونس بن عامر السكندري والحد الشرقي ينتهي إلى الشارع المسلوك وفيه أبواب/ الحاصلين والدهليز وعقد السلم المذكور أعلاه والحد الغربي إلى ما بيد الشيخ بدر الدين شقيق الواقف المشار إليه وجميع بناء المكان الكائن بالثغر المذكور بالجهة المذكورة/ أنشأه الواقف المشار إليه أعلاه المشتمل على حاصل وعقد سلم يتوصل منه إلى غرفة مركبة على الحاصل المذكور وبيت يشتمل على ثلاث أواوين وتكة وخزانة وبسطة أمام ذلك/ وطبقة لطيفة يتوصل إليها من البسطة المذكورة ومرحاض وجميع البناء الملاصق لذلك من الجهة الشرقية إنشاء الواقف قائم على قطعة أرض من جملة/ غيط الأمير المشار إليه أعلاه جارية في تواجر الواقف من ناظر المسجد ومن يشركه .. يشتمل البناء المذكور على فرن/ به بيت نار وقبة مركبة عليه والحاصل المقدم ذكره أعلاه معدن sic [معد] للعجين وعلى عقد سلم ودهليز به مرحاض ورواق مركب على ذلك يتوصل إليه من عقد السلم/ المذكور به إيوانان متقابلان ومبيت ودورقاعة ومطبخ به بسطة بها إيوان مطل على الشارع ومرحاض يحصره حدود أربعة الحد القبلي إلى دار تعرف بطارة/ بعضه وتتمته إلى دار تعرف بالحاج علي بن

موسى النجار والحد البحري إلى الشارع المسلوك وفيه باب الدار والدهليز والفرن والحد الشرقي إلى ما بيد الشيخ بدر الدين/ شقيق الواقف المشار إليه والحد الغربي ينتهي إلى الشارع المسلوك وفيه باب الحاصل وعقد الحاصل المتوصل منه إلى الغرفة المذكورة أعلاه .."[1].

٣ - دار عمر المغربي

كان بالجهة البحرية للمدينة، ورد ذكره في وثيقة وقف السراجي عمر بن علي بن مسعود المغربي المهدوي، ويحتوي نص تلك الوثيقة على وصف جيد لمكونات الدار كالآتي:

"(س٢) .. وقف .. وأخرج عن ملكه ../ .. ومعروف بإنشائه وذلك جميع المكان الكائن بالثغر المذكور بالجهة البحرية المشتمل المكان المذكور على أرض وبناء يشتمل/ البناء المذكور على صهريج تعلوه قاعة ومجاز بجانب الصهريج المذكور يتوصل منه إلى دار أرضية تشتمل على بئر معين وإيوان أرضي وصفة تعلة sic *[تعلو] الإيوان المذكور بجانبها غرفة/ وتخانة ومطبخة ومرحاض ومنافع ومرافق وحقوق وعلى دهليز يعلو القاعة التي علو الصهريج المذكور أعلاه ومجاز بجانب الدهليز المذكور يتوصل منه بعقد سلم إلى/ بيت يعلو الدهليز المذكور تشتمل على أواوين وسدلتين متقابلتين يعلوهما أغانيين وتكة وتخانة سفل التكة المذكورة ومخزن تحت الإيوان الشرقي من/ الأواوين المذكورة وإيوان بوسط الدار المذكورة ومرحاض يعلوهما بيت يتوصل إليه من البيت المذكور أعلاه وغرفة مركبة على الدار الأرضية المبدى بذكرها أعلاه/ يتوصل إليها من وسط الدار العليا المذكورة أعلاه وعلى منافع ومرافق وحقوق المبني ذلك بالطوب الآجر والحجر المكمل بالسقف والأبواب والأعتاب والطاقات/ والأخشاب النقية على العادة المحصور كامل المكان المذكور أعلاه وما اشتمل عليه من المنافع والمرافق والحقوق بحدود أربع الحد القبلي ينتهي إلى المعصرة/ المعروفة بإنشاء الحاج الأجل النوري علي الشهير بابن تراب والحد البحري ينتهي إلى الشارع المسلوك وفيه الأبواب للمكان المذكور أعلاه والحد الشرقي ينتهي إلى/ السيرجة المعروفة بإنشاء الحاج يوسف المغربي بعضه وتتمته إلى مطهرة المسجد الكائن بالخط المذكور المعروف بإنشاء الحاج يوسف المذكور والحد الغربي ينتهي إلى ما بيد/ المعلم مرجان المزين بالثغر المذكور.."*[2].

---

١ _ ١٤،٥٥٧،١٤٥-١٤٧، بتاريخ ٢١ ربيع الثاني سنة ٩٩٤هـ/١١ إبريل ١٥٨٦م.

٢ _ ١٤،١١٤٧،٣١٥-٣١٦، بتاريخ ١٧ رمضان سنة ٩٩٤هـ/١ سبتمبر ١٥٨٦م.

٤ – داران وقف منصور المغربي

ورد ذكرهما في وثيقة وقف الحاج منصور بن عبد الله المغربي المعروف بالفرقي، كان أولهما بالجهة الوسطى للمدينة ويحتوي على صهريج، وكان الثاني بالجهة القبلية بجوار مطهرة جامع زغلول ويتضمن حانوتا، وقد قدمت لنا الوثيقة وصفا تفصيليا لهما كالآتي:

"(س ٤) .. *أنه وقف .. وأخرج عن ملكه/ .. ومعروف بإنشائه وذلك جميع المكان الكائن بالثغر المذكور بالجهة الوسطى المشتمل على بناء يشتمل البناء المذكور/ على واجهة بحرية تشتمل على صهريج وقاعة يعلو الصهريج المذكور دهليز بصدره تخانة ومن الجهة الشرقية على قاعة تعلوها تخانة يصعد لها من عقد سلم من الشارع الشرقي يعلو/ الدهليز والقاعتين والتخانتين المذكورون أعلاه داران متلاصقان شرقية وغربية يصعد لكل منهما من عقد سلم من الشارع المسلوك البحري تشتمل الدار المذكورة ..* (قطع بأصل الوثيقة)/ *الشرقية منهما على رواق به ثلاثة أواوين وسدلتين وأغانيين متقابلين وعلى غرفة لطيفة تعلوا مطبخة ومرحاض يصعد لها من عقد سلم من داخل الدار المذكورة/ وعلى منافع ومرافق وحقوق وتشتمل الدار الغربية منهما على دهليز يعلوه بيت وغرفة لطيفة أمامه من الجهة القبلية يصعد لها من عقد سلم من داخل الدار المذكورة/ وعلى مطبخة ومرحاض ومنافع ومرافق وحقوق المبني ذلك جميعه بالطوب الآجر والجير والحجر الكدان مكمل بالأخشاب والأبواب والسقف النقية والطاقات/ المدهونة على العادة المحصور كامل المكان المذكور أعلاه وما اشتمل عليه بحدود أربع الحد القبلي ينتهي إلى ما بيد الحاج علي الصراف والحد البحري ينتهي إلى الشارع المسلوك/ وفيه باب أحد القاعتين وبابي الدهليزين وعقد السلمين المذكورين أعلاه والحد الشرقي ينتهي إلى شارع مسلوك وفيه باب الصهريج المذكور وأحد القاعتين/ المذكورتين ولسلم التخانة المذكورة أعلاه والحد الغربي ينتهي إلى ما بيد ورثة المرحوم علاي الدين ربيطة البرلسي قديما وجميع المكان الكائن قبلي/ الثغر بجوار مطهرة الجامع الكبير الكائن بالثغر المشتمل على أرض وبناء يشتمل البناء المذكور من الجهة الغربية على حانوت فتح إلى السوق المعروف بالساحة/ يعلو الحانوت المذكور طبقة لطيفة وقاعة بجانبه من الجهة الشرقية يعلو ذلك بيت مركب على ذلك مطل على السوق المذكور ويلي ذلك من الجهة الشرقية قاعة لطيفة/ تعلوها غرفة لطيفة ويلي ذلك أيضا من الجهة الشرقية قاعة لطيفة تعلوها غرفة لطيفة وعلى منافع ومرافق وحقوق*

المحصور ذلك جميعه بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى شارع/ لطيف فاصل بين ذلك وبين مطهرة الجامع الكبير المذكور والحد البحري ينتهي إلى ما بيد مولانا الإمام والعالم العلامة العمدة الفهامة مفتي المسلمين كمال الدين الحنفي الشهير نسبه الكريم/ بالرحماني .. والحد الشرقي ينتهي إلى بحر النيل المبارك والحد الغربي ينتهي إلى محجة السوق المعروف بالساحة المذكور أعلاه .."[1].

٥ – ثلاثة دور وقف ابني جمعة

كانت تقع بالقرب من ضريح الشيخ شهاب الدين بريقع، ورد ذكرهم في وثيقة وقف الأخوين أحمد ونور الدين ابنا شهاب الدين الشهير بابن جمعة، وهم عبارة عن دارين منفصلين متلاصقين ودار ثالثة ملاصقة لهما من جهتهما الغربية، وتصفهم الوثيقة كالتالي:

"(س٢) .. *وقفا جميع المكان الكائن بالثغر المذكور المشتمل على دارين متقابلتين قبلية وبحرية تشتمل القبلية منهما على دهليز سفله ومخزن لطيف ومجاز يعلو ذلك بيت يصعد له من عقد سلم داخل الدار المذكورة تخانة لطيفة على يمنة الصاعد من السلم المذكور بها طاقات مطلات/ على وسط الدار المذكورة وتخانة ثانية مقابلة للتخانة المذكورة علو الدهليز المذكور ويصعد من السلم المذكور أيضا إلى بيت برلسي لطيف سفله مطبخ ومرحاض وعلى منافع ومرافق وحقوق وتشتمل البحرية منهما على دهليز سفله مخزن لطيف ومجاز يعلو ذلك/ بيت يصعد له من عقد سلم وسط الدار المذكورة وعلى يمنة الصاعد من السلم تخانة لطيفة ومطبخة ومرحاض ومنافع وحقوق/ فاصل بين الدارين المذكورتين حائط بها باب يتوصل كل منهما من الأخرى يحيط بكامل الدارين المذكورتين أعلاه وما اشتملا عليه ويحصرهما حدود أربعة/ القبلي ينتهي إلى الشارع المسلوك الفاصل بين ذلك وبين معصرة بن بريمات ومقام الولي الرباني الشيخ شهاب الدين بريقع نفع ببركته/ وفي هذا الحد المذكور أبواب الدار القبلية والحد البحري ينتهي إلى الشارع المسلوك أيضا/ الفاصل بين ذلك ما بيد المعلم محمد القدسية الخياط وغيره وفي هذا الحد المذكور أبواب الدار البحرية والحد الشرقي ينتهي بعضه/ من الجهة القبلية إلى فرن بيد أولاد عجلان وتتمته من الجهة البحرية إلى ما بيد يوسف المعروف بمملوك فضل الله والحد الغربي ينتهي بعضه/ من الجهة القبلية إلى ما بيد الحرمة ياسمين المرأة وتتمته من الجهة البحرية إلى مكان سيأتي ذكره فيه مستجد*

---

١ ـ ١٤، ١٢٣١، ٣٣٨، بتاريخ ٢٧ رمضان سنة ٩٩٤هـ/١١ سبتمبر ١٥٨٦م.

الإنشاء بيد الواقفين المذكورين أعلاه/ وجميع المكان المستجد الإنشاء والعمارة الموعود بذكره أعلاه الملاصق للمكان المذكور من الجهة الغربية المشتمل على صــــهريج معــد لخزن/ الماء العذب ومزملة وشباك حديد وعلى قاعة تعلو ذلك يدخل منها إلـــى قاعــة أيضا ثانية وعلى عقد سلم يتوصل منه إلى دهليز به تخانة والى باب خوخــة مقوصــر يدخل منه إلى دار بها بيت كامل يعلو الدهليز والمجاز المذكورين أعلاه وعلى قاعة من داخل/ الدار المذكورة ملاصقة للقاعة الثانية المذكورة أعلاه فتح بابها من الدار المبــدى بذكرها أعلاه يعلو القاعة المذكورة التي بوسط/ الدار المذكورة تخانة وعلـــى مطبخــة ومرحاض ومنافع ومرافق يحيط بذلك ويحصره حدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى مــا بيد الحرمة ياسمين المذكورة أعلاه والحد البحري إلى الشارع المسلوك وفيه الأبـــواب وعقد السلم ومزملة الصهريج المذكور أعلاه والحد الشرقي ينتهي إلـــى المكـــان الأول المبدى بذكره أعلاه والحد الغربي ينتهي إلى ما بيد نور الدين المعصروان .."[1].

---

١ ـ ٥٥،٨١٧،١٧، ٨ ذي القعدة سنة ٩٩٧هـ/١٨ سبتمبر ١٥٨٩م.

الفصل الثالث

عمران وعمارة رشيد في القرن السابع عشر الميلادي

الامتدادات ومساحة المدينة

١ _ الامتداد جهة الشرق

تم على أراضي طرح النهر حيث أصبح الشاطئ القديم (شرق الجهة البحرية) شارعاً يمثل امتداد خط الصاغة القديم الذي سكنه شاه بندر التجار أحمد الرويعي، فكان له منزلاً جميلاً على النيل، وسمي الشارع باسمه "خط الرويعي"، في حين يسمى الامتداد الجديد للشارع باسم خط الصاغة الجديد (الطوابين حالياً)، وانحصر الامتداد جهة الشرق بين شارع دهليز الملك جنوباً بطول حوالي ٣٠٠ متراً شمالاً، مكتسباً من شاطئ النيل عرضاً قدره حوالي ٢٠ متراً يتسع في الشمال حتى يصل أقصاه إلى ٥٠ متراً، فأضاف ذلك في مجمله مساحة حوالي ٢,٥ فدان إلى الكتلة العمرانية. أما الامتداد تجاه الشرق من الجهة الجنوبية بالمدينة فقد كان بمثابة تعديل لخط النيل أكثر منه اكتساب لمساحة جديدة.

٢ _ الامتداد جهة الغرب

ساهم الامتداد جهة الغرب في معظمه في تهذيب الحدود الغربية للكتلة العمرانية باختفاء بعض الجيوب الزراعية، ويبرز الامتداد عن ذلك في موضعين، أحدهما من الجهة البحرية في الاتجاه الشمالي الغربي وبطول حوالي ٧٠ متراً جهة مسجد سيدي الادفيني وذلك في شكل مبنى سكني واحد، يقع أمامه من الجهة القبلية مكان ملك الشيخ تقا والذي سمي ذلك الخط باسمه، وقد قطن ذلك المبنى الجديد كل من الشيخ سعد الله والوجيه شهاب الدين والشيخ الزيني مفتي الديار المصرية، مما يدل بان الامتداد الحديث كان على مستوى إسكاني فخم. أما الموضع الآخر للامتداد فقد كان مكان جهة الجنوب وبطول حوالي ١٠٠ متر في اتجاه المقام الذي بني للشيخ عثمان حيث سمي خط الامتداد باسمه.

٣ - الامتداد جهة الشمال

لم يأت ذكر للعمران في هذا القرن فيما بين وكالة سليمان باشا ومسجد النور

(المشيد بالنور)، بل وثب العمران ليمتد شمال مسجد النور على أرض من أوقاف المسجد، فالامتداد عبارة عن مبنى سكني لثلاث من العائلات الكبيرة، إحدى تلك العائلات لها أصل سكني في قلب المدينة وهى عائلة أولاد عميرة، أما العائلتين الأخرتين فهما حجازي أبو قير من عائلات البحر وأبو صقر البقسماطي، ويبدو من الأسماء والأوصاف أن تلك العائلات من أولاد البلد الأغنياء والذين تطلعوا في ظل التدهور العمراني الذي لحق بالكتلة العمرانية القديمة إلى الامتداد الحديث خارجها، وعلى ذلك فمن المعتقد أن الامتداد هنا ذو مستوى أعلى مما هو عليه بالكتلة العمرانية المركزية، وقد كان للعائلتين أملاك في المدينة ومن المحتمل أن تكون عائلة أبو صقر من أصل مغربي لما عرف عن المغاربة من احتكار تجارة البقسماط ونسبة أسماء بعضهم إليها.

٤_ مساحة المدينة

بلغت مساحة الكتلة العمرانية في تلك الفترة حوالي ٥٥ فداناً بزيادة قدرها عشرة أفدنه عن فترة القرن ١٦م محققة بذلك نسبة زيادة قدرها حوالي ٢٢%، كما بلغ عدد شوارع المدينة ٦٨ شارعاً في حين إن عددهم بالخريطة أقل من ذلك. فمن تطبيق حدود كروكيات الوثائق توصلنا إلى إن الشارع الواحد قد تسمى بأكثر من اسم على امتداده حتى انه في بعض الشوارع أخذ الشارع اسماً أمام كل مبنى سكني عدا الشوارع الرئيسية مثل شارع دهليز الملك، ونرى الشارع قد تسمى باسم أسرة تقطنه به أو حرفة مورست به.

والزيادة في مساحة الكتلة العمرانية ترتبط بزيادة حجم السكان في المدينة، في حين يرجح إن الكثافة السكانية ظلت منخفضة ويدل على ذلك بقاء بعض الحدائق داخل الكتلة العمرانية وكذلك إلتزام أغلب المساكن بدورين فقط في الارتفاع.

استعمالات الأراضي

رصدت الدراسة تقلصاً في انتشار الاستعمال التجاري واتجاهه نحو التركيز بالوكالات، فورد ذكر لوكالات الباشا - ظاظا - القبودان - الحنة - الحدادين، كما قسمت وكالة سليمان باشا فأقيم على نصفها جهة الشرق طاحونة كبيرة، أما النصف الآخر فقسم لعدة وكالات لكل من علي الخياط وجورجي الحبال، وبالقرب من ذلك أي جهة الشرق وعلى مساحة من أراضي طرح النهر أقيم سوق للأرز، وأمامه مرفأ تجاري، بجواره مبنى إداري أغلب الظن انه كان مخصص لتحصيل الرسوم الجمركية على كل ما هو وارد من البحر الكبير (البحر المتوسط) إلى القطر المصري وعلى كل ما هو

مصدر من القطر إلى الخارج. ويذكر بعض الدارسين المعاصرين انه ربما كان حجراً صحياً أو سجناً، إلا إننا نميل إلى الأخذ بالرأي الأول لما احتاجت إليه البلاد من ضبط لعمليات الاستيراد والتصدير الجارية. وما ورد في هذا الشأن من خلال دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في رشيد في تلك الأثناء، وقد تبقى من هذا المبنى حتى الآن بوابته على طريق كورنيش النيل بالمدينة على ناصية ميدان الجمهورية وتقبع البوابة وسط عمودين وكمرة حديثي البناء وراؤها أجزاء مبني مهدم أحدث من مبني الجمرك.

ولقد زادت الأسواق بالشوارع عما كانت عليه بالقرن السابق الذي ورد به ذكر لحوالي خمسة أسواق فقط، أما في هذه الفترة فقد أصبح هناك سوقاً للحطب والجزارين، وسوقاً للحم وأخرى للسمك - الغزل - الخضار - الطعام - الخروكية - الابزارية، كذلك ورد ذكر سويقة عباس.

وقد كانت كلها خانات تفتح معظمها على شارع القصبة حيث ينتقل السائر فيه على طول الطريق من سوق إلى سوق تبعاً لنشاط الخانات المفتوحة عليه، غير أن بعض هذه الأسواق غالباً ما كان يقع داخل وكالات مثل سوق الحطب وسوق السمك وكذلك سويقة عباس.

وقد أشارت الدراسات الاقتصادية والاجتماعية إلى ما وصلت إليه المدينة من نشاط عظيم في تجارة الأرز وتصديره إلى الخارج، وهو ما يفسر وجود مضارب الأرز بكثرة بالمدينة، والواقع أن ما يشار إليه عن مضارب الأرز بالوثائق يخص فقط ما جرى عليه التعامل العقاري، في حين كانت المدينة – أغلب الظن – تضم ما لا يقل عن أربعة مضارب للأرز واحدة بحري المدينة والأخريات جنوبها، وزاد عدد مضارب الأرز إلى اثنين بالجهة القبلية أمامهما مرفأ تجاري.

ومن الملاحظ إن هناك حرفاً وأسواق قد اضمحلت، وأخرى زاد تأثيرها، وكذلك حرف تطورت عن سابقتها، فنجد مثلاً سوق الطعام تحول إلى سوق الخضار في أجزاء منه وتخرب مكان سوق اللبن وحل خط العقادين محل خط الخشابين السابق.

ظهرت بتلك الفترة في المدينة حرفتان هامتان هما صناعة الأقفاص وصناعة الحبال، هذا إلى جانب أنشطة الحياكة والتطريز.

وانتشرت بالمدينة شوارع نسبت أسماؤها إلى الحرف الرئيسية بها مثل: القفاصين- الصاغة - القصابين - العقادين (الخشابين سابقاً).

وقد امتدت حرف الحبالة والقفاصة بالامتدادات الجديدة للمدينة بالإضافة إلى الجهة القبلية.

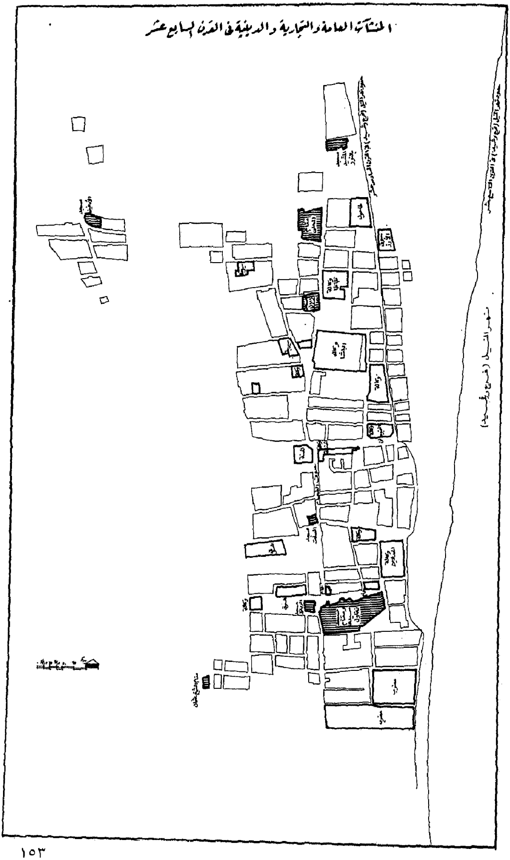
كما تحتفظ المدينة أسماء عائلات وشوارع ليست لأصول مصرية وخاصة أسماء عائلات من شمال إفريقيا والمغرب العربي، فنجد من الوجهة العامة: شارع زاوية قزمان - شارع أولاد قمبيز - عائلة النيكجدي - عائلة كمونة (تونس) - عائلة سنان- الشريف المغربي.

وقد كان من أكبر عائلات المدينة في هذه الفترة، عائلة الجلفاط - الينكجي - جوربجي -الحايك. لقد تركزت الملكيات المتعددة في يد هذه العائلات بشكل كبير واختفى من الذكر بعض الأسماء فبعد أن كان تعدد الملكيات يظهر في ١٣ عائلة اقتصر على أربع فقط، كما لم يرد ذكر كثير من العائلات ذات الألقاب المهنية اللهم إلا عائلة الحبال من بين ٣٠ عائلة ورد ذكرهم في الأملاك بالقرن ١٦م. وقد بقيت من العائلات الغير مصرية منذ القرن السابق: الحايك - المغربي - عدس من بين ٢٧ عائلة. وإذا ما أشرنا إلى أن نظام التأجير والاستغلال كان يصل في كثير من العقود إلى مدة تصل إلى ٩٩ سنة فهذا يعني أن تلك الفترة كانت تمثل تغيراً في أنماط توزيع الملكية إلى ما يجنح إلى شكل من أشكال الرأسمالية، كما تشير الدلائل إلى زيادة النشاط الترفيهي على حساب النشاط الحرفي والتجاري، وقد ظهرت المقاهي بعدة نواحي خاصةعلى أطراف المدينة، وثمة أكثر من مقهى وردت الإشارة إليه بالجهة الوسطي والجنوبية. وبصفة عامة زادت مركزية أغلب الأنشطة وتحددت مواقعها في تجمعات محددة.

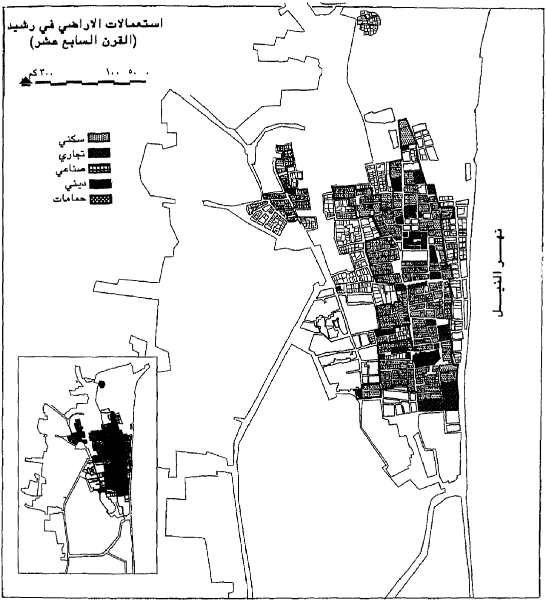
ومن الواضح أن المدينة قد وصلت إلى درجة عالية من الازدهار في تلك الفترة حتى أن الرحالة" Johan Wild" الذي زارها عام ١٦٠١م لم يجد مكانا يبيت فيه فاضطر إلى اختصار مدة إقامته والسفر إلى القاهرة. وبعد وصف البوغاز، يصف الرحلة للمدينة كما يلي: *"عند وصولنا إلى المدينة التي تسمى بالعربية رشيد - أخذنا نبحث عن غرفة في فندق ولكننا لم نجد أي غرفة فاضطررنا إلى اللجوء إلى الكنيسة وانتظرنا يومين حتى عثرنا على مكان في مركب متجه إلى القاهرة .."*. وبالنسبة للمدينة فهي متسعة - إلا أنها غير مسورة ولكنها مفتوحة مثل القرية"[1].

١ _ Voyage en Egypte, Johann Wild 1601 - 1610, p,97 (11).

شكل رقم ٦


المنشآت العامة والتجارية والدينية في القرن السابع عشر
نهر النيل (فرع رشيد)

شكل رقم ٧


استعمالات الاراضي في رشيد
(القرن السابع عشر)
٠ ٥٠ ١٠٠ ٣٠٠ كم
سكني
تجاري
صناعي
ديني
حمامات
نهر النيل

منشآت القرن السابع عشر

١ - المنشآت التجارية

أولا: الوكالات

١ - وكالة محمد باشا (وكالة القزلار - وكالة الباشا)

أنشأ هذه الوكالة محمد باشا الصوفي الذي تولى حكم مصر من سنة ١٠٢٠- ربيع الأول ١٠٢٤هـ/١٦١١-٧ إبريل ١٦١٥م[١]، ومما يؤسف له ألا يصلنا وصفا معماريا لها بوثيقة وقفه نظرا لتلفها الشديد[٢]، غير أنه وصلتنا وثيقة أخرى[٣] بعد أن آلت ملكيتها لمصطفى أغا ابن عبد الرحيم أغا دار السعادة[٤] مع حوش آخر بالمدينة نفسها يستفاد منها الوصف المعماري التالي:

"(س١٧٢) .. جميع الوكالة الكائنة بثغر/ رشيد المحروس إنشاء المرحوم الوزير الأعظم محمد باشا المشتملة بدلالة حجة الشراء المسطرة من محكمة باب الخرق المذكورة على قصرين اثنين وحواصل تسعة/ وأربعين حاصلاً من داخل الوكالة وخارجها وخمس مقاعد بجانب الحوانيت وتسعة وثلاثين حانوتاً بجانبيها تجاه وكالة أولاد فحيمة وبيت قهوة بالجانب الشرقي/ وحانوت بجانب وكالة أولاد فحيمة وصهريج بأرضية الوكالة علوه مصلاة وخمسة وسبعون طبقة علو الوكالة المذكورة ورقعة الجلود وما لذلك جميعه من/ المنافع والحقوق المحصور ذلك بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى الوكالة الجديدة المعروفة بأولاد فحيمة والحد البحري ينتهي إلى وكالة المرحوم سليمان باشا/ والحد الشرقي ينتهي إلى مجرى الحوت بالبحر الأعظم والحد الغربي ينتهي إلى السوق القديم

١ _ أحمد شلبي بن عبد الغني: المصدر السابق،ص١٣٣ - ١٣٤.

٢ _ وثيقة رقم ١٠٨٨ - أوقاف، بتاريخ ١٩ ذي القعدة سنة ١٠٢٤هـ/١٠ ديسمبر ١٦١٥م.

٣ _ وثيقة رقم ٣٠٣ - أوقاف، بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٠٣٢هـ/٢١ أكتوبر ١٦٢٣م.

٤ _ أغا دار السعادة هو في التركية "دار السعادة أغاسي"، وهو أكبر موظفي القصر، ويعرف باسم أغا البنات "قيزلر أغاسي"، ولا يكون إلا أسود خصياً يشرف على الحرم الهمايوني وهو الجناح الذي تسكنه النساء، وقد عظم نفوذه من بداية القرن ١٧م إلى منتصف القرن ١٨م، وكانت لأغوات دار السعادة نظارة أوقاف الحرمين الشريفين ابتداء من سنة ٩٩٥هـ/١٥٨٧م، وفي سنة ١٠٠٦هـ/٩٧-١٥٩٨م ألحق بعض الأوقاف به، وفي سنة ١١٢٨هـ/١٧١٦م ألحقت أوقاف السلاطين بنظارته، ثم تنظر الأغا أيضاً نيابة عن السلطان نفسه على الأوقاف التي يتنظر عليها السلطان بحكم سلطنته، وفي سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م أنشئت مديرية أوقاف الحرمين ثم تحولت في سنة ١٢٥٢هـ/٣٦-١٨٣٧م إلى نظارة أوقاف الحرمين وحلت محل نظارة أغا دار السعادة إلى أن ألغي هذا المنصب بإلغاء السلطنة العثمانية. أحمد السعيد سليمان: تأصيل، ص١٨ - ١٩.

المعروف بأولاد فحيمة وجميع الحوش الكبير الكائن بالثغر المذكور/ المحدود بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى الشارع المسلوك والحد البحري ينتهي إلى وقف البراي علي والحد الشرقي ينتهي إلى الشارع/ أيضاً والحد الغربي ينتهي إلى الزقاق الملغي ..".

وقد كانت هذه الوكالة موجودة إلى وقت قريب، حيث كانت مسجلة في عداد الآثار الإسلامية بهذه المدينة تحت أسم "وكالة الباشا"، ولكنها أخرجت من عداد الآثار في الأربعينات من هذا القرن لنفقد الوكالة الأثرية الثانية في الوجه البحري بعد وكالة السلطان الغوري بمدينة المحلة الكبرى.

ومما لا شك فيه أن هناك العديد من الوكالات الأخرى التي أنشأها وزراء آخرون بمدينة رشيد في تلك الفترة، نظراً لأهمية المدينة التجارية، وازدياد أهميتها كميناء تجاري في العصر العثماني كما أشرنا، وننتقل إلى وكالات أخرى بنيت على يد الطبقة الثانية في الدولة في هذه الفترة، ونعني بها طبقة أمراء المماليك، ورؤساء الأوجاقات العسكرية.

٢ -وكالتا يوسف القبودان الكبرى والصغرى

تذكر إحدى الوثائق التي ترجع إلى القرن ١٠هـ/١٦م أن للأمير يوسف القابودان[١] العديد من المنشآت بثغر رشيد حيث يشتمل وقفه على حمام ووكالتين تعرف إحداهما بالكبرى والأخرى بالصغرى وحواصل وطباق وحوانيت بالإضافة إلى ربع وساحة وقيسارية وبيوت، وتشير وثائق إيجار تلك الأماكن إلى أن الوكالة الكبرى كان يتوسطها مسجد وبها صهريج[٢]، وتحدد إحدى وثائق ذلك العصر موقع الوكالة الكبرى في وسط الثغر من الجهة البحرية وأنها تقع تجاه وكالة الوزير على باشا[٣].

وتتضمن وثائق محكمة رشيد وثيقة عبارة عن عقد إيجار مؤرخ في ٢٤ جماد الأول سنة ١٠٢٠هـ/٤ أغسطس ١٦١١م[٤] يبين موقع وكالتي الأمير يوسف القابودان وأوقافه الأخرى، ونص تلك الوثيقة على النحو التالي: "(س ٥) .. *جميع الأماكن الكائنة بالثغر المذكور الجارية في الوقف المشار إليه المشتملة على حمام كائن بحري/ الثغر وعلى وكالة لطيفة مجاورة للحمام المذكور من الجهة القبلية مع ما بها ويعلوها من المساكن*

---

١ _ هو الأمير الجمالي يوسف، وردت ألقابه ووظائفه في وثيقة ترجع إلى سنة ٩٩٩هـ/١٥٩٠ - ١٥٩١م على النحو التالي *الجناب العالي الأميري الكبيري المجاهدي المرابطي الجمالي يوسف أمير اللواء الشريف السلطاني بالثغر السكندري وقابودان العمارة المنصورة*"، وتشير المصادر إلى أنه كان أميراً عظيماً تولى إمارة الحاج سنة ٩٣٦هـ/١٥٢٩م. أحمد الرشيدي:حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج، ص١٥٣ - ١٥٤.

٢ _ ١٨، ٤٦٦م، بتاريخ ٤ شعبان سنة ٩٩٩هـ/٢٨ مايو ١٥٩١م، وترجع منشآت الأمير الجمالي يوسف القابودان إلى بداية العصر العثماني.

٣ _ دمنهور، رقم٢١، م٦٥، بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ١٠٠٣هـ/٦ مايو ١٥٩٥م.

٤ _ ؟،٢٣٨، ٥٩ - ٦٠.

والبيوت والمنافع والحقوق وعلى شونة معدة لوضع الوقود وعلى ساقية للحمام المذكور وحوش فسيح/ بجوار ذلك من الجهة الشرقية وعلى منافع ومرافق وعلى وكالة ثانية كائنة بالثغر المذكور من أوسطه تجاه وكالة المرحوم الوزير علي باشا .. وما بها من حواصل وطباق وحوانيت ومنافع ومرافق/ وحقوق داخلة في ذلك وخارجة عنه ..".

٣ - وكالة الرويعي

كانت تقع بخط الصاغة القديمة المعروف اليوم بشارع معمل الشمع من شارع بورسعيد والذي يعتبر بالجهة القبلية من المدينة، جاء ذكرها في وثيقة تجمع ممتلكات الخواجا أحمد بن أحمد بن محمد الشهير بالرويعي عين التجار بالديار المصرية والأقطار الحجازية والبنادر والثغور الإسلامية مؤرخة في ٢ ذي الحجة سنة ١٠١٦هـ/١٩ مارس ١٦٠٨م[١]، وذكرت أنه بنى جامعاً وعدة مبان أخرى في هذا الخط مع هذه الوكالة التي تصفها كالآتي:

"(ص٣٧٩ س١٣) .. وجميع الوكالة الكائنة بالثغر/ المذكور بخط الصاغة القديمة الكاملة أرضاً وبناء المشتملة على خمس حواصل مسقفة عقداً سفلية وستة طباق علو ذلك مسقفة أيضاً عقداً وحانوتين بواجهتها ويعلو ذلك من الجهة البحرية/ دهليزين يفتح بابهما بحرياً ويعلو الدهليزين بيتان ومنافع وحقوق وغرفتان مقابل ذلك يفصل بينهما حائط ويعلو الوكالة من الجهة القبلية ثلاثة بيوت يفتح بابها شرقياً/ تشتمل كل منها على بيت ودهليز وغرفة ومنافع وحقوق المحدود ذلك بحدود أربعة القبلي ينتهي لبيت وقف الحرمين ومسجد المنشئ والبحري للشارع وفيه بابا الوكالة والحانوتين/ وبابا البيت والشرقي إلى الشارع وفيه أبواب الثلاثة بيوت وسلمها والغربي لبيت أولاد غانم الحبال بعضه وباقيه لفسقية الجامع إنشاء الخواجا أحمد المشار إليه/ المذكور أعلاه ..".

٤ - وكالة عابدين بك

أمدتنا الوثائق أيضاً بوصف دقيق لوكالتين وبيت قهوة وقف عابدين بك[٢]، كانت بالجهة القبلية من المدينة، نستنتج منها أن الوكالة الكبرى كانت قائمة قبل سنة ١٠٣٣هـ/١٦٢٣ ــ ١٦٢٤م وآلت ملكيتها إلى عابدين بك، وكانت تعرف قبل ذلك باسم "وكالة العمدة"، كما أن حمام عزوز الحالي ــ وإن لم تنص الوثيقة على أسمه صراحة في ذلك الوقت- كان موجوداً في القرن ١١هـ/١٧م، ومن جهة أخرى أن الوكالة الشرقية منهما وبيت القهوة المجاور لها كانتا على شاطئ النيل مباشرة، أي أن

---

١ _ أرشيف الشهر العقاري بالقاهرة:محكمة الصالحية النجمية، س٤٨٢، م٨٨٧، ص٣٧٩ - ٣٨٠.

٢ _ وثيقة عابدين بك،رقم٩٩٠ - أوقاف، بتاريخ ٢٣ذي الحجة سنة١٠٣٦هـ/٤سبتمبر ١٦٢٧م.

النيل قد طرح فيما بعد القرن ١٧م في هذه الجهة ما يقرب من ٥٠ متراً، وهي طـــول المباني الحالية مع شارع الكورنيش، ونصها كالآتي:

"(س١٨) .. *جميع/ الوكالة الكبرى المستجدة/ الإنشاء والعمارة/ المعروفة بإنشاء مولانا/ الأمير عابدين بك المومى إليه/ أعلاه الكائنة بثغر رشيد/ المحروس بالجهة القبلية/ ومن الجهة الشرقية بشاطئ بحر/ النيل المبارك بجوار/ دار المرحوم أحمد/ أبي الجود مـــن الجهة البحرية/ المعروف أصل الوكالة/ المذكورة قديماً بـــالعمدة/ المشـتملة الوكالـــة المذكورة/ بالإملاء على واجهتين/ قبلية وبحرية/ بها باب مقنطر رومي يغلـــق/ عليـــه زوجا باب خشباً/ يكتنفه جلستان/ من الحجر الفص النحيت يدخل/ منه إلى دهلـــيز بـــه يمنة/ ويسرة مسطبتان/ متقابلتان يتوصل من/ الدهليز المذكور إلـــى/ ســـاحة الوكالـــة المذكورة/ وبها صهريج مبني تحت تخوم/ الأرض معد لخزن الماء/ العذب به وتسبيله/ لشرب الآدميين المقيمين/ بالوكالة المذكورة والواردين/ عليها وبالساحة المذكورة/ علـــى يمنة الداخل ثلاث/ بوايك يتوصل من سفل/ سلم بايكة إلى حاصل/ يغلق عليه فردة باب خشباً/ نقياً بجوار ذلك بايكة/ يتوصل من سفلها/ إلى خمس حواصل يغلق/ عليها أبوابها الخشب/ النقي يجاورها سلم يأتي/ ذكره فيه يجاوره بايكتان/ يتوصل مـــن ســـفل كـــل منهما/ إلى حاصل ومحلات راحة/ سفل بايكة صغيرة سفلها/ حاصل أيضاً يجاور/ ذلك ثلاث حواصل/ يكون جملة الحواصل/ المذكورات أربعة عشر حاصلاً/ وعلـــى يســـار الداخل/ من باب الوكالة المذكورة/ البحري المرقوم عشرة/ حواصل سفل عشرة/ بوايك يجاور أحدها/ سلم يأتي ذكره فيه يغلق/ على كل حاصل من الحواصـــل/ المذكـــورات فردة باب خشباً/ نقياً وبالواجهة البحرية/ المذكورة على يمنة الخارج/ منها ست حوانيت وعلى/ يسار الخارج سبع حوانيت/ يغلق عليها أبوابها/ وبظاهر الوكالة المذكورة/ ممـــا يلي الشرقي/ خمس حوانيت ومقعد/ وقهوة مستجدة الإنشاء/ والعمارة إنشـــاء مولانـــا/ الأمير عابدين بك الواقف/ المومى إليه أعلاه وأما/ واجهة الوكالة القبلية/ المذكورة فـــان بها بابان/ أحدهما مقنطر رومياً/ يغلق عليه زوجا باب/ خشباً نقياً يدخل منه إلى/ دهليز به مسطبتان/ متقابلتان بجوار كل/ منهما خزانة يتوصل من/ الباب المذكور إلى ســـاحة/ الوكالة المذكورة ويتوصل/ من السلم الذي على يمنة الداخل/ من باب الوكالة البحـــري/ المذكور إلى أحد وعشرين/ طبقة مسقفات نقياً فرخاً/ شامياً كل طبقة من ذلـــك/ كاملـــة المنافع والمرافق/ والحقوق وبكل طبقة/ من ذلك شباكان حديداً/ ما عدا التي علو الباب/ فان بها خزانة وشباكان/ راجعيان ويتوصل/ من السلم الذي على يسار/ الداخل من باب الوكالة/ البحري المذكور أعلاه/ الموعود بذكره أعلاه/ إلى سبعة عشر طبقة/ كـــاملات المنافع/ والمرافق والحقوق/ والشبابيك وأما/ الثاني من البابين اللذين/ بالواجهة القبليـــة المذكورة/ المرقومين أعلاه يتوصل/ منه إلى سلم مطوي بـــالحجر/ الفـــص النحيـــت*

يتوصل منه/ إلى بسطة يعلوها باب مربع/ يغلق عليه فردة باب خشباً/ نقياً يدخل منه إلى سلم/ يصعد من عليه إلى السطح/ يتوصل منها إلى باب مربع/ على يمنة الصاعد يتوصل/ منه إلى طبقة كاملة المنافع/ مطلة على الباب المذكور/ وفسحة يتوصل منها/ إلى مطبخ يعلوه طبقة/ كاملة المنافع ويتوصل/ من البسطة المذكورة أعلاه/ إلى باب أيضاً يدخل/ منه إلى فسحة لطيفة مسقفة/ نقياً بصدرها باب مربع/ يغلق عليه فردة باب خشباً/ نقياً عربياً يدخل/ منه إلى قصر بصدره/ أربع شبابيك/ برسم النور والهوى/ مطلات على/ البحر والقهوة/ والمقعد المذكور أعلاه بالقصر المذكور دورقاعة بها خزانة بها شباكان حديداً وشباك ثالث خرطاً يجاور ذلك محل راحة وعلى يمنة الداخل خزانتان نوميتان أحدهما/ حبيساً والثانية بها ستة عشر طاقة مطلات على البحر وبالفسحة المذكورة مدار سلم يسار يتوصل منه إلى رواق كامل المنافع والمرافق والحقوق والمنافذ/ والى السطح العالي على ذلك ويحيط بذلك ويحصره حدود أربعة بالإملاء الحد القبلي إلى بحر النيل المبارك وفيه الواجهة والبابان والمطلات/ المذكور ذلك أعلاه والحد البحري إلى الشارع الفاصل بين ذلك والوكالة الصغرى المعروفة بإنشاء مولانا الأمير عابدين بك الواقف المشار إليه/ الآتي ذكرها فيه والحد الشرقي إلى الطريق الفاصل بين ذلك وحاصل السلطان بعضه وباقيه إلى القهوة المذكورة والحد الغربي إلى الطريق الفاصل/ بين ذلك والحمام وجميع المكان المستجد الإنشاء والعمارة المعروف بالقهوة المذكورة أعلاه وبإنشاء مولانا الأمير عابدين بك الواقف المشار/ إليه أعلاه المعد لطبخ القهوة وشربها وبيعها وما لذلك من العمودين اللذين أحدهما صوانا أحمر والثاني رخاماً أبيض ومن المساطب والشبابيك/ المطلات على البحر وغيره ومن المنافع والمرافق والحقوق الملاصق المكان المعروف بالقهوة المذكورة للوكالة الكبرى المذكورة والمحدود المكان/ المعروف بالقهوة المذكورة أعلاه بحدود أربعة بالإملاء الحد القبلي إلى البحر والخمس حوانيت والمقعد المذكور ذلك أعلاه والحد البحري إلى حاصل/ السلطان المذكور والحد الشرقي كذلك والحد الغربي إلى الوكالة الكبرى المذكورة وجميع **الوكالة الصغرى** الكائنة بالثغر المذكور تجاه الوكالة الكبرى المذكورة/ وهي الموعود بذكرها أعلاه المشتملة الوكالة الصغرى المذكورة بالإملاء على واجهة قبلية تجاه الوكالة الكبرى المذكورة بالواجهة القبلية المذكورة ست حوانيت وبها تجاه النحاس؟/ أربع حوانيت وبظاهرها على يمنة السالك حانوتان وبالواجهة المذكورة باب مربع يغلق عليه زوجا باب يدخل منه إلى دهليز به مسطبتان مبنيتان بالطوب الأحمر/ يتوصل من الدهليز المذكور إلى ساحة الوكالة المذكورة وبها يمنة ويسرة تسع حواصل يغلق على كل منها فردة باب خشبا نقياً وبصدرها سلم يجاوره عمود رخام يتوصل من السلم المذكور/ إلى أربعة عشر طبقة كاملات المنافع والمرافق والحقوق وحدود أربعة

دل عليها وعلى الوصف المذكور الإملاء الحد القبلي إلى الزقاق الفاصل بين ذلك وبين الوكالة/ الكبرى المذكورة وفيه الواجهة والباب والحد البحري بعضه إلى الطريق وباقيه إلى بيت أبي الجود والحد الشرقي إلى بيت الأفندي والحد الغربي إلى/ الطريق ..".

٥ ـ وكالة الأمير إبراهيم أغا مستحفظان

بنى هذه الوكالة بالجهة القبلية من المدينة القاضي محمد أفندي بن إسحاق قاضي رشيد والمحلة الكبرى قبل سنة ١٠٦٢هـ/١٦٥٢م، ثم اشتراها الأمير دلاور بن عبد الله بلكباش طائفة مستحفظان[1] ناظر وقف الأمير إبراهيم أغا مستحفظان لصالح وقفه بمبلغ ٤٥٠٠ قرش فضة كبار بكلب[2]، وتصف لنا حجة وقف إبراهيم أغا[3] هذه الوكالة على النحو التالي:

"(ص٣٤٣ س٢) .. *على صهريج في تخوم الأرض معد لخزن/ الماء العذب من بحر النيل المبارك له ثلاث بيارات وشباك حديد مطلة/ شرقياً وحوض ومشربة من الحجر الأحمر له باب فتح بحرياً مركب عليه فردة باب من/ الخشب النقي سقف نقياً وعلى وكالة لطيفة بها باب مربع فتح شرقياً مركب عليه/ زوجا باب من الخشب النقي بأعلاه شباك صغير من الحديد بجانبيه مسطبتان/ مربعتان معدتان للجلوس بالاستراحة يدخل من الباب المذكور إلى مجاز طولاني/ به أربع مساطب ثنتان منها على يمنة الداخل وثنتان على يسرته بين كل/ مسطبتين منها خزانة لطيفة مركب عليها باب من الخشب النقي يتوصل من المجاز/ المذكور أعلاه إلى صحن الوكالة المذكورة أعلاه مفروش كل من المجاز والصحن/ المذكورين بالحجر الأبيض يدخل من الصحن المذكور إلى أربعة عشر حاصلاً معدة لخزن/ البضايع وغير ذلك خمسة منها على يمنة الداخل فتحت أبوابها شرقياً وخمسة منها/ على يسرة الداخل فتحت أبوابها بحرياً وواحد بجانب المجاز المذكور فتح بابه* (ص٣٤٤) *غربياً بجانب الحاصل الرابع من الجانب القبلي شرقياً عقد سلم من الحجر الأحمر/ بأسفله مرحاضان أحدهما فتح شرقياً والثاني بحرياً أمامهما فسحة متصلة/ بالصحن المذكور يصعد من عقد السلم المذكور إلى ممشاة مستديرة بإعلا قواصر/ الحواصل المذكورة بأسفلها أربعة عواميد قائمة على الصحن المذكور يتوصل/ منها إلى ما يعلو الحواصل المذكورة من الطباق المكمل منها طبقة بأعلى/ الحاصل الشرقي من الجانب البحري من الحواصل المبدأ بذكرها أعلاه/ وواحد بأعلى رأس عقد*

---

١ _ **طائفة مستحفظان** كانت من فرق الجيش العثماني التي تختص بحراسة القلاع والمدن، وكانت تقوم بمهمة الشرطة. أنظر :قانون نامة مصر، ص١٨ حاشية، رقم١ ؛ د. أحمد السعيد سليمان: تأصيل، ص٧٧.

٢ _ **قرش فضة بكلب** هو الريال الهولندي، نسبة إلى صورة الأسد القريب من الكلب المنقوش عليه. د.عبد الرحمن فهمي: النقود المتداولة أيام الجبرتي، ص٥٥٨.

٣ _ وثيقة رقم٩٥٢ - أوقاف، بتاريخ ١٠محرم سنة ١٠٧٠هـ/٢٧سبتمبر ١٦٥٩م.

السلم المذكور أعلاه بإعلا أحد الحواصل/ القبلية المذكورة بجانب كـل مـن الطبقتيـن المذكورتين أعلاه مرحاض/ وبجانب الوكالة المذكورة من الجهة الشرقية حاصل كبيـر فتح بابه شرقياً/ خارج الوكالة المذكورة به شبابيك حديد بعضها مطل شرقياً وبعضـها/ قبلياً مجعول الآن إسطبلاً وبظاهرها في الجانب الغربي خمسة حواصل/ فتحت أبوابـها غربياً بالشارع الغربي المذكور أعلاه معقود سقف كل من/ الحواصل المذكورة أعـلاه بالطوب الآجر مقنطر كل من أبوابها (ص٣٤٥) مركب على كل باب منها فـردة مـن الخشب النقي مكمل كل ذلك بالأبواب والأعتاب/ والشبابيك والمنافع على العادة وبجانبي الوكالة المذكورة اثنتى عشرة حانوتاً/ ثلاثة منها بالجانب البحري وتسعة بالجانب القبلـي يعلو أحد الحوانيت البحرية/ الثلاثة عقد سلم من الحجر مركب عليه طيارة من الخشـب بها شباك حديد لها باب/ فتح شرقياً مركب عليها مقعد مـن الخشـب النقـي بجوانبـه درابزان وقناطر من الخشب/ على يسرة الداخل من باب الطيارة المذكورة أعلا بـاب مقنطر بأعلاه شباك حديد/ مركب عليه فردة باب من الخشب يدخل منـه إلـى مجـاز طولانـي مفروش بالحجر/ الأبيض على يسرة الداخل من المجاز المذكور أعـلا بـاب يدخل منه إلى مقعد/ لطيف بظاهره علوه الصهريج المذكور به ثلاثة شبابيك كبيرة مـن الحديد/ أحدها مطل على الشارع البحري واثنان مطلان على بحـر النيـل المبـارك/ بإعـلا كل منهما شباكاً صغير وبه خزانة لطيفة بها شباكان مطـلان علـى الوكالـة/ المذكورة وبه إيوان لطيف بالجانب البحري يعلوه مسندرة من الخشب النقي/ بأعلاهـا عمود من الحجر المرمر يصعد إليها من سلم خشب لطيف مقـابل للإيـوان (ص٣٤٦) المذكور أعلاه خزانة لطيفة بباب خشب معقلي متكك ومسقف ذلك/ خشباً نقيـاً وعلـى يمنة الداخل من المجاز المذكور مطبخ ومرحاض به حنفية/ من الحجر الأبيض معـدان من منافع المقعد المذكور أعلاه ويصعد من عقد السلم/ المذكور إلى ثلاثة أبواب مقنطرة مركب على كل منها فردة باب من الخشب/ النقي اثنان منها فتحا بحريـاً يدخـل مـن الشرقي منها إلى مجاز علوي/ طولاني مفروش بالبلاط الكدان معقود سـقفه بـالطوب الآجر/ على يمنة الداخل منه ثلاثة شبابيك مطلة على صحن الوكالة المذكورة/ يقابلـها واجهة خركاه من الخشب المخروط وغيره بأعلى الشبابيك المذكورة/ طاقات من الجـام الزجاج المختلف الألوان وعلى يسرة الداخل باب فتح/ غربياً يدخل منه إلى بيارة مـن بيارات الصهريج المذكور أعلاه بأعلى ذلك/ سندرة من الخشب النقي مطلة على صفـة يأتي ذكرها فيه يقابل الباب/ المذكور مرحاض فتح بابه قبليـاً ويدخـل مـن الواجهـة المذكورة إلى فسحة/ مفروشة بالرخام بها ثلاث صفات متككة من الخشب النقي إحداهـا (ص٣٤٧) بحرية بجانب باب الصهريج المذكور وهي الموعود بذكرها والثانية/ شرقية صدرانية بها شباك مطل على بحر النيل المبارك بأعلاه طاقات مـن/ الجـام الزجـاج

والثالثة قبلية برأس كل من البحرية والقبلية عمود من الرخام/ مركب عليـــــه مســـندرة وبالقبلية المذكورة عقد سلم خشب يتوصل منه إلى خزنة/ كرار علو مطبخين أحدهمـــا غربي فتح بابه بحرياً أمام الداخل من المجاز المذكور/ بجانبه حوض من الحجر معـــد من منافع المقعد الكبير الآتي ذكره فيه والثاني/ شرقي معد من منافع مقعد آخـــر يـــأتي ذكره فيه وبجانب الصفة البحرية باب/ مربع يدخل منه إلى مجاز صغير لطيف مسقوف بالخشب المدهون يتوصل من المجاز/ المذكور إلى مقعد كبير ديوانــــــي ذي واجـــهتين شرقية وبحرية بالشرقية/ منهما ثلاث شبابيك إحداها مطل قبلياً والثاني شرقياً على بحـر النيل المبارك/ والثالث بحريا وبالبحرية ثلاث شبابيك كذلك إحداها شرقي مطـــل علـــى بحر/ النيل والثاني بحري مطل على الشارع البحري المذكور أعلاه والثـــالث مطـــل/ غربيا على مقعد الطيارة المذكورة أعلا بأعلى كل مـــن الشـــبابيك المذكـــورة طاقـــات (ص٣٤٨) محشوة من الجام الزجاج المختلف الألوان بالمقعد المذكور خزنـــة لطيفـــة/ مدهون سقفها بالدهان المختلف الألوان بداخلها ثلاث خزائن إحداها/ بأعلى بابها وثنتـــان علو شباكين مطلين على الشارع البحري بمقعد الطيارة/ المذكورة أعلاه بـــأعلى ذلـــك طاقات من الجام وبجانب الخزنة المذكورة شباك/ كبير مطل على إحدى الصفات الثلاثة المذكورات أعلاه وأمام الواجهة البحرية/ المذكورة مسندرة من الخشب النقي المدهـــون يعلو خزانة بواجهة خركاه يتوصل/ إلى السندرة المذكورة من ســـلم خشـــب بالمجـــاز المذكور أعلاه وبه خزائن لطيفة/ أبوابها من الخشب النقي معقلي متكك مـــن الخشـــب النقي الأبيض ومسقف/ بالشقاه المدهونة المختلفة الألوان ويقابل المجاز المذكور أعـــلاه/ خزانة لطيفة بها شباك مطل شرقيا على بحر النيل المبارك مركب عليه/ جامـــات مـــن الزجاج وبها سندرة لطيفة وخزائن وغير ذلك ويدخل/ من الباب الغربي مـــــن البـــابين المذكورين أعلاه إلى مجاز علوي يصعد منه/ إلى ما يعلوا ذلك من معالم بناء لم تكمـــل الآن وعلى يسرة الداخل منه (ص٣٤٩) باب يدخل منه إلى المجاز الطولاني المذكـــور أعلا والباب الثالث من/ الإيوان المذكور أعلا يدخل منه إلى مجاز علوي أيضا يصعـــد منه إلى بيت/ لطيف به ثلاثة شبابيك وإلى مطبخ ومرحاض وفسحة بين ذلك بها بـــــاب لطيف/ يتوصل منه إلى المجاز العلوي المذكور وبأعلى الحانوت الشرقية من التســـع/ حوانيت القبلية المذكورة أعلا عقد سلم من الحجر الأحمر كذلك يصعد منه/ إلى بـــابين مقنطر كل منهما مركب عليه فردة باب من الخشب النقي يدخل من/ الشرقي منهما إلـــى مجاز طولاني مفروش بالبلاط الكدان على يمنة الداخل/ باب مربع يدخل منه إلى مقعـــد ذي واجهتين كذلك قبلية وشرقية/ بكل منهما شبابيك مطلة على جهتها وغيرهـــا وبـــه سندرة علو الباب/ المذكور يصعد إليها من سلم خشب ويصعد من الســـندرة المذكـــورة أعلا/ إلى خزنة مركبة علو المجاز الطولاني المذكور أعلا وعلى يمنة بـــاب/ المقعـــد

المذكور أعلاه خزانة صغيرة ويتوصل من/ المجاز المذكور إلى المطبخ المعد من منافع المقعد المذكور الذي بأسفل (ص٣٥٠) خزنة الكرار المذكور أعلاه والـــى مرحــاض وغير ذلك ويتوصل/ من الباب الثاني إلى مجاز علوي يصعد منه إلى ما يعلوا ذلك مـن معالم بناء/ لم تكمل الآن مكمل جميع ذلك بالأعتـــاب والأبـواب والتكـك/ والسـقف والشبابيك والخزائن والطاقات والقماري والجامات/ والمقاعد وغير ذلك على العادة بمـا لذلك من المنافع والحقوق/ ويحيط بكامل ذلك ويحصره حدود أربعة الحد القبلي ينتـهي إلى/ الشارع المسلوك الفاصل بين ذلك وبين الأرض الجارية بيد/ مولانا فخر المدرسين إبراهيم أفندي ابن المرحوم الخواجا سليمان الشهير/ نسبه الكريم بابن الظريف والحـد البحري ينتهي إلى الشارع المسلوك/ الفاصل بين ذلـك وبيـن الأرض الجاريـة فـي استحقاق ورثة المرحوم/ النوري علي شفيتر والحد الشرقي ينتهي إلـى بحـر النيـل المبارك والحد/ الغربي ينتهي إلى الشارع المسلوك الفاصل بين ذلك وبيـن الأمـاكن/ المعروفة بالمرحوم النوري علي صلاح الدين والأماكن المعروفـة بـأولاد (ص٣٥١) فتوح والمكان المعروف بالقماح ..".

ثانيا: العنابر وقاعات الخزين

العنبر أو الأنبار، كلمة فارسية محضة هى "الأنبار"، ومنها دخلـت اللغـة التركيـة "أنبار" أو "عنبار"، وهى المخازن أو الشون التي كانت تحفظ فيـها واردات الضرائـب العينية وتصرف منها مرتبات الجراية والعليق[1]، وقد عرفنا أن جزءا كبيرا من ضرائب مصر كان يدفع إلى تركيا عينا من أرز وسكر وخلافه، وكانت تشحن تلـك الضرائـب العينية من ميناء رشيد[2]، فكان من الضروري إنشاء عنبرا خاصا لحفظ تلك البضائع إلى حين شحنها. وتشير إحدى وثائق محكمة رشيد إلى "العنبر السلطاني" وانـه كـان يقـع شرقي الثغر[3]، أي انه كان يطل على شاطئ النيل، وذلك لتسهيل عملية الشحن والتفريـغ من والى السفن، وقد عثرنا على وثيقة أخرى لإثبات حالة العنـبر المتدهـورة تمـهيدا لترميمه، تصفه بأنه كان عبارة عن مخزن مساحته ٤٢×٢٦ ذراعا[4] يتقدمه فناء، ويعلوه مقعدين، وملحق به مصاطب ومطبخ وإصطبل، وتشير تلك الوثيقة إلـى أن المشـرف على هذا العنبر يشغل منصب "أمير لواء"، و"وكيل خرج السلطنة الشـريفة"[5]، وبصفـة

---

١ _ أدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٥٠.

٢ _ د. ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق،ص٤٤٠.

٣ _ ١١٥،١١٢،٦٧، بتاريخ ٢٢ شعبان سنة ١١٢٥هـ/١٣ سبتمبر ١٧١٣م.

٤ _ الذراع= ٥٢٥, متر، أنظر: علي مبارك، الخطط، ج١٦، ص٢٠.

٥ _ ١١٥،١١٢،٦٧، بتاريخ ٢٢ شعبان سنة ١١٢٥هـ/١٣ سبتمبر ١٧١٣م.

عامة فان متولي هذه الوظيفة في مصر كان هو الموظف المختـــص بشـــراء طلبـــات السلطان ودوائره، وكذلك طلبات الباشا ودوائره أيضاً[١]، ونص تلك الوثيقة كالتالي:

"حضر لدى مولانا جمال قضاة الإسلام كمال ولاة الأنام الحاج رجب أفندي .. الجنـــاب عبد الله جوربجي طايفة مستحفظان قلعة مصر المحروسة الشهير بطوماقز زيد قـــدره/ وهو الوكيل الشرعي عن حضرة الجناب العالي الأمير إبراهيم بيك مير اللواء الشـــريف السلطاني بمصر المحروسة ووكيل خرج السلطنة الشريفة دامت خلافتها وأنهى وكيـــل الوكيل/ المشار إليه أن العنبر الشريف السلطاني الكائن بالثغر من شرقيه المعد لوضـــع وحوز كلار السلطنة[٢] المشار إليها وما يعلو بعض ذلك من بناء مقعدين ومنافع/ وحقوق ويحيط بالفسحة التي أمام العنبر المذكور من الجهة الشرقية وسقط بعضه وباقيـــه آيـــل للسقوط وسقط أيضا غالب المقعدين/ المذكورين بسقوط بعض العقود المذكورة وتعطـــل الانتفاع بذلك كله بحيث تعذر وضع شيء من الكرار المذكور بداخل العنـــبر المرقـــوم وأنه في سابع/ صفر الخير ثاني شهور سنة تاريخه أدناه صدر الكشف على ذلك فوجـــد بالصفة المذكورة وكتب بذلك حجة مشمولة أيضا وختم مولانا أفندي المومى إليه أعـــلاه مؤرخة/ بالتاريخ المذكور وقد سرى الخراب من حين ذلك والى تاريخه إلى باقي العنبر وحوائط الفسحة المذكورة وزاد عما كان حين صدور الكشف وأنه إن يســـتمر كذلـــك/ سقط باقي العقود والحوائط وأضر بالجار والمار والتمس المدعـــي المذكـــور ومولانـــا المومى إليه الكشف على ذلك ثانيا فأجابه لذلك وكشف على ذلك بحضور خطاب/ بـــن عمر والمعلم عبد اللطيف أحمد محمد البدري البناء كل منهما وطائفة والمعلمين البنـــائين المهندسين بالثغر بحضور الجم الغفير من أهالي محلة ذلك وغيرهم فوجـــدوه بالصفـــة التي أنهاها/ عبد الله جوربجي المشار إليه وقيس حوائط العنبر المذكور من الجهـــة sic *الأربع فبلغ قيس القبلية منها مشرقا مغربا اثنان وأربعون ذراعا ونصف ذراع/ وقيـــس البحرية كذلك والشرقية منها مقبلا مبحرا ستة وعشرون ذراعا والغربية منـــــها مقبـــلا مبحرا كذلك وقيست حوائط الفسحة المذكورة من الجهة* sic *الأربع فبلغ قيس القبلية منها مشرقا مغربا تسعة عشر ذراعا والبحرية منها مشرقا مغربا كذلك سبعة عشـــر ذراعـــا والشرقية مقبلا مبحرا ثلاثة وثلاثون/ ذراعا والغربية منها كذلك كل ذلك بذراع البنـــاء المعتاد وأن بعض حوائط العنبر المذكور محتاج للإنشاء والتجديد وباقيها محتاج للعمارة والترميم/ وكامل حوائط الفسحة وما بها والمصاطب والمطبـــخ والإصطبـــل محتـــاج للإنشاء والتجديد ثم عاد من ذكروا وأخبروا مولانا أفندي المومى إليـــه أعـــلاه بذلـــك/*

---

١ _ د.ليلى عبد اللطيف، المرجع السابق، ص٤٥٨.

٢ _ الكلار كلمة تركية من أصل يوناني بمعنى غرفة تخزن فيها حوائج البيت من المواد الغذائية. أحمـــد السعيد سليمان: تأصيل، ص٨٠.

إخبارا مرضيا واقعا موقع القبول ولما صار الحال على هذا المنوال كتب ذلك ضبطـــا لواقعة الحال ليعرض على من له النظر في ذلك .."[1].

اشتملت وثائق محكمة رشيد أيضا على بعضا من المنشآت المماثلة للعنـــابر، وهـــي عبارة عن بعض القاعات أعدها أصحابها لاستخدامها لخزن بعض السلع المصـــدرة أو المستوردة، وعلى سبيل المثال وجدنا عقد إيجار لقاعة معدة لخزن الخشب، ونصها:

"(س٢) .. *جميع القاعة الكائنة بالثغر بالجهة الوسطى منه بجوار المحكمة العتيقة المعدة القاعة المذكورة/ لخزن الخشب المعلومة عندهما شرعا إجارة صحيحة شـــرعية لمـــدة سنتين كاملتين تمضي من تاريخه باجرة مبلغها عن كامل المدة المذكورة مبلغا قدره/ من الذهب السلطاني الجديد الوازن ثمانية دنانير أجرة مقسطة في طول المدة المذكورة قسط كل منه في آخرها أربعة دنانير ..*"[2].

ثالثا: المحناطات

المحناطات نمط من أنماط المنشآت التجارية، يقتصر على تجارة نوع معيـــن مـــن التجارة وهي تجارة الغلال، وقد ورد بوثائق رشيد وغيرها من المدن المصريـــة مثـــل دمياط والمحلة الكبرى إشارات عديدة إلى مثل هذه المنشآت التجارية، وهي عبارة عـــن منشأة لبيع الغلال، تتكون من حواصل للخزين ومقاعد ــ الحانوت الغير عميق ــ معـدة للبيع بالإضافة إلى دور للدواب التي تحمل الغلال إلى المحناطة المذكـــورة، وقـــد ورد وصف لإحدى المحناطات في وثيقة ترجع إلى القرن ١١هـــ/١٧م باسم الخواجا أحمـــد الرويعي وكانت بالقرب من جامع زغلول بالجهة القبلية للمدينة شرق التوســـعة التـــي أنشأها الرويعي للجامع، وكان يقابلها حوانيت، وكان يعلوها طباق، غير أن الوثيقة[3] لـــم توضح إن كان للسكن أم للخزين أيضا، ووصفتها كالآتي:

"(ص٣٧٩س٢٤) *وجميع المحناطة المعدة لبيع الغلال الكائنة بالثغر المذكور بخط جـامع زغلول المذكور أعلاه القائم بناؤه على الأرض الجارية في تواجر الخواجا أحمد المشار إليه المنبه عليها أعلاه/ المشتملة على أحد وعشرين حاصلا وأحد وعشرين طبقة واثنين وعشرين حانوتا شرقي الجامع المذكور والمحناطة المذكورة واثنا عشر مقعدا معدة لبيع الغلال بها/ فاصل بينها وبين المحناطة المذكورة الشارع مبني ذلـــك بـــالطوب الآجـــر مسقف ذلك بالأخشاب النقي ..*".

---

١ ـ ١١٥،١١٢،٦٧، بتاريخ ٢٢ شعبان سنة ١١٢٥هـــ/١٣ سبتمبر ١٧١٣م.

٢ ـ ١٣،١٠،٤١،٩٨، بتاريخ ٢٨ ذي الحجة سنة ٩٩١هـــ/١٢ يناير ١٥٨٤م.

٣ ـ أرشيف الشهر العقاري بالقاهرة، محكمة الصالحيـــة النجميـــة، س٤٨٢م٨٨٧،ص ٣٧٩ - ٣٨٠، بتاريخ ٢ ذي الحجة سنة ١٠١٦هـــ/١٩ مارس ١٦٠٨م.

٣ - المنشآت الصناعية

أولا: معاصر الزيت

١ - معصرة ابن عمران

كانت تقع بالجهة البحرية من الثغر، وكانت معدة لعصر الزيت الحار، ورد ذكرها في وثيقة مؤرخة في ١٥ محرم سنة ١٠٧٩هـ/٢٥ يونيو ١٦٦٨م، التي ذكرت أنها "*مكملة بالعدة والآلة*"[١].

٢ - معصرة أولاد عياد

كانت بالجهة البحرية من الثغر بخط معصرة أولاد عياد، ورد ذكرها في وثيقة مؤرخة في ١٥ ربيع الآخر سنة ١١١٨هـ/٢٧ يوليو ١٧٠٦م[٢].

٣ - معصرة محمد بيك أبي علي

كانت تقع بحري الثغر، أنشأها الأمير محمد بيك أبي علي أمير اللواء السلطاني بالديار المصرية وأمير المحمل الشريف سابقا وهو ابن الخواجا شمس الدين محمد أبي علي[٣]، ورد ذكرها في وثيقة إيجار لمدة ثلاث سنوات بمبلغ ١٥١ دينارا، إذ تحوي وصفا مفصلا للمعصرة في هذا العصر وطريقة تشغيلها، ونصها على النحو التالي: "(س٥) .. *المشتمل على معصرة زيت حار مشتملة على مجاز ومسطاح وعلى طاحون معدة لدش البذر وخمسة أحجار منها أربعة معدة لطحن البذر والخامس/ منها معد لتكسير الكسب وعلى خمسة حواصل بداخل المعصرة المذكورة وعلى عودين وبيتهما وآلتهما وبئرين معدين للزيت الحار وعلى زريبتين للبهائم بجوار/ المعصرة المذكورة من الجهة الشرقية بالغربية منهما بير مآ معين وللشرقية منهما باب يتوصل منه إلى الشارع القبلي وعلى منافع ومرافق وحقوق يحيط بالمكان المذكور/ ويحصره حدود أربعة الحد القبلي والبحري والشرقي ينتهي كل منهما إلى ما بيد المؤجر المشار إليه والحد الغربي ينتهي إلى شارع مسلوك وفيه باب المعصرة المذكورة ..*"[٤].

٤ - معصرة ابن يعقوب

من الوثائق الطريفة التي أوردت وصفا لمكونات المعاصر وثيقة شراء لنصف

---

١ _ ٣١٢،٤٥٧،٧٨.

٢ _ ٢٤٦،؟، مكرر، ٢٥٩.

٣ _ هو الأمير محمد بيك ابن أبي علي الرشيدي، تولى إمارة الحج سنة٩٩٢هـ/١٥٨٤م. أنظر: الشيخ أحمد الرشيدي: المصدر السابق، ص١٦٦.

٤ _ ١٥٥،٤٩٣،٢١، بتاريخ مستهل ذي القعدة سنة ١٠٠٣هـ/٨ يوليو ١٥٩٥م.

معصرة بالجهة الجنوبية من الثغر بخط أولاد عثمان، مؤرخة في ١٠ ذي القعدة سنة ١٠٧٨هـ/٢٢ إبريل ١٦٦٨م[١]، بمبلغ ٤٣٠ قرشا، ونصها كالآتي:
".. المشتمل على معصرة معدة لعصر الزيت الحار المشتملة على ثلاث قاعات معدة لخزن البزر وعلى طاحون معدة لدش البزر وحجران قبرصية وعلى ثلاث/ قواعد من الحجر الصوان يعلو كل قاعدة منها حجر صوان وعلى عود معد لعصر الزيت الحار مكمل العود المذكور بالعدة والآلة وعلى زريبة وبئر مآ معين معدة الزريبة المذكورة لعلف الأبقار يعلو المعصرة مربع به ست تخاين معدة لخزن البزر يعلو التخاين المذكورة دار بها أربعة بيوت وإيوان ومطبخة ومرحاض ومنافع ومرافق وحقوق ..".

ثانيا: السيارج

١ - سيرجة ابن عمران

كانت تقع بالجهة الشمالية من الثغر، ورد ذكرها في إحدى وثائق القرن ١١هـ/١٧م، وهى وثيقة لحصر تركة محمد بن عمر بن خليل الشهير بابن عمران، وهى عبارة عن حصة ثمان قراريط على الشيوع في هذه السيرجة التي تتكون من:
"(س١٤) .. *دورة بها سنوبرة ذات عيار مركبة على قاعدة بها فارس وحجر وفرن معد لقلي السمسم/ وعلى قبة ومسطاح ومعجن وحاصل معد لخزن السمسم وغير ذلك من المنافع والحقوق* .."[٢].

٢ _ سيرجة ابن شادي

كانت تقع جنوبي الثغر بالقرب من سوق الغلال ومسجد زغلول، ورد ذكرها بوثيقة وقف محمد بن شهاب الدين بن أحمد الرشيدي الشهير بابن شادي، ضمن مكان يحتوي عليها وعلى طاحون وصهريج يعلوه حاصل يعلوه مقعد له ثلاثة شبابيك حديد تطل على الشارع وهى من إنشاء والده، وتتكون هذه السيرجة من:
"(س٧) .. *مشتملة على صنوبرة مركب عليها قاعدة حجر مناقر بها ثلاثة أثنان وفرن لقلي السمسم ورابية* .."[٣].

ثالثا: مطابخ السكر

يتضح من الإشارات العديدة التي وردت بوثائق رشيد بشأن مطابخ السكر وعصاراته أن تلك الصناعة كانت رائجة بهذه المدينة، ومن الوثائق التي أوردت وصفا لأحد مطابخ

---

١ _ ٥٢،٦٢،٧٨.
٢ _ ٣١٢،٤٥٧،٧٨، بتاريخ ١٥ محرم سنة ١٠٧٩هـ/٢٥ يونيو ١٦٦٨م.
٣ _ ٢٣٣،٧٦٢،٢٤، بتاريخ ٢١ شوال سنة ١٠٠٦هـ/٢٧ مايو ١٥٩٨م.

أو مصانع السكر وثيقة وقف زين الدين منصور الجنيدي التاجر بالثغر[1] لحصة النصف في مصنع سكر ضخم بالجهة الشمالية من المدينة، مكون من أربعة أدوار، الأرضي منها به مصنع السكر يعلوه ثلاثة أدوار مكونة من طباق مكون من ١٢ طبقة، ونصها كالآتي: "(س٢) .. *يشتمل البناء المذكور على مجاز ونصبة وبيت ../ وبيت نار وعقد سلم وثلاثة أدوار أطباق منها اثنى عشر طبقة منها بالدور الأول خمس طباق والدور الثاني خمس طباق كذلك/ والدور الثالث طبقتان ومنافع ومرافق وحقوق وجميع صحفين نحاس سبك وصحفين نحاس إفرنجي وعراقية نحاس وأربع/ طشوت نحاس وأربع كرانيب نحاس وأربع مقعرات نحاس وخمسة عشر ألف قمع من الفخار* ..".

ورد أيضا بوثيقة إيجار ترجع إلى القرن ١٠هـ/١٦م ذكر لمطبخ آخر "*بعصارته ومستوقد وغير ذلك*"، وكان يقع بالجهة الجنوبية للثغر، وكان إيجار حصة الربع من الأرض الحاملة له لمدة ٩٠ سنة ٢٣ دينار[2].

رابعا: الطواحين

١ - طاحون وقف جعفر النوري

كانت تقع بسوق العسل بالشارع الأعظم، ورد ذكرها في وثيقة وقف زين الدين جعفر بن محمد بن النوري، وكانت تحتوي على حانوتين بواجهتها الشرقية على الشارع الأعظم[3].

خامسا: قاعات الحياكة

ومن قاعات الحياكة الكبيرة التي وردت بوثائق مدينة رشيد، قاعة تحوي عشرة أنوال كانت تقع بالجهة الشمالية من المدينة بخط حارة البرانسة وقفت على مصالح مسجد العلامة نور الدين العربي، وتصفها وثيقة الوقف كالآتي: "(س١١) .. *المشتمل المكان/ المرقوم على أرض وبناء وبناء قاعة معدة لعمل الحياكة بها عشرة أنوال مزر وبها أربعة أبواب وبأعلاها حاصل/ لطيف وبظاهرها قطعة أرض براح* .."[4].

ومن الوثائق الطريفة التي حوت بعض تفاصيل لأدوات قاعات الحياكة بمدينة رشيد وثيقة دعوى لإثبات حق في إيجار قاعتين للحياكة استولى عليهما صاحبهما بدون حق شرعي، ترجع إلى ١٧ جمادى الآخرة سنة ٩٩٩هـ/١٢ إبريل ١٥٩١م، ونصها كالآتي: "*ادعى .. زين الدين عبد الوهاب بن .. عبد الوهاب أيضا الشهير .. بابن وهيبة عن*

---

١ _ ١٢٤،٢٠٣،٦٢، بتاريخ ٢٤ ذي القعدة سنة ١٠٥٧هـ/٢١ ديسمبر ١٦٤٧م.

٢ _ ٢٥٤،٨٦٠،١٨، بتاريخ ١٠ شوال سنة ٩٩٩هـ/١ أغسطس ١٥٩١م.

٣ _ ١٢٤،٣٢٨،٠٥، بتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ١٠٤٢هـ/٢٠ سبتمبر ١٦٣٢م.

٤ _ ٢،٣،١٤٨-٣، بتاريخ ١٣ شعبان سنة ١١٥٤هـ/٢٤ أكتوبر ١٧٤١م.

نفسه وبالوكالة الشرعية عن أخيه ../ .. على الحاج قاسم بن .. منصور بـــن قاســم/ القوي الاسفاقسي الشهير بابن ركداكر أن الجاري في استحقاق المدعي وأخيـــه موكلـــه المشار إليهما أعلاه جميع القاعتين الكائنتين غربي الثغر بخط الحاج محمد فايد المعدتين لعمل الحياكة/ وما اشتملتا عليه من العدة المطاوي الخشب والأنوال المعلوم ذلك شرعيا الآيل إليهما استحقاق القاعتين المذكورتين وما بهما من العـــدة المذكـــورة بمـــا لذلـــك بموضعه شهرة تدل عليه وترشد/ إليه شرعا بالتواجر الشرعي من الحاج قاسم المدعـــى عليه المذكور قبل تاريخه الشاهد لهما بتواجر ذلك المســـتند الشـــرعي المكتتـــب مـــن المحكمة المشار إليها أعلاه لدى مولانا ../ .. خليفة الحكم العزيز بـــالثغر .. المـــؤرخ بالسادس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة تاريخه وأن الحاج قاسم المدعــــى عليـــه المذكور تعدي يوم تاريخه وهجم على القاعتين/ المذكورتين وقلـــع بعـــض المطـــاوي الخشب المنصوبة بهما وأرمي القماش والغزل الذي عليها كل ذلك تعديا بغـــير طريـــق شرعي ويطالبه بما يترتب على ذلك بالطريق الشرعي .."[1].

توضح لنا الوثائق أيضا أنه كان من المتبع تأجير الأنوال فقط داخل قاعات الحياكـــة، فيستطيع الصانع أن يؤجر نولا أو أكثر حسب حاجته لفترة معينة، إذ تذكر إحدى الوثـــائق الهامة التي ترجع إلى القرن ١٠هـ/١٦م استئجار شخص لثلاثة أنوال داخل قاعة حياكـــة بالجهة الغربية من الثغر معروفة بقاعة الحاج عبد الرحمن بمبلـــغ ٢٨٢ نصـــف فضـــة، وتذكر أن: "*.. جميع الثلاثة مناول* (أنوال) *من جميع القاعة المعدة لعمل الحياكة..*"[2].

ومن المرجح أن قاعات الحياكة المذكورة كان يخصص كل منها لنوع معيـــن مـــن النسيج يختص فيه نساجون بعينهم، فتخصص قاعة لنسج الكتان وأخرى للصوف ..الخ، ومن الوثائق التي تؤيد ذلك وثيقة لقاعة يعلوها دار بها بيتان[3]، تصفهم كالآتي:

أشهد عليه المعلم مرعي بن حسن بن مرعي الحايك في الصوف بالثغر .. أنـــه ملـــك ولده لصلبه المعلم يحيى الرجل ../ .. جميع الحصة التي قدرها النصف .. شائعا ذلـــك في كامل المكان/ الكائن بالثغر من أواسطه بالجهة الغربية المشتمل على أرض وبنـــاء مستجد الإنشاء يشتمل البناء المذكور على قاعة حياكة حجر أربعة أنوال وعقـــد سـلم يصعد منه إلى دهليز وتخانة/ والى مجاز يتوصل منه إلى دار مشـــتملة علـــى بيتيـــن وغرفة ومطبخة ومرحاض ومنافع ومرافق وحقوق ..".

---

١ _ ١٨، ١٦٠، ٤٥.

٢ _ ٩، ١٢٨،٤٦٣، بتاريخ ٩ جمادى الأولى سنة ٩٨٦هـ/١٤ يوليو ١٥٧٨م.

٣ _ ٢٤، ٤٣٦،١٤٩٦، بتاريخ ٢٩ ربيع الأول سنة ١٠٠٧هـ/٣٠ أكتوبر ١٥٩٨م.

سادسا: المصابغ

١ ـ مصبغة علي خلف

كانت تقع بالشارع الأعظم تجاه مصبغة الأمير حسن عباد الله، ورد ذكرها في وثيقة إيجار حصة منها مؤرخة في ٧ ربيع الأول سنة ١٠٤٢هـ/٢٢ سبتمبر ١٦٣٢م، لمدة ٩٠ سنة باجرة وثمن ٦٥ قرشا، وكانت تتكون من خمسة حوانيت[١].

٢ ـ مصبغة وقف أبو الخير شادي

كانت تقع بالجهة الشرقية من الجهة القبلية بخط قيسارية علي باشا بالشارع الأعظم، وكانت ضمن بناء مكون من مصبغة وثلاثة حوانيت، ورد ذكرها بوثيقة إيجار حصة منها مؤرخة في ٥ ربيع الثاني سنة ١٠٤٢هـ/٢٠ أكتوبر ١٦٣٢م لمدة ٩٠ سنة باجرة ٥٠ قرشا[٢].

٣ المنشآت المدنية

أولا: الحمامات

١ ـ حمام النحاس

كان بخط النحاسين ورد ذكره ضمن حدود مكان آخر في وثيقة مؤرخة في ٥ ربيع الأول سنة ١٠٤٢هـ/٢٠ سبتمبر ١٦٣٢م[٣].

ثانيا: الأسبلة والصهاريج

تفيض وثائق مدينة رشيد في العصر العثماني بذكر الأسبلة والصهاريج المنفردة أو الملحقة بمنشآت أخرى، نذكر منها:

١ ـ سبيل مصطفى باشا البستنجي

كان بقلعة رشيد ورد ذكره في وثيقة عبارة عن محضر معاينة، توضح أنه أنشئ بناء على أمر صادر من الوالي العثماني بالديار المصرية الوزير مصطفى باشا البستنجي[٤] (تولى من ١٠ جماد آخر سنة ١٠٥٠ - ١٧ رجب ١٠٥٢هـ/٢٧ سبتمبر ١٦٤٠_١١ أكتوبر ١٦٤٢م)، فقد أنشئ هذا الصهريج بأمر مباشر من مصطفى باشا البستنجي والي مصر، وهو الصهريج الوحيد الذي أوردت الوثائق التي اطلعنا عليها وصفا مفصلا لمكوناته ومساحته وقيمة تكاليف إنشائه، فقد ورد ذكره في وثيقة هامة

---

١ _ ٥٠،٣٣٨،١٣٠.

٢ _ ٥٠،٤٦٣،١٧١.

٣ _ ٥٠،٣٢١،١٢٢.

٤ _ أحمد شلبي بن عبد الغني: المصدر السابق، ص١٤٨.

أشارت إلى إقامة محافظوا رشيد بالقلعة له والى التزام الدولة بتوفير المياه في ذلك المكان، كما أوضحت تلك الوثيقة تكاليف مراحل الإنشاء المختلفة[1]، ونصها كما يلي:

"(ص٩ س٤) .. *حضر/ فخر الأماثل والأعيان الأمير حسين أغا بن محمد جاويش الدزدار بحصار صار وأحمد وأخبر مولانا أفندي .../ .. أنه فيما قبل تاريخه ورد عليه أمر شريف من مولانا صاحب الدولة والسعادة بالديار المصرية أن يبتني ويبني صهريجا/ يوضع به الماء العذب بالمحل القاطن به المحافظون بحصار صار وأحمد المذكور أعلاه وأنه أمثل* sic [أمتثل] *ذلك وأنشأ الصهريج المذكور وأنه/ أكمل بنائه إلى أن صار على القصة المطلوبة بالأمر المشار إليه والتمس من مولانا أقضى القضاة أفندي المومى إليه الكشف على ذلك بمعرفة/ أرباب الخبرة بذلك توجه بنفسه السعيدة إلى حيث الصهريج المذكور وصحبته أرباب الخبرة الآتي ذكرهم فيه وكشف على ذلك/ بحضور مولانا فخر قضاة الإسلام .. مولانا عبد الله أفندي الحاكم الشرعي بمدينة منف سابقا دام فضله وفخر الأماثل/ والأعيان حسن أغا الحوالة بالثغر المرقوم وفخر الأماثل والأعيان باكير كتخدا مولانا .. قاسم/ باشا قابودان ثغر سكندرية ورشيد وفخر الأماثل والأعيان بكتاش أغا المعين لنيابة مراكب لرسالة السلطنة الشريفة/ أبدت خلافتها وفخر الأماثل والأعيان أحمد أغا الدزدار بحصار الثغر الكشف الشافي فوجد الصهريج المرقوم قائم البناء على تسعة/ عمد من الحجر الأحمر الصوان مع ستة عشر كتف من أجنابه مع أوسطه أربعون قنطرة يعلو ذلك ستة عشر/ قبة وأعتبر قيس طوله وعرضه فوجد سبعة عشر ذراعا ونصف ذراع ومشرقا مغربا كذلك وأعتبر (ص١٠) عمقه فكان ستة أذرع ونصف ذراع عرض حائطه ثلاثة ونصف ذراع كل ذلك بذراع البناء المعتاد وأقر كل من المعلم عبد العزيز بن المرحوم/ علي الطويل شيخ طايفة البنائين بالثغر والمعلم أحمد بن سلامة كمون وولده الحاج سلامة والمعلم علي بن محمد الديباني والمعلم محمد بن محمد الصعيدي البناء الشهير/ وأهل الخبرة كل منهم بالثغر أن مثل البناء المرقوم قيمته أربعة عشر ألف نصف ما عدى الجير والحجر وبقضية ما شرح صار جملة ما أصرفه الأمير حسين/ أغا من ماله وصلب حاله ثمانية آلاف نصفا وسبعمائة نصف واثنين وثمانين نصفا ومنه خارجا عما قبضه من الأمير عبدي أغا بموجب/ البيورلدي وقدره ألفان اثنان وثلاثمائة نصف ونصفا ومن وقف للصهريج الكائن بالحصار القديم المعروف بحسن باشا ثلاثة/ آلاف نصف يصير جملة ما أصرفه حسين أغا المشار إليه على إنشاء الصهريج المرقوم أربعة عشر ألف نصف ومائة نصف وأربعة/ وثمانين نصفا فضة ولما صار الحال على هذا المنول كتب ذلك ضبطا*

---

١ _ ٩،١٤،٥٨ - ١٠، بتاريخ ٢٨ ربيع الأول سنة ١٠٥٢هـ/٢٦ يونيو ١٦٤٢م.

لواقعة الحال عند الطلب والسؤال في حاد عشري تاريخه".

٢ - صهريج محمد مستحفظان

كان يقع بحري المدينة أمام مسجد المحلي، ورد ذكره في وثيقة وقف الحاج محمد من طائفة مستحفظان قلعة مصر المحروسة ابن المرحوم عبدي البلي، وكان ضمن مجموعة معمارية مكونة من دار وخمسة حوانيت، وقفه الواقف على مسجدي المحلي والجندي وعلى ذريته، وقد وصفتهم الوثيقة كالآتي:

".. جميع المكان الكائن بحري الثغر المرقوم تجاه مسجد سيدي علي المحلي .. من الجهة القبلية المشتمل/ على صهريج معد لخزن الماء العذب وعلى خمس حوانيت وعلى فسحة دار سفلية يتوصل إليها من باب فتح بحريا وعلى عقدي سلم يتوصل من كل/ واحد منها إلى دهليز بصدره تخانة يعلو كل منها رواق وعلى منافع ومرافق وحقوق المحصور كامل ذلك بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي/ لما بيد ورثة ناصر الدين المطير ومن يشركه والحد البحري والحد الشرقي ينتهي كل منها إلى شارع مسلوك وفي البحري منها أبواب المكان/ المذكور والحد الغربي ينتهي بعضه إلى زقاق ملغي وتتمته لأولاد الشاعر قديما والآن لما بيد أولاد عياد بحد كل من ذلك وحدوده .."[1].

٣ - صهريج علي الخياط

كان يقع بحري المدينة ملحقا بدار، ورد ذكره في وثيقة حصر تركة الرايس علي الخياط، التي وصفته كالآتي:

".. جميع بناء الدار الكائنة بحري الثغر المرقوم بخط/ تحت الحيط المشتمل البناء المذكور على صهريج تعلوه دار سفلية يعلوها دار علوية ومطبخة ومرحاض ومنافع ومرافق وحقوق/ المحصور كامل ذلك بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى حوش جار الآن في استحقاق ورثة المرحوم علي جوربجي الجمل وغيرهم/ والحد البحري والحد الغربي ينتهي كل منهما إلى شارع مسلوك والحد الشرقي ينتهي إلى الطاحون الجارية في وقف المرحوم الحاج علي الزيات .."[2].

٤ - صهريج وحواصل ابن عمران

كان يقع بحري المدينة، ورد ذكره بوثيقة حصر تركة محمد بن عمر بن خليل الشهير بابن عمران[3]، ونصها:

---

١ _ ٢٣٧،٣٦٧،٧٨، بتاريخ ٢٧ ذي القعدة سنة ١٠٧٨هـ/٩ مايو ١٦٦٨م.

٢ _ ٢٣٨،٣٦٨،٧٨، بتاريخ ٢٧ ذي القعدة سنة ١٠٧٨هـ/٩ مايو ١٦٦٨م.

٣ _ ٣١٢،٤٥٧،٧٨، بتاريخ ١٥ محرم سنة ١٠٧٩هـ/٢٥ يونيو ١٦٦٨م.

"(س٣) .. جميع الحصة التي قدرها النصف اثنى عشر قيراطا .. شائعا ذلك/ في كامل المكان الكائن بحري الثغر المشتمل على صهريج وأربع حواصل ومنافع ومرافق المحصور بحدود أربعة/ الحد القبلي ينتهي إلى الشيخ سعد الله وأخيه بدر الدين الفقهاء الروينية والحد البحري ينتهي إلى الشارع المسلوك والحد الشرقي ينتهي لما بيد/ الشهابي أحمد ومن يشركه والحد الغربي ينتهي لما بيد مولانا .. مفتي المسلمين ابن الفضل سلامة الادكاوي الشافعي ..".

ثالثا: المنازل

١ - دار ابن زبيد

كانت تقع شمال غرب المدينة، ورد ذكرها في وثيقة إيجار لمدة ٩٠ سنة، ثم شراء، بمبلغ إجمالي ١١٠ دينارا[١]، ونصها كالآتي:

"استأجر ثم اشترى النوري علي بن سالم بن علي الصندلاوي المتسبب في الكتان بالثغر / بماله لنفسه من .. محمد بن .. عبد الرحمن الشهير بابن زبيد التاجر بالثغر فأجره ثم باعه .. (س٧) .. جميع الدار الكائنة بالثغر بالجهة البحرية من الجهة الغربية/ المشتمل على أرض وبناء يشتمل البناء المذكور على قاعة ومجاز وساحة وعلى مخزنين جددهما المؤجر البائع المذكور أعلاه وعلى مطبخة/ ومرحاض ومنافع ومرافق وحقوق ..".

٢ - دار محمد بن عبد الهادي المغربي

كانت بالجهة الشمالية للمدينة، ورد ذكرها في وثيقة وقف محمد بن عبد الهادي بن أحمد المغربي، الذي أوقفها على أولاده، ثم على الحرمين، وعلى جامع السنهوري (زغلول) مناصفة بعد انقراض ذريته، كما تنص الوثيقة على أن هذه الدار من إنشاء الواقف، وتصفها كالآتي: "(س٣) *بجميع المكان اللطيف المستجد الإنشاء الكائن بالثغر بالجهة البحرية بخط الفقيه محمد بن خطاب البيسي المشتمل المكان المذكور على أرض وبناء يشتمل البناء/ المذكور على صهريج معد لخزن الماء العذب وقاعة كبيرة ودار أرضية بها غرفة لطيفة ودهليز ومجاز علو ذلك يعلو ذلك جميعه معالم بيت لم يكمل بناؤه وعلى مطبخة/ ومرحاض ومنافع وحقوق يحيط بذلك ويحصره حدود أربعة الحد القبلي ورثة الرايس محمد الفار والحد البحري إلى دار يعرف بالمرحوم الرايس سالم بن خنوف والحد الشرقي شارع مسلوك وفيه الأبواب وعقد سلم الدهليز ومزملة الصهريج والحد الغربي المعلم علي/ قشيقش .."*[٢].

---

١ _ ٩٨،٣٣١،٢٤، بتاريخ ٢ شعبان سنة ١٠٠٦هـ/١٠ مارس ١٥٩٨م.

٢ _ ٢٠٤،٦٨٠،٢٤، بتاريخ ٩ شوال سنة ١٠٠٦هـ/١٥ مايو ١٥٩٨م.

٣ - دار عبد الواحد الحمامي

كانت بالجهة الشمالية للمدينة، ورد ذكرها في وثيقة وقف زين الدين عبد الواحد بن النوري علي بن إبراهيم المغربي الأصل المالكي الشهير بالحمامي، وتصفها الوثيقة مع دويرتين ملاصقتين لها[١] كالآتي: "(س٣) *جميع الدار الكائنة بالثغر بالجهة البحرية بخط يعرف بزقاق الساقية المعروفة الدار المذكورة بدار سكنه وتعرف بالدار الكبيرة المشتملة على قاعة كبيرة ودار أرضية بها غرفتين ودهليز علو ذلك ومجاز يصعد له من عقد سلم من الشارع المسلوك يتوصل من ذلك إلى الدار المذكورة بها رواق مكمل بالأبواب .. على العادة/ ويقابله بيت من الجهة الغربية وبسطة بينهما ومطبخ ومرحاض ومنافع ومرافق وحقوق وجميع الدويرتين اللطيفتين المتلاصقتين للدار المذكورة أعلاه/ من قبليها المشتملتين على صهريج وقاعة ودارين أرضية يعلو ذلك دهليزين ومجازين يتوصل منهما للدارين المذكورة بكل دار منهما غرفة لطيفة وبسطة/ ومطبخة ومرحاض ومنافع ومرافق وحقوق المبني ذلك بالطوب الآجر المكمل بالأبواب والأخشاب والسقف على العادة المحصور كامل ذلك جميعه بحدود أربعة/ القبلي إلى ما بيد ورثة محمد قمر والحد البحري إلى ما بيد الأمير محمد أبو علي وغيره والحد الشرقي الشارع المسلوك وفيه الأبواب/ وعقود السلم ومزملة الصهريج المذكور أعلاه والحد الغربي إلى ما بيد ورثة أولاد عواض وغيرهم ..*".

٤ - دار وقف ابن فرج

كانت بالجهة الجنوبية للمدينة، ورد ذكرها في وثيقة إيجار الخمسين منها على الشيوع لمدة ٩٠ سنة بإيجار قدره ١٠٠ قرشا، ونصها:

استأجر فخر الخواجكية المعتبرين عمدة التجار المكرمين أوحد المعتمدين الخواجا ضيف الله بن شهاب الدين أحمد الشهير نسبه الكريم بابن المطير من أعيان التجار بالثغر المرقوم أعلاه بماله لنفسه من الزيني شهاب الدين ابن المرحوم الشهابي أحمد المعروف بابن فرج الناظر على حصة بوقف والده قدرها خمسان كاملان .. فأجره جميع الحصة التي قدرها خمسان كاملان من أصل خمسة أخماس شائعا ذلك في كامل المكان الكائن بالثغر المرقوم من الجهة القبلية المشتمل على أرض وبناء يشتمل البناء المرقوم على صهريج وقاعة وعقد سلم ودهليز بصدره تخانة وبيت وإيوان للجلوس بوسط الدار ومطبخة ومرحاض ومنافع وحقوق المحصور بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي لما بيد نور الدين المعصراني والحد البحري ينتهي إلى الشارع المسلوك وفيه الأبواب والحد الشرقي ينتهي إلى الشارع المسلوك وفيه باب الصهريج والحد الغربي ينتهي لما بيد ورثة عبد الواحد الأدفيني .."[٢].

---

١ _ ٢٤،٧٤٦،٢٢٦، بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٠٠٦هـ/٢٥ مايو ١٥٩٨م.

٢ _ ٥٠،٢١٧،٨٧، بتاريخ ١٨صفر سنة ١٠٤٢هـ/٤ سبتمبر ١٦٣٢م.

٥ - دار الزردكاش

كانت بالجهة الجنوبية للمدينة، ورد ذكرها في وثيقة دعوى ملكية حصة الخمسين منها، ونصها كالآتي: *"ادعى إبراهيم بن إبراهيم بن الشهابي أحمد الشهير والده بالزردكاش على أخيه هو محمد العويداتي أن من الجاري في ملك الحاج إبراهيم المرقوم أعلاه جميع الحصة التي قدرها الخمس ../ في كامل المكان الكائن بالثغر المرقوم أعلاه بالجهة القبلية المشتمل على أرض وبناء يشتمل البناء المرقوم على قاعتين ومجاز/ ودهليز وعقد سلم يتوصل منه إلى بيت مركب علو الدهليز المذكور والقاعة المذكورة وعلى مطبخة ودار أرضية بها قاعة وعلى غرفتين أحدهما مركبة/ على المطبخ والثانية مركبة على مجاز الدار الأرضية المذكورة أعلاه وعلى مرحاض ومنافع ومرافق مكمل ذلك جميعه بالطوب والآجر والأخشاب والأبواب/ والسقف على العادة يحيط بذلك ويحصره حدود أربعة الحد القبلي شارع مسلوك وفيه الأبواب للقاعتين والحد البحري لما بيد أولاد حجاج والحد الشرقي حائط مشتركة بين ذلك وبين دار كان ذلك في ملك المدعي والحد الغربي شارع مسلوك وفيه كل من الدار الأرضية والقاعة وعقد السلم والدهليز المذكور أعلاه .."*[١].

٦ - دار عطيه البرلسي الحايك

كانت غربي المدينة، ورد ذكرها في وثيقة إيجار ١٦ قيراطا على الشيوع منها لمدة ٩٠ سنة بمبلغ إجمالي ٣١ قرشا، ونصها كالآتي:
"استأجر علي بن كسبية المامصي بالوكالة الشرعية عن زوجته أم الخير ابنة داود ../ من علي بن عطية البرلسي الحايك .. (س٧) .. جميع الحصة التي قدرها الثلثان ستة عشر قيراطا شائعا ذلك/ في كامل المكان الكائن غربي الثغر بخط درب سكندرية المشتمل على أرض وبناء يشتمل البناء المرقوم على مجاز وقاعة وبيت ومطبخة ومرحاض ومنافع ومرافق .."[٢].

٧ - دار وقف علي بن عثمان

كانت شمالي المدينة، ورد ذكرها في وثيقة إثبات وقف[٣]، وهي تحتوي على ثلاثة حوانيت وبأحد أركانها خربة، وتصفها الوثيقة كالآتي:
"بعد أن ثبت لديه معرفة المكان المستجد الإنشاء الكائن بحري الثغر بخط ضريح الولي العارف بالله سيدي أحمد تقه من الجهة البحرية المشتمل على أرض وبناء يأتي ذكره/ وعلى بناء قاعة طولانية وبجانبها حانوت لطيف من جهتها القبلية وعلى حانوتين من

---

١ _ ٥٠،٢٥١،١٠٢، بتاريخ ٢٤ صفر سنة ١٠٤٢هـ/١٠ سبتمبر ١٦٣٢م.

٢ _ ٩٥،١٦٠،٨٩، بتاريخ ١٥ جمادى الأولى سنة ١٠٩٧هـ/٩ ابريل ١٦٨٦م.

٣ _ ٩٥،١٩٦،١١٠، بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٠٩٧هـ/١٦ ابريل ١٦٨٦م.

الجهة الغربية الآتي ذكرها فيه وعلى عقد سلم يصعد/ منه إلى وسط دار بها بيت مطل على الشارع القبلي والشارع الغربي به خربة من جهته الشرقية وعلى إيوانين بوسط الدار المذكورة معدتين/ للجلوس وعلى تخانة بجانبها يعلوها غرفة بجانبها غرفة يعلوها غرفة بجانبها حضير من الجهة الغربية مطل على وسط الدار المذكورة وعلى باب بالتخانة المذكورة/ يدخل منها إلى مطبخة ومرحاض ومجاز وعلى بيت بجانب ذلك بالجهة الغربية يحيط بذلك ويحصره/ حدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى الشارع الفاصل بين ذلك وبين مقام .. أحمد تقى والحد البحري ينتهي لما بيد ورثة أحمد شسهبة والحد الشرقي ينتهي لما بيد غالي الكعكي والحد الغربي ينتهي إلى شارع مسلوك ..".

٨ - دارا وقف سالم البيروني العطار

كانتا بالجهة الجنوبية من المدينة، ورد ذكرهما بوثيقة وقف، أشارت إلى أن بالدار الغربية منهما فرن أسفلها، وأن بالشرقية منهما سبيل، ووصفتهما كالآتي:

"(س٤) .. المكان المستجد الإنشاء الكائن قبلي الثغر بالخط المعروف بالقاضي محمد .. المشتمل على/ أرض وبناء دارين متلاصقين شرقيا وغربيا يشتمل بناء الغربية منهما على فرن بصدره قاعة عجين فتح بابها شرقيا/ بجانبه باب الفرن المذكور من الجهة الغربية وعقد سلم يصعد منه إلى باب ..؟ المذكور والى عقد سلم ثان يتوصل منه/ إلى باب دهليز على يمين الصاعد بصدره تخانة بجانبها مرحاض من الجهة الغربية وبين ذلك وبين الدهليز فسحة أمام ذلك/ ويصعد من عقد السلم المذكور إلى وسط دار بها بيت فتح بابه غربيا بجانبه من الجهة الغربية إيوانا يعلوه بيت خزين صغير/ فتح بابه شرقيا وتجاه البيت الأول المذكور مطبخة ومرحاض يعلوهما غرفة فتح أبواب ذلك قبليا وعلى عقد سلم ثالث يتوصل/ منه إلى حضير الغرفة قريب الخزين المركبة وبالحضير المذكور عقد سلم يتوصل منه إلى سطح البيت والغرفة المذكورين/ ويشتمل بناء الشرقي منهما على صهريج تحت تخوم الأرض معد لخزن الماء العذب وقاعة فتح بابها شرقيا وعلى عقد سلم/ يتوصل منه إلى باب الدهليز على يسار الصاعد بجانبه مجاز يتوصل منه إلى تخانة ومرحاض فتح بابها قبليا وبجانب/ التخانة المذكورة إيوان لطيف من الجهة الشرقية ويصعد من عقد السلم المذكور إلى وسط دار بها بيت فتح بابه بحريا بجانبه/ إيوانا من الجهة الشرقية وتجاهه مطبخة بجانبها مرحاض فتح بابها قبليا يعلوهما غرفة بجانبها مرحاض فتح أبواب ذلك/ قبليا وبجانبهما غرفة ثانية فتح بابها بحريا وفي وسط الدار المذكورة عقد سلم ثان يتوصل منه إلى حضير يعلو الغرفتين والمرحاض/ المذكورين وبالحضير المذكور عقد سلم يصعد منه إلى سطح ذلك المحصور كامل الدارين المذكورتين بحدود أربعة الحد القبلي/ والحد الشرقي كل منهما للشارع المسلوك

وبالقبلي باب الدارين المذكورتين والفرن وبالشرقي باب الصهريج/ والقاعتين المذكورتين والحد البحري ينتهي إلى المكان المعروف بالحاج عبد الله الحوشي الدمنهوري والحد الغربي/ لما بيد الحاج تاج الدين الادفيني ومن يشركه .."[1].

٩ - أربعة دور وقف محمد بن سالم بن قاسم البرزاز

كانت تلك الدور بالجهة الشمالية للمدينة، ورد ذكرهم في وثيقة دعوى إثبات ملكية لهم من معتوقي الواقف، وقد أشارت الوثيقة أن الدور الأرضي لتلك الدور الأربعة يشغله طاحون وفرن، وتصف الوثيقة تلك المجموعة المعمارية كالآتي:

"(س١٥) .. *جميع المكان الكائن بحري الثغر المرقوم بخط أولاد حبيبة وأولاد مشاق المشتمل على طاحون ذات مدار واحد فرد/ فارسي بها قاعدة حجر صوان يعلوها حجر منافر وجايزة وهرميس وعجلة وقوس ودار دواب بها حوض معد لسقي/ الدواب وحاصل معد لخزن التبن ومسطاحان وتابوت لتحليل الدقيق وحوض لبل القمح وعلى فرن بحري الطاحون/ المذكورة بها زلاقة وقبة معقودة معدة للخبز بخلفها قاعة وعلى صهريج يعلوا ذلك جميعه أربعة دور متلاصقة/ ببعضها بعض اثنان قبليا واثنان بحريا يشتمل إحدى الدارين القبليتين على عقد سلم يصعد منه إلى دهليز/ بصدره تخانة ومرحاض وعقد سلم ثان يتوصل منه إلى وسط دار بها إيوانان معدان للجلوس/ وتخانة يعلوها رواق [يحتوي] على مطبخة ومرحاض يعلوهما غرفة يتوصل إليها والى الرواق المذكور من عقد سلم لطيف بوسط الدار المذكورة/ وتشتمل الدار الثانية من الدارين القبليتين المذكورتين على عقد سلم يتوصل منه إلى دهليز بصدره تخانة ومرحاض وعقد سلم ثان/ يتوصل منه إلى وسط دار بها إيوان لطيف معد للجلوس وتخانة يعلوها رواق كبير وعلى مطبخة ومرحاض يعلو الإيوان والمطبخة المذكورتين/ غرفتان متلاصقتان يعلو إحداهما غرفة ثالثة يصعد إلى الرواق والغرفة المذكورة من عقد سلم لطيف بوسط الدار المذكورة وتشتمل كل/ من الدارين الغربيتين المذكورتين أعلاه على عقد سلم ودهليز بصدره تخانة ومرحاض وعقد سلم يصعد منه إلى وسط دار بها إيوان معد/ للجلوس وتخانة يعلوها رواق ومطبخة تعلوها غرفة وحضير المحصور كامل ذلك بحدود أربعة الحد القبلي والحد الغربي ينتهي كل منهما إلى/ إلى شارع مسلوك والحد البحري ينتهي إلى المكان المعروف بالمرحوم مرزة القهوجي والحد الشرقي ينتهي لما بيد علي عليوة الكتانتي .."*[2].

---

١ _ ٢٤،٤٥،٣٥_٣٦، بتاريخ ٢٤ صفر سنة ١١٠٦هـ/١٤ أكتوبر ١٦٩٤م.

٢ _ ٢،٦٩،٥٥، بتاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ١١٠٦هـ/٦ نوفمبر ١٦٩٤م.

الفصل الرابع

عمران وعمارة رشيد في القرن الثامن عشر الميلادي

اكتسبت المدينة مساحة جديدة من أرض طرح النهر خلال فترة القرن ١٨م، وقد كاد خط شاطئ النهر أن يستقيم من الجنوب إلى الشمال مع نهاية القرن، وبدأ المد شرقاً من شرق جامع زغلول بجنوب المدينة وبعرض حوالي ٣٠ متراً ثم أخذ في الاتساع شمالاً حتى وصل عرض الامتداد إلى حوالي ١٠٠ متراً وذلك بطول حوالي ٥٥٠ متراً، حيث أضيفت بذلك مساحة قدرها ٨,٥ فدان إلى مساحة الكتلة العمرانية.

اتسمت تلك المرحلة بالامتداد العمراني في كل الاتجاهات مع تضخم النواة العمرانية التي ظهرت بالفترة السابقة حول مسجد الادفيني وذلك مع بناء مسجد مشتيلة، مع الاحتفاظ بمساحة فضاء بين تلك النواة والتطور الجديد للكتلة العمرانية. كذلك ظهرت نواة عمرانية شمال الكتلة العمرانية للمدينة وهى عزبة أبو الريش وهو اسمها الحالي، لم ترد عنها بالوثائق أية إشارة. وقد أحاط بتلك النواة من جهة الشمال أجزاء من بقايا سور قديم، وفي غرب المدينة كان في وسط الزراعات طاحونة بنيت حولها منازل في ذلك القرن، ومن المرجح أن هذه الطاحونة ملك محمد النني الذي سبقت الإشارة إليه واشتهر بطاحون النني، تلك النواة العمرانية كانت منفصلة عن الكتلة العمرانية الأم للمدينة.

لقد شهد هذا القرن اتساعاً للمدينة من الوجهة العامة في كل الاتجاهات بحيث وصلت مساحة الكتلة العمرانية إلى حوالي ٨٥ فداناً بزيادة قدرها ٣٠ فداناً عن مساحتها في القرن ١٧م، وبنسبة زيادة حوالي ٥٤%، ويتضح من وصف المنازل أن الكثافات الإسكانية والسكانية قد تعاظمت، كما امتدت كتلة المدينة جهة الغرب وضمت إليها حديقتين أحاطت بهما المساكن، إحداهما غرب الجهة البحرية والأخرى غرب الجهة القبلية.

احتفظت المدينة بنمطها الحضري التلقائي بصفة عامة في امتدادها، وامتدت الشوارع الرئيسية بنفس أسمائها واتخذ منها محاور رئيسية بالمدينة واقتربت شبكة النسيج العمراني، مما هى عليها حالياً، فنجد شارع دهليز الملك قد اتضحت خطته

وكذلك شارعي المحلي والبحر (الكورنيش) فيما عدا شمال المسجد الذي لم يجـــزم أي دليل أن يكون استعماله قد تغير، فقد ظل حديقة كما كان من قبل.

وبالنسبة لمسجد المحلي والذي بُني حول مقام سيدي المحلي بشارع السوق الأعظـــم -قصبة المدينة- فهناك اختلافاً مفاده أن دلائل تحقيق الكتلة العمرانية تفيد وجود المقـــام فعلاً قبل بداية القرن ١٦م والذي يوافق سنة ٨٦٧هـــ، في حين تشير بعض الكتيبـــات الأثرية إلى وفاة المحلي سنة ٩٠١هـــ، وبمراجعة ما كتب على مدفن الشيخ المحلي نجد انه توفى عام ٨٦٤هـــ، ويبدو أن ذلك راجع إلى الخلط بين صاحب المقام وأحد ورثتـــه من بعده ممن يملكون أوقافاً حول المقام والمسجد ويحملون نفس لقب عائلة المحلي.

ويبدو الخلاف بين ما هو وارد بالوثائق وبين المشار إليه ببعض مراجع الآثار حول بعض المواقع والتي اختفت في هذا القرن وأقيم بدلاً منها منشآت آخرى كمكان وكالـــة الحنة ومكان السجن وكذلك اتجاهات بعض الشوارع مما هو موضح بالخرائط.

كذلك تأكدت الاتجاهات العرضية لبعض الشوارع غرب المدينة والتـــي أصبحـــت أسواقاً مثل: سوق السمك والغزل والنحال.

بلغ عدد شوارع المدينة ٩٥ شارعاً قلت بينهم ظاهرة التســـمية المتعـــددة للشـــارع الواحد، فقد يمتد في هذا القرن الشارع ليشمل عدة وحدات سكنية علـــى صـــف واحـــد ويظل محتفظاً باسمه أمام كل الوحدات، حيث نجد شوارع قد سميت نسبة إلى جماعـــة من الناس وبالتالي سكنوا أكثر من وحدة سكنية، وكذلك شوارع نسبة أسماؤها إلى حرف أصبحت أكبر مكانة وأكثر شهرة وأضخم في مقوماتها و عدد المنتميـــن إليـــها. ومـــن الشوارع التي ضمت جماعات من الطوائف: خط الإبزاريين - الاحواسيين - الاكيابيـــة - البويصانية - المكارية - المغاربة - القفطيين - النستراوية - الزعربية.

ونشير هنا إلى طائفة المغاربة الذين انتشروا بالمدينة وأصبح لهم خط يقطنون معظمه، كما نشير أن هذا الخط انعطفت منه زوايا ومنحنيات ضمت مجموعة منازل أخرى، فنجـــد وثيقة بيع منزل ملك حسين الأخرس بالجهة البحرية بخط حارة المغاربة قي الجهة البحرية منه عائلة "القادري" وغرب منه عائلة "عقيشة"، ومثال آخر حيث كان المالك مغربيا مـــن عائلة "كوسا" ويقع منزله بالجهة البحرية بخط زاوية المغربية يحيط به عائلات "القصـــاب" و"اسمك" و"الدلال"، وكذلك بالقرب منه عائلات "صوفه" و"البلان" و"عمران".

ومما هو جدير بالذكر انه قد ورد ذكر عزبة سميت بعزبة المغاربة أيضا امتلك فيها الزيني مستحفظان طاحونة وهى بالجهة البحرية من المدينة " خارج العمران " وكتـــب

بين قوسين (سيدي محمد أبي الريش)، ومن ذلك ندعي أنه ربما كان الاسم القديم لتلك العزبة هو عزبة المغاربة ونظراً لابتعاد طائفة المغاربة عن كتلة المدينة عند الطرف الشمالي للسور القديم، فربما كان السيد "محمد أبو الريش" ينتمي إليهم، وكذلك أصحاب المقامات المقامة هناك سيدي "حمام" وسيدي" عبد العال" وإذا كان ذلك كله صحيحاً فليس من المستغرب ظهور تلك البؤرة العمرانية في ذلك القرن وكذلك احتلالها للمدخل الشمالي للمدينة.

كذلك نشير إلى طائفة القفطيين هل هم من قفط إحدى بطون الصعيد؟ وإلى أي مدى انتشرت هذه الطائفة في رشيد؟ وقد ذكر اسم أحد سكان هذا الشارع، وهو إبراهيم عبد الله الرومي، بينما لم يذكر أي جيران له، مما يصعب معه تحديد هوية سكان هذا الشارع.

ولم يقتصر وجود غير المصريين على أهل شمال إفريقيا وإنما كثر ذكر شوارع لغير العرب منها على سبيل المثال: خط بلجاغوم وخط خواوردي.

ظلت عائلات الجلفاط والجوربجي والحايك من عائلات الملاك الكبار بالمدينة ثم انضمت إليهم عائلات شختيره القاضي والقباني النوري والادفيني والعرابي والخياط والبهوتي ومسلم، كما نسبت أسماء بعض الشوارع إلى أولاد عائلات دوت أسماؤهم بالقرن السابق فنجد خط أولاد الجنيدي – أولاد المعلم – أولاد أبو عتمة – أولاد العجاتي – أولاد جبة – أولاد كمستار – أولاد شراب – أولاد ياسين – أولاد المطير – أولاد الصيرفي. وقد أصبحت العائلة تحتل خطاً بأكمله.

ومن الشوارع الهامة الوظيفة والصفة ما قد سميت حسب النشاط التجاري أو الحرفي الذي ينتشر بها مثل: خط الخراطين – القفاصين – سوق الخلعية – سوق الصوارية – سوق الإبزاريين – سوق الاهواسيين – سوق العطارين – سوق الغزل – سوق الحدادين – سوق القصابين – سوق السمك – معصرة الزيت – القطانين – القلاشين – محمأه مطبخ أولاد مخيمة وسوق الحمير – وكالة الادفيني – وكالة إبراهيم أغا – المفاضلية – العنبر السلطاني (كرار السلطنة) – فرن أولاد البقرة – وكالة أولاد وهيبه – المناخليين.

كما أن هناك شوارع سميت نسبة إلى سمة مميزة بها سواء طبيعية أو نوع من النشاط أو نسبة إلى أحد المعالم الهامة بها، مثل خط بيوت الحطب – خط حمام المالح

– خط مسجد محمد النني – خط جامع زغلول – خط مسجد الربـاط – خـط مسـجد الشندويلي – خط ساحل البحر – خط مسجد العرب – خط تحت الحيط – خط مسـجد العارف – درب إسكندرية – خط زاوية مشتيله - خط جامع الرشيدي – خـط زاويـة المغربية – خط زاوية محمد الكفراوي – خط قهوة شرف.

وقد ظهرت شوارع بها أسواق صغيرة مثل: سويقة عباس – من القـرن السـابق، وأضيفت إليها سويقة الميت وسويقة نوارة.

والواقع أن خططاً كثيرة تغيرت أسماؤها عما كانت عليه بـالقرن السـابق بتغـير المنسوب إليه الاسم سواء نشاط أو فرد، ويبدو انه لم يتم حتى تلك الفترة تسجيل لأسماء الشوارع مما جعلها تحمل أسماء مختلفة عما هى عليه حالياً، إلا ما قد توارثته الأجيـال من أثر مادي أو معنوي فنجد سوق المناخليين حل محل سوق الغلال، ويبدو أن تجـارة المناخل طغت على تجارة الغلال بنفس الشارع أيضاً وكالة الحدادين آلت إلى عـابدين بيك وتغير اسم الوكالة والشارع إلى وكالة عابدين بيك، ومنطقة الجبانات جنوب المدينة تحول شرقهـا إلى مضـارب أرز وشـق بينها شـارع سمى خط المضارب.

تعددت المراسي المراكب بالمدينة ففي أقصى الشمال يظهر مرسى يبدو انه للركـاب والبضائع الاستهلاكية، وفي أقصى الجنوب مرسى آخر أمام مضارب الأرز ويبدو أنـه تجاري فقط، ثم بينهما إلى جهة الجنوب وأمام وكالة عابدين بيك –الحداديـن– مقامـة مرسى يعتقد انه لإصلاح وبناء السفن وهى أقدمهم، وقد اختفت المراسي الخاصة التـي كان يرد ذكرها بالفترات السابقة.

ونزعم بما استفدناه من دراسة الوثائق أن تلك الفترة من تـاريخ المدينـة شـهدت ازدهارا تجاريا وسياسيا، فقد كثرت وثائق البيع والشراء والاستثمار وانخفضـت مـدة الاستئجار، فقد أصبح لكل منشأة قيمة استثمارية أعلى من القيمة الايجارية، كما كـثرت وثائق التعامل على الحوانيت بعد أن كان التعامل يشمل منشآت بأكملها، كما انـه مـن الواضح ارتفاع مستوى الإسكان خاصة في القطاع الشمالي الغربـي مـن المدينـة، إذ أنشئت في تلك الفترة معظم المنازل الأثرية القائمة حتى الآن، كما ورد بالوثائق أسـماء لكبار رجالات الدولة بالقاهرة من القضاة مثل كبير التجار أحمـد الرويعـي ومحمـد السادات، ومن المماليك والأتراك مثل المقدم وجلبي البـيرقدار والجوربجـي وأفـراد المستحفظان والجوربجية والأغوات والجاويشية والملاطيلي، كما أنشئت في ذلك العـهد وكالة القنصل وكان معظم القائمين بها أجانب.

وقد كثرت المقاهي وتطورت خدماتها حتى أن جنود الحملة الفرنسية يذكرون أن هناك مقهى على النيل أخذتهم نظافته وجمال موقعه بالنسبة لسائر المقاهي الأخرى، كما أن أمامه عرائس تأتي إليها الراقصات العجميات والموسيقيون ليجذبوا انتباه شاربي القهوة لاستخلاص بعض النقود. وإلى وقتنا هذا فان هذا المقهى في مكانه أمام الجمرك القديم قرب ميدان الجمهورية[1].

هذا وقد حدث تطوراً كبيراً في صفة استعمالات الأراضي، فقد امتدت الوكالات والمساكن ذات الحوانيت على طول خط المحيط تحت المحلي وامتداده -محجة السوق- ثم الامتداد في شارع جامع زغلول، وشملت الوكالات في ذلك الحين: وكالة الباشا - وكالة السادات - وكالة ظاظا - وكالة الطابونة - وكالة أبو علي - وكالة القنصل - وكالة الحنة - وكالة الحدادين (وكالة عابدين بيك) - وكالة القبودان، ويأتي ذكر وكالات أخرى لم تكن بأهميتها -غير محددة الموضع تماماً- مثل وكالة أولاد وهيبه ووكالة الادفيني ووكالة إبراهيم أغا، وربما يكون العنبر السلطاني (كرار السلطنة) ما هو إلا مخزن للمهمات الحكومية. ويذكر كوستاز في كتاب وصف مصر انه وجد بعض المباني على قدر لا بأس به من الفخامة وهى الوكالات، في حين وصف باقي المباني بالتواضع الشديد حتى ما كان يدعي العامة أنها قصور، وهو يؤكد إلى أي مدى كانت المدينة على قدر كبير من الثراء والرواج التجاري في تلك الفترة[2].

كذلك أصبحت المساحة ما بين وكالات القصبة وخط ساحل النيل تحوي شوارع حرفية، أما غرب القصبة ففي الشمال مساكن فاخرة وفي الجنوب جماعات التجار والباعة والعمال الذين تمتد مساكنهم حتى جنوب جامع زغلول، ويبدأ مع هذه الفترة الزحف جهة الجبانات الرئيسية قبلي المدينة.

ارتكازاً على تباطؤ التحام شمال غرب الكتلة العمرانية للمدينة بالكتلة العمرانية للادفيني مشتيله وزحف العمران جهة الجنوب الغربي نستطيع أن نستخلص حدوث عمليات طرد وإحلال اجتماعي بالمدينة مع احتمال حدوث هجرة ريفية حضرية لاسيما شمال المدينة في المنطقة التي نشأت حديثاً حول مقام سيدي أبو الريش.

---

١ ـ علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، ج٣، ص٢٥١.

٢ ـ نفس المصدر السابق.

تتناقض وجهة نظر Vivant Denon الذي زار المدينة في نهاية هذا القرن مع كل ما توصلنا إليه من خلال الوثائق عن حالة العمران في المدينة، فهو يشير إلى أن مساحتها قد تقلصت عما كانت عليه من قبل وأنها في تناقص مطرد، كما هو وارد بالنص التالي: *" وجدنا أنفسنا نتنزه على سطح ارق نهر في الوجود، وبعد نصف ساعة كنا محاطين بخضرة يانعة طازجة، لم نر لها مثيل منذ وصولنا إلى هذه البلاد .. وبعد فترة .. وجدنا على يميننا قلعة وعلى يسارنا بطارية مدفعية كانت قديماً قد وضعت في هذا الموقع للدفاع عن مدخل البوغاز، إلا أنها الآن تبتعد عنه بمقدار فرسخ، مما يعطينا فكرة عن كمية الارسابات النهرية، ويمكن تحديد عمر هذه التحصينات العسكرية بـ ٣٠٠ عام، أي منذ أن بدأ استعمال المدافع والقنابل". "وبعد ساعة من السياحة النيلية اكتشفنا وسط غابات النخيل والموز والجميز رشيد على ضفاف النيل الذي تغمر مياهه بدون أن تصيبها بالتدهور حوائط المنازل المطلة عليه". تخلو المدينة من أي مبنى أثري هام، يمكن أن يُظهر بوضوح حدودها القديمة التي تشير إلى أن مساحتها كانت أكبر مما هي عليه الآن. وقد استطعنا التعرف على السور الأول للمدينة من خلال تفقدنا للتلال الرملية التي تحوطها من الغرب إلى الجنوب، ومن المؤكد أن تلك التلال قد تكونت من السور القديم وطوابيه".*

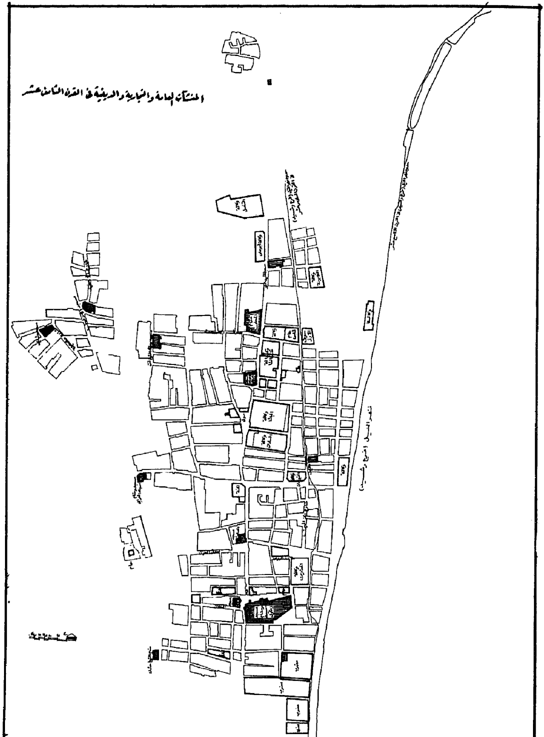
"ومثل سكان مدينة الإسكندرية فان سكان مدينة رشيد في تناقص مضطرد، فحركة البناء بطيئة وشحيحة، وكل المباني المشيدة حديثاً استعمل في بناءها أحجار المنشآت القديمة المتهدمة نظراً لقلة السكان والموارد المتاحة للترميم والتجديد".

"وعلى الرغم من أن المنازل تبدو أكثر صلابة من مثيلاتها في الإسكندرية إلا إنها هشة .. وإذا لم يكن الطقس رحيم لتهدمت كل منازل رشيد. وأسلوب البناء في رشيد يتم بحيث يتخطى كل دور جديد الذي قبله أفقياً فتكاد المباني المتقابلة أن تتلامس مما يجعل الشوارع قاتمة وحزينة، وهذا العيب لا ينطبق على المنازل التي بموازة النيل ومعظمها يملكه التجار الأجانب. وتحتاج هذه الجهة من المدينة إلى مجهود بسيط لتجميلها فيكفي بناء رصيف مواز للنهر لتحسين المظهر العام"[١].

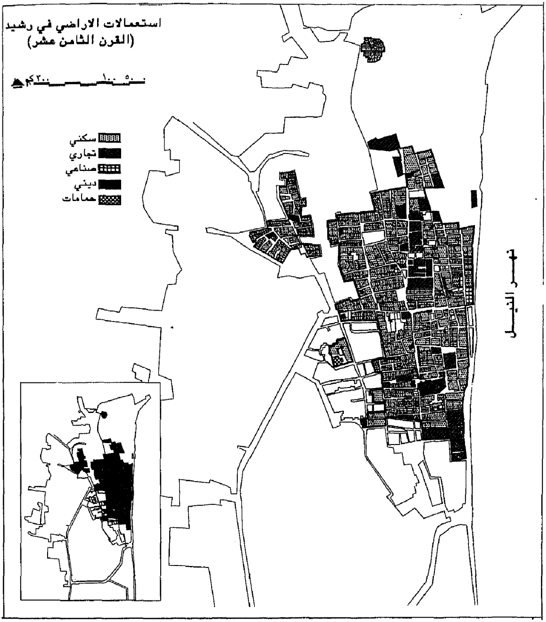
---

١ - Vivant Denon, Voyage Dans la Basse et la Haute Egypte, Institut Francais d' Archeologie Orientale, Le Caire 1989, p.85-86-87.

{شكل رقم ٨، المنشآت العامة والتجارية والدينية ق ١٨}



{شكل رقم ٩، استعمالات الأراضي ق ١٨}



منشآت القرن الثامن عشر

١ - المنشآت التجارية

١ - وكالة عثمان كتخدا القازدغلي

نجد في كتاب وقف الأمير عثمان كتخدا طائفة مستحفظان الشهير بالقازدغلي بن المرحوم الحاج علي[١] وكالة أخرى استأجرها من وقف الحاج مصطفى القابودان ووقف الحرمين الشريفين في ١٨ ربيع الأول سنة ١١٤٦هـ/٢٩ أغسطس ١٧٣٣م، وأخذ الإذن بالعمارة والتجديد والإنشاء، وملك الخلو والانتفاع لها لمدة تسعين سنة هلالية، وجددها وأثبت تجديده في ٨ رجب سنة ١١٤٦هـ/١٥ ديسمبر ١٧٣٣م، وأصبحت مكونة من صهريج (سبيل) و١١ حاصلاً و٥ حوانيت و٣ دور و١٣ طبقة، ونجد وصفها كالآتي:

"(ص١٣٠س٩) *وجميع تواجر المكان الكائن بثغر رشيد المحروس بحري الثغر/ المذكور بمحجة السوق المعروف سابقاً بالخشاب والآن يعرف/ بالعقادين المشتمل على صهريج ووكالة بها أحد عشر حاصلاً* (ص١٣١) *وفسحة وصحن الوكالة المذكورة مفروش مع أرض الحواصل بالحجر/ النحيت والحواصل مسقفة عقداً وبصدر الوكالة المذكورة سلم/ يصعد من عليه إلى دور به سبع طباق وسلم ثاني يصعد من عليه/ إلى دور ثاني به ست طباق وبظاهر الوكالة المرقومة من الجهة/ الشرقية خمس حوانيت ومزملة الصهريج المذكور وسلم معقود/ بالشارع القبلي الآتي ذكره فيه يصعد من عليه إلى مجاز ودهليز/ علو المزملة المذكورة وبصدر الدهليز المذكور تخانة معقودة/ وفسحة أمامها مفروشة بالرخام الملون وبجانبه الشرقي إيوان/ كبير مطل على محجة السوق مسقف نقياً وبالجانب الغربي تخانة/ معقودة أيضاً ومطبخ ومرحاض ويصعد من المجاز المذكور إلى/ سلم معقود يتوصل منه إلى دار كبيرة علو الدهليز المذكور وتشتمل* (ص١٣٢) *الدار المرقومة على تخانتين وبيت معد للعجين وإيوان ومطبخ/*

---

١ ـ وثيقة وقف عثمان كتخدا القازدغلي، رقم٢٢١٥-أوقاف، بتاريخ ٢٥ ربيع الآخر سنة ١١٤٩هـ/٢ سبتمبر ١٧٣٦م.

وحمام ومرحاض مفروش أرض الحمام بالرخام وسلم لطيف يتوصل/ منه إلــــى رواق لطيف يشتمل على واجهتين قبلية وشرقية مطلة/ على محجة السوق وعلى تخانة وأغاني وسندرة ورفوف مفروش سفله/ بالرخام الملون وخارج الوكالة المذكورة مــــن الجهــة الغربية سلمين/ معقودين يصعد من عليهما إلى دارين لطيفتين تشتمل كل منهما/ علــــى دهليز ومجاز يعلو ذلك تخانة وبيت لطيف ومطبخ ومرحاض/ ومنافع ومرافق وحقــوق وحدود أربع القبلي للشارع المسلوك/ الموعود بذكره وفيه باب المزملة والسلم الموصل للدار الكبرى والبحري/ لما بيد أولاد الجنيدي والشرقي إلى محجة السوق وفيــه بــاب الوكالة/ والخمس حوانيت المذكورة والغربي إلى شارع مسلوك فاصل (ص١٣٣) بيــن الوكالة المذكورة وبين الأماكن المعروفة بأولاد برقوق ومنه/ السلمين المتوصل منــهما إلى الدارين المذكورين الجاري أصل ذلك/ في وقف الحاج مصطفي القـــابودان وفـــي تواجر الأمير عثمان كتخدا/ المشار إليه أعلاه المدة التي قدرها تســعون ســنة كاملــة متوالية/ هلالية تمضي من تاريخ حجة التواجر الآتي ذكرها فيه بالأجرة التي قدرهـــا/ عن ذلك في كل سنة من ذلك من الفضة الأنصاف العددية الديوانية/ ألف نصف واحــد فضة ديواني يقوم بها لجهة أوقاف الحرمين الشريفين ..".

٢ – وكالة الملاطيلي

ورد ذكر هذه الوكالة في وثيقة إيجار ترجع إلى سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٤م[١] لمدة سبع سنوات بإيجار قدره ٣٠٠ قرش ريال، وحددت تلك الوثيقة موقعــها أنــه فــي الجهــة الشرقية من رشيد إلى الشمال من وكالة عابدين بيك –رقم ٧– يفصل بينــهما شــارع، ونصها كالآتي:

"استأجر يوسف بن المرحوم أحمد عرف بالعطوي العلاف بماله لنفسه مــن كــل مــن مصطفى ابن حسين كتخدا الملاطيلي وآمنة ابنة حسين اليازجي .. (س٧) جميع الحصة التي قدرها النصف اثنى عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً شايعاً/ ذلك فــي كامل الوكالة الموعود بذكرها المشتملة على أرض وبناء يشتمل البناء المذكــور علــى اثنى عشر حاصلاً يعلو ذلك ستة عشر طبقة وبظاهر الوكالة/ المذكــورة مــن الجهــة

---

١ ـ ؟، ١٢٢، ١٢٧، غرة شعبان سنة ١١٧٧هـ/٤ فبراير ١٧٦٤م، وقد ذكرت طائفة الملاطيلي في الكثير من وثائق القاهرة، وكان لهم كثير من المنشآت بها وخاصة التجارية منها.

البحرية والغربية أربعة عشر حانوتاً من جملتهم الحانوت الكبير المعد لبيــع الحبــوب وحاصل مجعول بيت قهوة وعلى منافع وحقوق/ المحصور كامل ما منه ذلــك بحــدود أربعة القبلي الشارع المسلوك الذي أمام باب الوكالة الكبرى المعروف بوقــف عــابدين بيك المتوصل سالكه/ مشرقاً إلى النيل المبارك والحد البحري ينتهي إلى شارع حــاصل السلطان وفيه أحد بابي الوكالة المؤجر منها الحصة المذكورة والحد الشــرقي ينتــهي/ بعضه لما هو جار الآن في استحقاق الحاج محمد الأرايجي السكندري وبعضــه إلــى [زقاق] *مسلوك* sic *لطيف هناك وباقيه إلى ما هو معروف بإنشــاء المرحــوم/ الحــاج إبراهيم السودن كجشتي؟ والحد الغربي ينتهي إلى الشارع المسلوك وفيه باب الوكالــة الثاني ..".*

٣ – وكالة حمزة جوربجي

كانت بالجهة الجنوبية الشرقية للمدينة، جاء ذكرها في وثيقة حصر تركــة الحــاج حمزة جوربجي مستحفظان ابن مصطفى بن حسين كتخدا التاجر في أصناف الحبــوب ضمن حدود بيت تضمنت الوثيقة وصفاً له، وتذكر أنها كانت على الطريق السلطاني من جهة وكالة عابدين بك الكبرى وحاصل السلطان، ولم تذكر أوصافاً لها[١].

---

١ ـ ؟،١١٨،١٢٢، بتاريخ غاية رجب سنة ١١٧٧هـ/٣ فبراير ١٧٦٤م.

٣ المنشآت الصناعية

أولاً: المصابغ

١ – مصبغة محمد جوربجي

وجدت بعض المصابغ ملحقاً بها قاعات للحياكة، من بينها هـذه المصبغة التي اشتراها محمد جوربجي مستحفظان السنهوري من عبد الجواد بن محمد السنوي بوثيقة مؤرخة في أول صفر سنة ١١١٨هـ/١٥ مايو ١٧٠٦م بمبلغ ٥٠ قرشا، وكانت تقع بحري الثغر بخط جامع الحاج رشيدي، وكانت ضمن مبنى مكون من مصبغة وقاعة حياكة يعلوهما دهليز[١].

وتزخر وثائق مدينة رشيد بالعديد من المصابغ المنفردة أو الملحقة بقاعات حياكة وغيرها من المباني، والتي اخترنا من بينها النماذج السابقة.

ثانياً: معامل الكتان

ذكرت قوائم الحملة الفرنسية أن مصر كانت تصدر بعض الأقمشة الكتانية وكذلك غزل الكتان إلى الكثير من المدن التركية والأوربية[٢]، وكانت رشيد من المدن التي تنتج الأقمشة الكتانية، ووجد بها قاعات خصصت لذلك أطلق عليها "*معامل الكتان*"، وورد ذكرها في بعض الوثائق نذكر منها وثيقة إيجار مؤرخة في ٢٥ جماد أول سنة ١١٧٧هـ/١ ديسمبر ١٧٦٣م، تصف معملاً للكتان والأماكن الملحقة به على النحو التالي: "(س٢٠) .. *جميع الحصة/ التي قدرها النصف اثنى عشر قيراطاً .. شائعاً ذلك في كامل المكان الكائن بحري الثغر المخبر/ الناظر المرقوم بتخرب داخله المشتمل المكان الكائن بخط سوق السمك البحري على صهريج في تخوم الأرض معد لخزن الماء العذب/ من النيل المبارك يعلوه حاصل بجانبه من الجهة الغربية حاصلان يفتح أبواب الثلاثة حواصل المذكورة من داخل الدولاب/ المعد لنفض الكتان الآتي ذكره فيه وعلى عقد سلم بالشارع الشرقي الآتي ذكره فيه يصعد منه إلى فسحة يعبر عنها بالميدان مفروشة/ بالبلاط الكدان به إيوان جلوس ويدخل من الميدان المذكور إلى دهليز*

---

١ ـ ٢٠٩،٤، ٢١٤-٢١٥.

٢ ـ علماء الحملة الفرنسية: المصدر السابق، ج١، ص٢٤٧.

به خزنة تجاهه من الجهة الغربية دهليز ثاني بجانبه/ من الجهة القبلية مرحاض وعقد سلم ثان يصعد منه إلى وسط دار بها إيوان جلوس وتخانتان من الجهة الشرقية علو الدهليز/ تجاه ذلك مطبخة ومرحاض وحمام وبالجهة المذكورة من الجهة الشرقية تخانتان أيضاً وعلى عقد سلم ثالث يصعد منه إلى حضير/ به معالم درابزين من الخشب مستدير وبالحضير المذكور رواق من الجهة الشرقية علو التخانتين المذكورتين به خزنة/ وبجانبه إيوان جلوس تجاه ذلك بيت آخر من الجهة الغربية به خزنة وبالحضير المذكور حاصل ثالث وعقد سلم رابع/ يصعد منه إلى حضير لطيف يعبر عنه بالكشك وبجانب ذلك فرن تنور ومنافع ومرافق المحصور كامل ما منه/ ذلك بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي قديماً بما هو معروف بورثة المرحوم الحاج سلامة والآن لما بيد ورثة الشريف/ حسين والبحري زقاق مُلغى والشرقي شارع مسلوك والغربي ينتهي/ لما بيد أولاد حسن قديماً والآن لما بيد أولاد حبلص"[1].

ثالثاً: معامل الشمع

عثرنا بوثائق محكمة رشيد على وصف لتلك المنشآت الصناعية والتي كانت في الغالب ملحقة بالمنازل، ومن تلك الوثائق وثيقة شراء حصة الثمن على الشيوع في مبنى مكون من معمل ملحق ببيت بالجهة الوسطى من المدينة بالقرب من مسجد العربي ترجع إلى القرن ١٢هـ/١٨م[2] بمبلغ ٣٠ قرشاً، ونجد وصفاً لتلك المنشأة كالآتي:

"(س١٥) .. المشتمل المكان المرقوم على أرض وبناء يشتمل البناء المرقوم على صهريج في/ تخوم الأرض معد لخزن الماء العذب من النيل المبارك ودولاب معد لصناعة الشمع وعقد سلم يصعد منه إلى دهليز به خزنة ومرحاض وعقد سلم يصعد منه إلى وسط دار بها تخانتان ومطبخة ومرحاض وعقد سلم/ وثالث يصعد منه إلى بيت وغرفة ..".

---

١ _ ٤٦،٤٦،٥١.

٢ _ ١٤٠،٢٤،١٤٤، بتاريخ ٧ ذي القعدة سنة ١١٧٧هـ/٨ مايو ١٧٦٤م.

٣ - المنشآت المدنية

أولاً: منشآت الرعاية الاجتماعية

أ - الحمامات

١ - حمام ابن المطير - عزوز؟

كان يقع في الجهة الجنوبية الشرقية، ورد ذكره في وثيقة إيجار حصة منه لمدة ٥٦ عاماً بمبلغ ١٢ ألف نصف قضة، يمكن أن نرجح من خلال وصفه وتحديده أنه هو نفسه حمام عزوز الحالي، وتصف الوثيقة مشتملاته وموقعه كالآتي:

"(س٢) .. *جميع الحصة التي قدرها/ نصف الثمن قيراط واحد ونصف قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراط شائعاً ذلك في كامل المكان الكائن شرقي الثغر من قبليه بقسرب الخاطة sic المشتمل على أرض وبناء حمام يشتمل على/ مجاز يدخل منه إلى مسلخ به أربعة أواوين ومجاز يدخل منه إلى مرحاضين وخلوة لطيفة ومجاز ثان بداخله إيوانان متقابلان ومجاز ثالث بداخل ذلك به إيوان/ على يمنة الداخل يدخل من ذلك إلى حوارة بها ثلاث مغاطس وثلاث حنفيات وأربعة حيضان وعلى مستوقد وأربعة دسوت من الرصاص وعلى ساقية وثلاث/ حوانيت من الجهة الغربية ومكان علو باب الحمام وبعض المسلخ المرقوم وعلى حوش لطيف من الجهة الشرقية به بعض أشجار تجاهه من الجهة الشرقية قطعة أرض بها حوانيت/ مستجدة الإنشاء يحيط بكامل ذلك بناء وأرضا ويحصره حدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى الشارع المسلوك الفاصل بين ذلك وبين القطعة الأرض المعروفة بوقف الخواجا أحمد/ الرويعي بيد مستحقها شرعا والحد البحري ينتهي إلى الشارع المسلوك الفاصل بين ذلك وبين ما هو جاري في وقف عبدي بيك والحد الشرقي ينتهي إلى بحر النيل المبارك والحد الغربي ينتهي إلى الشارع المسلوك الفاصل بين ذلك وبين وقف المرحوم محمد أفندي الدزدار ..*"[١].

---

١ ـ ٥٨،٩٣،١١٥، بتاريخ ١٢ رجب سنة ١١٢٥هـ/٤ أغسطس ١٧١٣م.

٢ – حمام الشيخ محمد البسيوني

كان يقع بالجهة الجنوبية الشرقية أيضاً، ورد ذكره في وثيقة وقف الشيخ محمد الشهير بالبسيوني القاضي الشافعي بالمدينة، حيث وقف منفعة حصة منه، وتصف الوثيقة مشتملاته مع قطعة أرض من شرقيه كانت تستخدم كشونة لوقيد الحمام وبواجهتها حوانيت لم تحدد عدتها، وذلك كالآتي:

".. وجميع منفعة الحصة التي قدرها نصف الثمن قيراط واحد ونصف قيراط شائعاً ذلك في كامل المكان الكائن شرقي الثغر من قبليه المشتمل على أرض وبناء حمام يشتمل على مجاز يدخل منه إلى مسلخ به أربع أواوين ومجاز يدخل منه إلى مرحاضين وخلوة لطيفة به إيوانان متقابلان ومجاز أيضاً بداخل ذلك به إيوان على يمنة الداخل يدخل من ذلك إلى حرارة به ثلاث مغاطس وحنفيات وأربع حيضان وعلى مستوقد وأربع دسوت رصاص وعلى ساقية وخمس حوانيت من الجهة الغربية ومكان علو باب الحمام وبعض المسلخ وعلى حوش لطيف من الجهة الشرقية به بعض أشجار المحصور ذلك بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى ما هو جار في وقف القرافي على الحرمين الشريفين والحد البحري والحد الشرقي والحد الغربي ينتهي كل منهما إلى شارع مسلوك ونظير الحصة المذكورة وهي قيراط واحد ونصف قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراط شائعاً ذلك في القطعة الأرض التي تلي الحمام المذكور من الجهة الشرقية المجعول الآن بعضها حوانيت وباقيها شونة يوضع بها ما توقد به نار الحمام المذكور .."[١].

٣ – حمام سليمان أغا البوستنجي

كان يقع بالجهة الوسطى من المدينة من شرقيها، من المرجح أن مؤسسه هو سليمان أغا البوستنجي، ثم آل إلى الأمير عبد الله جوربجي مستحفظان بن أحمد أغا الشهير بطوطمقز عن طريق الإيجار، الذي أوقفه في وثيقة وصلت إلينا مؤرخة في ٢٦ شوال سنة ١١٧٧هـ/ ٢٨ إبريل ١٧٦٤م، جاء بها وصفا مفصلا عن مكونات الحمام وما حوله من مباني تابعة للواقف من حوانيت وملحقات للحمام توضح لنا توزيع المباني في الشوارع الرئيسية والجانبية للمدينة، ونص الوثيقة[٢] كالآتي:

---

١ ـ ٣،١١٥،١٠٣،٦٢، بتاريخ ٧ شعبان سنة ١١٢٥هـ/٩ أغسطس ١٧١٣م.

٢ ـ ٢،٩،١٤٧،١٤٢-١٤٩.

"(ص١٤٨س٣٧) .. جميع المكان الكائن وسط الثغر المرقوم بالجهة الشرقية المشـــتمل على أرض وبناء حمام معروف بالمرحوم سليمان أغا البوستنجي يشتمل على طيـــارة/ من الخشب النقي يدخل منه إلى باب يتوصل منه إلى مسلخ بوسطه فسقية وأربع أواوين وباب حرارة/ يدخل منه إلى مجاز به مرحاضان وحنفيـــة معـــدة لاســتعمال النـــورة ويتوصل من المجاز المذكور إلى دهليز يعبر عنه ببيت أول ومنه إلى دهليز آخر يعـبر عنه ببيت ثان ومنه إلى الحرارة المذكورة الكائن بوسطهما فسقية وأربع أواوين وثـــلاث مغاطس وأربع حنفيات مفروشة أرض ذلك كله بـــالبلاط الملـــون/ ودبكونيـــة وقـــدور ومجاري ماء من الرصاص وبئر ساقية ومنشر قش ومتبن وحاصل معد للقش/ وزريبـة للبهائم وحاصل للحمير وحاصل معد للقصرمل وعلى منافع وحقوق وعلى جميع الـــدار التي علو/ الحمام المذكور المشتمل على مساكن وحقوق وعلى جميع الجنينة المجـــاورة للحمام المذكور من الجهة الشرقية/ وما لذلك كله من المنافع والحقوق المجاورة للحمـــام المذكور من الجهة القبلية وظاهر الحواصل المعروفة بالعيدان/ والـــى منشـــر القـــش المذكور ومن الجهة البحرية للشارع المسلوك الفاصل بين ذلك وبين وقـــف المرحـــوم/ علي باشا وفي الشارع المذكور الطيارة المذكورة والساباط الذي علوها المنتفع به فـــي الدار المذكورة/ وعقد سلم وباب الدبكونية المذكور ومن الجهة الشرقية للشارع المسلوك أيضاً الفاصل بين الجنينة (ص١٤٩) المذكورة وبين أماكن المرحوم إبراهيم الحلوجـــي ومن الجهة الغربية إلى الربع الجاري في وقف المرحوم ســـليمان أغـــا البوســـتانجي/ المرقوم والمجاور لمنشر القش المذكور من الجهة القبلية للحواصل المتعلقة الآن بورثـــة المرحوم أحمد الحمامي والمرحوم/ محمد جوربجي هيكل ومن الجهة الشرقية للحانوتين الآتي ذكرهما فيه والى قطعة أرض/ بظاهر الحانوتين المذكوريـــن وغيرهمـــا والـــى حوانيت المرحوم أحمد كنان وحوانيت قهوة مصطفى جوربجي القصاب وفي هذه الجهة الاستطراق المتوصل منه لمنشر القش المذكور والأماكن الجارية في وقـــف المرحـــوم سليمان أغا البوستنجي/ المذكور ولذلك جميعه شهرة في محله ترشد إليه وتمـــيزه ممـــا حواليه الصاير الحمام المذكور مع ما اشتمل عليه مما ذكر أعلاه إلى الأمير الحاج عبـد الله جوربجي الواقف المذكور/ بالتواجر الشرعية ممن له ولاية ذلك شرعاً بموجب حجة شرعية مسطرة من الباب العالي بمصر المحروسة ومؤرخة مع ما بها من ثبوت وحكـــم شرعيين/ من قبل مولانا .. بغرة شهر ذي الحجة ختام شهور سنة أربع وخمسين ومائة وألف (٧ فبراير ١٧٤٢م) متصلة منفذة من قبل مولانا فخر القضـــاة/ محمـــد صـــالح

أفندي المولى بمصر القاهرة كان ومتوجة بالصح الشريف من قبل والي مصر سابقاً هى من مدة تواجر الحمام المذكور/ مع اشتمالاته المذكورة سبع وستون سنة وثلاثة أشـــهر وخمسة عشر يوماً تمضي من تاريخه/ أدناه ..".

ظل هذا الحمام قائماً حتى أواخر القرن ١٩م، إذ ورد ذكره ضمن حدود حانوت فـي وثيقة أثبتت موقع الحانوت بهذا الحمام كالآتي: "*.. وجميع بناء الحانوت المستجد الإنشاء والعمارة الكائن بالثغر المرقوم من جهته الشـــرقية بـــالقرب مـــن الحمـــام المعـــروف بالبوستنجي ..*"[١].

٤ – حمام المالح

كان بالجهة الوســـطى مـــن المدينـــة، ورد ذكـــره فـــي وثيقـــة مؤرخـــة بســـنة ١١٧٧هـــ/١٧٦٤م، ومن المرجح أن إنشائه يرجع إلى تاريخ أقدم، ففي الوثيقة الســـالفة الذكر نجد تسمية الشارع "*الخط المعروف بالحمام المالح*"[٢]، وورد ذكره أيضـــاً بنفـــس الاسم في وثيقة ترجع إلى أواخر القرن ١٩م، وان استخدم لفظ "*حارة الحمام المالح*" بدلاً من "*خط المالح*"[٣]، وما زالت هذه الحارة تحمل أسم "*حارة المالح*" حتى الآن.

ثانياً: الأسبلة والصهاريج

١ – صهريج وسيرجة

كان بوسط المدينة، ضمن مجموعة معمارية مكونة من الصهريج والســـيرجة ودار، ورد ذكرهم في وثيقة شراء[٤] نصها: "(س٣) *.. اشترى الشمسي محمـــد جلبـــي بـــن/ إسماعيل الشهير بالطويل بالوكالة عن الست روكية خاتون ابنة مصطفـــى/ المعـــروف بدياربكرلي المعروفة بزوجة فخر التجار إسماعيل المعروف ببربير ..* (س١٢) *جميـــع المكان الكائن وسط الثغر المرقوم بقرب فرن عطية الشوبري المشتمل المكان المرقـــوم على أرض وبناء يشتمل البناء المرقوم على صهريج/ في تخوم الأرض معـــد لخـــزن*

---

١ ـ محفوظات،١٩،٤٩،٤٠، بتاريخ ٢٨ صفر سنة ١٢٩٢هـــ/٥ إبريل ١٨٧٥م.

٢ ـ ؟،١٢١،١٢٥، بتاريخ غرة رجب سنة ١١٧٧هـــ/٥ يناير ١٧٦٤م.

٣ ـ محفوظات،١٩،٢٠٠،١٣٥–١٣٦، بتارخ ١٧ رجب سنة ١٢٩٢هـــ/١٩ أغسطس ١٨٧٥م.

٤ ـ ؟،١٣١،١٣٦، بتاريخ غرة شعبان سنة ١١٧٧هـــ/٤ فبراير ١٧٦٤م.

الماء العذب من النيل المبارك وسيرجة معدة لاستخراج دهن السمسم بها طبقتان وزريبة يعلو ذلك/ دهليز وعقد سلم يتوصل منه إلى وسط دار بها تخانتان ومطبخة ومرحاض وعقد سلم ثان يتوصل منه إلى بيت تجاهه غرفة/ وعلى منافع وحقوق المحصور كامل ذلك بحدود أربعة الحد القبلي ورثة أحمد نور الدين النحاس/ والحد البحري شارع مسلوك والحد الشرقي ينتهي إلى الحوش المعروف قديماً بأولاد العنتري والآن ورثة/ محمد زلبون المالكي والحد الغربي ورثة سليمان السكندري ..".

ثالثاً: المنازل

١ - دار محمد بن علي عطيه الجلاوي

كانت بالجهة الغربية للمدينة، ورد ذكرها في وثيقة شراء حصة الثمن منها بمبلغ ١٢٠ قرشاً، وتصفه الوثيقة كالآتي:

"(س١٠) .. *جميع الحصة/ التي قدرها الثمن ثلاثة قراريط .. شائعاً ذلك في كامل المكان الكائن غربي الثغر المرقوم بخط محماة مطبخ أولاد فحيمة المشتمل المكان المذكور على أرض وبناء مستجد الإنشاء ويشتمل البناء المرقوم على قاعة بجانبها باب دار يدخل منه إلى عقد/ سلم يصعد منه إلى دهليز تجاه تخانة بينهما فسحة مفروشة بالبلاط يعبر عنها بالميدان بها مرحاض ويصعد من عقد السلم المذكور/ إلى وسط دار مفروش بالبلاط أيضاً به تخانتان متلاصقتان يعلوهما رواق وبه إيوان جلوس وعقد سلم لطيف يصعد منه إلى/ حضير مفروش بالبلاط أيضاً يتوصل إلى الرواق المذكور به مطبخة ومرحاض يعلوهما غرفتان إحداهما كبرى والأخرى صغرى/ يتوصل إليهما من الحضير المذكور وبه مستحم وعلى منافع ومرافق وحقوق ..*"[١].

٢ - دارا وقف عثمان أفندي

كانت الأولى شمالي المدينة والثانية في شمالها الشرقي بشاطئ النيل، ورد ذكرهما بوثيقة وقف، أشارت إلى وجود ٣ حوانيت وشادر وحاصل في مكونات الأولى، وأشارت إلى وصف تفصيلي للشادر في الثانية، ووصفتهما كالآتي:

"(س١٧) *جميع المكان الكائن بالثغر المرقوم بالخط المعروف بسيدي علي المحلي عمت بركاته ويعرف أيضاً بخط/ تحت الحيط المشتمل المكان المرقوم على أرض وبناء*

---

١ ـ ٤٨٨،٢م،١٩٩، بتاريخ ١٩ صفر سنة ١١١٨هـ/٢ يونيو ١٧٠٦م.

يشتمل البناء المرقوم على ثلاث حوانيت متلاصقة شرقية وغربية وعلى شادر وحاصل وعقد/ سلم يصعد منه إلى دهليز كبير به خزنة ودهليز صغير بينهما ميدان به إيوان ومطبخة ومرحاض وعقد سلم ثان يصعد منه إلى وسط دار بها إيوان وتخانتان وخزنة علو الدهليز المذكور تجاه ذلك تخانة علو الدهليز الصغير المذكور ومطبخة ومرحاض وعقد سلم ثالث/ يصعد منه إلى حضير به بيت كبير بداخله خزنة وبيت صغير وحمام بداخله مرحاض وعقد سلم رابع يصعد منه إلى حضير أيضاً به كشك/ وعلى منافع ومرافق وحقوق المحصور كامل ذلك بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى شارع مسلوك وفيه أبواب الحوانيت/ المذكورة والحد البحري لما بيد موسى الصعيدي والحد الشرقي لما بيد أولاد الخياط والحد الغربي ينتهي إلى شارع مسلوك وفيه باب الشادر وعقد سلم المكان المذكورين sic أعلاه وجميع المكان الكائن بحري الثغر المرقوم من الجهة الشرقية بشاطئ بحر النيل المبارك المشتمل البناء المرقوم على شادر كبير ذي بابين/ أحدهما شرقي والآخر غربي مفروشة أرضه بالأحجار به أربعة أعمدة اثنان منها من الرخام واثنان من الحجر الصوان مركب عليها وعلى حوائط/ الشادر المذكور سقف من الخشب النقي وعلى حانوت بظاهر الشادر المرقوم من جهته الغربية وعلى عقدا سلم أحدهما شرقي والآخر/ غربي يتوصل منهما الآن إلى سطح الشادر المرقوم ..؟ على منافع وحقوق المحصور كامل ذلك بحدود أربعة الحد القبلي/ ينتهي إلى شارع مسلوك الفاصل بين ذلك وبين قطعة الأرض المعروفة بمصطفي جوربجي الحمامي/ والحد البحري ينتهي إلى بناء شادر يعلوه مكانان معروف بإنشاء علي فرحات السمسار في الأرز بالثغر كان والحد الشرقي ينتهي إلى/ شاطئ النيل المبارك والحد الغربي ينتهي إلى الطريق الفاصل بين ذلك وبين الشادر وما يعلوه المعروف بالحاج منجي إبراهيم .."[١].

٣ – دار حمزة جوربجي

كانت جنوب شرقي المدينة، ورد ذكرها في وثيقة حصر تركة الحاج حمزة جوربجي مستحفظان بن مصطفي بن حسين كتخدا التاجر في أصناف الحبوب، وهي

---

١ ـ ٢،٧٩،٨١، بتاريخ غرة شعبان سنة ١١٧٧هـ/٤ فبراير ١٧٦٤م.

من الوثائق الهامة حيث إشتملت معظم المصطلحات التي تطلق على مكونات المنزل الرشيدي بطريقة توضح مكونات كل طابق فيها، ونص الوثيقة[1] كالآتي:

"(س٤) .. جميع المكان الكائن قبلي الثغر من شرقيه المشتمل المكان المرقوم على أرض وبناء قديم/ ومستجد الإنشاء يشتمل البناء القديم المذكور على حاصل كان أصله بيت قهوة وأربع حوانيت ويشتمل البناء المستجد الإنشاء المرقوم على/ عقد سلم بالشارع الشرقي الآتي ذكره فيه يتوصل منه إلى ميدان مفروش بالبلاط يتوصل منه إلى دهليزين وخزنة بالجهة الشرقية من الميدان/ المذكور وعلى دهليز وتخانة ومرحاض من الجهة الغربية وعلى تخانة بها حنفية ومرحاض وعلى عقد سلم ثان يصعد منه إلى وسط دار بها ثلاث/ تخاين من الجهة الشرقية وعلى تخانة رابغة ومطبخة ومرحاض من الجهة الغربية وعلى عقد سلم ثالث يصعد منه إلى حضير يتوصل منه/ إلى بيتين وخزنة بالجهة الشرقية وعلى بيت به خزنة وعلى تخانة بها مرحاض وحمام من الجهة الغربية وعلى تخانة ومرحاض من الجهة القبلية/ وعقد سلم رابع يصعد منه إلى حضير أيضاً يتوصل منه إلى كشك من الجهة القبلية وعلى مرحاض بجانبه تخانة من الجهة المذكورة وعلى/ تخانة ومرحاض من الجهة الغربية كل ذلك مكمل بالأبواب والأعتاب والسقف والشبابيك والدرف والخزائن والسندرات/ والحرمدانات المحصور كامله أرضاً وبناء قديماً ومستجد الإنشاء بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى الوكالة الكبرى الجارية/ في وقف المرحوم عبدي بك الكبير مير اللواء الشريف السلطاني بمصر المحروسة كان والحد البحري ينتهي إلى حاصل السلطان/ والحد الشرقي ينتهي إلى الطريق السلطاني الفاصلة بين ذلك وبين الوكالة المعروفة بإنشاء حمزة جوربجي المذكور أعلاه وفيه تتمته/ أبواب الحوانيت المذكورة والحد الغربي ينتهي إلى صحن الوكالة الكبرى المذكورة ..".

١ ـ ؟،١١٨،١٢٢، بتاريخ غاية رجب سنة ١١٧٧هـ/٣ فبراير ١٧٦٤م،

المنازل الباقية من القرن الثامن عشر•

١ - منزل علوان بيك

يقع هذا المنزل بشارع بورسعيد (دهليز الملك)، ينسب إلى علوان بيك شيخ تجار رشيد في القرن ١٩م، وقد شهد هذا المنزل بعض أحداث الثورة العرابية، حيث نزل به أحمد عرابي باشا ناظر الحربية سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م حين تواجده برشيد لمعاينة تحصيناتها واستنفار طبقات الشعب لمقاومة الاحتلال الإنجليزي.

يتكون هذا المنزل من ثلاثة طوابق، الأرضي له بابان، باب الوكالة وهو في دخله مستطيلة يتوسطها باب من ضلفتين يؤدي إلى دركاه لها سقف متقاطع مروحي (مخوص) من الطوب تؤدي إلى عدة مخازن يتوسطها صحن مكشوف وبه سلم يؤدي إلى الطابق الأول، وإلى الغرب من الصحن مساحة مسقفة يتوسطها عامود رخامي –تذكرنا بالتختبوش في بيوت القاهرة–. والباب الثاني مكون من ضلفة واحدة يصعد إليها بدرج من الحجر، يؤدي إلى سلم البيت مباشرة. والطابق الثاني عبارة عن صحن مكشوف (وسط دار) يلتف حوله ثلاث قاعات أكبرها الجنوبية، والتي تتميز بتغطية جدرانها ببلاطات الزليج[1] التي يغلب عليها اللون الأصفر، وللقاعة شباكين من مستويين الأسفل من مصبعات حديدية، ويعلوها ثلاث شبابيك مستطيلة صغيرة الحجم مغشى بالخشب الخرط، والأعلى من الخشب الخرط. والطابق الثاني يتكون من صحن مكشوف (وسط دار) يلتف حوله أربعة حجرات أكبرها القاعة الجنوبية والتي تتميز بأن لها شباكين من الخشب الخرط فقط ويتوسط الجزء الأسفل منها بروز متعدد الأضلاع، ويعلوها أيضاً ثلاث شبابيك مستطيلة صغيرة الحجم مغشى بالخشب الخرط، ويعلو ذلك السطح.

• استعنا في هذا الجزء بكتب هيئة الآثار المصرية (المجلس الأعلي للآثار) "آثار رشيد".

١ ـ الزليج بلاطات من القاشاني انتشرت في العصر العثملني في مصر وخاصة بالإسكندرية ورشيد، وقد أتي هذا النوع من البلاطات من شمال أفريقيا. أنظر: عبد العزيز محمود لعرج: الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، الجزائر سنة ١٩٩٠م.

٢ – منزل المناديلي ق١٢هـ/١٨م

يقع بشارع الحاج يوسف، يتكون من أربعة طوابق، وله واجهتان شمالية وغربية، وتميز واجهاته بأن بروز الطوابق العليا عن الطابق الأرضي يعتمد على أعمدة من الجرانيت، وبه سبيل بالركن الشمالي الغربي، ولا يختلف نظامه عن النظام العام لبيوت مدينة رشيد، فله بابان يؤدي الأول إلى الوكالة أو الشادر ولأجزائه أسقف من أقبية متقاطعة كباقي أسقف شوادر بيوت رشيد، أما الباب الثاني (مسدود الآن) فيؤدي إلى سلم الطوابق للسكنية العليا، ويتميز صحن (وسط الدار) الطابق الأول وجوانبه بأنه مغطى بأقبية مروحية (مخوصة) على أن المعتاد أن يكون مكشوف أو له سقف خشبي، كما أن به إيوان في الجهة الغربية له سقف مروحي أيضاً، ويشغله مسطبة من الخشب، كما تتميز قاعة الاستقبال الرئيسية بالطابق الأول بزخرفة الأسقف بالألوان التي تمثل أشكال مراكب، وله شبابيك من طابقين الأسفل منهما أكبر ويتكون من مصبعات حديدية أما الأعلى من الخشب الخرط (منجور).

ويتوسط الطابق الثاني صحن مكشوف بالجهة الغربية منه إيوان عبارة عن مقعد به مصطبة من الخشب، وبه قاعتان الكبرى التي بالجهة الغربية وملحق بها خزانة نومية عبارة عن حجرة مستطيلة لها شباك واحد جهة الشمال، وشبابيك هذا الطابق من الخشب المنجور عبارة عن جزأين الأسفل يخرج من وسطه بروز متعدد الأضلاع والأعلى يكتنفه فتحتين (خوختين).

ويشتمل الطابق الثالث على قاعتين أكبرهما الغربية أيضاً وملحق بها خزانة نومية، ويعلو الصحن المكشوف منور من الخشب المنجور، كما يحتوي هذا الطابق على حمام مكون من جزأين، القاعة الدافئة (البيت الأول) وبها دكة خشبية للاستراحة، والقاعة الساخنة (البيت الثاني أو بيت الحرارة) التي تغطيها قبة مفرغة بزخارف هندسية مغطاه بشرائح الزجاج الملون كما هو المعتاد بحمامات البيوت الإسلامية.

٣ - منزل أحمد باشا الداي (مكي) ١١٢١هـ/١٧٠٩م

يقع بشارع طاحون التلاليت، ويرجع إلى سنة ١١٢١هـ/١٧٠٩م، يتكون الآن من طابقين وسطح، ويطل بواجهة شرقية بها بابان، الرئيسي إلى الشمال، وإلى الجنوب باب يؤدي إلى ممر وإلى السبيل، ويظهر بالواجهة مأخذ السبيل الذي يملئ منه الصهريج.

يدخل من الباب الرئيسي إلى دركاه تؤدي إلى سلم المنزل بالجهة الجنوبية منه، وإلى الغرب باب يؤدي إلى فناء مكشوف تفتح عليه بالجهة الجنوبية أبواب المخازن.

يؤدي السلم إلى الطابق الثاني الذي يتكون من وسط دار مغطى بقبو مروحي متقاطع، وتطل القاعة الرئيسية على الواجهة الشرقية، وتتميز بوجود خزانتان نوميتان إلى الشمال وإلى الجنوب منها، كما أن سقف القاعة مزخرف بالسدايب الخشبية والألوان ويحتوي على كتابات باللغة التركية تحوي تاريخ المنزل.

٤ - منزل الميزوني١١٥٣هـ/١٧٤٠م

يتبع هذا المنزل لوقفي جامع العرابي والجروي، أنشأه الحاج عبد الرحمن البواب المايزوني سنة ١١٥٣هـ/١٧٤٠م[١]، ويشتهر هذا البيت بأنه بيت زبيدة البواب التي تزوجها الجنرال الفرنسي جاك مينو حاكم رشيد ثم القائد الثالث للحملة الفرنسية على مصر بعد إشهار إسلامه وتغيير اسمه إلى عبد الله.

يتكون هذا المنزل من أربعة طوابق، للطابق الأرضي بابان الغربي منهما يفتح على الوكالة أو الشادر، والشرقي يدخل منه إلى دركاة إلى الغرب منها حجرة السبيل الواقع بين البابين، ثم إلى الجنوب السلم المؤدي إلى الأدوار العليا. وتتميز الواجهة بوجود بلاطات من القاشاني الزليج والقاشاني التركي، واللوح الرخامي للسبيل المصاصة المثبت عليه تاريخ الإنشاء.

يصعد من سلم المنزل إلى الطابق الثاني يتكون من وسط دار مغطى بسقف خشبي، إلى الغرب منه مصطبة من الخشب وإلى الشمال القاعة الكبرى التي تتميز بأعمال خشب الخرط بالمغاني (الدواليب الحائطية)، وملحق بها خزانة نوميه، وشبابيك تلك القاعة من المصبعات المعدنية. ولا يختلف تخطيط الطابقين الثالث والرابع عن الطابق الثاني، ولكن تختلف فيهما الشبابيك، حيث أنها من الخشب الخرط ويبرز من الجزء

---

١ ـ زيتون: اقليم البحيرة، ص١٣٦ ؛ هيئة الآثار المصرية: آثار رشيد.

السفلي منها جزء متعدد الأضلاع، كما أن وسط الدار بهما يحوي منور من الخشب المنجور للتهوية والإضاءة، وفي الطابق الرابع حمام البيت، ويعلو ذلك السطح ويحوي ما عرف بالوثائق باسم "الطيارة"، وهي عبارة عن قاعة واحدة بالجزء الجنوبي من السطح، ولها دواليب حائطية كباقي قاعات البيت.

٥ – منزل جلال ق ١٢هـ/١٨م

يلاصق هذا المنزل منزل الميزوني بل ويماثل معه في تفاصيل التخطيط المعماري، إلا أنه ليس به سبيل، مما يرجح أنهما بنيا معاً أو في وقت متقارب على الأقل.

٦ – منزل القناديلي ق١٢هـ/١٨م

يقع هذا المنزل بشارع الشيخ قنديل، يتكون هذا المنزل من أربعة طوابق، بالطابق الأرضي بابان، الشمالي يفتح على الوكالة أو الشادر داخل دخلته يكتنفها مكسلتين ويعلوها عقد موتور يزخرف باطنه أشكال هندسية منفذة في الطوب المنجور من نجوم وأشكال سداسية ومتعددة الأضلاع، والجنوبي يؤدي إلى سلم الطوابق العليا. تبرز واجهة الأدوار العليا بماوردة لها غلاف من الخشب مزخرف بطريقة السدايب الخشبية تكون أشكال هندسية، وهو ما سنجده في معظم منازل رشيد.

يدخل من الباب الجنوبي إلى دركاة إلى الشمال منها باب يؤدي إلى الشادر، ثم إلى الغرب السلم المؤدي إلى الأدوار العليا. يصعد من سلم المنزل إلى الطابق الثاني الذي يتكون من وسط دار مغطى بسقف خشبي، إلى الشمال منه مقعد به مصطبة من الخشب، وإلى الجنوب القاعة الكبرى التي تبرز عن الواجهة الرئيسية، والتي تتميز بأعمال خشب الخرط بالمغاني (الدواليب الحائطية)، ولا تزال بواقي بلاطات القاشاني الزليج ذات اللون الأصفر والأخضر باقية ومنها شكل محراب، وملحق بها خزانة نوميه في اتجاه الشمال، وشبابيك تلك القاعة من المصبعات المعدنية ويعلوها مناور من الخشب الخرط. ولا يختلف تخطيط الطابقين الثالث والرابع عن الطابق الثاني، ولكن تختلف فيهما الشبابيك، حيث أنها من الخشب الخرط ويبرز من الجزء السفلي منها جزء متعدد الأضلاع، كما أن وسط الدار بالدور الأخير يحوي منور من الخشب المنجور للتهوية والإضاءة.

٧ – منزل ثابت ق١٢هـ/١٨م

يقع هذا المنزل بشارع الشيخ قنديل، يتكون هذا المنزل من أربعة طوابق، تبرز واجهة الأدوار العليا بماوردة لها غلاف من الخشب، كما يبرز كل طابق عن الآخر بكوابيل خشبية، بالطابق الأرضي بابان، الشمالي يفتح على الوكالة أو الشادر داخل دخله يعلوها عقد موتور مزخرفة بأشكال هندسية من الجص، ويتكون الشادر من ممر طولي من الشرق إلى الغرب له سقف من قبو مروحي متقاطع وينتهي إلى الغرب بفناء مكشوف، يفتح عليه من الجنوب حواصل لها سقف متقاطع من الطوب المنجور، ويستعمل هذا الشادر منذ عام ١٩٨٥م كمركز ومدرسة للحرف الأثرية.

ويؤدي الباب الجنوبي إلى دركاه إلى الشمال منها باب يؤدي إلى الشادر، وبالغرب منها سلم الطوابق العليا. يصعد من سلم المنزل إلى الطابق الثاني الذي يتكون من وسط دار مغطى بسقف خشبي، ولأن مساحة المنزل تأخذ شكل المستطيل تأثر تخطيط قاعات المنزل من حيث استطالتها، فنجد القاعة الرئيسية والخزانة النومية الملحقة بها أصغر حجماً من مثيلاتها في باقي المنازل، كما أنها تميل إلى الطول، وشبابيك تلك القاعة من المصبعات المعدنية ويعلوها مناور من الخشب الخرط. وإلى الشمال من وسط الدار مقعد به مصطبة من الخشب، وإلى الغرب منه حجرتان الجنوبية منهما تفتح على حجرة أخرى نتيجة استطالة مساحة المنزل. ولا يختلف تخطيط الطابقين الثالث والرابع عن الطابق الثاني، ولكن تختلف فيهما الشبابيك، حيث أنها من الخشب الخرط ويبرز من الجزء السفلي منها جزء متعدد الأضلاع، كما أن يحتوي الطابق الثالث جهة الغرب على ثلاث قاعات بالجهة الشمالية قاعتين من داخل بعضهما، والقاعة الغربية تحوي حماماً من جزأين، ويحتوي الطابق الرابع بخلاف القاعة الرئيسية الشرقية على ثلاث حجرات منفصلة جهة الشمال والغرب، كما يحوي وسط الدار بهذا الدور منور من الخشب المنجور للتهوية والإضاءة. ونجد أن الخزانات النومية الملحقة بالقاعات الشرقية بالطوابق الثلاث ترتد عن الواجهة الرئيسية.

٨ – منزل عصفور ١١٦٨هـ/١٧٥٤م

يقع هذا المنزل بشارع علي السلانكلي، أنشأه الحاج إبراهيم بـالطيش قبل سـنة ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م[١] يتكون هذا المنزل من ثلاثة طوابق، وله واجهتان شمالية وغربية، يتوسط واجهة الطابق الأرضي من الجهة الشمالية باب المنزل ويعلوها عقـد موتـور يزخرف باطنه أشكال هندسية منفذة في الطوب المنجور من نجـوم وأشـكال سداسـية ومتعددة الأضلاع، وإلى الجنوب منه حانوت له باب من دراريب[٢] خشبية، إلى الشـمال واجهة السبيل المغشي بمصبعات معدنية وله عتبة بارزة مـن الرخـام لوضـع أدوات الشرب، ويعلو شباك السبيل لوحة رخامية تثبت تاريخ المنزل يعلوهـا رفـرف[٣] مـن الخشب لوقاية من يحتاج الماء من الشمس والمطر.

أما الواجهة الشمالية فبها باب الوكالة أو الشادر أقصى الشرق داخل دخله ويعلوهـا عقد موتور، وإلى الغرب منه ثلاث حوانيت لها أبواب من دراريب خشبية.

يدخل من باب المنزل بالواجهة الغربية إلى دركاة إلى الشمال منها باب يؤدي إلـى حجرة السبيل، وإلى الجنوب باب يؤدي إلى مخزن، ثم إلى الغرب السلم المـؤدي إلـى

---

١ ـ عدلنا هنا التاريخ الذي أثبت من قبل من جهة هيئة الآثار وبعض الباحثين، حيث أن التاريخ المثبـت قبل ذلك هو ١١٦٨هـ/١٧٥٤م، ولكن النص الموجود في اللوحة الرخامية التـي تعلـوا السـبيل نصـه "مرحوم ومغفور المحتاج إلى رحمة/ ربه الغفور الحاج إبراهيم بالطيش/ الفاتحة سنة ١١٦٨هـ"، أي أن اللوحة التي تثبت التاريخ وضعت بعد وفاة المنشئ ولا تثبت تاريخ بناء المنزل. أنظر عن التاريخ السابق: هيئة الآثار المصرية: آثار رشيد ؛ محمود أحمد محمود درويش: عمائر مدينة رشيد وما بها من التحـف الخشبية في العصر العثماني، ص١٢٤-١٢٥.

٢ ـ **دراريب** جمع درابة، وهى إحدى مصرعي الباب الذي ينطبق أحدهما على الآخر، وأصلـها فارسـي "دربند" أي غلق الدكان، وهى مركبة من "در" باب و"بند" رباط أوسط، وردت في الوثائق المملوكية كثـيراً كمصطلح لنوع خاص من الأبواب الخشبية أو الدرف التي ليست بالعريضة تطبق على بعضها وتغلق على الحوانيت دون غيرها، وكانت تستخدم الدرف أحياناً عند فتحها كمظلة لمسطبة الحانوت، فيقال: "حوانيـت بدراريب"، أو "حوانيت بغير دراريب"، و"دراريب خشباً نقياً".محمد محمد أمين وليلـى علـي إبراهيـم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص٤٦.

٣ ـ **الرفرف** سقف خشبي خارجي مائل يحمل على كوابيل خشبية مثبته فـي الحوائـط فـوق المقـاعد والمصاطب ومكاتب تعليم الأيتام، ويعرف كذلك بالمظلة، استخدم ليمنع من الشمس والمطر. عبد اللطيـف إبراهيم: الوثائق في خدمة التاريخ والآثار، هامش رقم ٣، ص٤١٨-٤١٩.

الأدوار العليا. يصعد من سلم المنزل إلى الطابق الثاني الذي يتكـــون مـــن وســـط دار مغطى بسقف خشبي، إلى الشمال منه مقعد به مصطبة من الخشب له شباكين يطـــــلان على الواجهة الشمالية أعلى الحوانيت، وإلى الغرب القاعة الكبرى التـــي تـــبرز عـــن الواجهة الرئيسية بكوابيل خشبية، وشبابيك تلك القاعة من المصبعات المعدنية ويعلوهـــا مناور من الخشب الخرط. ولا يختلف تخطيط الطابق الثالث عن الطابق الثاني، ولكـــن تختلف فيهما الشبابيك، حيث أنها من الخشب الخرط، كما أن وسط الدار بالدور الأخـير يحوي منور من الخشب المنجور للتهوية والإضاءة.

٩ – منزل عرّب كِلي ق١٢هـ/١٨م

ينسب إلى حسين عربكلي بيك الذي تولى علـــــى رشـــيد مـــن ٢٦ شـــعبان ســـنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م إلى ٢٣ ربيع ثاني سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م[١].

يقع بشارع الجيش، ويشغله الآن المتحف القومي لمدينة رشيد. يتكون هذا المـــنزل من أربعة طوابق، وله أربعة واجهات، بالواجهة الجنوبية باب البيت المؤدي إلى ســلم الأدوار العليا، وإلى الغرب منه باب ثانوي يؤدي إلى الوكالة أو الشادر، وإلى الغـــرب منه عامود من الجرانيت يحمل القلب الثانية من سلم البيت (عقـــد ســـلم)، وبالواجهـــة الشرقية باب الوكالة، وهى عبارة عن مخازن مسقفة بأقبية متقاطعة، وإلى الشمال منـــه باب ثانوي، وبكل من الواجهتين الشمالية والغربية بابان ثانويان يؤديـــان إلـــى وكالـــة المنزل، وتعدد الأبواب المؤدية إلى الوكالة بالدور الأرضي من أهـــم ممـــيزات هـــذا المنزل، كما تتميز واجهاته ببروز قاعات الأدوار العليا في الركنين الجنوبـــي الشـــرقي والشمالي الشرقي عن الواجهة بكوابيل خشبية.

يدخل إلى البيت من باب في الركن الشرقي من الواجهة الجنوبية، ويتميز هذا البـاب بانكسار مدخله المؤدي إلى سلم الصعود إلى أجزاء البيت[٢]، حيث يـــؤدي إلـــى دركـــاة مربعة بالجهة الشمالية منها باب يؤدي إلى الوكالة، وبالجهة الغربية منها ســـلم البيـــت المؤدي إلى الأدوار العليا.

١ ـ زيتون: اقليم البحيرة، ص١٣٤.

٢ ـ عزب: فقه العمارة الإسلامية، ص٧٨.

يتكون الطابق الأول من صحن (وسط الدار) له سقف خشبي، بالجهة الشمالية منه مقعد يشغله مسطبة من الخشب، وفي الجهتين الشرقية والغربية أربعة قاعات أكبرها قاعة الاستقبال الرئيسية بالركن الجنوبي الشرقي، وتتميز بالدواليب الحائطية (الأغاني) ذات الحشوات المجمعة، وله شبابيك من طابقين الأسفل منهما أكبر ويتكون من مصبعات حديدية أما الأعلى من الخشب الخرط (منجور).

ويتوسط الطابق الثاني صحن مكشوف (وسط دار) يعلوه منور متعدد الأضلاع من الخشب الخرط الصهريجي، وهو بنفس تخطيط الطابق الأول من حيث المقعد في الشمال وعدد القاعات، ولكن القاعة التي بالجهة الجنوبية الغربية حل محلها المطبخ، الذي يحوي إلى الشمال منه مستوقد تسخين المياه لحمام البيت، وبجواره باب يؤدي إلى الحمام المكون من ثلاثة أجزاء، كما يلاحظ أنه بالقاعة الشمالية الغربية باب أخر للحمام. وبالجهة الشرقية من وسط الدار دخله حائطية تحتوي على فوهة بئر المنزل لتزويد هذا الطابق بالمياه. وشبابيك هذا الطابق من الخشب المنجور عبارة عن جزأين الأسفل أكبر ويكتنف كل شباك فتحتين (خوختين)، أما العلوي فعبارة عن منور من الخشب الخرط.

والطابق الثالث عبارة عن سطح المنزل، بالجهة الشرقية من طيارة وهي عبارة عن قاعة كالقاعات السابقة ملحق بها مرحاض، والطيارة مصطلح يدل على الحجرات أو القاعات بأسطح المنازل تستخدم في فصل الصيف.

١٠ – منزل رمضان بيك ق١٢هـ/١٨م

يقع بشارع بورسعيد (دهليز الملك)، وهو من أكبر منازل مدينة رشيد، يتكون من أربعة طوابق، وله واجهتان شمالية وغربية تتميز بضخامتها وإبداع المهندس في توزيع دخلات الوجهتين وبروزاتها عن طريق كوابيل خشبية ومراعاته لحقوق الجار حتى لا يغلق شبابيك بيت محارم المجاور[١]، كما أنه يتميز بوجود مشربية بمنتصف الواجهة الشمالية للدور الرابع، أما الواجهة الغربية فقد ميزت عن باقي بيوت رشيد برفرف خشبي يمتد بعرض الدور الرابع لحجب الشمس والمطر عن شبابيك تلك الواجهة. بالواجهة الشمالية باب البيت المؤدي إلى سلم الأدوار العليا، وإلى الغرب منه باب يؤدي

١ ـ عزب: فقه العمارة إسلامية، ص٧٤.

إلى الوكالة أو الشادر إلى غربه شباك السبيل الملحق بالبيت وإلى الغـــرب منـــه بـــاب حجرة السبيل، وكل من المدخلين الرئيسيين داخل دخله يتوجها عقد موتور، يدخل مـــن باب الوكالة إلى دهليز مسقف بقبو متقاطع يفتح عليه ســـبعة مخـــازن مســـقفة بأقبيـــة متقاطعة، وبنهاية الدهليز من الجهة الجنوبية فناء مكشوف.

يدخل إلى البيت من باب في الجانب الشرقي من الواجهة الشمالية، ويتميز هذا الباب بانكسار مدخله المؤدي إلى سلم الصعود إلى أجزاء البيت، حيث يؤدي إلـــى مخـــازن الوكالة وإلى الشرق منه باب يؤدي إلى الأدوار العليا.

يتكون الطابق الأول من صحن (وسط الدار) له سقف خشبي، بالجهة الشمالية منـــه مقعد يشغله مسطبة من الخشب ويطل على الواجهة بعقدين يعتمدان على عـــامود مـــن الجرانيت يغشيهما أحجبه من الخشب الخرط، وتتميز قاعة الاستقبال الرئيسية بهذا الدور بأن دولاب الأغاني يحتوي على باب يؤدي سلم يصعد منه إلى الطابق الثاني قد يكـــون لنقل الطعام والشراب من داخل المنزل للضيوف، ويرجع ذلك إلى حـــرص المـــهندس على حرمة أهل البيت[١]. وشبابيك قاعات الطابق الأول (شبابيك الطابق الأول في معظـم منازل رشيد من مصبعات معدنية) والثاني من الخشب المنجور تتكـــون مـــن طـــابقين الأسفل منهما أكبر أما الأعلى من الخشب الخرط (منجور)، أما شباك مقعـــد الطـــابق الثاني فيبرز قليلاً على كوابيل خشبية، ويخرج من منتصـــف الشـــباك بـــروز متعـــدد الأضلاع.

يتوسط الطابق الثالث –وهو أهم طوابق البيت صحن مكشوف (وســـط دار) يعلـــوه منور متعدد الأضلاع من الخشب الخرط الصهريجي يعتمد على براطيم خشبية محفـــور عليها زخارف هندسية وكتابية على نفس شكل العمائر الخشبية بشمال تركيا على البحر الأسود، وهذا الشكل من الأمثلة القليلة في مصر عامة. ويتمـــيز هـــذا الطـــابق أيضـــاً باحتوائه في الشمالية على مشربية من الخشب الخرط تبرز عن الواجهة علـــى نظـــام بيوت القاهرة، ويحوي هذا الطابق جهة الجنوب حمام البيت ويعلو ذلك السطح.

---

١ ـ عزب: فقه العمارة الإسلامية، ص٨١.

عمران وعمارة رشيد في القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين

"غدت قصور الملوك ملاجيء الحيوانات المفترسة وسكنت الزواحف المقززة معابد الالهة .آه ! كيف غربت شمس كل تلك الانتصارات؟ كيف تلاشت هذه الاعمال العظيمة؟ فهكذا اذن يتقوض بناء الانسان وهكذا تضمحل الامبراطوريات والامم".
Volney, "Ruines

أخذت مدينة رشيد في تلك الفترة شكلها المعروف لنا حتى أوائل السبعينات من هذا القرن فقد التحمت النواة العمرانية حول مسجدي الادفيني ومشتيلة بالكتلة العمرانية للمدينة، واختفى ذكر طاحون النني ومجموعة المساكن التي حوله، كما لم يرد بخرائط تلك الفترة ما يثبت بقاء تلك النواة العمرانية التي كانت في غرب الجهة القبلية من المدينة، هذا وقد تحدد نمو العمران جهة الجنوب بوجود الجبانة الكبرى ومضارب الأرز ولم يحدث امتداد عمراني يذكر في هذه الجهة.

إن أغلب امتدادات المدينة في تلك الفترة اتجه نحو الشمال والشمال الغربي حتى تشكلت كتلة المدينة على هيئة مثلث أحد أضلاعه ساحل النيل ويمتد عليه العمران بطول حوالي ١٣٠٠ متراً وقاعدة المثلث في الشمال بطول ٨٠٠ متراً لتصبح مساحة الكتلة العمرانية ١١٦ فدان بزيادة قدرها ٣١ فداناً عن الفترة السابقة وبنسبة زيادة قدرها ٣٦%، فإذا ما اعتبرنا طول الفترة الزمنية الحالية والتي تمثل ١٥٠ سنة مقارنة بالفترة السابقة والتي مثلت قرناً واحداً نجد أن متوسط معدل الزيادة في القرن الواحد قد انخفضت إلى ٢٤%، كما أن ظاهرة تعدد الأملاك في المدينة أخذت تتلاشى واختفت معظم أسماء العائلات الكبيرة، ويبدو أن هذا مرده إلى الأحداث التاريخية في بداية القرن ١٩م.

تشكلت الطرق الإقليمية حول المدينة بشكل متميز عن ذي قبل وأطلق اسم محمد علي باشا على طريق درب الإسكندرية، ويمتد من منتصف المحور الغربي للمدينة متجها نحو الجنوب الغربي، أما جهة الشمال الغربي فيمتد طريق البرج وكذلك يمتد خط

ساحل البحر. تحت اسم خط جسر البحر شمالاً ويتعدد ذكر منازل متفرقة واقعة عليه شمال الكتلة العمرانية للمدينة.

تتسم تلك الفترة بانحسار نسبي في التعامل الوثائقي العقاري خاصة في النصف الأول من القرن ١٩م، ولم يأت ذكر لمعظم الوكالات التجارية الكبرى، ومن جهة أخرى ورد ذكر أماكن مختلفة، ومن الجائز أنها أنشئت وتهدمت خلال تلك الفترة، مع احتفاظ المكان بالمسمى، ومن أمثلة تلك الوكالات: وكالة حسن نور – وكالة حمزة الشوربجي – وكالة القماشين – وكالة الاسكندراني – وكالة الشعرية، وأغلب الظن أن تلك الوكالة الأخيرة هى وكالة الصنادقية، وهى ذاتها وكالة القماشين اللتان ظلتا بأوقاف وكالة القبودان –التي لم يرد ذكرها– حيث كانت أوقافها حولها.

كانت أغلب مسميات الشوارع خلال القرن الماضي تنسب إلى قاطنيها أو النشاط المنتشر بها، أما في هذا القرن فقد أصبحت بعض الأسماء لها قيمة معنوية فنجد شارع عمرو بن العاص وشارع المعز لدين الله فاتح مصر، ومؤسس الدولة الفاطمية بها، ثم شارع محمد علي باشا وشارع القائد علي السلانكلي لتخليد اسم حاكم رشيد، كذلك أطلقت أسماء بعض أبطال حروب الحملة الفرنسية مثل شوارع الباسل وزاهر وجلال وهندي وسماحي وغيرهم ولم يُذكر أحد منهم بوثائق الملكيات.

يبدو الإهمال واضحاً تجاه الوكالات التجارية خلال القرن ١٩م، فقد تحولت وكالة الطابونة إلى وكالة لمد الجيش باحتياجاته من الغذاء (الجراية)، وقد كانت تقع بأول شارع سوق السمك من الجهة الشرقية بالقرب من نهر النيل، وتحول اسم شارع سوق السمك إلى شارع الجيش، اختفت وكالة أبو علي وتحولت إلى مخازن يليها حوش الوكالة الذي أصبح أرض فضاء، كما انتقل السجن من مكانه بالقرب من وكالة سليمان باشا إلى قرب نهر النيل حيث يلي طابونة الجيش من جهة النيل، وما لبثت وكالة سليمان باشا أن اختفي ذكرها، وأغلب الظن أنها قسمت وبيعت أماكن وحوانيت، أما وكالة ظاظا فبدأت تتقلص حتى اختفت مع نهاية القرن ١٩م، وكذلك وكالة الحنة ووكالة القبودان التي تبقي منها وحدة سكنية، وفي جزء منه بقي مسجد القبودان (أو مسجد القبطان) وهو علي شارع دهليز الملك، ولم يرد ذكر وكالة الحدادين (وكالة عابدين بيك بالقرن ١٨م) وإنما أشير إلى منطقة الحدادين أو الخراطين.

ومع ذلك ورد ذكر وكالات جديدة بهذا القرن نجد انه من المعتقد عدم تمثيلها للمعنى المعروف عن الوكالة ووظيفتها، فأغلب الظن أنها متاجر كبيرة ملحق بها معاملها مثل:

وكالة الجبن ووكالة معمل الشمع ووكالة العسل.

بلغت شوارع المدينة ٩١ شارعاً ضمت أسواقاً كثيرة تخصص منها عدد غير قليل في بعض التجارات أما بقية الأسواق فهي عامة، ومن الأسواق التخصصية سوق السمك، سوق الغزل، سوق اللحم، سوق الفراخ وسوق البرسيم، وبنفس الشارع سوق القشاشين، ويقع على امتدادهما سوق الحمير، وسوق الغلال، سوق الحطب (سوق النخال سابقاً) حيث شكل جزءاً من امتداد سوق الغلال، كما عاد ذكر سوق اللين، وبقي ذكر سويقة عتمة وسويقة نوارة قائماً غير أن ذكر سويقة عباس اختفى، كما ورد ذكر سوق الديوان، ولم يستدل على مكانه، وقد يوحي اسمه بعدم التخصص في سلعة معينة، إلا انه يعيد إلى الأذهان ذكر "العنبر السلطاني" أو "كرار السلطنة"، فإذا ما اعتبرنا التغيرات السياسية القائمة في ذلك الوقت يمكن الربط بين سوق الديوان وكرار السلطنة التي لم يأتي ذكرها بتلك الفترة، ويظن أنها مخزن لمهمات السلطان، فان صح انه كان مخزناً حكومياً فمن المحتمل أنه تخصص في بيع المهمات في سوق الديوان.

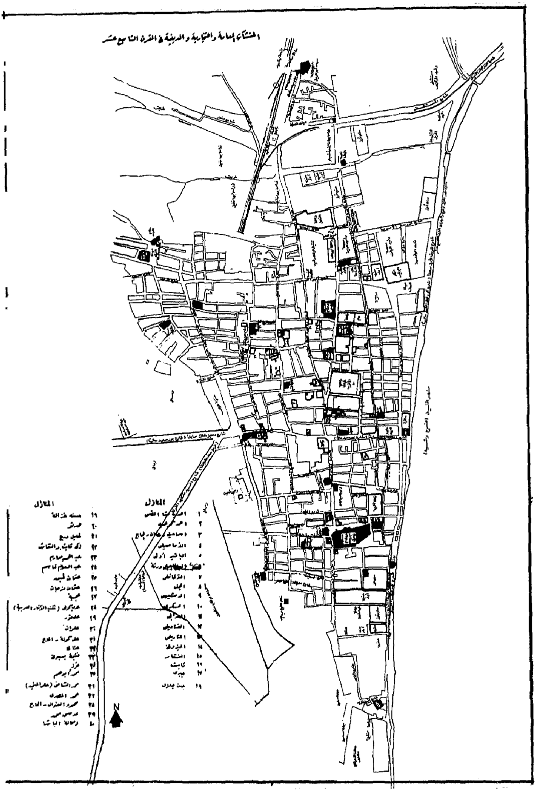
ظلت معظم الشوارع التي اشتهرت بأداء حرفة ما محتفظة بأسمائها وان دخل شيء من التخصص على مسميات الحرف، كما تجزأ الشارع إلى أجزاء تخصصية، فقد كنا نعرف الحدادين وأصبح لدينا الحدادين والخراطين والنحاسين، وهكذا نسمع عن القفاصين، الصنادقيين، الحبالين، وفي جهة أخرى نجد المناخليين، الوزانين، العطارين، السيارجية ثم القماشين والعقادين، وفي جهة الغرب نجد خط الجباسة والقلاشين، وزاد عدد مضارب الأرز بالشمال بالقرب من المرفأ التجاري وبالجنوب حيث اختفي المرفأ الجنوبي بنقل الأرز ومخلفات المضارب، وكانت الأراضي جنوب جامع زغلول مركزاً لتلك المضارب وشق بينهم طريق يصل بين المرفأ والجبانة سمي بشارع المضارب.

في النصف الثاني من القرن ١٩م زادت الفئات والأسماء الأجنبية، ونجد ملكيات بأسماء بعض الفرنسيين، كما يظهر ذكر الكنيسة والجبانة القبطية، والمعتقد أنها لم تلبث أن أحيطت بالعمران حيث كان بالجهة القبلية شمال شرق جبانة المسلمين الكبرى وفي نهاية شارع المضارب، وظهر بالخرائط عدد من الجبانات القبطية خارج عمران المدينة، ويبدو أنها استعملت لدفن مجموعات، وما لبثت أن أهملت، ولم تستعمل فيما بعد، وظلت الجبانة القبلية هى جبانة السكان من الأقباط.

في نهاية القرن ١٩م تنمو المدينة ببطء نحو الجنوب تجاه الجبانة الكبرى، كما تظهر بعض المباني على طريق درب الإسكندرية (أو شارع محمد علي)، هذا وسوف يتواكب

تباطؤ النمو العمراني مع تباطؤ النمو السكاني، وهنا يبدأ أفـــول رشـــيد، التـــي ســـتفقد ومكانتها وأيضاً سكانها لصالح المدينة الصاعدة -عروس البحر المتوسط المجـــددة- إلا أن وردة النيل (روزيتا/ رشيد) لن تذبل كلية، فستظل محتفظة ببقايا رونقـــها وحســـنها حتى الربع الأول من القرن العشرين كما سيظهر من خلال أوصاف الرحالة.

(شكل رقم ١٠، المشآت العامة والتجارية والدينية في القرن التاسع عشر)



منشآت القرن التاسع عشر

١ – المنشآت التجارية

أولاً: الوكالات

١ – وكالة القماشين

كانت هذه الوكالة تقع في الجهة الجنوبية من ثغر رشيد بالقرب من زاوية سيدي عبد الله الصامت *التي تطل على الشارع الأعظم بالقرب من جامع زغلول*" وكانت هذه الوكالة قائمة حتى نهاية القرن ١٣هـ/١٩م، إذ ورد ذكرها عند تحديد مكان آخر في وثيقة مؤرخة في ١١ شوال سنة ١٢٩٢هـ/١٠ نوفمبر ١٨٧٥م[١]، كما جاء ذكرها في نفس الوثيقة باسم وكالة القماش.

٢ – وكالة العسل

كانت هذه الوكالة تقع وسط الثغر بخط القفاصين، وظلت قائمة حتى نهاية القرن ١٣هـ/ ١٩م، يؤكد ذلك ذكرها في عقد شراء أحد الأماكن ضمن حدوده في وثيقة مؤرخة في أول ربيع الآخر سنة ١٢٩٩هـ/١٩ فبراير ١٨٨٨م[٢].

٣ – وكالة الجبن

كانت تقع بالجهة الشمالية من الثغر بخط مسجد الأمير محمد الجندي، يحدها جنوبياً وكالة محمد باشا – القزلار رقم ٥– التي ظلت قائمة حتى فترة قريبة، ويحدها شمالاً مسجد الجندي ووكالة تعرف بالوكالة الوسطانية أو وكالة الكتان، والى الشرق منها مجموعة حوانيت، مما يدل على أن هذا الجزء من الشارع الأعظم كان مركزاً تجارياً هاماً. وقد ظلت هذه الوكالة قائمة حتى نهاية القرن ١٩م، وكانت تتكون من ٢١ حاصلاً يعلوها حواصل أخرى ومساكن للتجار، وقد عثرنا على وثيقة لشراء حصة ٣,٥ قيراط في ملكيتها بمبلغ ٣٥ بنيتو فرنساوي ذهباً[٣]، وبها تفاصيل مكوناتها كالآتي: "(س١٠) ..

---

١ ـ محفوظات، ١٩،٢٦٨،١٨٥-١٨٦.

٢ ـ محفوظات، ٢٨،١٣،٧.

٣ـ نوع من النقد الذهب الفرنسي عرفته مصر اعتباراً من سنة ١٢٦١هـ/١٨٤٥م، وكانت قيمته ٧٧ قرشاً مصرياً و٩٥ قرشاً تركيا. أنستاس الكرملي:النقود العربية، ص١٠٤،١٠٧.

جميع الحصة ../ على الشيوع الشرعي في كامل منفعة الخلو القائم بالوكالة الصغـــرى المعروفة بوكالة الجبن ../ .. المشتملة على بابين يدخل من كل منهما إلى دهليز معقود بالحجر في كل دهليز مسطبتان متقابلتان يتوصل من كل منهما إلى صحــــن الوكالـــة/ المذكورة وعلى بئر ماء معين ومسطبة بها نصبة قهوة وبدائر الوكالة المذكـــورة أحـــد وعشرون حاصلاً فتحت أبواب أربعة منها بالشارع الغربي الآتي ذكره/ فيـــه وجعلـــت حوانيت وبصحن الوكالة المذكورة خمسة مراحيض وثلاث مدارات سلم حجـــر أحمـــر يصعد منها إلى علو الوكالة المذكورة يتوصل من ذلك/ إلى طبـــاق ومســـاكن ومنـــافع ومرافق وحقوق المحصور كامل ما منه ذلك أرضاً وبناء بحدود أربعـــة الحـــد القبلـــي ينتهي إلى شارع صغير فاصل بين/ ذلك وبين الوكالة الجارية في وقـــف المرحـــوم .. محمد باشا .. الشهير بذلك على الحرمين الشريفين .. والحد/ البحري ينتهي من أســـفله إلى الشارع المسلوك المعروف بالقبو وفيه فتح باب صغير للوكالة المذكورة وبعضه من أعلاه إلى الوكالة المعروفة بالوسطانية/ وبوكالة الكتان الجارية في ملك الحرمـــة بنبـــة بنت الحاج عريف أغا الجررلي ابن أحمد والمصونة كلثم بنت عبد الله الأرمجـــي ابـــن خليل وفي الوقف/ على مسجد سيدي علي المحلي ومسجد سيدي أحمد تقه ومسجد النور ومسجد الأمير محمد الجندي المذكور ومسجد سيدي محمد أبي النظر وزاويـــة ســـيدي محمد/ البواب الكائنين بالثغر المرقوم الشهير كل منهم بذلك والحد الشرقي ينتهي بعضه إلى ستة حواصل اثنان منها مـــن الجهة القبلية ملك محمد صالح البرعي/ ابن صـــــالح ابن حسن وثلاثة من الوسط ملك الحاج عبد الله المغربي ابن أحمد ابن عبد القادر وواحد من الجهة البحرية ملك خليل أبي ليمونة/ ابن خليل أيضاً ابن عبد الرحمن وباقيه إلـــــى الشارع المسلوك المعروف بالبنط والحد الغربي ينتهي بعضه من الجهـــة القبليـــة إلـــى الأماكن الجارية/ في وقف المرحوم عبد الله جوربجي طوطمقســـز ابـــن أحمـــد ابـــن مصطفى وفي الوقف على مسجد المرحوم صالح أغا قوش الكائن ببولاق وباقيـــه مـــن الجهة/ البحرية إلى الشارع المسلوك الفاصل بين ذلك وبين مسجد الأمير محمد الجنـــدي المذكور وفيه باب الوكالة الغربي وأبواب الحوانيت المذكورة .." [١].

١ ـ محفوظات،٦٨،٤٣،٢٥، بتاريخ ١٤ رمضان سنة ١٢٩٨هـ/٩ أغسطس ١٨٨١م.

٣ – المنشآت المدنية

١ – منشآت الرعاية الاجتماعية

أولاً – الحمامات

١ – حمام ملكة خاتون

كان يقع بالجهة البحرية من المدينة بخط أولاد الاكديش المعروف بحارة يوسف أغا بالقرب من زاوية أولاد تراب، ورد ذكره في وثيقة حصر تركة خاصة بالسيدة ملكة خاتون البيضاء الجركسية معتوقة وزوجة المرحوم يوسف أغا محافظ المدينة قبل هذا التاريخ، وتصف الوثيقة الحمام والمجموعة المعمارية التي كان يتكون منها وتحيط به كالآتي:

"(ص٢٠س٦) .. جميع المكان الكائن بالثغر المرقوم من جهته البحرية بالخط المعروف قديماً بأولاد الاكديش قريباً من زاوية أولاد تراب/ ويعرف الآن بحارة الحاج يوسف أغا المذكور المشتمل المكان المرقوم على أرض يأتي ذكرها فيه وبناء يشتمل على رصيف (ص٢١) بالشارع القبلي الآتي ذكره فيه يصعد منه إلى باب به خوخة تعرف بالبوابة يدخل منها إلى فسحة مفروشة بالبلاط وعلى صهريج في تخوم الأرض معد لخزن الماء العذب/ من النيل المبارك له باب بالفسحة المذكورة بجانبه باب ثان يدخل منه إلى حوش كبير مفروش أرضه بالبلاط به منضرتان متقابلتان إحداهما بالجهة القبلية/ والثانية بالجهة البحرية بجانبها حمام مشتمل على إيوان جلوس وحرارة معقود عليها قبة بها جامات من الزجاج وعلى حوض من الرخام به بزبوزان من النحاس/ وعلى دست من النحاس لتسخين الماء وعلى ثلاثة حواصل بالوسط منها مرحاض وعلى جنينة بجانب المنضرتين المذكورتين من جهتهما الغربية مفروش ببعض أرضها/ أنشاب ونخيل بلح متمر وغير متمر ويتوصل إلى الجنينة المذكورة من بابين أحدهما بالحوش المذكور وثانيهما بالشارع القبلي الآتي ذكره فيه وبالحوش المذكور بئر ماء معين/ وبالفسحة المذكورة باب يدخل منه إلى عقد سلم يصعد منه إلى وسط دار به إيوان جلوس وبيتان متلاصقان قبلياً وبحرياً وبيت ثالث به خزنة وبوسط الدار/ المذكورة بيارة الصهريج

وبيارة البئر المذكورين وعلى مطبخة بها مرحاضان وعلى عقد سلم يصعد منـــه إلـــى حضير به درابزين من الخشب وبيت كبير تجاهه من جهته/ البحريـــة فسـحة كشـف سماوي وعلى ايوان جلوس بجانبه من جهته الشرقية بيت به خزنة وعلى أوده وحمـام ومرحاض وعلى منافع ومرافق وحقوق المحصور كامل المكان/ المذكور مـع جنينتـه المذكورة بحدود أربعة الحد القبلي والحد البحري والحد الغربي ينتهي كل منـها إلـى شارع مسلوك وفي القبلي منه باب المكان والجنينة/ المذكورين والحد الشرقي ينتهي لما بيد ورثة الحاج علي حراز ثم لما بيد ورثة المرحوم الحاج محمد الادفيني ثم لمـا بيـد ورثة المرحوم الحاج عيسى/ القلوعي قديما والآن إلى مكان ملك الحاج عبد الله برغوث ابن المرحوم الحاج إبراهيم برغوث البواب الشهير بذلك"[١].

٣ – المنازل

١ – مجموعة وقف أحمد أغا العسال

ورد بوثيقة وقف الحاج أحمد أغا الشهير بالعسال ابن فيـض الله ذكـر مجموعـة معمارية فريدة كانت بالجهة الجنوبية الشرقية للمدينة بالقرب من النيل تتكون مـن دار وحواصل وطاحون وحوانيت، ونرجح أن الحمام المذكور هو حمام عزوز الحالي، كمـا نستفيد من هذه الوثيقة في معرفة تخطيط المنطقة المتاخمة لجـامع زغلـول ونوعيـة المباني التي كانت موجودة –ولازال الكثير منها موجودا مع التجديد–، وتصف الوثيقـة هذه المباني كالآتي: "(س١٩) .. *جميع المكان المستجد الإنشاء والعمارة الكائن بـالثغر المرقوم من الجهة الشرقية بالخط/ المعروف بالأمير سليمان أغا البوستانجي والمرحـوم الخواجا محمد عباد الله الرومي المشتمل على أرض وبناء رصيف مبني بالحجر الكدان/ يصعد منه إلى باب مقوصر مبني واجهته بالحجر النحيت مركب عليه بوابة من الخشب النقي بها خوخة يدخل منها إلى فسحة/ مفروشة بالحجر الكدان بها بابان أحدهمـا فتـح بحريا يدخل منه إلى فسحة أيضا بها باب يتوصل منه إلى صهريج في تخـوم الأرض معد/ لخزن الماء العذب به حوض من الحجر به بزبوز من النحاس الأصفـر لشـرب*

---

١ ـ محفوظات،٢٨،٤١،٢٠-٢١، بتاريخ ٢٦ جماد آخر سنة ١٢٩٩هـ/١٤ مايو ١٨٨٢م.

العطاشي مبنية واجهته من الحجر النحيت ويتوصل/ من الباب المذكور أيضا إلى عقد سلم يتوصل منه إلى وسط الدار الآتي ذكره وسفل عقد السلم المذكور حاصل لطيف والباب الثاني/ فتح غربيا يدخل منه إلى حوش مفروش أرضه بالحجر النحيت الكدان بعضه مركب عليه مكعب من الخشب القبلية مسقف قائم السقف/ المذكور على عمود من الحجر الرخام كائن بالحوش المذكور وباقيه من الجهة البحرية كشف سماوي مركب عليه مكعب من الخشب بأخر الحوش/ من الجهة البحرية جنينة مشتملة على أرض رمل وأنشاب نخيل بلح متمر وغير متمر وأشجار متنوعة الأصناف وبالجنينة المذكورة/ من جهتها الشرقية حوض معد لوضع الماء فيه يسقي الجنينة المذكورة الجاري الماء إلى الحوض المذكور من ساقية الحمام الآتي ذكره فيه/ وبالحوش منضرتان متقابلتان إحداهما كبيرة من الجهة الغربية فتح بابها شرقيا بها خزنة لطيفة والمنضرة الثانية لطيفة من/ الجهة الشرقية فتح بابها غربيا بها خزنة لطيفة أيضا وحنفية وبجانب باب المنضرة الشرقية من جهتها القبلية حاصل لطيف/ بجانبه من الجهة القبلية حنفية وبالحوش أيضا منضرة ثالثة من الجهة القبلية فتح بابها بحريا بجانبها من جهتها الشرقية حاصل/ كبير بجانبه من جهته البحرية باب يدخل منه إلى فسحة مفروشة بالبلاط بها مرحاضان متلاصقان وبها أيضا باب سلوك/ يدخل منه إلى حوش الدايرة الآتي ذكرها فيه وقائم شباك المنضرة الشرقية الكبير المطل على الجنينة المذكورة على عمود من الحجر/ الرخام الأبيض وبجانب المنضرة القبلية من جهتها الغربية باب يدخل منه إلى عقد سلم يصعد منه ومن عقد السلم المذكور أولا/ أعلاه النافذ أحدهما إلى الآخر إلى وسط الدار الموعود بذكره أعلاه كائن بوسط الدار المذكور ثلاثة بيوت أحدها كبير/ علو المنضرة الغربية فتح بابه شرقيا به خزنة لطيفة من الجهة القبلية وروشن من الجهة البحرية مطل على الجنينة وثانيها صغير/ علو المنضرة الغربية فتح بابه قبليا بجانبه من الجهة الشرقية باب يدخل منه إلى فسحة لطيفة بها مرحاض ومجاز مستطيل يتوصل منه/ إلى حمام به دست من النحاس وحنفية وإيوان جلوس من الجهة البحرية مطل على الجنينة المذكورة والبيت الثالث فتح بابه شرقيا/ به خزنة من الجهة البحرية بجانبه المذكور إيوان جلوس وبوسط الدار المذكور أيضا تخانة وبيت كلار وبيت ثان للعجين/

ومطبخة بها مرحاض بجانبها بيارة لنقل الماء من الصهريج المذكور وعقد سلم ثـــالث يصعد منه إلى حضير مستدير عليه دربزين من/ الخشب النقي به بيت كبير فتح بابـــه غربياً بجانبه من جهته الغربية خزنة لطيفة بجانبها تخانة بها فرن للخبـــيز ومرحـــاض وعقد سلم/ يصعد منه إلى غرفة لطيفة علو تخانة الفرن ويتوصل من الحضير المذكـور إلى أسطحة البيوت ومفروش بالجنينة ثلاث عنبات أغصانها/ مطروحة على المكعـــب الذي بالحوش وعلى منافع وحقوق المحصور كامل ذلك بحدود أربعة القبلي إلى الشارع المسلوك الفاصل/ بين ذلك وبين الأنبار السلطاني والبحري بعضه من الجهـة الغربيـة إلى شارع مسلوك وتتمته من الشرقية إلى الربع وإلى حوائط/ الحمـــام الآتـي ذكـره والشرقي لما هو جار في وقف المرحوم سليمان أغا البوستانجي وفيـــه بـــاب الســـلوك المذكور والغربي إلى الشارع/ الفاصل بين ذلك وبين جنينة الحمام الجاري فـــي وقـــف المرحوم محمد عبيد الله الرومي المذكور وفيه الرصيف وباب البوابة/ وبزبوز الحوض .. (س٤٩) .. وجميع الحاصلين الملاصقين للمكان المذكـــور/ مـــن جهتـــه الشـــرقية المتلاصقين شرقياً وغربياً المستجدي الإنشاء المجعول أحدهمـــا وهـــو الشـــرقي الآن طاحوناً صغيرة كاملة العدة/ والآلة وثانيهما وهو الغربي الملاصق للمكان المذكـور أولاً معد لخزن التبن وغيره المحصور كاملهما بحدود أربعة القبلي/ إلى الشارع الفاصل بين ذلك وبين الأنبار السلطاني المذكور والبحري إلى القطعة الأرض البراح المقيس منـــها الأربعة أذرع/ بذراع البناء التابعة الأربعة أذرع المذكورة لأرض الحاصلين المعروفـة القطعة الأرض بالشونة المعروف أصلها بالمنشر والشرقي إلى/ الطاحون الكبير الآتـي ذكرها فيه والغربي إلى المكان الآتي ذكره فيه ../ .. وجميع الطاحون الكبيرة الموعـود بذكرها المشتملة على أرض وبناء/ طاحون فرد فارسي كاملة العدة والآلة مـــن حجـر وعجلة وقاعدة هرميس وقوس وقادوس وسهم وجايزة يدخل إلى الطاحون مـــن بـــاب/ بالشارع القبلي الآتي ذكره فيه يصعد إليه من رصيف مبني بالحجر وحاصل يدخل إليـه من بابين أحدهما بالشارع القبلي الآتي ذكره/ والأخر بداخل الطاحون بجانبه حاصل ثان بجانبه عقد سلم يصعد منه إلى طبقتين وعلى دار دواب وطوالة وحوض لسقي البـهائم/ ومرحاض وعلى منافع المحصور كامل ذلك أرضا وبناء بحدود أربعـــة القبلـــي إلـــى

الشارع المسلوك الفاصل بين ذلك وبين/ الأنبار السلطاني وفيه باب الطـــاحون وبــاب الحاصل والرصيف المذكور والبحري إلى بقية أرض المنشر وفيه بــــاب دار الـــدواب والشرقي/ من الجهة القبلية إلى المكان المعروف بالمرحوم محمد جوربجي هيكل قديمـــا الجاري الآن في ملك الشريف إبراهيم الاسبرطلي وباقيه من/ الجهة البحرية إلــى أرض المنشر المذكور والغربي إلى الطاحون الصغيرة المذكور آنفـــا .. (س٦٤) .. وجميـــع الحصة التي قدرها الربع/ ستة قراريط .. شائعا ذلك في كامل المكان الكائن بالثغر مـن الجهة الشرقية المشتمل على أرض وبناء حمام معـــــروف/ بــالمرحوم ســليمان أغــا البوستانجي المشتمل على طيارة من الخشب يدخل منها إلى باب يتوصل منه إلى مسلخ بوسطه فسقية وأربعة أواوين/ وباب حرارة يدخل منه إلى مجاز به مرحاضان وحنفيـــة معدة لاستعمال النورة ويتوصل من المجاز المذكور إلى دهليز يعبر/ عنـــه ببيــت أول ومنه إلى دهليز آخر يعبر عنه ببيت ثان ومنه إلى الحرارة المذكورة بوســـطها فســقية وأربعة أواوين وثلاثة/ مغاطس وأربع حنفيات مفروشة أرض ذلك كله بالرخام الملـــون ودبكونية وقدور ومجاري ماء من الرصاص وبئر/ ساقية ومنشر قش ومتبن وحـــاصل للقش وزربية للبهائم وحاصل للحمير وحاصل للقصرمل وعلى دار علو الحمام المذكور كانت/ مشتملة على مساكن وانهدمت الآن وعلى حنفية مجاورة للحمام من جهته الشرقية وما لذلك كله من المنافع المجاورة للحمام من الجهة القبلية/ وظاهر الحواصل بالشـــارع المسلوك الفاصل بين ذلك وبين وقف المرحوم/ علي باشا وفي الشارع المذكور الطيارة والسباط الذي علوها المنتفع به في الدار المذكورة وعقـــد ســلمها وبـــاب الدبكونيـــة/ المذكورة ومن الجهة الشرقية للشارع المسلوك أيضا الفاصل بين ذلك وبيـــــن الجنينـــة المذكورة ومن الجهة الغربية إلى الربع الجاري/ في وقف ســـليمان أغـــا البوســـتانجي المذكور والمجاور منشر القش المذكور من الجهة القبلية إلى الطاحون الكبيرة المســتجدة الإنشاء/ المذكورة ومن الجهة البحرية للحمام المذكور ومن الجهة الشـــرقية للحـــانوتين الجاريين الآن في استحقاق مستحقيهما شرعا والى قطعة/ أرض بظاهر الحوانيت جارية في وقف عبد الله جوربجي والى حوانيت المرحوم أحمد كنان وحوانيت قهوة مصطفـــــي جوربجي/ القصاب وفي هذا الحد الاستطراق المتوصل منه إلى منشر القش ولأمــــاكن

جارية في الوقف سليمان أغا البوستانجي/ المذكور ومن الجهة الغربية إلى ظهر حواصل الأرز المعروفة بالعيدان الجارية في وقف سليمان أغا البوستانجي المذكور ولذلك/ شهرة في محله تدل عليه وحدود أربعة ترشد إليه .. (س١٠١) .. وجميع المكان الكائن قبلي الثغر من شرقيه المشتمل على أرض قيسها مقبلا مبحرا ثلاثة عشر/ ذراعا بذراع البناء وبناء يشتمل على حاصلين وأربعة حوانيت متلاصقة قبليا وبحريا المحصور كامل ذلك بحدود أربعة القبلي إلى ما هو جار في وقف/ محمد أفندي مؤمن زاده والبحري لشارع لطيف كان مسلوكا وسد الآن والشرقي بعضه إلى الحانوت المستجد الإنشاء الآتي ذكره وتتمته إلى بحر النيل/ المبارك والغربي إلى الشارع المسلوك الفاصل بين ذلك وبين المكان الآتي ذكره أخرا وجميع الحانوت المستجد الإنشاء الموعود بذكره بشاطئ بحر النيل/ المبارك تجاه الحاصلين المذكورين آنفا الذي كان معد لقلي السمك المحصور كامله بحدود أربعة الحد القبلي إلى القطعة الأرض الجارية في استحقاق الحرمة كريمة/ بنت المرحوم .. (بياض في الأصل) والبحري إلى بقية الأرض الجارية في استحقاق الواقف المذكور والشرقي إلى بحر النيل المبارك والغربي إلى الشارع المستخرج من أصل الأرض/ الفاصل بين ذلك وبين الحاصلين المذكورين آنفا أعلاه وجميع الحصة التي قدرها النصف .. شائعا ذلك في كامل المكان/ المعروف ببيت القهوى الموعود بذكره المشتمل على أرض وبناء خمسة حواصل وثلاثة حوانيت متلاصقة قبليا وبحريا المحصور كامل ذلك بحدود أربعة/ القبلي إلى شارع لطيف فاصل بين ذلك وبين الوكالة الصغرى الجارية في وقف محمد أفندي مؤمن زاده والبحري إلى شارع مسلوك بين ذلك وبين ما/ هو جار في وقف سليمان أفندي والشرقي إلى الطريق العام الفاصل بين ذلك وبين الحاصلين والحوانيت المذكورة والغربي إلى شارع مسلوك .."[1].

١ – وثيقة رقم٣٠٣٥-أوقاف، بتاريخ ١٥ شوال سنة ١٢٢٩هـ/٣٠ سبتمبر ١٨١٤م.

٢ – دور وقف صالحة خاتون

جاء ذكرها في وثيقة وقف الست صالحة المدعوة صلوحة خاتون بنـــت مصطفـــي شوربجي العسال ضمن ٢١ مكانا بمناطق متفرقة من المدينة، وهي من الوثائق الهامـــة في معرفة تخطيط مدينة رشيد في القرن ١٩م، حيث تشير إلى فتح شوارع جديدة علـــى حساب المباني المتهدمة وأراضي الأوقاف، كما نستشف منها حالة المباني المتدهورة في هذه المدينة في هذا الوقت، وتصفهم الوثيقة كالآتي: "(س٥٤) .. *جميـــع بنـــاء المكـــان الكائن/ شرقي الثغر المرقوم المشتمل على صهريج في تخوم الأرض معد لخزن المـــاء العذب من النيل المبارك وحاصل لطيف فتح باب/ كل منهما غربيا وعلى شادر كبـــير فتح بابه شرقيا وعلى دارين علو ذلك شرقية وغربية يتوصل إلى الشرقية منـــهما مـــن باب/ فتح شرقيا بجانب باب الشادر المذكور من الجهة البحرية والى الغربية من بـــاب فتح غربيا به طيارة من الخشب/ تشتمل كل دار منهما على عقد سلم يصعد منـــه إلـــى ميدان به إيوان جلوس وخزنة ودهليز من داخله خزنة ثانية/ وعلى مرحاض بـــالميدان المذكور وعلى عقد سلم ثان يصعد منه إلى وسط دار به بيت به خزنة وســـندرة مـــن الخشب النقي/ وإيوان جلوس وخزنة ثانية بوسط الدار المذكورة ومطبخـــة ومرحـــاض وعلى عقد سلم ثالث يصعد منه إلى ثلاث غرف/ وحمام ومرحاض وعلى عقـــد ســـلم رابع يصعد منه إلى حضير به كشك وعلى منافع ومرافق وحقوق القـــائم ذلـــك علـــى قطعة/ أرض معـــروفة بمجـــراة الحمام الجاري في وقف المرحوم محمـــد عبـــاد الله الرومي محتكرة لجهة وقفه المرقوم المحصور ذلك بناء/ وأرضا بحدود أربعـــة الحـــد القبلي ينتهي إلى أرض الأنبار المعروف بحاصل السلطان الفاصلة بيـــن ذلـــك وبيـــن/ الأماكن والوكالة المعروفة بعابدين بيك والحد البحري ينتهي إلـــــى الأرض المعروفـــة بالمرحوم سليمان البوستانجي/ القائم عليها الآن بناء حوانيت وشادر كبير بيـــد ورثـــة المرحوم الحاج أحمد الحمامي الخشاب والحد الشرقي ينتهي إلى/ شارع مستخرج مـــن الأرض قيسه مشرقا مغربا ثمانية أذرع بذراع البناء المعتاد فاصل بيـــن ذلـــك وبيـــن القطعة/ الأرض المعروفة بالشرقية وهي باقي أرض المجراة المذكورة والحد الغربـــي ينتهي إلى شارع مستخرج من أصل الأرض المذكورة/ قيسه مشرقا مغربا ثمانيـــة أذرع*

بالذراع المذكور فاصل بين ذلك وبين باقي أرض مجراة الحمام المذكور .. (س٧١) .. وجميع ما بقى من بناء الدار الشرقية من الدارين المتلاصقتين شرقيا/ وغربيا الكـــائنتين شرقي الثغر قريبا من وكالة المرحوم عابدين بيك المشتمل ما بقى من بناء الدار الشرقية المذكور على حوش/ كشف سماوي به حوائط مستديرة فتح بابه شرقيا القائم ذلك علـــى قطعة أرض محتكرة من جملة الأراضي الجارية في وقف المرحوم/ محمـــد عبـــاد الله الرومي المذكور المحصور ذلك بناء وأرضا بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلـــى أرض الأنبار المذكور/ والحد البحري ينتهي الآن إلى المكان الآتي ذكره فيه والحد الشـــرقي ينتهي إلى الطريق المستخرجة من أصل الأرض/ الآتي ذكرها فيه والحد الغربي ينتـهي الآن إلى أرض الدار الغربية من الدارين المذكورتين التي انهدم بناؤها الآن .. (س٨٤) .. وجميع الحصة/ التي قدرها الثلث والثمن ../ .. شائعا ذلك في/ كامل المكان المتـهدم الكائن شرقي الثغر بشاطئ بحر النيل المبارك المشتمل المكان المرقـــوم علـــى أرض وبناء وهـــو الموعود بذكره/ أعلاه يشتمل البناء المرقوم الآن على صهريج في تخـــوم الأرض ومعالم دهليز وباب كبير به بوابة يدخل منه إلى فسحة وعلى منافع/ وحقـــوق المحصور ذلك أرضا وبناء بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى الحوش المذكور ثانيـــا أعلاه والحد/ البحري ينتهي إلى الحاصل الجاري في وقف المرحـــوم الحـــاج أحمـــد الحمامي والحد الشرقي ينتهي إلى بحر النيل المبارك والحد/ الغربي ينتهي إلى الطريـق الفاصل بين ذلك وبين الشادر الكبير المعروف بسكن المرحوم الحاج أحمـــد الحمـــامي المذكور .. (س١١٧) .. وجميع الحصة التي قدرها النصف ../ .. شائعا ذلك في كامل المكان الخرب المعروف أصله بالدار الصغيرة/ الكائنة قبلي الثغر من شرقيه المشـــتمل المكان المرقوم الآن على أرض وبناء حوائط مستديرة وعلى منافع وحقوق المحصـــور كامل/ ذلك أرضا وبناء بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى الشارع المستخرج من أصل الأرض الحاملة لذلك المتوصل سالكه مشرقا/ إلى بحر النيل المبارك والحـــد البحـــري ينتهي إلى سلوك لطيف من حقوق المكان المرقوم فاصل بيـــن ذلـــك وبيـــن القـــهوى المعروفة/ بعابدين بيك والحد الشرقي ينتهي إلى المكان الخرب الآتي ذكره فيه والحـــد الغربي ينتهي إلى الوكالة المعروفة بالمرحوم الحاج حمـــزة .. (س٢١٣) .. وجميـــع

المكان الكائن بحري الثغر بخط درب الادفيني المشتمل المكان المرقــوم علــى أرض وبناء صهريج عاطل وعقد/ سلم عليه دربزين من الخشب بأسفله قاعة يصعد منه إلــى باب يدخل منه إلى دهليز به تخانة ومرحاض وعقد سلم ثان يصعد/ منه إلى وسـط دار به تخانة ومطبخة ومرحاض وعقد سلم ثالث يصعد منه إلى حضير به بيت تجاهه غرفة وعلى منافع وحقوق/ المحصور بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي الآن لمــا بيــد الحــاج حسين الشربتلي ومن يشركه والحد البحري ينتهي إلى/ المكان الآتي ذكره بعـــد هــذا المكان فيه والحد الشرقي ينتهي لما بيد ورثة المرحوم حسين بــدر الغيطــاني والحــد الغربي ينتهي/ إلى الشارع المسلوك وفيه عقد سلم المكــان وبــاب كــل مــن القاعــة والصهريج وجميع المكان الموعود بذكره آنفا أعلاه/ الكائن بالخط المذكــور المشــتمل على أرض وبناء دارين سفلية وعلوية تشتمل السفلية على قاعتين وبــئر مــاء معيــن وغرفة/ وتشتمل العلوية على رصيف يصعد منه إلى بوابة يدخل منها إلى عقــد سـلم يتوصل منه إلى ميدان به دهليز تجاهه مطبخة بها/ مرحاض وعقد سلم يصعد منه إلــى وسط دار به تخانة تجاهها مطبخة بها مرحاض وعقد سلم يصعد منه إلى حضــير بــه بيت تجاهه/ غرفة بجانبها مرحاض وسفل الدار العلوية قاعة وعلــى منــافع ومرافــق وحقوق المحصور ذلك أرضا وبناء بحدود/ أربعة الحد القبلي ينتهي إلى المكان المذكور آنفا أعلاه والحد البحري ينتهي إلى المكان الآتي ذكره فيه بعد هــذا المكــان/ والحــد الشرقي ينتهي لما بيد شحاته الطحان والحد الغربي ينتهي إلى الشارع المســلوك وفيــه الأبواب .. (س٢٢٨) .. وجميع المكان الموعود بذكره أعلاه آنفا المشتمل علــى أرض وبناء باب يدخل منه إلى مجاز يتوصل منه إلى فسحة/ بها ثلاث قاعــات ومرحــاض وعقد سلم يصعد منه إلى حضير به بيتان من الجهة الغربية تجاههما غرفتــان وعلــى منافع وحقوق المحصور/ ذلك بحدود أربعة الحد القبلي ينتــهي إلــى قاعــة الحصــر المذكورة آنفا أعلاه والحد البحري ينتهي لما بيد محمد الكعكي الزيات/ والحد الشــرقي ينتهي لما بيد السيد أحمد شمس الخواص المذكور والحد الغربي ينتهي إلــى الشــارع المسلوك وجميع المكانين/ المتلاصقين شرقيا وغربيا الكــائنين بخــط درب الادفينــي المذكور المشتمل كل منهما على مساكن علوية وسفلية وبأسفل الشرقي/ منهما صــهريج

في تخوم الأرض معد لخزن الماء العذب من النيل المبارك وعلى منافع ومرافق وحقوق المحصور كاملهما أرضا وبناء/ بحدود أربعة الحد القبلي ينتهي لما بيد محمد الكعكي المذكور بعضه وباقيه لما بيد مستحقه شرعا والحد البحري والحد/ الشرقي ينتهي كل منهما إلى شارع مسلوك والحد الغربي ينتهي لما بيد ورثة المرحوم الحاج أحمد النقاش في الطواحين .."[1].

٣ – منزل ملكة خاتون البيضاء

كان بالجهة الشمالية من المدينة، جاء ذكره في وثيقة إثبات تركة الست ملكة خاتون البيضاء الجركسية بنت عبد الله معتوقة الحاج يوسف أغا محافظ الثغر سابقا ابن المرحوم محمد زيته زاده، ووصفته الوثيقة بأنه:

"(ص٢٠س٦) .. *جميع المكان الكائن بالثغر المرقوم من جهته البحرية بالخط المعروف قديما بأولاد الاكديش قريبا من زاوية أولاد تراب/ ويعرف الآن بحارة الحاج يوسف أغا المذكور المشتمل المكان المرقوم على أرض يأتي ذكرها فيه وبناء يشتمل على رصيف* (ص٢١) *بالشارع القبلي الآتي ذكره فيه يصعد منه إلى باب خوخة تعرف بالبوابة يدخل منها إلى فسحة مفروشة بالبلاط وعلى صهريج في تخوم الأرض معد لخزن الماء العذب/ من النيل المبارك له باب بالفسحة المذكورة بجانبه باب ثان يدخل منه إلى حوش كبير مفروش أرضه بالبلاط به منضرتان متقابلتان إحداهما بالجهة القبلية/ والثانية بالجهة البحرية بجانبها حمام مشتمل على إيوان جلوس وحرارة معقود عليها قبة بها جامات من الزجاج وعلى حوض من الرخام به بزبوزان من النحاس/ وعلى دست من النحاس لتسخين الماء وعلى ثلاثة حواصل بالوسط منها مرحاض وعلى جنينة بجانب المنضرتين المذكورتين من جهتهما الغربية مفروش ببعض أرضها/ أنشاب ونخيل بلح متمر وغير متمر ويتوصل إلى الجنينة المذكورة من بابين أحدهما بالحوش المذكور وثانيهما بالشارع القبلي الآتي ذكره فيه وبالحوش المذكور بئر ماء معين/ وبالفسحة المذكورة باب يدخل منه إلى عقد سلم يصعد منه إلى وسط دار به إيوان جلوس وبيتان متلاصقان قبليا وبحريا وبيت ثالث به خزنة وبوسط الدار/ المذكورة بيارة الصهريج*

---

[1] – وثيقة رقم٣٠٩١–أوقاف، بتاريخ ١٥ ذي القعدة سنة ١٢٢٩هـ/٢٩ أكتوبر ١٨١٤م.

وبيارة البئر المذكورين وعلى مطبخة بها مرحاضان وعلى عقد سلم يصعد منـــه إلـــى حضير به درابزين من الخشب وبيت كبير تجاهه من جهته/ البحريـــة فســحة كشــف سماوي وعلى إيوان جلوس بجانبه من جهته الشرقية بيت به خزنة وعلى أوده وحمـــام ومرحاض وعلى منافع ومرافق وحقوق المحصور كامل المكان/ المذكور مـــع جنينتــه المذكورة بحدود أربعة الحد القبلي والحد البحري والحد الغربي ينتهي كل منـــها إلـــى شارع مسلوك وفي القبلي منها باب المكان والجنينة/ المذكورين والحد الشرقي ينتـــهي لما بيد ورثة الحاج علي حراز ثم لما بيد ورثة المرحوم الحاج محمد الادفيني ثم لما بيد ورثة المرحوم الحاج عيسى/ القلوعي قديما والآن إلى مكان ملك الحاج عبد الله برغوث ابن المرحوم الحاج إبراهيم برغوث البواب .."[١].

المنازل الباقية من القرن التاسع عشر

١ – منزل عثمان آلا الأمصيلي ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م

ينسـب إلـى البكباشـي عثمـان أغـا الطوبجـي الأمـاصيلي، أنشـئ سـنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م[٢]، يقع بشارع الأمصيلي، له واجهتين شـمالية –وهـي الرئيسـية– وغربية، ويشترك في مع الواجهة الرئيسية لمنزل حسيبة غزال وطاحون أبو شـاهين، وقد ارتد مهندس المنزل في الطابقين الأول والثاني بالواجهة الشمالية في الجزء الشرقي مراعيا لفتحات الشبابيك الغربية لبيت حسيبة غزل[٣]، مما يدل على أن مـنزل حسـيبة غزال أقدم في البناء.

يتكون هذا المنزل من ثلاثة طوابق وله بابين أحدهما يتوسط الواجهة الشـمالية وهـو الرئيسي، والأخر بالواجهة الغربية ويؤدي إلى إسطبل المنزل. والمدخل الرئيسي عبـارة عن دخلة مستطيلة يتوجها عقد ويتوسطها ضلفة باب من الخشب يتوسطها خوخـة، وقـد زخرف عقد البوابة بزخارف هندسية في الطوب المنجور، عبارة عـن أشـكال نجمية ودوائر، وعلى جانبي عتب الباب مربعات بالخط الكوفي المربع نصها "محمد رسول الله".

١ – محفوظات،٢٨،٤٠،٢٠–٢١ ، بتاريخ ٢٦ جماد آخر سنة ١٢٩٩هـ/١٤ مايو ١٨٨٢م.

٢ – زيتون: اقليم البحيرة، ص١٣٨.

٣ –عزب: فقه العمارة الإسلامية، ص٧٤.

يتوصل من الباب الرئيسي إلى دركاة بها إلى الشرق باب يؤدي إلى سلم الطوابـــق العليا، وإلى الغرب شباكين لقاعة الاستقبال، وإلى الجنوب باب يؤدي إلى قاعة كبـــيرة يلتف حولها من الجهتين الغربية والجنوبية دكه من الخشب، وبالجزء الشمالي الغربـــي نجد حجرة الاستقبال الرئيسية تفتح على القاعة بثلاثة عقود يغشيها حجاب من الخشـــب المنجور ويتوسطها باب من نفس الخشب، وسقف القاعة مزخرف بالأطبـــاق النجميـــة بطريقة السدايب الخشبية ويتوسطه صرة متعددة الأضلاع ينزل منها شكل مخروطـــي مزخرف بالسدايب الخشبية أيضا، ونلاحظ هنا أن هذا المنزل يحتـــوي علـــى أمـــاكن للاستقبال بدلا من الوكالة أو الشادر، وذلك لطبيعة عمل صاحب المنزل الـــذي يعمـــل بالجيش وليس تاجرا.

يصعد من سلم المنزل إلى الطابق الثاني، يتوسطه وسط دار وبالجهة الغربية منـــه مقعد به مصطبة من الخشب، وإلى الشمال القاعة الرئيسية التي تتمـــيز بجمـــال دولاب الأغاني، حيث تتكون ضلفه وأجزائه من حشوات خشبية مطعمة بالعاج والصدف، كذلك نجد بالركن الشمالي الغربي شباك له حجاب من الخشب الخرط جعل الصـــانع بـــأعلاه قطعة فنية، حيث كون بالخشب الميموني شكل مشكاة. وبالجهة الجنوبية الغربيـــة مـــن وسط الدار قاعة أخرى أتقن الصانع فيها الزخارف الخشبية المطعمة بالعاج والصـــدف، وملحق بتلك القاعة خزانة نومية[1].

يصعد بعد ذلك من سلم المنزل إلى الطابق الثالث وهو بنفـــس التخطيـــط، إلا انـــه يحتوي على قاعتين بالجهة الشمالية أعلى القاعة الرئيسية بالطابق الثاني، ويعلـــو ذلـــك السطح.

٢ – منزل حسيبة غزال

يرجع هذا المنزل إلى القرن ١٢هـ/١٨م بالرغم من ارجاع هيئة الآثار تاريخه إلى سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م مع منزل الأمصيلي، وذكـــر أنـــه خصصـــه لخـــدم مـــنزل الأمصيلي[2]، حيث أنه بني قبل منزل الأمصيلي لمراعاة المهندس للفتحات الغربية لـــهذا البيت بالطابقين الأول والثاني[3].

---

١ – عزب: فقه العمارة الإسلامية، ص٨٤.

٢ – هيئة الآثار المصرية:آثار رشيد.

٣ – عزب: فقه العمارة الإسلامية، ص٧٤.

يطل المنزل بواجهة شمالية على شارع الأمصيلي مشتركا مع منزل الأمصيلي فـــي واجهة واحدة، ويتكون من ثلاث طوابق. يدخل من الباب الرئيسي إلى دركاه إلى الشرق منها سلم الصعود لباقي المنزل، وإلى الغرب نجد باب يؤدي إلى حجرة الســـبيل الـــذي يطل على الواجهة الشمالية بشباك مغشى بمصبعات حديدية، وإلى الجنوب باب يـــؤدي إلى مخازن وإلى ملحقات طاحون أبو شاهين، ويوجد سلم يؤدي إلى حجرة صغيرة.

يصعد من السلم إلى الطابقين الثاني والثالث، ويلاحظ في قاعاتهم بساطة التصميـــم وعدم احتوائهما على دواليب أغاني كباقي منازل رشيد، واكتفى المهندس بعمل دواليـــب حائطية، ويرتبط المنزل بمنزل الأمصيلي عن طريق باب. ربما لبساطة تصميم المـــنزل وارتباطه مع منزل الأمصيلي ظهر رأي أنه كان مخصص لخدم الأمصيلي.

رشيد القرن التاسع عشر في عيون الرحالة الأجانب

قام الرحالة De Vaujany الذي زار مصر السفلى والعليا في نهاية القرن ١٩م، بعقد مقارنة بين رشيد والإسكندرية.

- **عن الإسكندرية**

"عند قدوم الحملة الفرنسية كان مظهرها فقير، كانت مبانيها رديئة التشييد تفتقر إلى النظام، وشوارعها غير مسفلتة. وقد قدر عدد سكانها بثمانية آلاف ساكن بالإضافة إلى الحامية التركية. وعلى الرغم من كونها مدينة تجارية -منافسة بذلك دمياط ورشيد الواقعتين عند التقاء النيل بالبحر، فقد كانت تتميز عن هاتين المدينتين بوجود منارها الفريد على البحر الوحيد على طول هذا الساحل الأوسطي. وبعد ٥ سنوات من رحيل الحملة انخفض عدد سكان الإسكندرية إلى ٥ آلاف ساكن".

- **عن رشيد**

"روزيت -بالعربية رشيد- توجد في نهاية خط السكة الحديد الذي يصلها بالإسكندرية، وهي تحتل نفس الموقع الذي تحتله دمياط -أي عند التقاء النيل بالبحر على الضفة الغربية لهذا الأخير- على فرع رشيد".

"وفي فترة لا نستطيع أن نحددها بدقة اجتاحت الرمال رشيد وأجبرتها على الانتقال من الجنوب للشمال، وظلت جوامع الوالي العباسي وأبو مندور في أماكنهم عند موقع المدينة القديمة".

"ومنذ حوالي قرن كان ميناء رشيد أكثر حيوية وأكثر نشاطاً من ميناء الإسكندرية، وقد قدر عدد سكانها بـ ٣٠,٠٠٠ ساكن، هبط الآن إلى ١٩٥٠٠، وكانت تجارتها رائجة، أصابها التدهور نتيجة لصعود غريمتها، وعلى الرغم من هذا التدهور فان رشيد تعتبر أكبر مدن الأرز في مصر، فمضارب الأرز الشاسعة تقوم بإعداده، كما أن الشوارع وأرصفة الميناء والمراكب تتكدس فيها أجولة الأرز".

"أما حدائق رشيد -ذائعة الصيت- فهي توجد جنوب المدينة على ضفتي النيل، وقد كانت في الماضي رائعة التنسيق ويضرب بها المثل، ففي وسط أشجار الموز والمشمش والليمون وكل أشجار فاكهة البلاد الحارة -التي كانت تملأ المكان بروائحها الذكية-

وتلقي بظلالها الوافرة طوال العام، نجد أنواع لا تحصى من الزهور والنباتات ينبعث منها عطر شذي". "وهذه الحدائق مازالت موجودة جزئياً حتى يومنا هذا، إلا أن يد الإهمال امتدت إليها ففقدت رونقها ولم تعد إلى ما كانت عليه منذ عشرة أعوام".

"والمدينة تحوطها أسوار قديمة، إلا أن تلك الأسوار فقدت وظيفتها الدفاعية. أما أرصفة الميناء فإنها تنقصها الألوان المحلية، لكن الشوارع تتميز بطابع فريد، فالمشربيات الرائعة التي تزين واجهات المنازل ذات طابع شرقي يثير الإعجاب".

لقد وجدنا في رشيد الكثير من العناصر المعمارية القديمة التي أعيد استعمالها في المنازل القائمة، فلا يخلو جناح أو منزل من الأعمدة الرخامية أو الجرانيتية القديمة ذات الوظيفة الإنشائية، إلا أن تلك الأعمدة وضعت بشكل عفوي، وأحياناً تكون تيجانها مقلوبة".

لقد كان لجامع زغلول الذي يحتل المنطقة المركزية للمدينة نفس أهمية الجامع الأزهر في القاهرة وجامع سيدي البدوي في طنطا، إلا انه هجر لصالح جامع المحلي الكائن في الشمال بجوار السكة الحديد، وهذا الجامع ترجع أهميته لكونه يحتوي على رفات الشيخ علي المحلي، الذي يتمتع بمكانة عالية عند المسلمين، حيث يحجون إليه ليلة المعراج. والعنصر المعماري المميز في هذا الجامع هي الميضاءة، فنسب هذا المبنى تفوق العادة. وفي وسط المدينة توجد مئذنة سيدي الجندي التي تمثل بؤرة بصرية هامة وتثير الانتباه. وهناك أيضاً جامعان آخران هما جامع العباسي وجامع البواب وقد تركا لمصيرهما، وهما يكملان قائمة جوامع رشيد التي تستحق الزيارة".

"وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات من المدينة نجد قلعة بجانب جامع أبو منــدور، وهذا المكان يرتاده سكان المدينة للنزهة خاصة يومي الخميس والجمعة، وكل عام يقام مولد يرتاده حوالي ٣,٠٠٠ شخصاً".

أما حجر رشيد الشهير -الذي أتاح فك رموز اللغة المصرية القديمة- فقد تم العثور عليه عام ١٧٩٨ بواسطة مهندسي الحملة عندما كانوا يقومون بالتنقيب في قلعة قايتباي على بعد ٤,٥ كم شمال المدينة"[١].

أما Breccia Evaristo فيشير إلى احتفاظ رشيد بمكانتها الاقتصادية على الرغم من تدهور تجارتها العالمية:

---

١ - De Vaujany, Alexandrie et la Basse Egypte , Paris 1890, p.210,212, 213,214.

"كان موقع المدينة القديمة جنوب رشيد الحالية بطول النيل وحتى جامع أبو منـــدور، ويقدر عدد سكان رشيد حالياً بـــ ١٥,٠٠٠ ساكن معظمهم مصريين، وهـــذه المدينـــة تعطينا فكرة جيدة عن ما كانت تمثله في الماضي: مدينة شرقية ظلـــت بمعـــزل عـــن الحضارة الأوربية، فقد احتفظت رشيد حتى بداية القرن التاسع عشر بوظيفتها كمينـــاء رئيسي لمصر، هذا على الرغم من صحوة الإسكندرية في بداية هذا القـــرن –وعلـــى الرغم من تدهورها– فإن رشيد مازالت مركزاً لتجارة مزدهرة في صعود مستمر بفضل تطورها الزراعي".

"وشوارع رشيد ضيقة ولكنها تموج بالحياة والحركـــة، كمـــا إن منازلـــها المشـــيدة بالطوب الأحمر والأسود تثير الإعجاب بتنوع مناظرها، والرحالة سوف يرتكب خطـــأ كبيراً إذا حرم من هذه المناظر، تتكون هذه المنازل في الغالب مـــن خمســـة طوابـــق وتصطف على جانبي شوارع طويلة وضيقة، وهي شديدة التنوع بحيث لا توجد اثنتـــان متشابهتان، كما إن هذا التنوع ينطبق على واجهة كل منزل على حدة"." فأحياناً تتخطـــى الأدوار أفقياً الدور الأرضي مرتكزة على الأعمدة القديمة، وأحياناً على كابولي مصمـــم بفن رفيع، أما المنمنمات الخشبية --المشربيات– فهي ذات تنوع كبير".

"والسوق في رشيد يموج أيضاً بالبشر ومثير للفضول فالصناعات المرتبطة بســـعف النخيل على درجة عالية من التطور، ومهارة الحرفيـــين وأســـاليبهم تســـتحق الفرجـــة والإعجاب".

إلى جانب السوق والمنازل هناك جامع زغلول الذي يتمـــيز بـــالعدد الـــهائل مـــن الأعمدة، وجامع محمد التولاني الذي يرتفع عن الأرض بمقدار مترين، وجامع العبـــار ذي الباب والقبة الفريدتان والمآذن الشامخة".

"وإذا صعد الإنسان إلى قمة "تل أبو المنور" فإنه يستطيع مشاهدة مناظر تخلب اللـــب – فهو يرى النيل على اتساعه حتى التقائه بالبحر شمالاً، أما غرباً تلوح له الإسـكندرية، وفي الجنوب الصحراء، وفي الشرق السهل المنبسط، فالحقول المزروعـــة والحدائـــق تكشف للعيان مدى ثراء الخصوبة"[١].

---

[١] - Breccia Evaristo op.cit. p. 139,140,141.

وفي النهاية يرجع E.M.Forster ازدهار رشيد إلى المصادمة التاريخية، حيث نمت في عصر انحطاط العلوم الإنسانية في الشرق:

"الإسكندرية ورشيد غريمتان، عندما تصعد واحدة تتدهور الأخرى "رشيد" الميناء النهري –لم يكن– ولم يكن من الممكن أن يكون لها ميناء بحري، وذلك لأن الشاطئ في هذه البقعة "دلتاوي" فنهر النيل الذي خلق ميناء الإسكندرية لم يكمل مشواره شرقاً بعد أبي قير، وقد احتاجت "الإسكندرية" أن تنظم من خلال العلوم الإنسانية، وعندما تم ذلك أصبحت لا تقاوم".

أما رشيد فقد أصبحت مدينة ذات أهمية في عصر اضمحلت فيه العلوم".

بعد أن يعطى فورستر نبذه عن نشأة رشيد وأسلافها يضيف الآتي: "لقد أعيد بناء رشيد في القرن السابع عشر أو الثامن عشر، فكل الجوامع والمنازل ترجع إلى تلك الفترة ..وقد ظلت رشيد مدينة مزدهرة حتى بداية القرن التاسع عشر، حيث كان عدد سكانها ٣٥,٠٠٠ نسمة بينما لم يتعد سكان الإسكندرية خمسة آلاف". *"وفي عام ١٧٩٨، استولت قوات نابليون على رشيد، وفي عام ١٨٠١ استرجعها الإنجليز". "حاول الإنجليز استرجاعها ولكنهم لم ينجحوا حيث صدت رشيد حملة فريزر".*

"ويعتبر هذا الحادث –القليل الأهمية في حد ذاته– بداية لكارثة لا رجعة فيها –ألا وهى إعادة إحياء الإسكندرية طبقاً لمنهج علمي على يد محمد علي، فبعد أن أعاد الحياة إلى الميناء وربط الإسكندرية مرة أخرى بالنظام المائي من خلال ترعة المحمودية، بدأت رشيد في التدهور –تماماً كما كان حال بولبتين منذ عشرين قرناً مضت. وقد تضاءل عدد السكان ليصل إلى ١٤,٠٠٠ نسمة مقابل ٤٠٠,٠٠٠ بالنسبة للإسكندرية عام ١٩٣٨ . والمشاهد للمدينة للآن يهوله تدهور حالة الوكالات والجوامع المعرضة للانهيار، أما مساكن التجار فمصيرها لا يحسد عليه، كما اجتاحت الرمال التي هبت من الجنوب والغرب وتراكمت على مدار السنين غابات النخيل وحتى الشوارع".

"يبدأ الشارع الرئيسي لرشيد من محطة السكة الحديد شمالاً ويمتد موازياً للنهر نحو الجنوب، وبالتالي فان المرء يستطيع أن يتعرف على اتجاهه بسهولة، في هذا الشارع يوجد الفندق الوحيد ويملكه يوناني. وللفندق حديقة جميلة تطل عليها منارة جامع، ويوجد في هذا الشارع جامع علي المحلي الذي شيد عام ١٧٢١م وبه ضريح الشيخ الذي توفى في القرن السادس عشر".

"وفي الجنوب -على يسار المدينة- توجد وكالة متهدمة، وتتكون المنازل من عدة أدوار -خمسة أو ستة- وقد شيدت بالطوب المحلي بالأعمدة القديمة. وأهم هذه المنازل هو منزل علي القطايري بحارة غزال والذي يرجع تاريخ بناؤه إلى ١٦٢٠، في نهاية الشارع نجد جامع زغلول وهو أهم مبنى في المدينة"[•].

"ويمكن للإنسان أن يتجول بدون هدف لساعات عديدة دون أن يقابل أي علامة على التطور أو التحديث في هذه المدينة أو أي شيء مثير سوى وصول أسطول الصيادين بحصيلته من السردين".

"هذا هو الشرق أخيرا، الشرق الذي تاه عنه العلم في آخر لحظات خوار قواه".

العوامل التي أدت إلى تدهور رشيد

لقد بدأت رشيد تفقد دورها كميناء رئيسي وسيط للتبادل التجاري بدءا من عصر محمد علي، حيث حلت الموانى "الحجرية" الساحلية محل الموانى "الطينية النهرية".

فقد كان لحفر ترعة المحمودية عام ١٨١٩م على يد الوالي الألباني أولا، ثم لحفر قناة السويس ونشأة بور سعيد ثانيا في عهد سعيد باشا عام ١٨٥٩م، بدايات لاضمحلال "رشيد" و"دمياط" كموانئ نهرية، فقد أصبحت الإسكندرية بوابة مصر الذهبية، وبورسعيد بوابتها الفضية كما يحلو "لجمال حمدان" أن يصفهما، ويجيء القرن العشرين لتصبحا على التوالي ثاني وثالث مدن مصر من حيث الحجم والأهمية[١]. كذلك كان لتطور وسائل النقل البري من سكك حديدية وطرق، بالإضافة إلى قلة التكلفة مقارنة بالنقل النهري، أثره على خروج مينائي دمياط ورشيد من الميدان التجاري. وإذا كانت دمياط قد احتفظت ببعض من مكانتها نتيجة لأدائها وظائف أخرى صناعية وحرفية وإدارية، فان رشيد لم تقم لها قائمة.

عزلت إذن رشيد عزلة مزدوجة، عزلت عن العالم الخارجي لإحلال الإسكندرية محلها، ثم عزلت مرة أخرى عن تلك الأخيرة وعن العاصمة على إثر تطور وسائل المواصلات، ولم تعد تقوم بدور الوسيط بين العاصمة المركزية وميناؤها البحري فقد

• ترجمة النصوص الفرنسية التى يتضمنها هذا الجزء إلى العربية: د. جليلة القاضي.

١ - جمال حمدان: المرجع السابق، ج٤، ص٣٣٠.

أصبحت العلاقة مباشرة بينهما، ثم ربط خط السكة الحديد رشيد بغريمتها ليكرس عزلتها عن العاصمة، فالقادم من القاهرة عليه أن يمر بالإسكندرية أو بدمنهور ليصل إلى رشيد. وبذلك انزوت داخل شبه جزيرتها، تحوطها المجاري المائية من ثلاث جهات: البحر في الشمال والنهر في الشرق والبحيرة في الجنوب الغربي، بالإضافة إلى بحر من الرمال المتحركة في الجنوب. وبدلاً من أن تصبح تلك المسطحات المائية عوامل لازدهار وتنمية متوازية، تحولت إلى عوامل تهدد كينونة المدينة، فبعد بناء السد العالي ابتلع البحر ما كان النهر قد رسبه في الماضي على شطآنها من طمي الحبشة، والنهر لم يعد يأتي بخيراته، وكف السردين عن ولوجه، والبحيرة مثلها مثل بحيرات مصر الشمالية تتعرض للتلوث والانقراض نتيجة لعمليات التجفيف التي تتم بقسوة شديدة دون مراعاة الاتزان البيئي. بالإضافة إذن لكل هذه العوامل الطبيعية والبشرية المرتبطة بسياسات التنمية الحضرية هناك عوامل أخرى أثرت تأثيراً سلبياً على النشاط الاقتصادي لرشيد وهى:

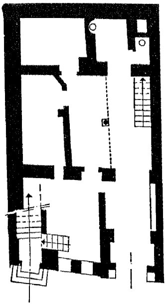
- هبوب الرمال المستمر على المدينة وزحفها على العمران حتى غطت كثيراً من الأراضي الزراعية والمساكن.
- كثرة السياحات المحيطة برشيد واقترابها من مجرى النهر من الشرق والغرب، مما لا يساعد على قيام ظهير زراعي يذكر.
- تأثير المناخ نتيجة لموقع رشيد (شمال شرق الدلتا) وإحاطته بالمسطحات المائية، حيث تميز بارتفاع درجة الحرارة والجفاف وتعرضها للرمال والأتربة مما ألحق الضرر بالإنتاج الزراعي.
- عيوب المصب الملاحي لرشيد حيث تحيط به الشطوط الرملية التي تمتد داخل البحر والتي تشكلت بفعل الأمواج مما يزيد صعوبة الملاحة وخطورتها.

هجرت رشيد في بدايات قرننا هذا لصالح الإسكندرية، بل يقال "إن الإسكندرية قد شيدت بأحجار رشيد". وعلى الرغم من كل ذلك فربما كان لبعض العيوب مزايا، فصعوبة الملاحة البحرية المرتبطة بمصب رشيد كانت من أسباب عدم تعرضها للغزو المتكرر الذي لم تسلم منه دمياط، وبالتالي فقد حفظت رشيد بمنازلها وجوامعها الفريدة التي ترجع إلى العصر العثماني مما يميزها عن سائر المدن المصرية كما يتيح العديد من إمكانيات التنمية المستقبلية إذا لم نترك المحيط العمراني فريسة للتدهور كما سنرى من نهاية الباب الثالث لهذه الدراسة.

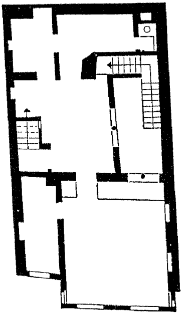
لوحات الجزء الثانـى

لوحة رقم (٦)

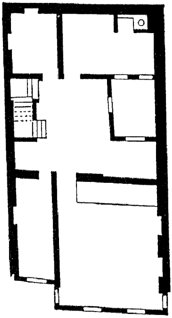
منزل علوان بيه



مسقط أفقى الدور الأرضى

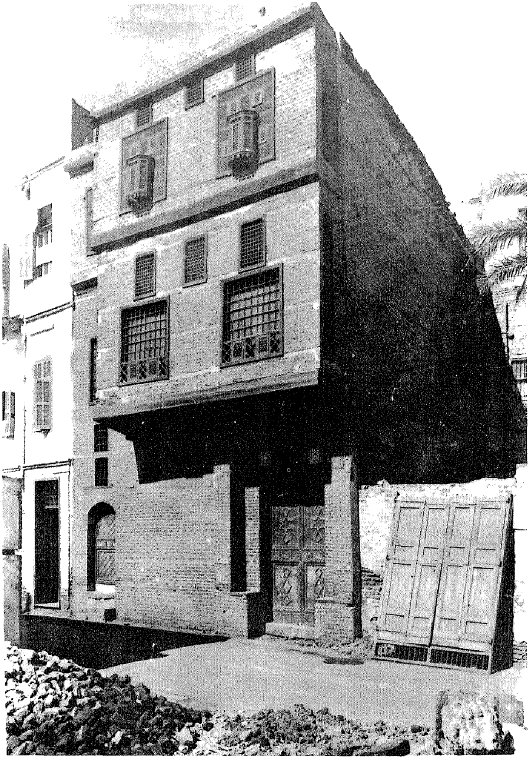


مسقط أفقى الدور الثانى



مسقط أفقى الدور الأول

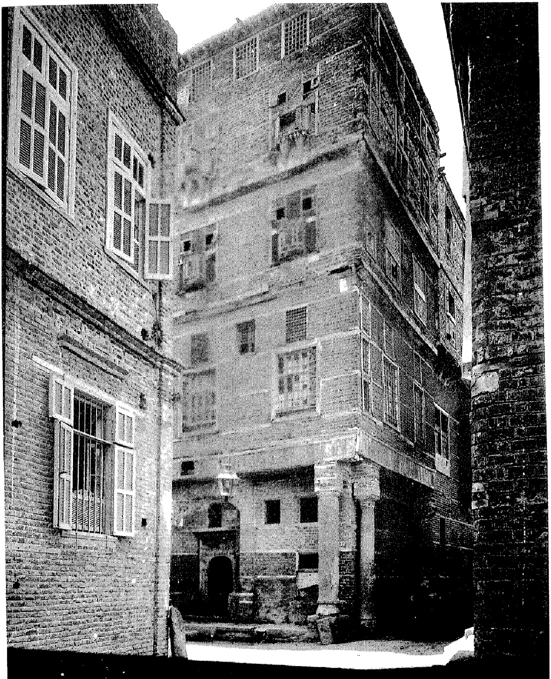
لوحة رقم (٧)



منزل علوان بيه - الواجهة الرئيسية

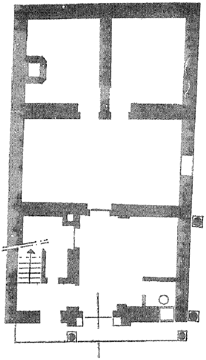
لوحة رقم (٨)

منزل المناديلي

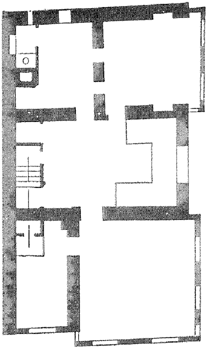


منزل المناديلي

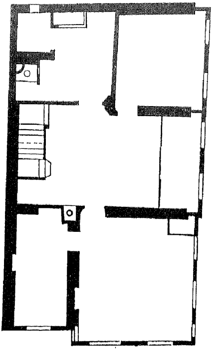
لوحة رقم (٩)



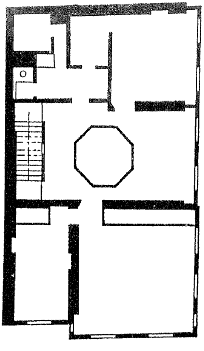
مسقط أفقى الدور الأرضى



مسقط أفقى الدور الأول



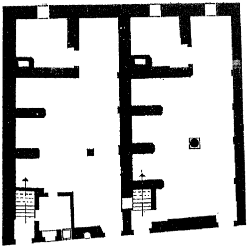
مسقط أفقى الدور الثانى



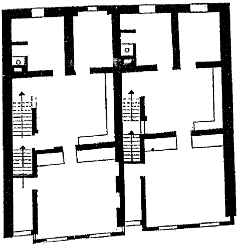
مسقط أفقى الدور الثالث

لوحة رقم (١٠)

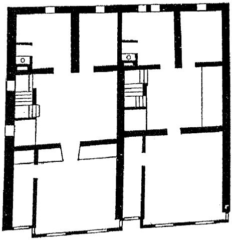
منزل الميزونى



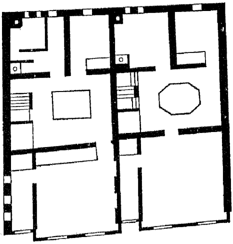
مسقط أفقى الدور الأرضى



مسقط أفقى الدور الأول

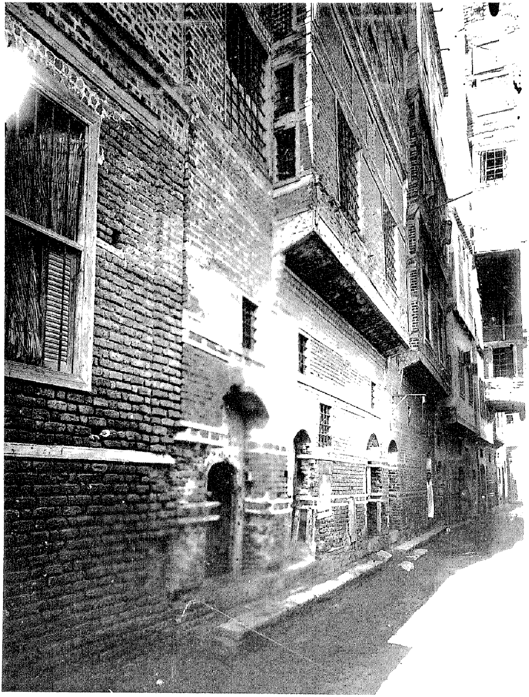


مسقط أفقى الدور الثانى



مسقط أفقى الدور الثالث

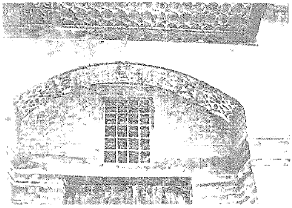
لوحة رقم (١١)

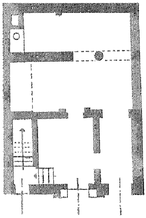


منزل الميزوني - الواجهة الرئيسية

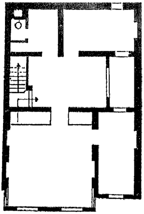
لوحة رقم (١٢)

منزل القناديلى

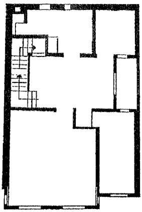




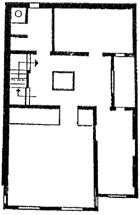
مسقط أفقى الدور الأرضى



مسقط أفقى الدور الأول

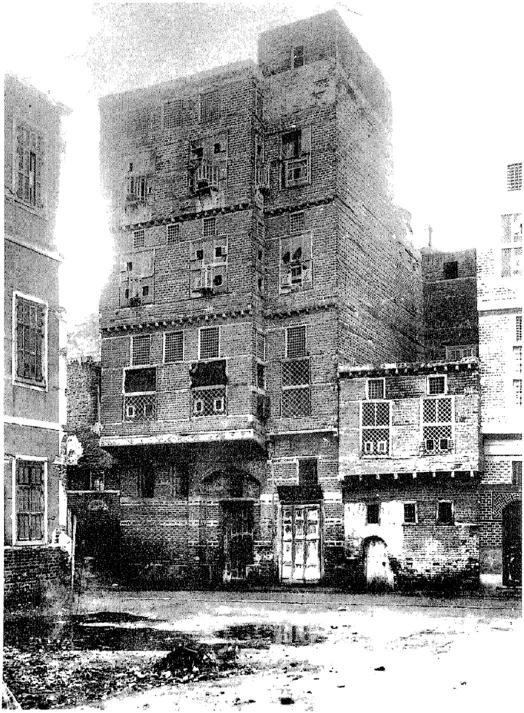


مسقط أفقى الدور الثانى



مسقط أفقى الدور الثالث

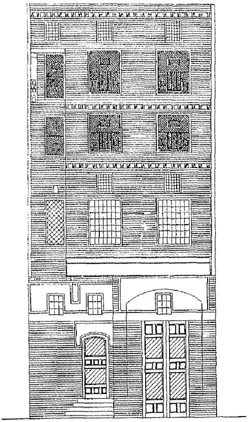
لوحة رقم (١٣)



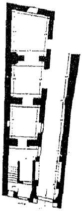
منزل القناديلى (الواجهة الرئيسية) وبجواره منزل عثمان طبق

لوحة رقم (١٤)

منزل ثابت

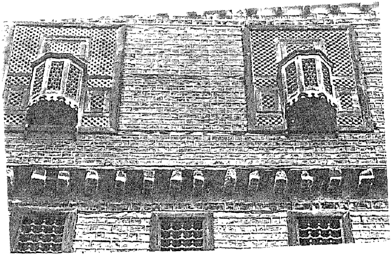


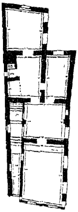
الواجهة الرئيسية



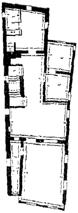
مسقط أفقى الدور الأرضى

لوحة رقم (١٥)

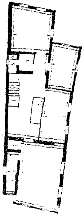




مسقط أفقى
الدور الأول



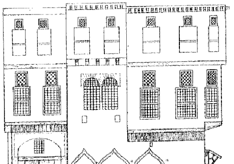
مسقط أفقى
الدور الثانى



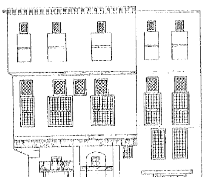
مسقط أفقى
الدور الثالث

لوحة رقم (١٦)

منزل عصفور



الواجهة الشمالية



الواجهة الغربية

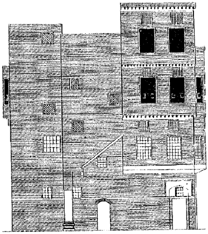
لوحة رقم (١٧)



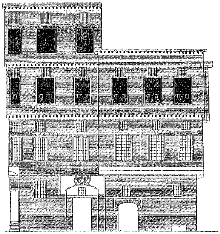
منزل عصفور - مدخل الواجهة الغربية

لوحة رقم (١٨)

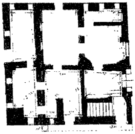
منزل عرب كلى



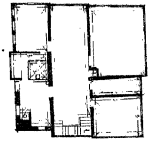
الواجهة الشرقية



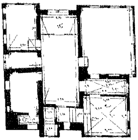
الواجهة القبلية



مسقط أفقى الدور الأرضى

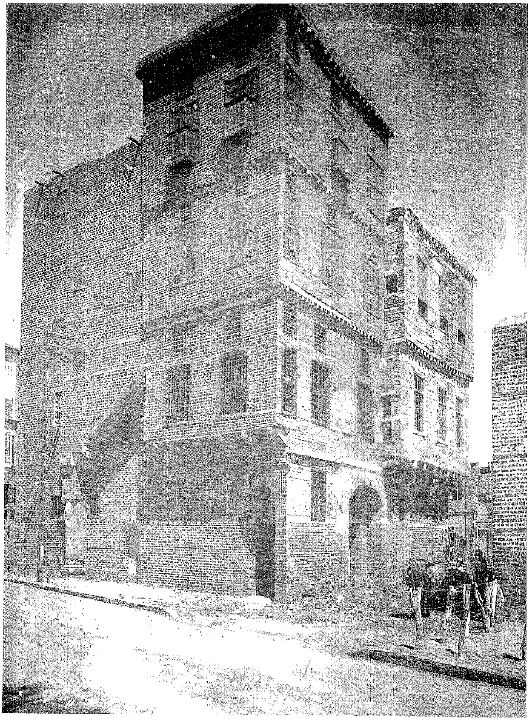


مسقط أفقى الدور الأول



مسقط أفقى الدور الثانى

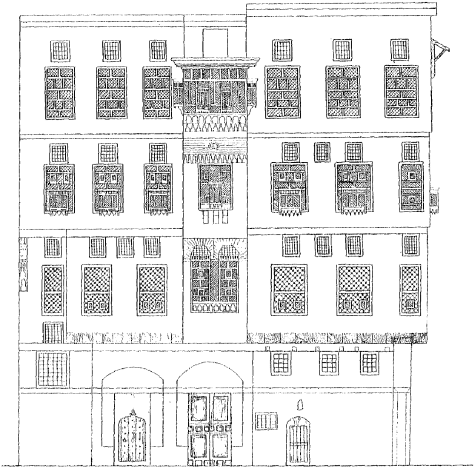
لوحة رقم (١٩)



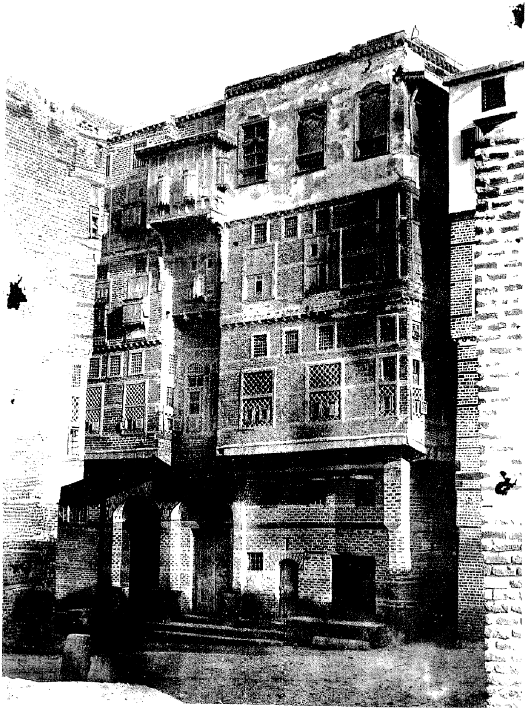
منزل عرب كلى من الجهة الجنوبية الشرقية

لوحة رقم (٣٠)

منزل رمضان بك



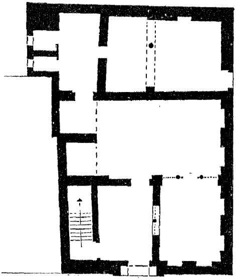
منزل رمضان بك - والواجهة الشمالية



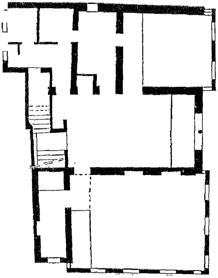
منزل رمضان بك - الواجهة الشمالية

لوحة رقم (٣٢)

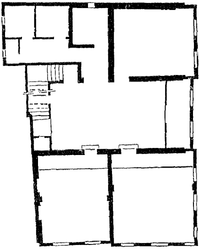
منزل عثمان أغا الأماصيلى



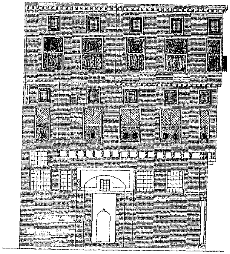
مسقط أفقى الدور الأرضى



مسقط أفقى الدور الأول

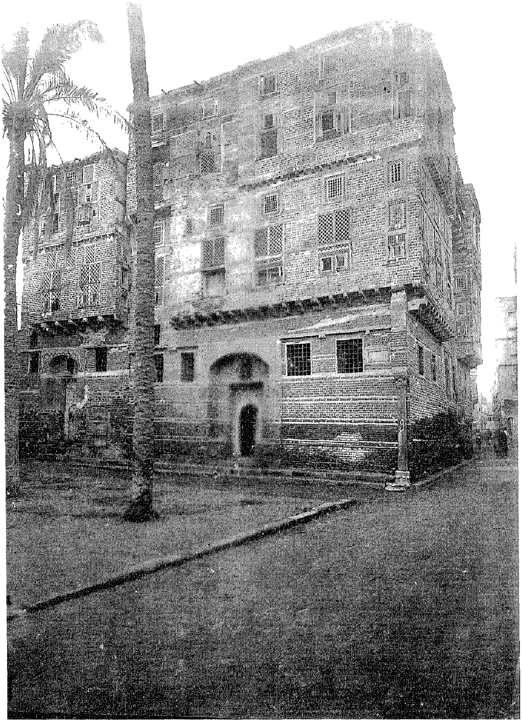


مسقط أفقى الدور الثانى



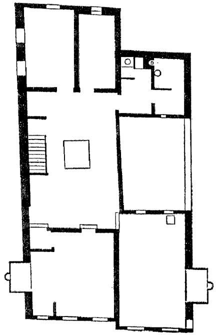
الواجهة الرئيسية

لوحة رقم (٢٣)

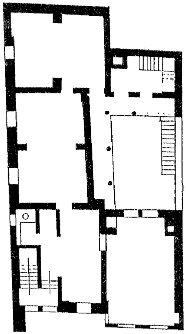


الواجهة الرئيسية (البحرية) لمنزل الأماصيلى وبجواره منزل حسيبة غزال

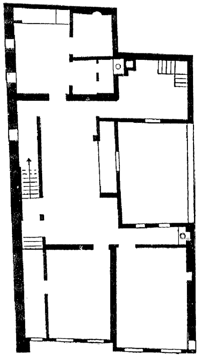
منزل الطوقاتلى



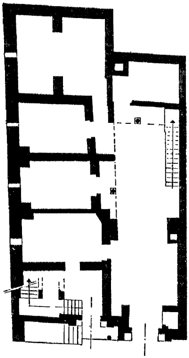
مسقط أفقى الدور الأرضى



مسقط أفقى الدور الأول



مسقط أفقى الدور الثانى



مسقط أفقى الدور الثالث

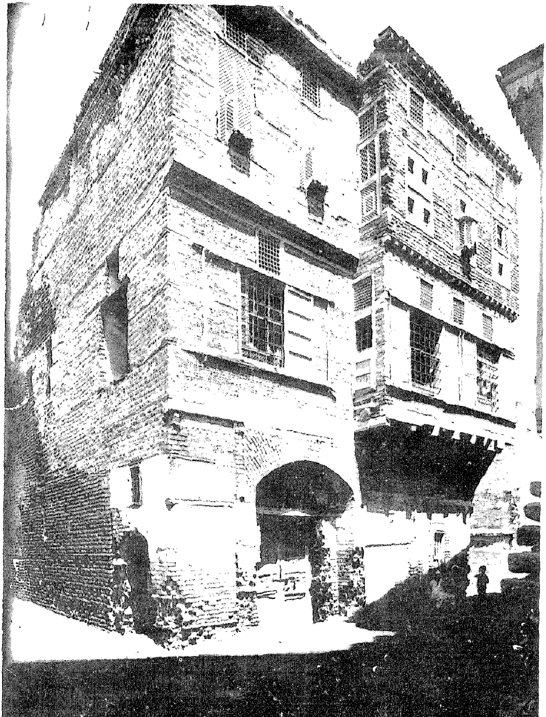
لوحة رقم (٣٥)



منزل الطوقاتلى - مشربية على الواجهة الشرقية

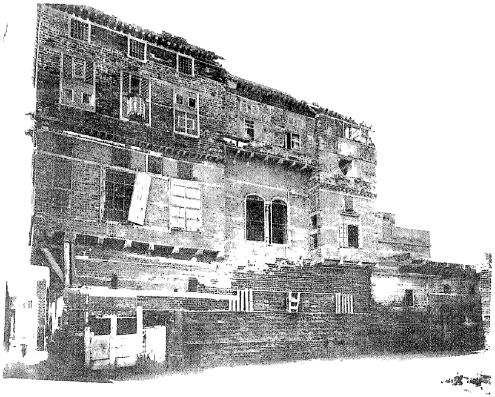
لوحة رقم (٣٦)

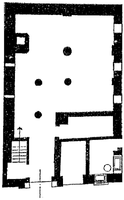
منزل البقراوللى



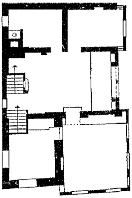
الواجهة الرئيسية

لوحة رقم (٢٧)

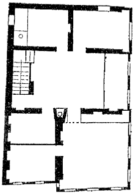




مسقط أفقى الدور الأرضى

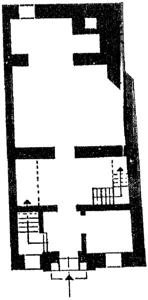


مسقط أفقى الدور الأول

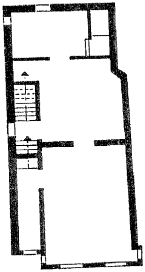


مسقط أفقى الدور الثانى

لوحة رقم (٣٨)

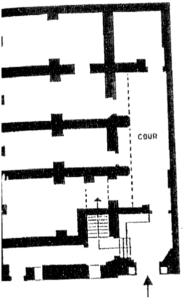


مسقط أفقى الدور الأرضى

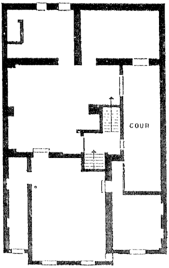


مسقط أفقى الدور الأول

منزل حسيبة غزال



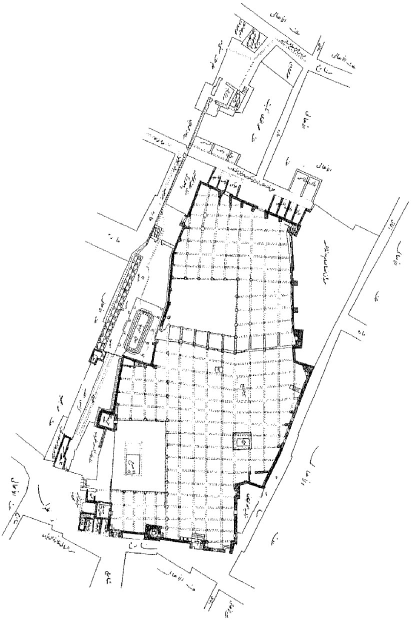
مسقط أفقى الدور الأرضى



مسقط أفقى الدور الأول

منزل أحمد باشا الدالى

لوحة رقم (٣٩)



مسقط أفقى مسجد زغلول و ما حوله .

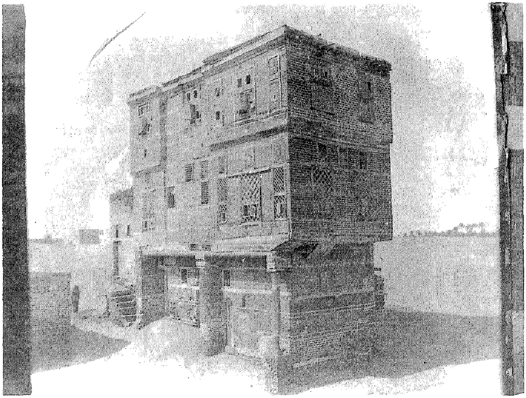
لوحة رقم (٣٠)

نماذج لبعض ما أزيل من المنازل (أ)

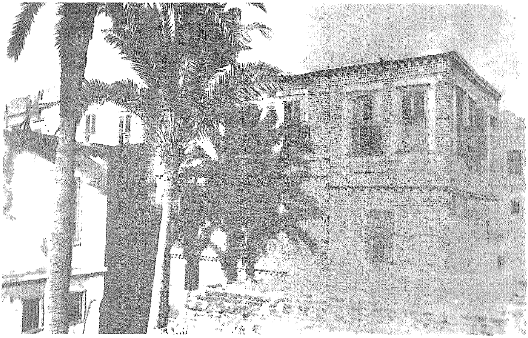


منزل عبد الكافي

لوحة رقم (٣١)



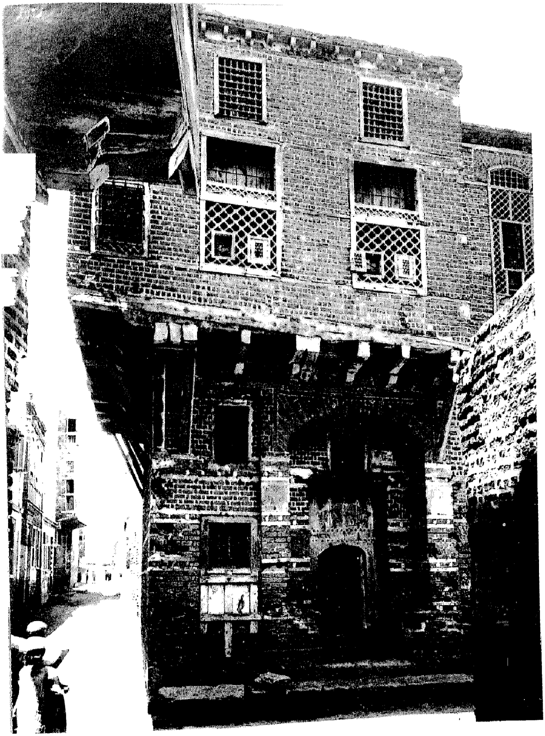
منزل أحمد أغا



لوحة رقم (٣٢)

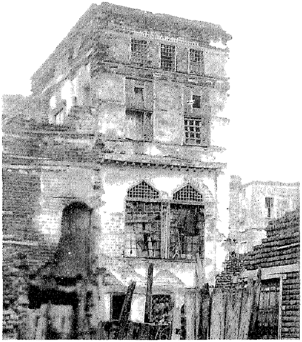
نماذج لبعض ما أزيل من المنازل (٢)

منزل عبد العزيز قاسم

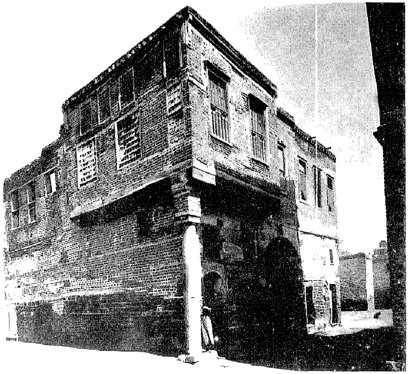


لوحة رقم (٣٣)

منزل الجمال

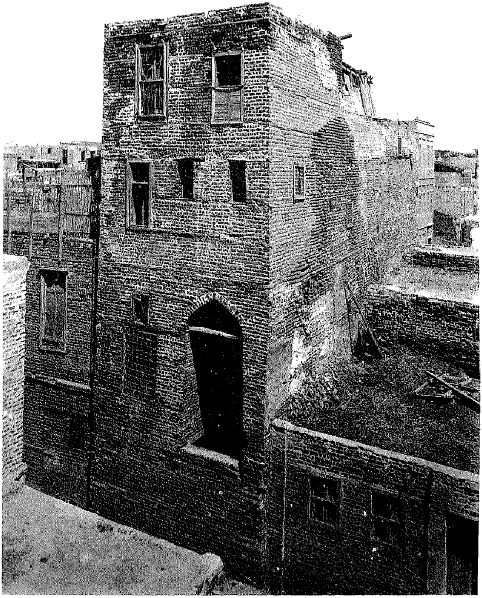


منزل أصلان بشارع البحر



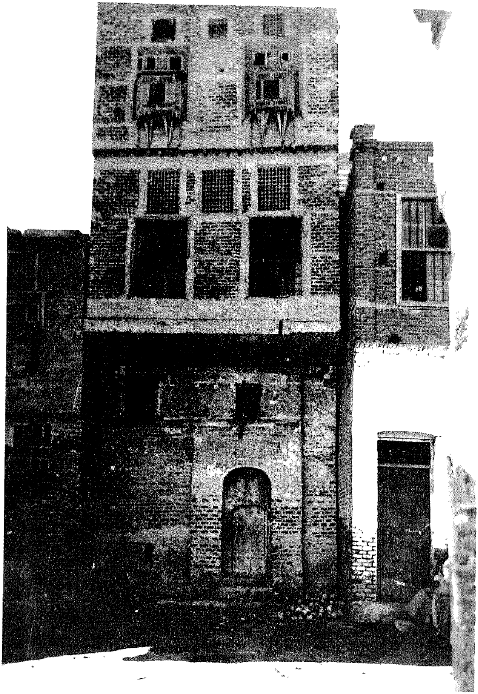
لوحه رقم (١٤)

نماذج لبعض ما أزيل من المنازل (٣)



منزل النشار

لوحة رقم (٣٥)



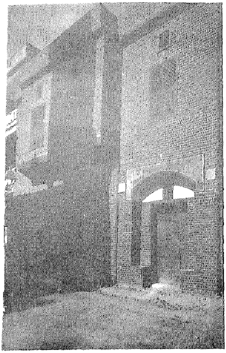
منزل النشار

لوحة رقم (٣٦)

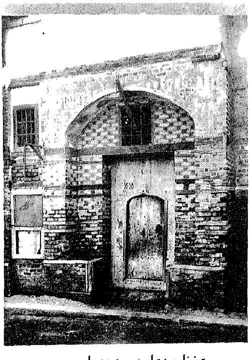
نماذج لمداخل بعض المنازل



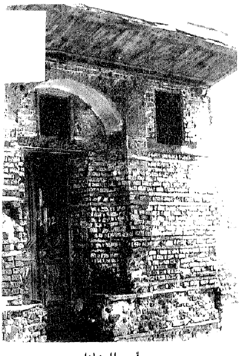
مدخل مسجد الجندى وبجواره أحد المنازل



أحد المنازل

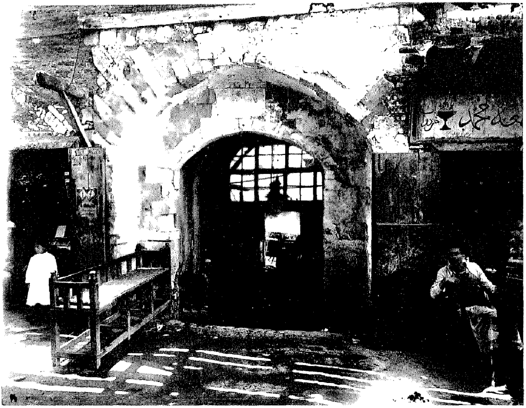


منزل بجوار مسجد عرابى

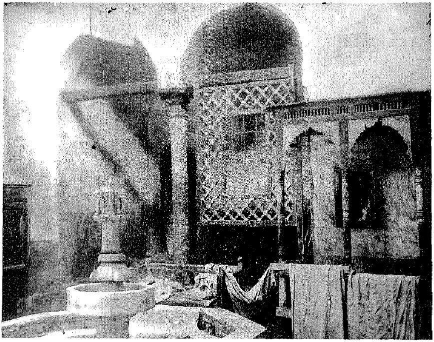


أحد المنازل

لوحة رقم (٣٧)



مدخل وكالة عبد الرحمن كتخدا



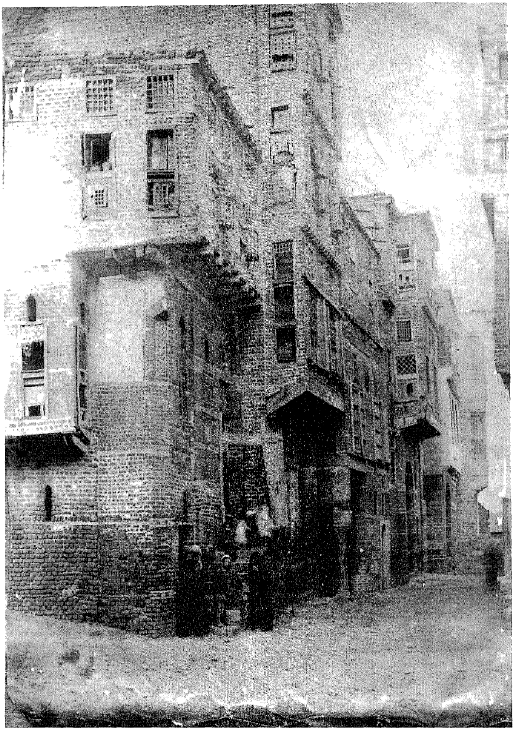
حمام الروبى

لوحه رقم (١٨)

شوارع فى رشيد

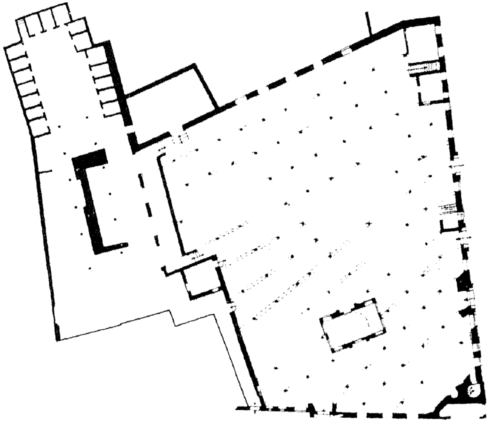


لوحة رقم (٣٩)



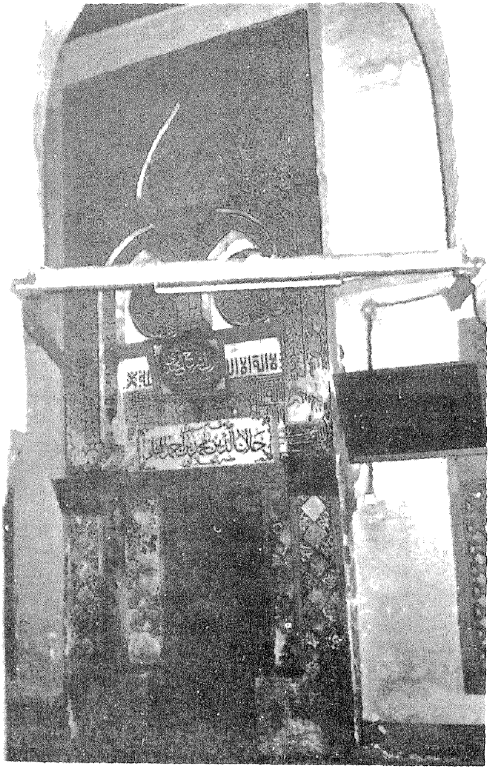
لوحة رقم (٤٠)

مسجد المحلى



مسقط أفقى مسجد المحلى بعد التوسعات

لوحة رقم (٤١)



مقام الشيخ المحلى الذى يقع بالجهة القبلية داخل المسجد

الجزء الثالث

العمارة في مدينة رشيد
أواخر القرن التاسع عشر
إلى وقتنا الحاضر

العمارة في مدينة رشيد بين الأصالة والمعاصرة

يعتبر فن العمارة مرآة صادقة تعكس جوانب متعددة من حضارات الشعوب وثقافاتهم التي ظهرت على مر العصور وطوى التاريخ صفحاتها. ولكن ظلت المباني القديمة بمثابة شواهد على تلك العصور وتصل الماضي بالحاضر من خلال تواجدها.

وتتحدد شخصية المدن من الطابع أو الطوابع المعمارية التي تضمها المدينة فتكسبها صفة التميز نتيجة لاختلاف طوابعها المعمارية عن المدن الأخرى أو تعطيها صفة الاشتراك مع البعض الآخر في الصفات المعمارية لمبانيها.

أما الثبات والتغير في الطوابع المعمارية للمدينة الواحدة ما هو إلا انعكاس لتغلب العناصر الثابتة أو المتغيرة إحداهما على الأخرى، والمقصود هنا بالمتغيرات أو العناصر المتغيرة النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية والعادات والتقاليد والإحساس الفني والذوق العام، وتظهر هذه العناصر المتغيرة في كل المجتمعات ولكن بدرجات متفاوتة. بينما المقصود بالثوابت أو العناصر الثابتة هي الأشياء السامية التي تعلو عن إمكانية التغيير، إلا في حالات نادرة، مثل التعاليم والشرائع الدينية.

فإذا سلمنا بأن "الفن المعماري ما هو إلا تجسيد واقعي وملموس لمتطلبات الإنسان المتغيرة دائما"[1]، فان هذا الفن وهذا التراث المعماري لا بد له من التطور لكي يستوفي حياتنا المعاصرة بالطريقة التي تناسب متطلبات هذه الحياة المتغيرة وتتجاوب مع احتياجاتها وضروراتها دون المساس بالثوابت أي بالتعاليم والشرائع الدينية.

ويناقش هذا البحث بالدراسة والتحليل "عمارة مدينة رشيد" كمحاولة للوقوف على الصفات المعمارية التي ميزت تلك المدينة عن مثيلاتها بالمنطقة.

وانه لمن الملفت للنظر أن الأبحاث التي تعرضت من قبل لعمارة رشيد لم تتناول سوى جانب واحد منها وهى عمارة القرنين ١٨ و١٩م "العمارة العثمانية" والتي لا

---

١ – عبدالله يحيى بخاري: استمرارية التراث المعماري المحلي في الاتجاهات المعمارية المعاصرة، بحث مقدم لحلقة "العمران والبيئة" المنعقدة في كلية العمارة والتخطيط/ جامعة الملك سعود ٢٩/٥-٤/٦/١٤٠٦ هـ (١٩٨٦م).

يتعدى عدد مبانيها ٢٢ منزل أو ٢٤ منزلاً على أقصى تقدير بالرغم من تواجد أكثر من طابع معماري في تلك المدينة.

لذلك فان الهدف من هذه الدراسة هو تحديد الطوابع المعمارية التي تضمها المدينة وإلقاء الضوء على تلافي الأصالة والمعاصرة الممثلة في العمارتين القديمة والحديثة في مدينة واحدة.

ومدينة رشيد –شأنها شأن المدن القديمة– تنقسم من الناحية المعمارية إلى عده طوابع معمارية أو –إذا شئنا– إلى طابعين اثنين رئيسيين أحدهما هو الطابع المحلي، والذي يعكس بصورة أو بأخرى عمارة القرنين ١٨ و١٩م، والتي تشكل حدود المدينة القديمة وانحصارها في منطقة بعينها. ثم الطابع المعاصر الذي أبتعد بدرجة ملحوظة عن القديم مثل ابتعاده تخطيطياً عن قلب المدينة القديمة في اتجاهات معينة[١].

بالإضافة إلى ذلك يمكننا تمييز طابعين آخرين، أولهما لم تلتفت إليه أنظار المعماريين والباحثين المهتمين بمدينة رشيد –بالرغم من أهمية مباني تلك المنطقة– باعتباره شاهداً على العصر الأخير للرواج التجاري لمدينة رشيد وتواجد جاليات أجنبية بالمدينة. فتلك المنازل المحصورة في المنطقة الواقعة بالقرب من جامع دمقسيس أو الجامع المعلق، وهى المنطقة التي يحدها شارع نعمة الله شمالاً وشارع دمقسيس جنوباً وكورنيش النيل شرقاً وشارع التحرير غرباً، تحمل مبانيها بعض صفات وملامح عمارة عصر النهضة بعناصرها المعمارية وزخارفها الواضحة بالواجهات الخارجية والتي سنقوم بدراسة بعض الأمثلة في الصفحات القادمة.

أما الطابع الآخر وهو ما يمكن أن نطلق عليه "العمارة المختلطة"، وهى التي تحاول أن تخلط الأشكال المعمارية الغربية ببعض مفردات العمارة المحلية، كذلك هى عبارة عن بعض المحاولات التي تهدف إلى إحياء التراث المعماري المحلي، وهى الممثلة في جامع أبو بكر الصديق ومبنى مستشفى رشيد القريبين من شاطئ الكورنيش بشمال المدينة.

من هذا المنطلق فان هذه الدراسة ترتكز على محورين أساسين هما:

١) إلقاء الضوء على عمارة الجاليات الأجنبية (عمارة بداية القرن العشرين).

---

١ ــ أتجاهات العمران حالياً تأخذ الأتجاه الشمالي وشمال غرب وجنوب غرب.

٢) التعرف على العمارة المعاصرة بمدينة رشيد (عمارة القرن العشرين).

١ – العمارة الغربية المختلطة بمدينة رشيد

(النصف الأول من القرن العشرين)

تعتبر المنطقة المحصورة بحارة نعمة الله القبلية شمالاً وشارع دمقسيس جنوباً وشارع الكورنيش شرقاً وكل من شارع التحرير وشارع البنط غرباً، من المناطق المتميزة بمدينة رشيد من الناحية المعمارية، حيث تختلف في معالجتها الخارجية ومفرداتها المعمارية عن المباني الأخرى بالمدينة، ولعل الطابع المعماري الذي تحمله هذه المباني والتي يمكن أن نطلق عليه أسم Eclectique style "العمارة المختلطة"، وتعبر بصدق عن فترة هامة من تاريخ رشيد المعاصر وذلك في النصف الأول من القرن العشرين.

وبتحليل هذه النوعية من العمارة القائمة بمنطقة الدراسة –والتي سيتم عرضها تفصيلياً في الصفحات التالية– نجد أن هناك عدة تساؤلات تفرض نفسها في هذا المجال كمحاولة للوصول إلى إجابة واضحة عن أسباب ظهور مثل هذه العمارة في مدينة رشيد، وهل وجودها يأخذ أبعاداً اجتماعية واقتصادية، أم أنها تطور معماري مفاجئ لتلك الفترة من تاريخ العمارة في مصر بصفة عامة. وبدراسة تاريخ مدينة رشيد في النصف الأول من القرن ٢٠م نجد أن هناك العديد من الأسباب التي يمكن تركيزها في ثلاثة عوامل رئيسية تشابكت مع بعضها وأفرزت تلك العمارة المختلطة.

أ) العلاقة القوية بين مدينتي الإسكندرية ورشيد.

ب) سيطرة الأجانب على صناعة البناء بالمدينة.

ج) تواجد الجاليات الأجنبية وإقامتهم بمدينة رشيد.

١–١ أسباب ظهور هذه النوعية من العمارة الغربية المختلطة

أ) العلاقة القوية بين مدينتي الإسكندرية ورشيد

إن العلاقة بين المدينتين تتسم بالقوة منذ زمن بعيد وبرابطة شملت جميع المجالات، فعلى الرغم من أن مدينة رشيد تقع إدارياً في دائرة أعمال محافظة البحيرة –وعاصمتها دمنهور– إلا أنها من الناحية الجغرافية تقع على امتداد ساحلي طبيعي مع مدينة

الإسكندرية، مما ساعد على تقوية الناحية الاجتماعية في العلاقة بينهما والذي أخذ أبعاداً لا يستهان بها، وهو ما يؤكده عباس السيسي في كتابه عن مدينة رشيد ".. ولها صلات عائلية كثيرة وعميقة الجذور منذ مئات السنين تربط بيننا صهراً ونسباً، وحياتنا التجارية والثقافية معها هى الشريان الذي لا يتوقف ليلاً ولانهاراً"[1]، محافظة البحيرة بصفة عامة لا يقل النشاط الصناعي فيها أهمية عن النشاط الزراعي، نظراً لقربها من ميناء الإسكندرية نذكر منها مثلاً صناعة تبيض الأرز الذي تشتهر به كل من رشيد وادكو.

ولعل إقامة المشروعات المستمرة والتي تربط بين المدينتين هى من الأسباب الجوهرية التي لعبت دوراً كبيراً في سهولة الاتصال وزيادة الروابط بينهما. فقد ظل الطريق الساحلي القديم مستعملاً حتى القرن ١٩م من المسافرين إلى القاهرة والعائدين منها الذين لم يكن لهم من سبيل آخر سوى أن يواجهوا أخطار بوغاز رشيد الذي كانوا يجهدون في مجانبتها، لذلك فقد كان الانتقال من الإسكندرية أو رشيد إلى القاهرة من الصعوبة بمكان في الفترة ما بين القرن ١٤ و١٨م، سواء عبر إقليم البحيرة أو عبر بحيرتها إلى رشيد ومنها في النيل إلى القاهرة، "حتى كان مطلع النصف الثاني من القرن ١٩م حين بدأ عباس حلمي الأول سنة ١٨٥١م في إنشاء خط حديدي بين الإسكندرية والقاهرة يمر بمحافظة البحيرة"[2]، كما أدخل القطار لمدينة رشيد سنة ١٨٧٦م، وأنشئ خط الإسكندرية/رشيد بعد أن كان من الإسكندرية إلى أبو قير فقط، مما كان له فضل كبير في ازدهار تجارة رشيد، بالإضافة إلى ذلك تطوير طريق رشيد الساحلي "الذي أصبح مرصوفاً منذ سنة ١٩٣٠م تحفه من جوانبه بلاد عدة تضفي عليه من الأمن والطمأنينة ما يهون الطريق ويعين على السفر"[3].

من ناحية أخرى نجد أن قصور الخدمات بصفة عامة جعلت الاتصال دائم بين المدينتين، حيث كانت مدينة الإسكندرية تلبي هذه الاحتياجات وتمثل نقطة جذب هامة لمدينة رشيد، فنجد على سبيل المثال افتقار المدينة للخدمات الطبية والعلاجية، حيث لم يكن برشيد في ذلك الوقت مستشفى أو صيدلية تمد الأهالي بالأدوية، بل كانت رشيد

---

١ ــ عباس السيسي: رشيد المدينة الباسلة.

٢ ــ فاطمة علم الدين عبد الواحد: تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر، ص٤٢، ٤٩.

٣ ــ عباس السيسي: المرجع السابق، ص٣٨.

تأخذ مستلزماتها الطبية من الإسكندرية، كما كانت تتوجه بمرضاها إليها على الدوام "حتى افتتحت المستشفى الأميري عام ١٩٣٠م، كما أنشئت أول صيدلية عام ١٩٤٠ لصاحبها الدكتور/ أحمد رمسيس وتبعها صيدلية الدكتور/ معاذ النجار عام ١٩٥٦م" أي بعد ١٦ عاماً[١].

مما سبق نستخلص أن انتقال أهالي رشيد إلى الإسكندرية كانت تمليه ضروريات وروابط تجارية وعلاجية وثقافية وغيرها في مظاهر الحياة والتزاماتها، مما أنتج علاقة قوية بين المدينتين، كما ساعد على إطلاع أهالي رشيد على مظاهر التقدم والنمو العمراني الذي شهدته الإسكندرية في تلك الفترة، وكذلك أحدث الأساليب والطوابع المعمارية المستخدمة.

ولعل رغبه عائلات رشيد -وخاصة الغنية منهم- في مواكبة كل ما هو حديث تترجم اتجاههم إلى بناء عمارات حديثة تحاكى مثيلاتها بمدينة الإسكندرية وتحمل الطابع الغربي كدليل على التمدين والتميز الاجتماعي، ولكي تتكامل مع المظاهر الأخرى كمؤشر للتقدم والتحديث (الأثاث والملبس والسيارة .. الخ).

ومن هذه العائلات نذكر على سبيل المثال لا الحصر منازل بنيت في الثلاثينات مثل منزل عائلة أبو السعادات ومنزل عائلة عناني ومنزل عائلة الكسار بحارة نعمة الله القبلية، ومنزل عائلة البنا بحارة أشكنازي بمنطقة الدراسة، وكذلك منزل عائلة عرفه الواقع بشمال رشيد بالقرب من مستشفى رشيد المركزي[٢].

ب) سيطرة الأجانب على صناعة البناء في مدينة رشيد

بالرغم من أن رشيد لم يسكنها منذ فترة طويلة إلا قلة نادرة من الأجانب غير المسلمين ولا يوجد في أيامنا هذه أجنبي واحد يستوطن رشيد، إلا أننا بتتبع تاريخ المدينة نستخلص أن وجود الأجانب قد بلغ الذروة في العصر العثماني نتيجة للنشاط والرواج التجاري للمدينة آنذاك، فقد كان بها مؤسسات أوربية لمختلف الدول وذلك في

١ ـ عباس السيسي: المرجع السابق، ص٧٨.

٢ ـ كانت تقام الحفلات الغنائية بمناسبة بدء الأقامة في تلك المنازل (ليالي الزفاف) ابتهاجاً وحباً في الظهور وأحضار كبار المغنيين أمثال محمد عبد الوهاب وأم كلثوم (مقابلات شخصية مع الباحث.

القرن ١٦م، وكان بها قناصل كثيرون يمثلون هذه الدول، ".. وفي خلال القرنين ١٨،١٧ زاد عدد هذه الفنادق والمؤسسات الأوربية في رشيد على نحو ملحوظ"[١].

ونستطيع القول أنه مع بداية حكم محمد علي وأسرته بدأت سيطرة الأجانب على جوانب عديدة في اقتصاد مدينة رشيد ومحافظة البحيرة بصفة عامة، وهو ما يؤكده محمد محمود زيتون في كتابه عن إقليم البحيرة، "وكان الأمراء وهم أفراد الأسرة المالكة والباشوات يملكون هم والأجانب إقليم البحيرة فيما عدا المستنقعات والبحيرات والملاحات والرمال وأقل القليل من الأراضي الزراعية. وقد استفاد الأجانب من الامتيازات الأجنبية في بلدان الدولة العثمانية واستطاعوا -أفراد وشركات- بامتلاك الأراضي الشاسعة بالبحيرة، ولا تزال بعض الجهات في الإقليم تسمى بأصحابها الأجانب قديماً، مثل منشأة ديبونو شرقي ادكو وشركة أراضي المعدية وقومبانيين مثل ديمتري زربيني وجورج تليني وايلي شماع وايلي أيجبوز وجربو علي وبركليس"[٢].

ومن البديهي أن هذه الامتيازات أدت إلى سيطرة اقتصادية محصورة في أيدي الأسرة المالكة والباشوات والأجانب، وكان من أحد جوانبها السيطرة الجزئية على صناعة البناء ممثلة في رؤوس الأموال ومشروعات تقسيم الأراضي واحتكار المهندسين الأجانب للمشروعات المعمارية والإنشائية وهيمنة شركات المقاولات الأجنبية على العملية البنائية في مصر عامة في تلك الفترة.

وأغلب الظن أن أكثر الأجانب الذين عملوا في صناعة البناء برشيد كانوا من مدينة الإسكندرية أقرب المدن المتقدمة في هذا المجال، وان لم يتأكد ذلك لقلة المصادر التي تثبت هذه النظرية، ولكن على الأقل يمكننا استنتاج ذلك في بعض الكتابات المتفرقة مثل ما ذكره عباس السيسي "أما منطقة رشيد الجديدة فهى الأرض التي تقع غرب مسجد العرابي في الطريق إلى الإسكندرية، وبدأت رشيد الجديدة بعد الخمسينات حيث أشترى أحد الخواجات قطعة أرض رملية كبيرة ثم قام بتقسيمها على شكل (نمر) وقام برصف

---

١ ــ محمد محمود زيتون: أقليم البحيرة، ص١٣٠.

٢ ــ محمد محمود زيتون: المرجع السابق، ص٢٧٥-٢٧٦. (أحصت حكومة الثورة الأطيان الزراعية التي يملكها الأجانب في مصر في ذلك الوقت فبلغت ١٤١١٥١ فداناً يملكها ٢٦١٤ أجنبياً، منها ٧١٩٦٥ فداناً بالبحيرة يملكها ٦٠٥ من الأجانب، وهى أكبر نسبى في جميع المحافظات. الأهرام في ١٩٦١/١٢/٢٥.

بعض الشوارع ثم أعلن بيع هذه القطع، ووقف كثير من أبناء رشيد موقف الحذر وقليل جداً الذين تقدموا للشراء بالمساكن الحديثة وزحفت حتى تجاوزت الحدود"[1].

ج) تواجد الجاليات الأجنبية وأقامتهم بمدينتي رشيد

إن تواجد الجاليات الأجنبية في مدينة رشيد هى في الحقيقة تعبير عن فتح قناة متصلة بين ثقافات عديدة تتلاقى مع عادات وتقاليد اجتماعية متوارثة في المدينة، وغالباً ما تفرز في النهاية ثقافة مختلطة بين أهل المدينة والأجانب.

ويمكننا اعتبار فن العمارة هو أحد مظاهر هذه الثقافة ومن نتائجها تلك العمارة التي يطلق عليها اسم العمارة المختلطة أو .Ecectique style وبما أن العائلات الكبيرة أو الغنية هى غالباً أكثر العائلات احتكاكاً بهذه الجاليات الأجنبية نتيجة لروابط اقتصادية وتجارية وتأثيرها على الناحية الاجتماعية، لذا فان ذلك يفسر جزئياً اتجاه تلك العائلات إلى بناء المنازل الحديثة التي تحمل هذا الطابع المعماري.

والنصف الأول من القرن العشرين يشهد استمرار وفود الجاليات الأجنبية على مدينه رشيد وشغلهم للوظائف الكبيرة في المصالح الحكومية والمهن التي تفتقر إليها المدينة، ونخص بالذكر الجالية اليونانية التي اعتبرت من أكبر الجاليات الأجنبية في تلك الفترة[2]، ولعل وجود الكنيسة اليونانية -ومكانها بجوار مسجد سيدي علي المحلي وهى قديمة جداً ويرجع تاريخها إلى نحو ٣٠٠ عام- هو خير دليل على كبر هذه الجالية، وخاصة إذا ما عرفنا أن مدينة رشيد لا يوجد بها إلا كنيستين إحداهما الكنيسة اليونانية والأخرى كنيسة الأقباط الأرثوذكس وهى الكنيسة الكبرى في رشيد، وتقع في شارع الجيش وتأسست منذ حوالي ٤٠٠ عام تقريباً[3].

---

١ ــ عباس السيسي: المرجع السابق، ص٣٤.

٢ ــ في هذه الفترة كان وقد وصل الى رشيد بعض الأطباء الأجانب الذين مارسوا مهنة الطب وترحوا الى رشيد وعلى رأسهم الدكتور/ جورج قسطنتين فاندراجوس (يوناني الجنسية)، وفد الى رشيد عام ١٩٢٦ وبقى بها حتى ووفاته عام ١٩٦٤ (مقابلة شخصية للباحث) مع عائلة ماندراغوس/ زوجتة وابنتة.

٣ ــ عباس السيسي: المرجع السابق، ص١٠٦. كانت الكنيسة اليونانية على وشك السقوط لولا بعض الشخصيات اليونانية بالاسكندرية التي حضرت لزيارة الكنيسة ومشاهدتها فقاموا بتجديدها.

١-٢ الصفات المعمارية المميزة لهذا الطابع

أن التحليل التالي هو محاولة التعرف على الخصائص المعمارية لهذه النوعية من المنازل ذات الطابع الغربي المختلط، والتي تقترب في ملامحها من عمارة عصر النهضة المتقدم "الباروك" مع مزجها ببعض المفردات الدخيلة على هذا الطابع لذا نطلق عليها اسم "العمارة الغربية المختلطة"[١] . Eclectique NEO-Baroque . وعلى ذلك فان الدراسة الميدانية كان الهدف منها رفع كامل للمساقط الأفقية والواجهات الخارجية لمثالين من تلك النوعية من المنازل، وهما منزل عائلتي عنان والكسار الواقع بحارة نعمة الله القبلية، ومنزل عائلة عرفة الواقع بشمال رشيد بالقرب من مستشفى رشيد المركزي[٢]، بالإضافة إلى تسجيل بالصور الفوتوغرافية لمنازل أخرى بمنطقة الدراسة، مع التركيز على العناصر المعمارية المختلفة بالواجهات الخارجية، لذلك فان التحليل يتركز على النقاط التالية:

أ) تعريف بمنطقة الدراسة

ب) المساقط الأفقية للمنازل ذات الطابع الغربي المختلط

ج) الواجهات الخارجية

ج-١- دراسة الكتل البنائية والبروزات الخارجية

ج-٢- الفتحات (الأبواب والنوافذ)

ج-٣- الأعمدة والعقود

ج-٤- الكورنيش ونهايات المباني

حـ-٥- دراوي التراسات

حـ-٦- الزخارف والنقوش

---

١ ــ من الملاحظ أن هذه النوعية من المنازل تتطابق تماماً من الناحية المعمارية مع المنازل الموجودة بمدينة الاسكندرية والتي بنيت في اوائل القرن العشرين، أي في العشرينات والثلاثينيات، وهى الفترة التي ستبقى واكبت سنوات أنشاء منازل هذا الطابع بمدينة رشيد.

٢ ــ قام الباحث بالدراسة الميدانية بمساعدة مجموعة من طلبة كلية الفنون الجميلة السنة الثالثة، قسم العمارة، جامعة الاسكندرية (جامعة حلوان سابقاً).

أ) تعريف منطقة الدراسة[1]

إن الدراسة الميدانية التي قمنا بها في المنطقة المشار إليها والتي تجاور مسجد دمقسيس، وبمقارنتها بالأحياء الأخرى المكونة لمدينة رشيد وجد أن هذه المنطقة تنفرد بوجود مباني تحمل طابع مختلف عن الطابع العام للمدينة، وهو الطابع الذي نطلق عليه أسم "العمارة المختلطة .Ecectique style "[2].

وبتحليل الشكل رقم (١١) نجد أن أجمالي عدد المنازل بمنطقة الدراسة يبلغ ٩٨ منزلاً، منها ٥١ منزلاً يحمل طابعاً غربياً مختلطاً، أو على الأقل يحتوي المباني على بعض العناصر المعمارية ذات طابع غربي، مثل أبواب العمارات والنوافذ أو بعض الزخارف والنقوش التي سيأتي شرحها فيما بعد، أي بنسبة تصل إلى حوالي ٥٢% من مجموع المنازل.

كما يبين لنا الشكل رقم (١٢) أن أغلب هذه المنازل تتكون من دور أرضي ودورين علويين (حوالي ٥٤,٩%)، أو منازل دور أرضي وأول علوي (حوالي ٣٥,٣%)، أما الأراضي الفضاء والمباني ذات الدور الأرضي فقط لا تمثل سوى ٥,٩% تقريباً، بينما لا تمثل المنازل ذات الثلاثة أدوار علوية سوى ٣,٩% من مجموع المنازل ذات الطابع المختلط[3].

كذلك فان الشكل التحليلي رقم (١٣) تبين أن حوالي ٤٧,١% من هذه المنازل في حالة متوسطة، أما المنازل الآيلة للسقوط أو دون المتوسط فتبلغ نسبتها (٢١,٦% و٢٧,٤% على الترتيب) بينما لا ترتقى المباني القائمة وفي حالة جيدة أو فوق المتوسط إلا إلى حوالي ٣,٩% وهى بدون شك نسبة ضعيفة جداً.

---

١ ــ قام الباحث بمسح شامل للأحياء المختلفة بالمدينة، وذلك لوضع حدود منطقة الدراسة وحصر المنازل التي تحمل الطابع الغربي المختلط.

٢ ــ لا يوجد في مدينة رشيد آية مباني تحمل طابعاً مختلطاً الا في هذه المنطقة المشار اليها باستثناء عمارة واحدة ملك عائلة عرفة، والواقعة شمال المدينة بجوار المستشفى المركزي والمجمع الديني لمسجد أبو بكر الصديق.

٣ ــ من الملاحظ في تلك المنطقة أن أغلب المباني المقامة حديثاً لا تتعدى ثلاثة أدوار (حوالي ٨٥,٤%)، بينما لا تتعدى المباني التي ترتفع الى أربعة وستة أدوار ١٢,٢% – ٢,٤% على التوالي.

ب) المساقط الأفقية

بتحليل المساقط الأفقية لمعظم منازل منطقه الدراسة يلاحظ أن الدور الأرضي قـــد خصص لاستعمالات غير سكنية، متمثلة في مخازن ومحلات تجارية وبعض الـــورش، وبصفة خاصة ورش صناعة البلاط أو الخدمات العامة، مثل المستوصف الواقع بـــالدور الأرضي لمنزل عائلتي عناني والكسار، باستثناء بعض الأمثلة القليلة التي يستخدم فيـــها الدور الأرضي كوحدات سكنية مثل منزل عائلة عرفة بشمال رشيد.

بالنسبة للأدوار العلوية فتتراوح عدد الوحدات السكنية ما بين وحدة سكنية واحدة إلى ثلاثة وحدات سكنية على الأكثر، إلا أن غالبية الأمثلة تنحصر في وحدتين سكنيتين بكل دور.

فيما يختص بتوزيع العناصر الداخلية المكونة للوحدات السكنية فيلاحظ أن الصفـــة الغالبة هى وجود الصالة في وسط الوحدة السكنية، وانفتاح غالبية –إن لـــم تكـــن كـــل الحجرات– على تلك الصالة، سواء كانت غرف استقبال أو غرف نوم. من ذلك نســتنتج أن تصميم الوحدة السكنية في تلك المنازل ذات الطابع الغربي المختلـــط تختلـــف عـــن المنازل ذات الطابع الإسلامي في نقطة جوهرية هى الخصوصية والفصل بيـــن جنـــاح النوم وجناح الاستقبال (الحرملك والسلاملك)، حيث تنفتح غرف النوم على الصالة، وهو ما يتنافى مع تصميم المنازل القديمة برشيد، وكذلك مع عادات وتقـــاليد أهـــل المدينـــة والمدن الإسلامية بمصر.

تتركز خدمات الوحدة السكنية من مطابخ وحمامات في مكان واحد مع عدم الفصـــل بينهما، بحيث يتم الدخول للحمام عن طريق المطبخ، مع ملاحظة انفصال دورة الميـــاه عن مكان الاستحمام، وهى من الصفات الملحوظة في تصميم تلك المنازل.

اختفاء الحوش الداخلي (المنور) في المنازل ذات الطابع الغربي المختلـــط، وعـــدم استعمال منور خدمة أو منور سكني وانفتاح المطابخ والحمامات مباشرة للخارج، وكذلك غرف النوم، وهو ما يتنافى مع مبدأ الخصوصية المنوه عنها ســـابقاً. وممـــا يذكـــر أن الشخشيخة استخدمت كعنصر رئيسي في إنارة عنصر الاتصال الرأسي والموصل إلـــى الوحدات السكنية بالأدوار المختلفة.

ج) الواجهات الخارجية

كما ذكرنا من قبل أن منازل منطقة الدراسة لا تحمل كلها الطابع الغربي المختلط في كل عناصرها، لكن ربما ينحصر ذلك في بعض العناصر المتفرقة. ولكن تحليلنا التالي للواجهات الخارجية يهتم بالمباني التي تظهر بها عناصر الواجهات الخارجية بصورة متكاملة، وذلك منعاً للخلط أو تفادياً لاحتمالات استخدام عناصر معمارية لمنازل قديمة تهدمت، مثل أبواب العمارات في منازل أكثر حداثة.

ج-١ دراسة الكتل البنائية والبروزات الخارجية

بتحليلنا للواجهات الخارجية من حيث الكتل البنائية والبروزات نستخلص النقاط الآتية:

يلاحظ أن بعض الواجهات الخارجية لعدد كبير من المنازل تتجه إلى التماثل التام، من حيث الكتل البنائية والفتحات مثل واجهات منزل أبو السعادات والمنزل المطل على حارة نعمة الله القبلية منزل عائلة بلال، أو تماثل شبه تام مثل الواجهة الشمالية لمنزل عائلة عرفة.

من السمات الأخرى نجد تنوع مستمر في الكتل البنائية للواجهة الواحدة، واختلاف كل دور عن الأخر في المعالجة المعمارية للبروزات، مثلما نراه في منزل عائلتي عناني والكسار، وذلك باستخدام أبراج رأسية مستمرة وظهور بروزات (تراسات) في أدوار علوية لا نجدها في الأدوار السفلية. كذلك يلاحظ كثرة استخدام البروزات الرأسية والممثلة في الأبراج والشكمات، وأيضاً البروزات الأفقية (تراسات مستمرة) في الواجهات الخارجية مع ندرة المنازل التي تخلو من تلك البروزات، مع ملاحظة استخدام الكوابيل بصورة ظاهرة في حمل هذه البروزات.

فنجد مثلاً منازل ذات زوايا قائمة، وبروزات ذات زوايا منحنية أو مستديرة مثل واجهات منزل عائلة عرفة، أو أبراج أسطوانية مثلما نراها في واجهات منزل عائلة أبو السعادات[١]، كذلك نجد أن تلك الأبراج أما مفرغة بصورة منتظمة في صورة عقود محمولة على أعمدة أو مفرغة جزئياً.

---

١ ــ منزل عائلة أبو السعادات يظهر تأثره في مظهره العام ومن حيث الكتل البنائية بالاضافة الى أنتشار النوافذ الضيقة في جسم الأسطوانة متشبها في ذلك بالمراغل في المباني الحربية.

أما بالنسبة للبروزات ذات الاتجاه الأفقي والممثلة في التراسات، فقد تـم معالجتـها بصور مختلفة، فهناك بعض الأمثلة التي يظهر فيها الإحساس بالاتجاه الأفقـي بدرجـة غالبة وواضحة، أو إحساس متزن مع الاتجاه الرأسي وفي بعض الحـالات لا تظـهر البروزات الأفقية إلا في أجزاء متفرقة في صورة تراسات نصف مثمنة أو مربعة ممـا يضعف الإحساس بالاتجاه الأفقي في الخطوط الرئيسية.

بالإضافة إلى ذلك نجد أن بعض الواجهات الخارجيـة لمنـازل العمـارة الغربيـة المختلطة قد احتوت على بعض العناصر التي تميز عمارة عصـر النهضـة المتـأخر "الباروك" وأهمها التقسيم الحجري في أركان المبنى بالإضافة إلى وجود هـذا التقسـيم حول بعض النوافذ أو أعلاها.

كذلك فان أركان المباني قد عولجت بطرق مختلفة فبالإضافة إلى التقسيم الحجـري في بعض المباني، نجد أنه قد استخدمت في البعض الآخر أركان منحنية أو أسطواني أو أركان تستخدم فيها الزوايا القائمة.

ج-٢ الفتحات (الأبواب والنوافذ)

ترجع أهمية دراسة الفتحات إلى كونها من العنـاصر الرئيسـية فـي الواجـهات الخارجية التي تسهم بدرجة كبيرة في تحديد السمات الخارجية للطابع الغالب في عمـارة المنازل بمنطقة الدراسة.

بالنسبة للنوافذ يمكن ملاحظة كثرة استخدامها في الواجهات الخارجية ممـا يضفـي الإحساس بالاتزان بين الفتحات والحوائط المصمتة Soild & Void.

كما يشير إلى الانفتاح الاجتماعي للخارج بديلاً من انفتاح الغرف للداخل، كما فـي بعض البيوت ذات الطابع الإسلامي، وتتميز نوافذ وشبابيك الدور الأرضـي باحتوائـها على شبكة من البرامق الحديدية الرأسية أو المتشابكة في أشكال زخرفيه بسيطة، ويوجد ذلك على وجه الخصوص في الأدوار الأرضية ذات الاستخدام السكني نتيجـة لقـرب جلسة الشباك من منسوب الرصيف، والهدف من ذلك توفير الأمن والطمأنينـة لسـكان الدور الأرضي في حالة عدم وجود أسوار محيطه بالمنزل باستثناء بعض الأمثلة التـي تتوافر فيها أسوار في أجزاء من المنزل مثلما نراه في منزل عائلة أبو السعادات ومنزل عائلة عناني والكسار بحارة نعمة الله القبلية اللذين استخدم فيهما الطريقتان، أي كل مـن الشبكة الحديدية وأسوار جزئية.

تتنوع أشكال النوافذ في هذه المنازل ولكن يمكن حصرها في شكلين رئيسيين، وهما النوافذ المستطيلة وتعتبر الشكل الغالب على منازل منطقة الدراسة، بالإضافة إلى النوافذ التي تنتهي بعقد دائري، وغالباً ما نجدها في أماكن الاتصال الرأسي (السلالم) ما عـــدا بعض الإستثناءات.

كذلك يمكننا تمييز النوافذ من حيث المواد المستخدمة إلى نوعيـــن أثنيـــن فنجـــد أن العنصر الغالب هو الشبابيك من الخشب والزجاج ومزودة بضلف خشبية/الشيش، أمـــا النوع الآخر فهي نوافذ من الخشب والزجاج الملون بدون شيش.

بإستعراضنا لكل الأبواب بالواجهات الخارجية (باب المنزل) بمنطقة الدراسة نجـــد أنها إما أبواب خشبية مصممة لا تحتوي على آية فتحات نافذة (شراعه)، وتعتبر هـــذه النوعية قليلة الوجود بالمقارنة بالنوعية الأخرى المنتشرة بصورة طاغية وعلى الأبـواب الخشبية ذات الفتحات النافذة ومزودة بشبكات من الحديد ذات الأشكال المتنوعة وذلـــك لمليء فراغات الفتحات، كذلك توجد أبواب من الحديد فقط ذات أشكال هندسية وزخرفيه وهى الأخرى من النوعيات النافذة. وبصفة عامة فان هذه الأبواب كلها تحتـــوي علـــى ملامح مميزة لعمارة عصر النهضة المتأخرة "الباروك" ولكن مع شيء من التبسيط فـــي العناصر والزخرفة. إلا أننا نجد أن هناك اختلافات عديدة بين أبواب المنازل من حيـــث الزخرفة التي تزينها والتي يمكن استخلاصها في النقاط الآتية:

١ – أبواب ذات فتحات نافذة تعلوها كورنيش مثلث Pediment .

٢ – أبواب ذات فتحات نافذة تنتهي بعقد نصف دائري أو تعلوها كرانيش نصف دائرية.

٣ – أبواب ذات فتحات نافذة تعلوها كرانيش منحنية، وهذه النوعية ذات انتشار كبـــير بين أبواب المنازل في منطقة الدراسة.

٤ – أبواب مزودة بشبكة حديدية ذات أشكال زخرفيه بسيطة.

٥– أبواب مزودة بشبكة حديدية ذات أشكال زخرفيه هندسية معقدة أو كثيفة.

٦– أبواب مزودة بشبكة حديدية ذات زخرفة تتبع أسلوب الفن الحديث Art Nouveav .

٧ – أبواب تحتوي على زخارف نباتية محفورة على الخشب بصورة منفردة أو متداخلة مع أشكال هندسية.

ج-٣ الأعمدة والعقود

أن استخدام الأعمدة الظاهرة في الواجهات لم تكن بالانتشار الكافي إلا أننا نجد بعض الأمثلة المحدودة في هذا الصدد، فنجد مثلاً في منزل عائلة عرفة استخدمت عقود دائرية محمولة على أكتاف وأعمدة مستديرة، بينما نجدها في منزل عائلة عناني والكسار عبارة عن عمود واحد يحمل عقد يقرب إلى الأفقية مع انحناءه في الأطراف، وذلك في العقود الكبيرة الأمامية، أما العقود الصغيرة الجانبية فهى عبارة عن عقود نصف دائرية، خلاف ذلك نجد أن العقود النصف دائرية لم تظهر إلا في بعض الفتحات النافذة كما سبق ذكره.

ومن الملاحظ أن الأعمدة التي استخدمت لم يظهر في نقوش تيجانها أي طراز من الطرز الكلاسيكية المعروفة باستثناء بعض الأمثلة القليلة مثل أعمدة مدخل منزل عائلة أبو السعادات التي تقترب في شكلها من العمود الدوركي Doric Style.

ج-٤ الكورنيش ونهايات المباني

تنوعت منازل منطقة الدراسة في استخدامها للكرانيش، فنجد أن هناك بعض المنازل استخدمت الكورنيش كعنصر فصل بين الدور والآخر، مع انتهاء المبنى بكورنيش ضخم يتناسب مع الارتفاع الكلي للمبنى، وهى من السمات الرئيسية في واجهات طراز عصر النهضة RENAISSANCE STYLE.

بينما نجد أن البعض الآخر قد أستخدم الكورنيش البسيط في الفصل بين الأدوار، وكذلك كنهاية للمبنى دون الاستعانة بكورنيش ضخم، بالإضافة إلى ذلك نتبين بعض المعالجات الأخرى في نهايات المبنى، مثل التغير المفاجئ في ارتفاع دروة السطح في أماكن معينة ربما لإضفاء الحركة والديناميكية للحد العلوي للمبنى -من الناحية البصرية- أو لتمييز مدخل المبنى عن بعد، فنجد أن هذه المعالجة قد تتمثل في دروة مستطيلة أو دروة مصمتة منحنية أو ذات تفريغات، أو في بعض الأحيان تستخدم لذلك قبة كبيرة ومزينة ببعض الزخارف البسيطة.

ج-٥ دراوي التراسات

تنحصر دراوي التراسات بمنازل منطقة الدراسة في نوعين فقط، كثر استخدامهما وهما البرامق الحجري المتكررة BALUSTER والحديد المشغول، ولكل منهما تأثيره من

الناحية التعبيرية على دراسة الكتل والفراغات بالواجهات الخارجية. فنجد أن هناك بعض الأمثلة التي لم تستخدم سوى الحديد المشغول/المشكل، وذلك بصورة منفردة في بعض الواجهات، أو استخدام برامق حجرية فقط، أو استخدامهما معا في واحدة، وذلك بهدف زيادة العنصر الزخرفي وتنوع المواد المستخدمة فيه وتقليل جمود الأسطح المصمتة.

بالإضافة إلى ذلك نجد أن استخدام الحديد المشكل لم يقتصر على دراوي التراسات ولكن نجده في أكثر من مكان في المبنى سواء بالواجهات الخارجية أو داخل المبنى، ولنفس الهدف وهو "الحماية" دون الحد من الرؤية البصرية، فقد أستخدم كدراوي بوسيلة الاتصال الرأسي أي السلم للحماية من السقوط، أو في الأسوار الخارجية للمبنى كحماية من اللصوص والمتطفلين، أو لمليء فراغات النوافذ كما سبق ذكره في تحليلنا للنوافذ والأبواب.

أما من الناحية الزخرفية فقد تم استخدام الحديد للحصول على أشكال هندسية تمتاز بالبساطة والانسيابية في الخطوط.

ج-٦ الزخارف والنقوش

من التحليل العام للواجهات الخارجية في منازل منطقة الدراسة نتبين أن النقوش والزخارف قد اختير لها مواقع معينة بهدف تزيين وإبراز بعض العناصر الهامة في الواجهات. فنجدها في صورة قوالب زخرفيه تعلو النوافذ والأبواب وتحت جلسة النوافذ، كذلك نجدها مدمجه مع بعض العناصر الإنشائية فتضفي عليها جمالاً وتقلل من جمود هذه العناصر، فهي في الكوابيل الحاملة للشكمات والتراسات، كما استخدمت القوالب الزخرفية كبروزات وتجاويف شريطية مستمرة مع بعض العناصر ذات الاتجاه الأفقي مثل الكورنيش البسيط والكورنيش الضخم الواقع بنهاية المبنى.

ويمكن تقسيم الزخارف والنقوش المستخدمة في المنازل ذات الطابع الغربي المختلط إلى الأنواع التالية:

- زخارف نباتية تظهر في صورة إكليل الزهور أو باقة زهور.
- زخارف هندسية بسيطة متمثلة في خطوط مستقيمة ومنحنية مكونة أشكال المستطيلات والمثلثات والدوائر .. الخ.
- زخارف تشخيصية وتصويرية تمثل أشكال الحيوانات والإنسان مثلما نراه في الصورة رقم ٢٨ حيث استخدمت أحد الرسومات التي تعبر عن الفن الفرعوني القديم،

وهى محاولة للدمج بين الثقافات المختلفة المصرية والأوربية، إلا أن هذا المثال يقرب إلى أشكال الفن الآشوري والبابلي في بلاد ما بين النهرين.

- كما نلاحظ استخدام الدروع التي تعلو النوافذ وهى تتشابه في ذلك مع عمارة عصر النهضة والتي استخدمت فيها الدروع التي تحمل شعار مالك المنزل أو القصر كدلالة على العائلة التي ينتمي إليها إلا أننا هنا نجدها خالياً من الشعارات أو تحمل الشعار الملكي المصري والمتمثل في التاج والهلال والنجمة.

- من الملاحظ في الزيارة الميدانية لتلك المنازل أنها تخلو في واجهاتها الخارجية من عناصر أخرى تميزت بها عمارة عصر النهضة المتقدم والمتأخر على حد سواء والمتمثلة في المشاعل ومقابض الأعلام أو الحلقات البرونزية التي تعلو سطح الأرض والمستخدمة كمرابط للخيل.

استنتاج عام

بنظرة شاملة على كل منازل رشيد والتي تحمل سمات عمارة عصر النهضة مستخدم في ذلك بعض أو كل المفردات المعمارية لذلك الطراز فإننا نتبين أن أكثر مثالين تتكامل فيهما هذه الملامح بصورة واضحة، أولهما منزل عائلة عرفة الواقع بشمال رشيد بالقرب من مستشفى رشيد المركزي (بصرف النظر عن الدور الثالث والذي أضيف حديثاً)، وثانيهما منزل عائلة عناني والكسار الواقع عند تقاطع كل من شارع الجمهورية وحارة نعمة الله القبلية.

٣ -العمارة المعاصرة بمدينة رشيد (النصف الثاني من القرن العشرين)

٢-١ التحولات في العمارة والعمران بمدينة رشيد

- لقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين تحولات هامة في كل من العمارة والعمران بمدينة رشيد فمن الناحية العمرانية أزداد النمو العمراني في محاور متعددة أهمهم الشريط المواجه لكورنيش النيل وخاصة في الجزء الشمالي من المدينة، وأيضاً على محور طريق رشيد الإسكندرية بالإضافة إلى بعض المواقع المتناثرة في قلب المدينة، وذلك بعد هدم المباني الأثرية من منازل وحمامات ووكالات، وأقرب مثال لذلك وكالة الباشا وهى آخر ما هدم من الوكالات في رشيد، وقد بنيت في موقعها بعض العمارات الحديثة.

- وبصفة عامة نجد أن أغلب المباني الحديثة -وخاصة المباني السكنية- تتراوح ارتفاعاتها ما بين دورين إلى ستة أدوار على الأكثر، إلا أن أغلب المباني الحديثة تنحصر في ارتفاعاتها ما بين دورين إلى ثلاثة أدوار باستثناء بعض العقارات التي تجاوزت ارتفاعاتها خمسة وستة أدوار وخاصة في المواقع المطلة على كورنيش النيل وعند أطراف المدينة على محور طريق رشيد إسكندرية.

- أما من الناحية المعمارية فبنظرة فاحصة على المباني الحديثة يمكننا تمييز نوعيات مختلفة تبعاً للأحقاب والفترات التي تعكس بصورة أو بأخرى عمارة النصف الثاني من القرن العشرين -ليس فقط في رشيد- وإنما في مصر بصفة عامة ويمكن حصر هذه النوعيات في فترتين هما كالآتي:

أ) فترة الخمسينات والستينات: حيث تتميز مبانيها بالبساطة الشديدة من الناحية المعمارية، وعامة نلاحظ عدم الإكثار من الألوان والمواد المستخدمة في إنشاء هذه المباني والتي تصل إلى حد استخدام مادة واحدة بخلاف المنتجات (أبواب وشبابيك) ولون واحد في الواجهة كلها كذلك من أهم سمات مباني تلك الفترة هو خلوها تماماً من النقوش والزخارف التي ميزت عمارة الثلاثينات والأربعينات في المباني السكنية نجد أن الأدوار المتكررة متشابهة تماماً دون أي تغيير بعكس عمارة النصف الأول من القرن العشرين التي تنوعت في الكتل والفراغات والمفرادات والعناصر المعمارية.

أما في المباني العامة ومباني الخدمات فنلاحظ الرتابة والتكرار بالنسبة لتصميم الواجهات الخارجية مع التبسيط الشديد في دراسة الكتل والفراغات وظهور العناصر الإنشائية مثل الأعمدة والكمرات وتأكيدها في الواجهات، الإضافة إلى استخدام تصميم نمطي يتكرر في

مدن مصر بصفة عامة، ونجد ذلك في مباني الخدمات دون مراعاة لظروف البيئة والعمارة المحلية الحديثة، مما يعكس افتقار واضح للإبداع وتدهور من الناحية المعمارية.

ب) فترة السبعينات والثمانينات: بصفة عامة نلحظ في مباني تلك الفترة تغيير واضح في الاتجاه المعماري، ويظهر ذلك جلياً في الواجهات الخارجية بصورة خاصة. فمن الخطوط والكتل البسيطة التي ميزت الفترة السابقة نشهد كثرة استخدام الكتل ذات الإحساس الأفقي والمتمثلة في التراسات والكتل الرأسية المتمثلة في الأبراج والشكمات، فيمكن تمييز مباني تغلب عليها الإحساس بالكتل الأفقية التي تفصل بين الأدوار، ومباني أخرى يتوازن فيها الإحساس بالأفقية والرأسية معاً من الناحية البصرية.

أما بالنسبة للناحية الزخرفية فان كثرة الألوان والأشكال الزخرفية والتي استخدمت بصورة واضحة خاصة في دراوي البلكونات.

وأيضاً القوالب الزخرفية الواقعة بين نوافذ الأدوار المتكررة تعتبر من السمات المميزة لعمارة تلك الفترة، كذلك نلحظ كثرة الألوان مع استخدام نفس مادة النهو في الواجهات الخارجية أو كثرة استخدام مواد التشطيبات مثل البياض ومسطحات الزجاج وطوب الواجهات .. الخ.

وعامة فان مباني السبعينات والثمانينات لا تظهر فيها النمط الإنشائي وخاصة في المباني السكنية، أما المباني العامة فان هذه الصفة واضحة تماماً في العديد من تلك المباني، ونخص بالذكر مبنى الوحدة المحلية لمدينة ومركز رشيد كمثال، حيث نتبين في دراسة الكتل والفراغات لهذا المبنى وضوح الأعمدة والكمرات والكوابيل الحاملة لنهايات المبنى مع تعدد مواد النهو بها.

٢-٢ بعض المحاولات للحفاظ ولأحياء التراث المعماري

ظهرت في الفترة الأخيرة-فتره الثمانينات- بعض المحاولات الفردية التي تهدف إلى أحياء التراث المعماري الإسلامي والحفاظ على هذا الطابع، وذلك باستخدام بعض المفردات المستنبطة من العمارة الإسلامية. وبصفة عامة نلاحظ أن أغلب هذه المحاولات قد تركزت في المباني ذات الصبغة الدينية وبعض مباني الخدمات. وعلى ذلك فان التحليل التالي بمثابة إلقاء الضوء على بعض المحاولات الجادة وهى كالآتي:

أ) المركز الديني الثقافي لجامع أبو بكر الصديق

ب) مسجد الهداية الإسلامي

ج) المجمع الإسلامي للأمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم

د) مستشفى رشيد المركزي

أ) المركز الديني الثقافي لجامع أبو بكر الصديق

- يقع هذا المركز في شمال رشيد بالقرب من مستشفى رشيد المركزي ومطلاً على كورنيش النيل ويعتبر هذا المركز من المباني التي أنشئت حديثاً حيث أفتتح عام ١٩٨٨م.

- ويتكون هذا المبنى من عدة عناصر أهمها مسجد أبو بكر الصديق ويتبع نظام المساجد المعلقة حيث تنتشر المحلات التجارية وصيدلية بالدور الأرضي بالإضافة إلى بعض المخازن، أما بيت الصلاة فيقع بالدور العلوي، كما يضم المركز عيادة خارجية ومستشفى مكونة من ثلاثة أدوار.

- تختلف ارتفاعات المركز الديني ما بين دور واحد وثلاثة أدوار بخلاف الدور الأرضي، وقد تم تأكيد هذا الاختلاف بدراسة الكتل البنائية المكونة للمبنى حيث يتوسط الجزء المكون من دور واحد كلاً من الكتل ذات الدورين والثلاثة أدوار. وتتميز واجهات هذا المبنى باستخدام فتحات مستطيلة ذات نسب مختلفة، ففي الواجهة البحرية استخدمت تجاويف حائطية تنتهي بعقود مدببة أو عقود نصف دائرية، كما تحتوي على نوافذ خشبية مزينة بنقوش وزخارف بسيطة وستائر من الخرط العربي (مشربيات)، بينما تتميز نوافذ باقي مكونات المبنى بأنها عبارة عن فتحات مستطيلة تنتهي بعقد مدبب. إلا أن جميع فتحات المبنى تشترك في وجود بروزات رأسية على جانبي النوافذ المنتهية بعقود مدببة وأعلى التجاويف الرأسية.

أن المظهر الخارجي للمركز الديني والثقافي لجامع أبو بكر الصديق يبين تأثره بالعمارة الحربية، ويتأكد ذلك بالمعالجة المعمارية للحد العلوي للمبنى، حيث تم تدعيم أركان المبنى وزواياه المتعددة بأشباه الأبراج مع وجود فتحات نافذة تنتهي بعقد مدبب أيضاً، وهى معالجة معمارية تكسب المبنى قوة في أركانه متشبها في ذلك بالقلاع والحصون ومباني الاستحكامات الحربية. كذلك فقد استخدمت شرافات مثلثة تقع بطول الحد العلوي ومحصورة بين أشباه الأبراج الواقعة بأركان المبنى. بالإضافة إلى ذلك نجد أنه قد استخدمت جزئياً في الحد العلوي للدور الأرضي بعض العقود المثلثة والمفرغة عند قمتها كمحاولة للربط بين كتلتين مختلفتين في الارتفاع، وهو الجزء المطل على الكورنيش، ويعتقد أن هذه المعالجة مستنبطة من العمارة الفاطمية الممثلة

في مسجد الصالح طلائع بن رزيك وأيضاً من العمارة العثمانية التي ظهرت بمسجد محمد بك أبو الذهب ومسجد سنان باشا بمدينة القاهرة.

وبصفة عامة فان المبنى في مظهره العام يعطي الإحساس بالقوة بالرغم من تعدد الفتحات بالواجهات الخارجية وشغلها لمساحة كبيرة وربما يرجع هذا الإحساس لتشابه المبنى من حيث الكتل والخطوط العامة مع المباني الحربية كما سبق ذكره.

ب) مسجد الهداية الإسلامي

يقع هذا المسجد عند أطراف مدينة رشيد على محور طريق رشيد/إسكندرية وينسب بناء هذا المسجد لعائلة الصيرفي، وتم افتتاحه في ١٥ أغسطس ١٩٨٥م. يتميز المسجد بالبساطة المعمارية وعدم التكلف في المعالجات المعمارية المستخدمة مع الإحساس الواضح بالاتجاه الرأسي من الناحية البصرية والممثل في المئذنة البارزة عن المبنى، بالإضافة إلى استخدام تجاويف رأسية منتظمة يحدها من أسفل ومن أعلى كتل مصمتة وبارزة عن الواجهة.

وتحتوى التجاويف الرأسية على نوافذ خشبية مستطيلة الشكل في الجزء العلوي من هذه التجاويف، كما يظهر الاهتمام باستخدام ستائر من الخشب الخرط (مشربيات) في تغطية مسطحات رأسية كبيرة تقع بين التجاويف الرأسية.

كما يلاحظ تأكيد المعماري لاتجاه القبلة وذلك بظهور المحراب من الخارج في صورة كتلة بارزة تعلوها نافذة مستديرة مزينة بزخارف هندسية بسيطة. ويسترعى الانتباه عدم الإكثار من الزخارف الهندسية المستخدمة في تصميم الواجهات الخارجية للمسجد والتي تميزت بالبساطة الشديدة وعدم التكلف في إظهارها أو تأكيدها. يتركز ظهور تلك الزخارف في المشربيات والنوافذ العلوية بالتجاويف الرأسية وحشوات النافذة المستديرة التي تعلو المحراب.

ويعتبر هذا المثال من المحاولات الناجحة نوعا ما من الناحية المعمارية والتي لم تستخدم فيها المفردات والعناصر المعمارية ذات الطابع الإسلامي بشيء من التكلف والإسراف كما سبق ذكره.

جـ) المجمع الإسلامي للأمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم (تحت الإنشاء)

يعتبر هذا المسجد هو الآخر من أمثلة المساجد المعلقة حيث يرتفع منسوب بيت الصلاة بمقدار دور كامل عن منسوب الشارع بينما يشغل الدور الأرضي بعض المحلات ومكتبة

دينية متمشياً مع وظيفة المبنى وموقعه المميز والمطل على كورنيش النيل.

يتميز هذا المسجد بالتباين الواضح في عمارته بين الكتل المكونة له، فالجزء الأكبر هو الخاص ببيت الصلاة (رجال وسيدات) وهو عبارة عن كتلة واحدة منتظمة واجهاتها تتسم بالبساطة حيث تحتوى على بروزات رأسية خفيفة يضم كل بروز صفين من الفتحات المغطاة بأعمال الخشب الخرط أما النوافذ السفلية فهى مستطيلة وكبيرة المساحة تعلوها نوافذ صغيرة تنتهي بعقود مدببة. كما يلاحظ بروز كتلة أسطوانية مغلقة تأكيدا لاتجاه القبلة وظهورها من الخارج. وقد عولج الحد العلوي لهذا الجزء باستخدام الشرافات المثلثة.

أما الكتلة الخاصة بالمدخل الرئيسي فتتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية، الجزء السفلي عبارة عن أعمدة تعلوها عقود حاملة لغرفة الدفن (الضريح) والتي تمثل الجزء الأوسط وهى عبارة عن غرفة مربعة تتحول إلى الشكل المثمن، أما الجزء العلوي فيتكون من رقبه القبة التي تضم ١٢ نافذة وفتحات مستديرة الشكل ويأتي بعدها جسم القبة وهى مخروطية الشكل.

ويعيب هذه الكتلة كثرة استخدام العقود المتنوعة بدرجة كبيرة والتي تختلف في كل جزء من أجزاءها الثلاثة حيث نتبين في الجزء السفلي عقود ثلاثية الفصوص بالإضافة إلى عقود منحنية ومدببة واقعة على جانبي العقود ثلاثية الفصوص. أما الجزء الأوسط فيحتوى على فتحات مستطيلة تعلوها فتحات تنتهي بعقد مدبب كبير وفتحات أخرى تنتهي بعقد نصف دائري، والجزء العلوي من هذه الكتلة يضم نوافذ رأسية برقبة القبة تنتهي بعقد مدبب بالإضافة إلى فتحات مستديرة محصورة بين عقود النوافذ الرأسية. أما الناحية الزخرفية فهى معدومة نتيجة لعدم البدء في أعمال التشطيبات.

د) مستشفى رشيد المركزي (الامتداد تحت الإنشاء)

إن مشروع امتداد مستشفى رشيد المركزي يعتبر من المحاولات التي تعمل على دمج المبنى القديم مع التوسعات الحالية بالمستشفى وذلك عن طريق استخدام عنصر ربط للجزئين القديم والحديث ويتمثل ذلك في الوحدة الزخرفية الهندسية ذات الطابع الإسلامي، أي أن المهندس المعماري في هذه المحاولة أستخدم ستار من الخرسانة المسلحة عبارة عن خطوط مستقيمة تتقاطع مع بعضها وتنتهي بعقد مدبب.

لذلك يمكننا القول بأن محاولة أحياء التراث المعماري الإسلامي جاء ضعيفاً نوعاً ما حيث لم يستغل أو يتبع أسس تصميميه متكاملة مكتفيا باستخدام عنصر زخرفي لا يمت بصلة لتصميم المستشفى البعيد عن الطابع الإسلامي.

خاتمة

النظرة المستقبلية لعمارة رشيد ... إلى أين؟

إن النظرة المستقبلية لعمارة رشيد هى بدون شك لابد وأن تركز على خطوات إيجابية تبدأ من اليوم كي تتضح ملامح الشخصية المعمارية لرشيد المستقبل. والسؤال السابق يستمد أجابته من عدة مظاهر لها أهميتها من الناحية المعمارية تبين أن الخطوات الأولى قد بدأت بالفعل نذكر منها:

١) بعض المحاولات الفردية لبعض المعماريين في الاقتباس والتطوير من عمارة الماضي وخاصة العمارة الإسلامية والتي تتمثل في بعض المشروعات الجديدة التي تم تنفيذها مثل المركز الديني لجامع أبو بكر الصديق ومسجد الهدايا الإسلامي والمجمع الإسلامي للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم ومشروع امتداد وتطوير مستشفى رشيد المركزي وهى المشاريع التي تم تحليلها في النقطة السابقة.

٢) بعض التصورات المعمارية التي لم تخرج بعد حيز التنفيذ كمحاولات للحفاظ على المباني الأثرية الموجودة حالياً في رشيد مع إعادة تخطيط المناطق المحيطة بها وتطويرها أو بعض الاقتراحات لإعادة توظيف تلك المباني مع تجديدها وصيانتها بهدف الحفاظ عليها واستغلالها في تنشيط الحركة السياحية بمدينة رشيد لما في ذلك من نفع كبير من الناحيتين المعمارية والاقتصادية على حد سواء.

٣) بالإضافة إلى ذلك هناك بعض الاجتهادات الفردية للمواطنين بمدينة رشيد والتي تتمثل في بعض الإضافات أو التعديلات التي يقوم بها هؤلاء المواطنون والتي تعكس بصورة أو بأخرى قيمة التراث المحلي المتأصل في مخيلتهم ونفوسهم ويتمشى مع عاداتهم وتقاليدهم الموروثة منذ أقدم العصور.

أ- الصورة رقم (٦٥) خير مثال للتعديلات التي يقوم بها المواطنون على بيوتهم أو بعض عناصرها. فهذا البيت القائم على كورنيش المدينة قد استبدل صاحبه التراس القديم وذلك بعد انهياره بتلك الزيادة مستخدماً في ذلك الطوب المخرم قطع سلك مما أعاد للأذهان صورة البروزات الخارجية الموجودة بمنازل رشيد الإسلامية مع إعطاء تأثير المشربيات وذلك عن طريق الثقوب العديدة والمنتظمة.

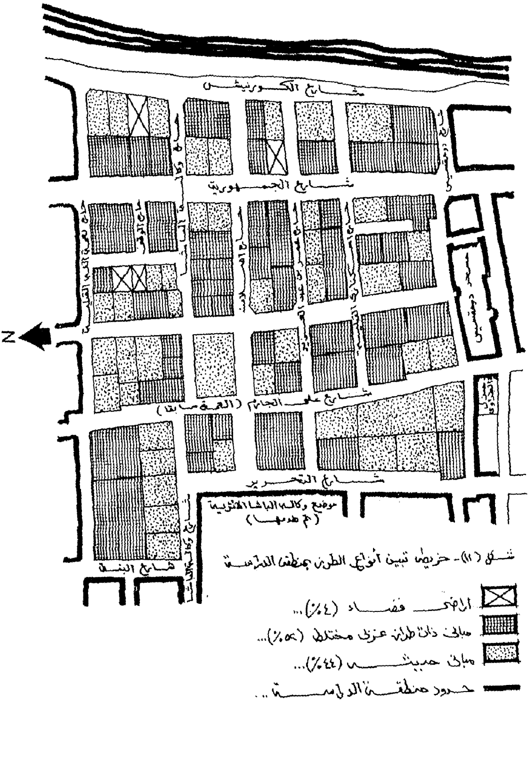
ب- كذلك فإن إضافة السواتر الخشبية المصنوعة من خشب البغدادلي تعتبر انعكـــاس واضح للخصوصية المفضلة لدى المواطنين وهو ما نلحظه في منزل عائلـــة بـــلال بحارة نعمة الله القبلية وذلك بدلا من التراس المكشوف الذي لا يتمشى مع العـــادات والتقاليد التي يحافظ عليها أهالي مدينة رشيد حتى الآن.

ت- بالإضافة إلى ذلك نلاحظ أن العديد من العمارات السكنية الحديثة لم تستخدم مواد التشطيب بالحوائـــط الخارجية كأعمـــال البياض الخارجي وإنمـــا تركت مداميـــك الطوب الأحمر على حالها بلحاماتها الظاهرة .. فهل هذا انعكـــاس لتـــأثر هـــؤلاء المواطنين بالشكل الخارجي للمنازل الإسلامية القديمة المتداخلة مع النسيج العمراني للمدينة أمثال منازل رمضان – الجمل – الآماصيلي ....الخ والتي يظهر بها قوالـــب الطوب المنجور مع التكحيل الواضح بين المداميك ؟ أم يرجع ذلـــك إلـــى بعـــض الصعوبات المالية في تشطيب تلك العمارة السكنية أم تأثر المدينة ببعـــض ملامـــح ومظاهر العمران الريفي المحيط بها؟

إن مدينة رشيد تشهد حالياً العديد من المواجهات والتحديات فـــي مجـــال العمـــارة والتخطيط لما لكل منهما تأثيره على الآخر، فمن ناحية تشهد امتداد عمراني سريع نسبياً على محاور عديدة كما ذكرنا من قبل بالإضافة إلى بعض المشروعات الهامـــة والتـــي تعلن عنها بعض الجهات التي تتولى مسئولية المدينة.

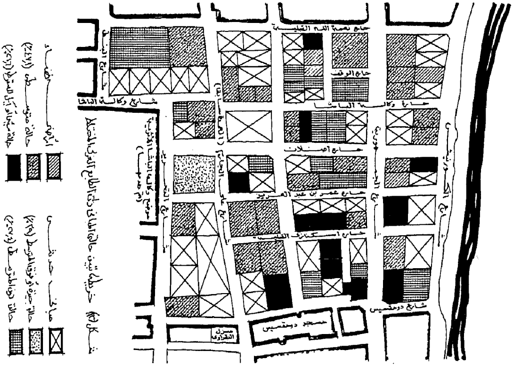
إن مدينة رشيد في حاجة إلى استغلال الطاقات الشابة في مجالات التخطيط والعمارة كمحاولة جديدة لاسترجاع قيمه معمارية لها مكانتها فـــي صفحـــات التـــاريخ. وليـــس المقصود بذلك الرجوع إلى العمارة القديمة ولكن هى دعوة لمحاولات جادة ترتكز علـــى دراسات علمية معمارية وتخطيطية متأنية تستمد ملامحها من بيئـــة وعـــادات وتقـــاليد وتراث المدينة حتى يمكن لها استعادة الشخصية المعمارية المميزة التي كانت تتحلى بها مدينة رشيد.

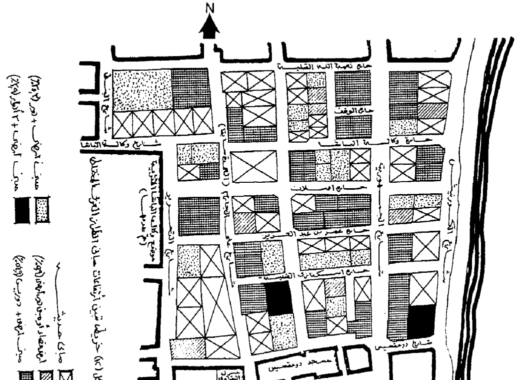
(شكل رقم ١١)



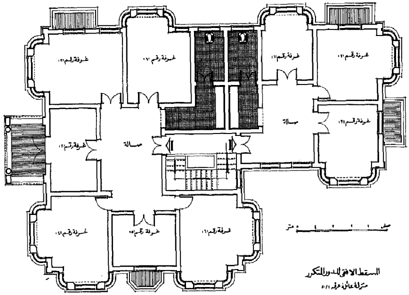
شكل (١١) - خريطة تبين أنواع الطرز بمنطقة الدراسة

(شكل رقم ١٢ و ١٣)

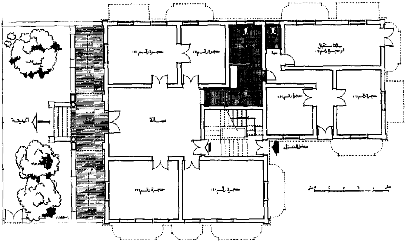




(شكل رقم ١٤)

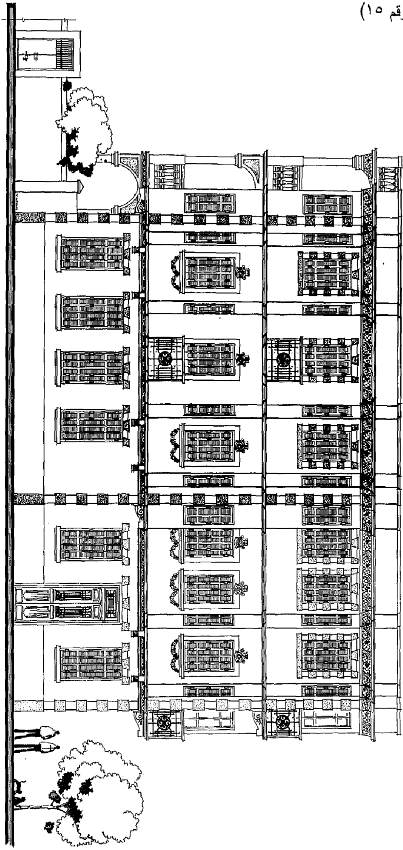


المسقط الافقي للدور المتكرر
منزل عائلة عرفة ٥٠/١



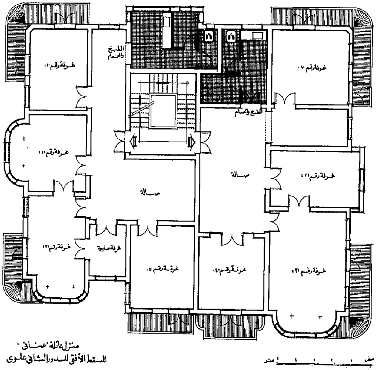
المسقط الافقي للدور الأرضي
منزل عائلة عرفة ٥٠/١

(شكل رقم ١٥)

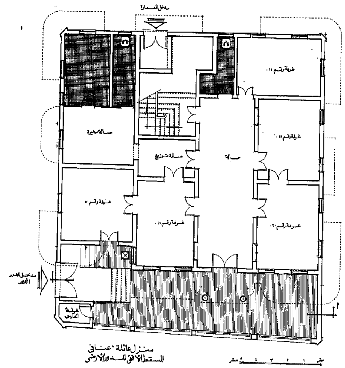


الواجهة الجنوبية لمنزل عائلة عروفة ١/٥٠

(شكل رقم ١٦)

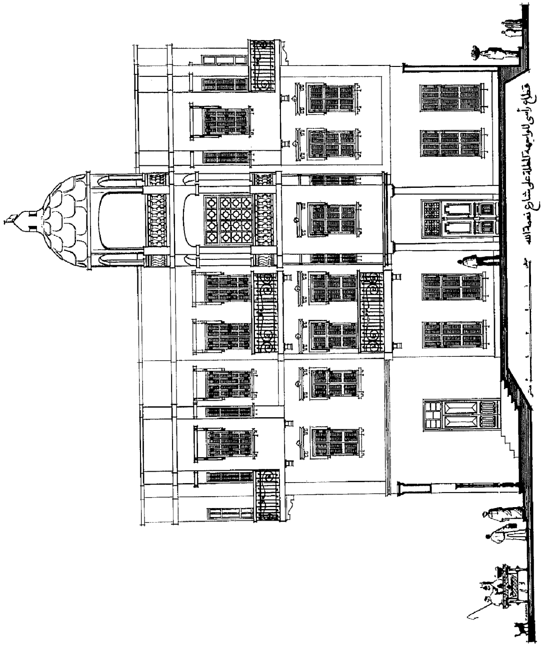


منزل عائلة "عناني"
المسقط الأفقي للدور الثاني علوي ١/٥٠



منزل عائلة "عناني"
المسقط الأفقي للدور الأرضي

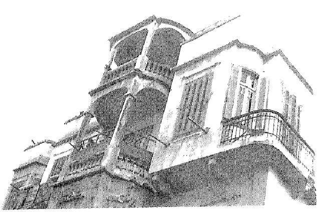
(شكل رقم ١٧)



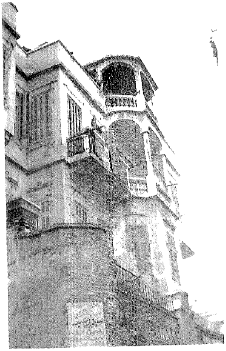
لوحات الجزء الثالث

لوحة رقم (٤٢)

منزل عائلة عنانى والكسار (حارة نعمة الله القبلية)

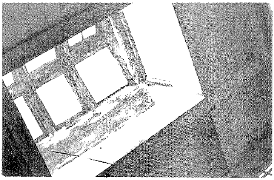


صورة رقم (١) وضوح الكتل البنائية البارزة ذات الإحساس الرأسى بالإضافة إلى بعض البروزات فى الإتجاه الأفقى والممثلة فى التراسات.



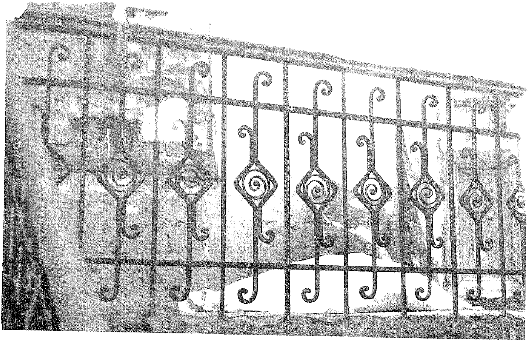
صورة رقم (٢) التغيير المفاجئ فى إرتفاعات نهاية المبنى وذلك بغرض إضفاء الحركة والديناميكية فى الناحية البصرية بالإضافة إلى التميز (القبة).

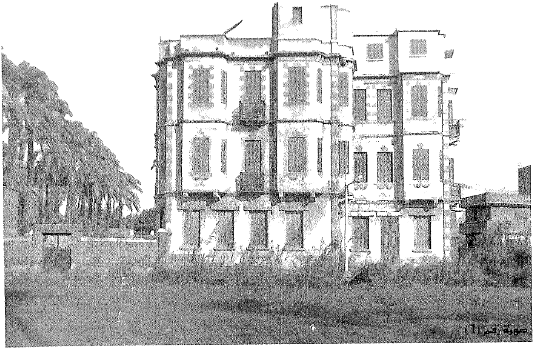
لوحة رقم (٤٣)





صورة رقم (٣) إستخدام الشخشيخة فى إنارة عنصراً الإتصال الرأسى.
صورة رقم (٤) إستخدام القبة أعلى المبنى لتمييز المبنى و مدخل المنزل بصرياً.
صورة رقم (٥) إستخدام الحديد المشغول فى دراوى السلام الداخلية للمنزل.

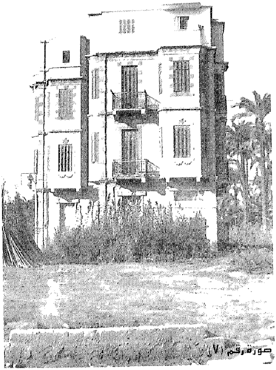



صورة رقم (٦)

منزل عائلة عرفة برشيد:

صورة رقم (٦) إرتفاع نسبة الفتحات فى المبنى ممثلة فى النوافذ كبيرة المساحة. وسيادة الإحساس بالإتجاه الرأسى فى الكتل البنائية والبروزات الخارجية.

صور رقم (٧) إتزان بين الكتل البنائية الرأسية والبروزات الرأسية والبروزات الصغيرة المفرغة (تراسات).


صورة رقم (٧)

لوحة رقم (٤٥)



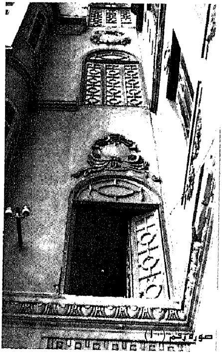


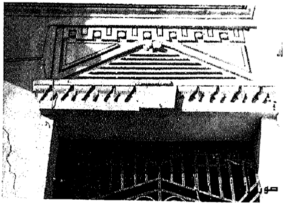
منزل عائلة عرفة بشمال رشيد:

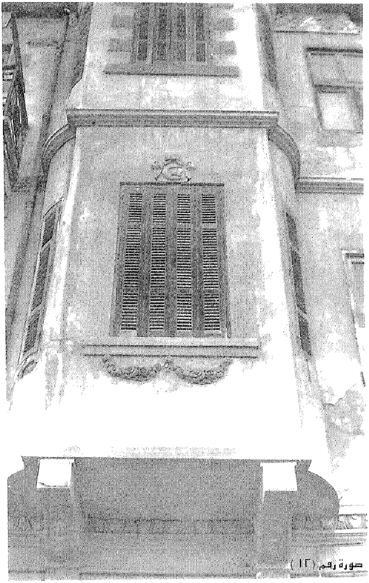
صور أرقام (٨ -٩) عقود دائرية محمولة على أكتاف وأعمدة مستديرة بالإضافة إلى إستخدام البرامق الحجرية فى دراونى التراسات بالأدوار المختلفة.

صورة رقم (١٠) إستخدام الدروع التى تحمل شعار مالك المنزل (طراز عصر النهضة) وإستخدام الشرائط الزخرفية فى الكورنيش.

صورة رقم (١١) الميل إلى الزخارف الهندسية البسيطة المتمثلة فى خطوط مستقيمة وأشكال المثلثات والدوائر الصغيرة.







منزل عائلة عرفة بشمال رشيد:

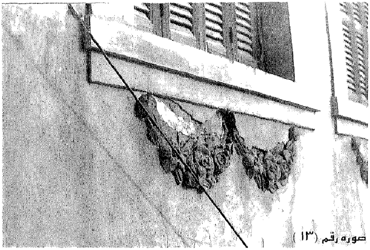
صورة رقم (١٢) إستخدام الكوابيل فى حمل البروزات الخارجية التى تتنوع بها فتحات الشبابيك، السفلى مستطيل الشكل مزود بزخارف نباتية وشعار المملكة المصرية أما العلوى فمحاط بتقسيم حجرى ظاهر.

صورة رقم (١٣) زخارف نباتية أسفل الشبابيك تتمثل فى أكاليل الزهور.

صورة رقم (١٤) أشرطة من الزخارف الهندسية البسيطة ذات الخطوط المنحنية وذلك فى الكورنيش الصغير الفاصل بين الأدوار.

صورة رقم (١٥) إستخدام الزخارف النباتية فى الكوابيل الحاملة للبروزات الخارجية.

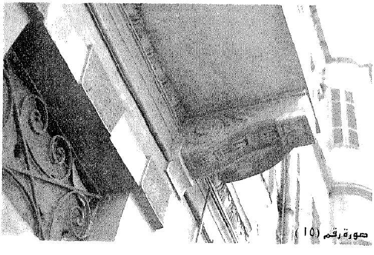
لوحة رقم (٤٧)



صوره رقم (١٣)

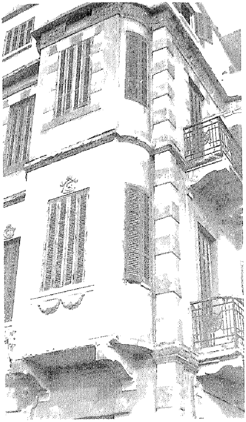


صورة رقم (١٤)

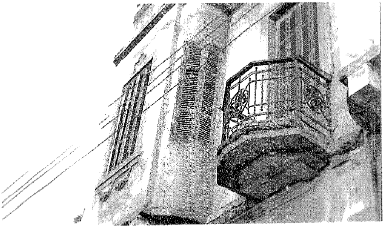


صورة رقم (١٥)

منزل عائلة برشيد شمال رشيد:



صورة رقم (١٦) ظهور التقسيم الحجرى الظاهر حول الفتحات وإستخدام كورنيش فاصل بين الأدوار ينتهى بكورنيش ضخم يتناسب مع إرتفاع المبنى.



صورة رقم (١٧) تراسات نصف مثمنة تؤدى إلى تقوية الإحساس بالإتجاه الرأسى وإسخدام الحديد المشغول ذو الأشكال الهندسية البسيطة.

لوحة رقم (٤٩)



صورة رقم (١٨) البروزات الخارجية ذات أركان منحنية مع إستخدام قوالب زخرفية أعلى وأسفل النوافذ (شعار الملك وأكاليل الزهور).



صورة رقم (١٩) ظهور التقسيم الحجرى فى أركان المبنى وحول الفتحات والكرانيش الفاصلة.



صورة رقم (٢٠) إستخدام الكوابيل فى حمل البروزات.

لوحة رقم (٥٠)


صورة رقم (٢١)


صورة رقم (٢٢)

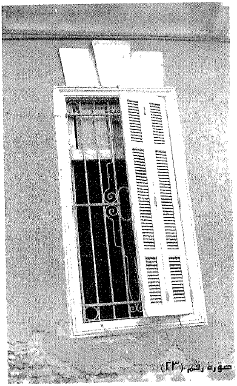
منزل عائلة بلال (ناصية شارع الجارم وحارة نعمة الله القبلية):

صورة رقم (٢١) سيادة الإحساس بالإتجاه الأفقى فى دراسة الكتل عن طريق التراسات المستمدة مع إستخدام كورنيش بسيط أعلى المبنى.

صورة رقم (٢٢) التماثل التام فى دراسة الكتل النباتية التى تتميز بالإتزان فى الإتجاهين الأفقى والرأسى بالإضافة إلى إرتفاع مفاجئ فى وسط الواجهة وذلك لتمييز مدخل (النقابة العامة لعمال الصناعات الغذائية) من الناحية البصرية.

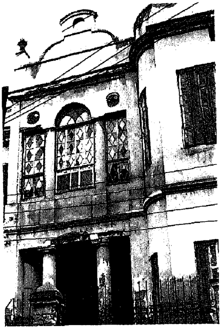
صورة رقم (٢٣) وضوح التقسيم الحجرى الظاهر فوق أعتاب شبابيك الدور الأرضى والمزودة بشبكة من الحديد المشغول بأشكال هندسية بسيطة للحماية.

صورة رقم (٢٤) زخارف نباتية ممثلة فى باقة من الزهور وزخارف تشخيصية على شكل أبو الهول (مثال للدمج بين الثقافة الغربية والمصرية).


صورة رقم (٢٣)



صورة رقم (٢٤)





منزل عائلة أبو السعادات (ناصية شارع البنط وحارة نعمة الله القبلية):

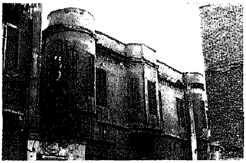
صورة رقم (٣٥) إستخدام الأسوار العالية من الحديد المشغول لتوفير الحماية.

صورة رقم (٣٦) إستخدام مسطحات كبيرة من الزجاج الملون فى الدور الأول المحمول على أعمدة تتبع النظام الدوريكى، ويعلو المسطح الزجاجى معالجة خاصة لنهاية المبنى بغرض التمييز البصرى لمدخل المنزل.

صورة رقم (٣٧) أركان المنزل عبارة عن أبراج أسطوانية الشكل مع إستخدام كورنيش صغير للفصل بين الأدوار.

صورة رقم (٣٨) التماثل التام من حيث الكتل النباتية والبروزات الخارجية تأثر التصميم بالمبانى الدفاعية والحصون الحربية.

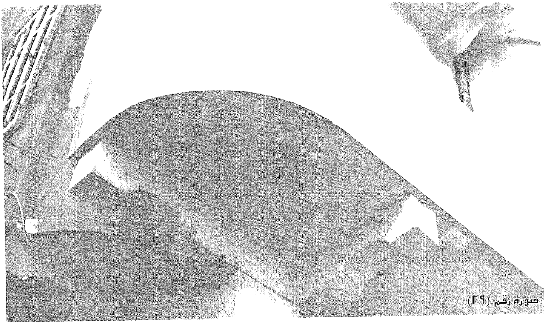

صورة رقم (٣٨)



لوحة رقم (٥٢)

صورة رقم (٢٩) أحد المنازل المطلة على الكورنيش ذات كوابيل حاملة البروزات الخارجية (التراسات) التى تحتوى على زخارف بسيطة ممثلة فى الحشوات الغائرة.

صورة رقم (٣٠) منزل على ناصية شارع الجمهورية وحارة أصلان:
ذو نوافذ مستطيلة تنتهى بعقد دائرى و مزود بزجاج ملون.
يلاحظ إختفاء البروزات ذات الإحساس الأفقى وذلك نتيجة إنهيار التراسات كما يلاحظ خلو االمبنى من أية زخارف أو نقوش نحتة بإستثناء باب مدخل المنزل.

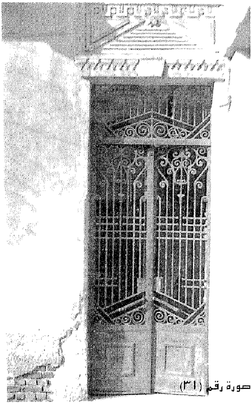

صورة رقم (٢٩)

لوحة رقم (٥٣)

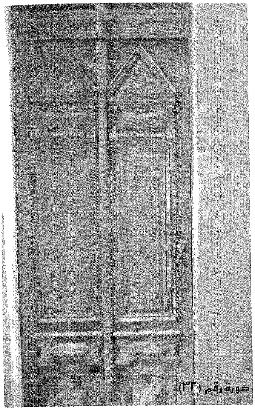


صورة رقم (٣٠)

لوحة رقم (٥٤)



صورة رقم (٣١)



صورة رقم (٣٢)

مجموعة من أبواب المنازل بمنطقة الدراسة (١)

- أبواب خشبية مصممة لا تتحتوى على فتحات نافذة (صورة رقم ٣٢)

- أبواب حديدية ذات أشكال هندسية زخرفية (صورة رقم ٣٢)

- أبواب ذات فتحات نافذة تعلوها كورنيش مثلث pediment (صورة أرقام ٣٢ - ٣٤ - ٣١)

- أبواب ذات فتحات نافذة تنتهى بعقد نصف دائرى أو كورنيش منحنى (صور ٣٣ - ٣٧)

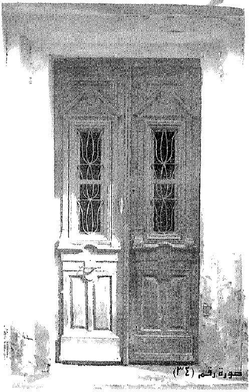
- أبواب خشبية مذودة بشبكة من الحديد المشغول ذو أشكال هندسية بسيطة (صور أرقام ٣٦ - ٣٥ - ٣٤ - ٣٢)

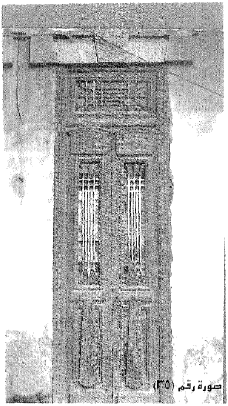
- أبواب خشبية مذودة بشبكة من الحديد المشغول ذو أشكال هندسية معقدة (صور رقم ٣١ - ٣٦).

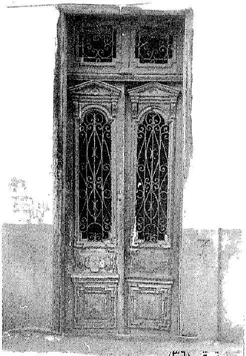


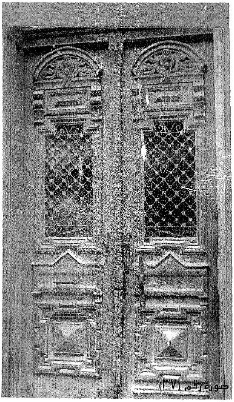
صورة رقم (٣٣)

لوحة رقم (٥٥)


صورة رقم (٣٤)

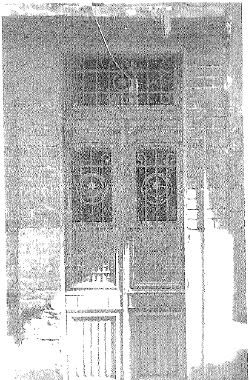

صورة رقم (٣٥)


صورة رقم (٣٦)

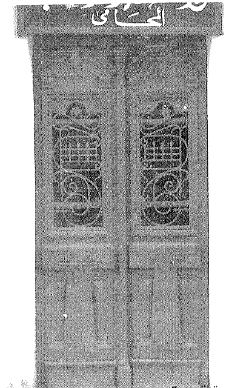

صورة رقم (٣٧)



صورة رقم (٣٩)



صورة رقم (٣٨)



صورة رقم (٤٠)

مجموعة من أبواب المنازل بمنطقة الدراسة (٢)

- أبواب خشبية ذات فتحات نافذة تعلوها كورنيش دائرى أو منحنى (صور أرقام ٤٠ - ٤١).

- أبواب خشبية مذودة بشبكة من الحديد المشغول ذو أشكال هندسية بسيطة (صور أرقام ٣٨ - ٤٤).

- أبواب خشبية مذودة بشبكة من الحديد المشغول ذو أشكال هندسية معقدة (صور أرقام ٤٣ - ٤١ - ٤٠).

- أبواب خشبية تحتوى على زخارف تتبع طراز الفن الحديث Art Nouveau (صور رقم ٤٢).

- أبواب تحتوى على زخارف نباتية وتظهر بصورة منفردة أو متداخلة مع أشكال هندسية (صور أرقام ٤٠ - ٤٢).

لوحة رقم (٥٧)



صورة رقم (٤١)



صورة رقم (٤٢)



صورة رقم (٤٣)



صورة رقم (٤٤)

لوحة رقم (٥٨)

عمارات فترة السبعينيات والثمانيات:

صورة رقم (٤٥) عمارة سكنية على الكورنيش تتميز بالكتل البنائية القليلة نسبياً وتوازن فى الإحساس بالإتجاهين الأفقى والرأسى، كما تتميز بالبساطة من الناحية الزخرفية (قوالب زخرفية تحت جلسات النوافذ).

صورة رقم (٤٦) عمارة شكنية على الكورنيش يغلب عليها الإحساس بالإتجاه الأفقى فى دراسة الكتل البنائية مع الرتابة فى إستخدام الأشكال الزخرفية الهندسية فى دراوى التراسات والتى تقاوم الإتجاه الأفقى بصرياً.

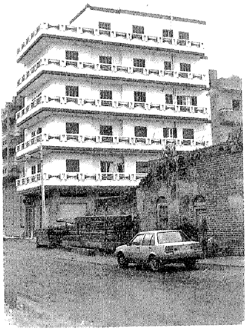
صورة رقم (٤٧) الوحدة المحلية لمدينة ومركز رشيد تتميز بالتوازن بين الكتل الأفقية والرأسية ووضوح العناصر الإنشائية فى تصميم الوجهات (أعمدة وكمرات).

صورة رقم (٤٨) عمارة سكنية على الكورنيش متزنة من حيث الكتل البنائية مع الإكثار فى الزخرفة والتفريغات فى الدراوى.

صورة رقم (٤٥)



صورة رقم (٤٦)

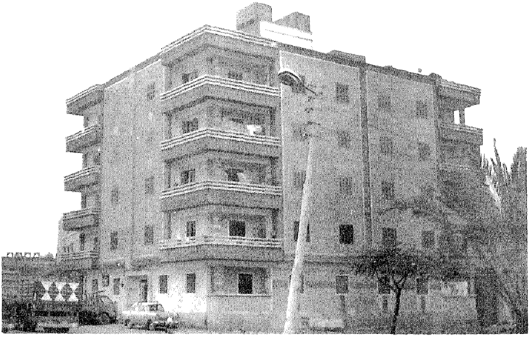


لوحة رقم (٥٩)

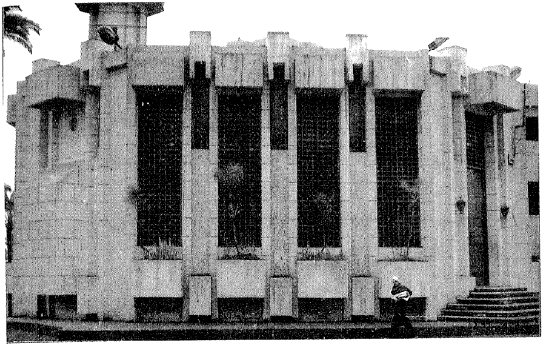
صورة رقم (٤٧)



صورة رقم (٤٨)

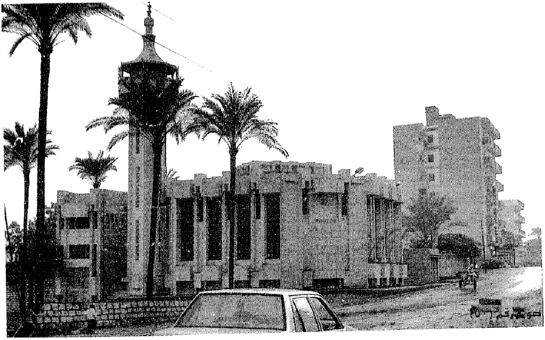


لوحة رقم (٦٠)

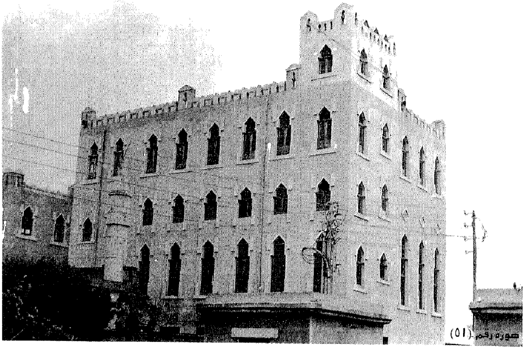


مسجد الهداية الإسلامى/ مدخل المدينة:

لوحة أرقام (٤٩ - ٥٠) تأكيد الإحساس البصرى بالإتجاه الرأسى ممثل فى المئذنة البارزة عن المبنى والتجاويف الرأسية المنتظمة بالإضافة إلى تأكيد إتجاة القبلة عن طريق الكتلة البارزة والمختلفة عن باقى أجزاء المبنى كما يلاحظ الإهتمام بإستخدام ستائر الخشب الخرط.



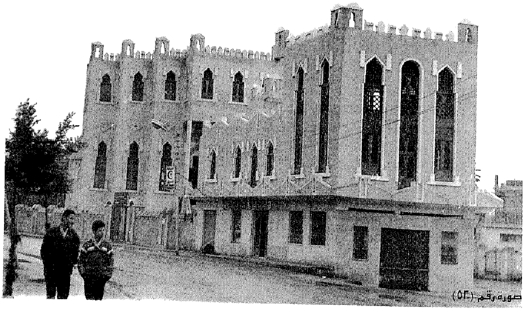
لوحة رقم (٦١)


صورة رقم (٥١)

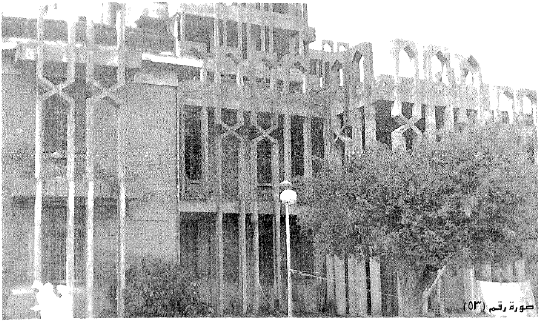
المركز الدينى "أبو بكر الصديق" / شمال رشيد:

صورة رقم (٥١) تأثير التصميم بالعمارة الحربية وذلك بتدعيم أركان المبنى بأشباه الأبراج بالإضافة إلى إستخدام الشرفات المثلثة (شكل الحراب).

صورة رقم (٥٢) الفتحات عبارة عن شبابيك مستطيلة تنتهى بعقود دائرية أو مدببة بها زخارف على الجانبين.


صورة رقم (٥٢)

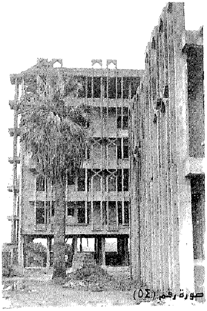
لوحة رقم (٦٢)


صورة رقم (٥٣)

تطوير وتوسيع مستشفى رشيد المركزي (تحت الإنشاء):

صورة رقم (٥٣) دمج المبنى القديم بالتوسعات الجديدة بالمستشفى وذلك بإستخدام عنصر ربط للجزئين القديم والجديد.

صورة رقم (٥٤) إستخدام الوحدة الزخرفية الهندسية ذات الطابع الإسلامي كستار خرساني رابط القديم بالتوسع الجديد.


صورة رقم (٥٤)

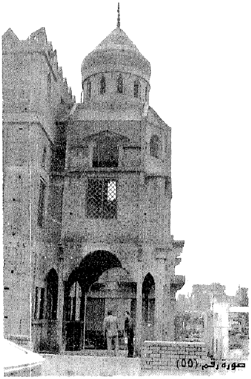
المجمع الإسلامي للإمام المجدد أبو العزائم (تحت الإنشاء):

صورة رقم (٥٥) الضريح محمول على أعمدة تنتهي بعقود ثلاثية الفصوص وعقود مدببة كما يعلو الضريح قبة ذات فتحات رأسية.

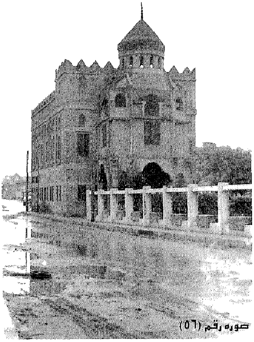
صورة رقم (٥٦) التباين في الكتل البنائية ما بين المسجد المعلق وكتلة الضريح.

صورة رقم (٥٧) المسجد المعلق حيث يقع بيت الصلاة في منسوب الدور الأول وتأكيد الإتجاه القبلي بالبروز الخارجي بالواجهة الجانبية، مع إستخدام الشرفات المثلثة في الحد العلوي للكتلة البنائية،

لوحة رقم (٦٣)



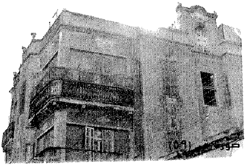
صورة رقم (٥٥)



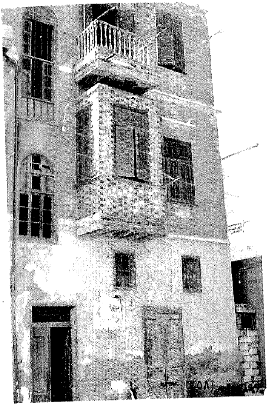
صورة رقم (٥٦)



صورة رقم (٥٧)



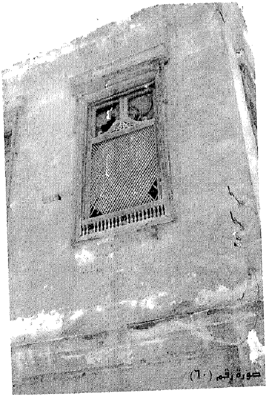
صورة رقم (٥٩)



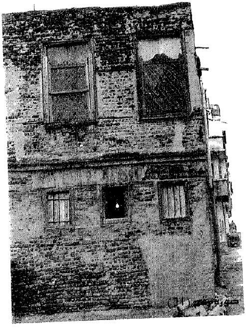
صورة رقم (٥٨)

صورة رقم (٥٨) مثال لتعديلات المواطنين للأجزاء الخارجية كتحويل التراس إلى بروز مصمت به ثقوب تشبه المشربية (منزل على الكورنيش).

صورة أرقام (٥٩ - ٦٠ - ٦١) إضافة السواتر الخشبية المصنوعة من الخشب البغدادلى إنعكاس آخر التعديلات التى تعبر من تفضيل التستر على الإنفتاح للخارج تمشياً مع العادات والتقاليد الوروثة (منازل بحارة نعمة الله القبلية).



صورة رقم (٦٠)



صورة رقم (٦١)

الخلاصة

كان هدفنا من هذه الدراسة تتبع عمران وعمارة مدينة رشيد عبر العصور، وقد بينا الحالة التي وصلت إليها تلك المدينة على أعتاب القرن الحادي والعشرين، لقد تبدل الحال على مدى خمسين عاماً فذبلت الوردة اليانعة، وأصبحت المدينة الزاهرة مجرد تجمع شبه حضري قابع في أجمل موقع من مواقع القطر.

وتطرح رشيد –مثلها مثل القاهرة والمدن المصرية الأخرى ذات التراث الحضاري– إشكالية الحفاظ والتجديد، فعلى الرغم من الجهود التي بذلت في السنين الماضية من أجل ترميم الآثار، والتي إن دلت على شئ فإنما تدل على نمو وعي جنيني بضرورة إحياء التراث، إلا إن هناك العديد من المشاكل التي لم يتم تخطيها بعد، تأتي على رأسها مسألة مفهوم التراث ومناهج التعامل معه، فهذا المفهوم مازال مبهماً، وبشكل خاص إذا كان الأمر يرتبط بالمعمار والعمران. ويترتب على هذا القصور في تحديد المفهوم قصور في التعامل مع هذا الشيء أو هذه الأشياء التي يجب الحفاظ عليها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا وبشدة: لماذا يجب اعتبار أرث الماضي المادي تراث؟ ولماذا يجب الحفاظ عليه؟

طرحت تلك التساؤلات في الغرب وأدت إلى تحديث مفهوم التراث، بحيث أصبح مفهومه الحالي هو "كل ما يذكرنا بالماضي العريق"، و"كل ما يعطي للتاريخ معنى".

فهل هناك اتفاق على أن منشآت رشيد أو أي مدينة أخرى، أو ما تبقى لنا من الماضي يعطي لتاريخنا معنى؟

نحن نشك في أن يكون هناك اتفاق حول هذا المفهوم!

ذلك إن هذا المفهوم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقيمة الرمزية والقيمة المادية للمنشأ أو للمكان. فعلى سبيل المثال –لا الحصر– تعتبر الأهرامات وأبو الهول تراثاً لكل المصريين، وكذلك الهضبة التي تضمهم، وإذا شعر المصريون إن تلك المنشآت سوف يمسها ضرر ما تكاتفوا للدفاع عنها، لأنها تحمل قيمة رمزية أولاً ومادية ثانياً، إنها وبحق تعطي معنى لتاريخهم العريق، فهى اللبنة التي تساهم في تلاحمهم، وهى جزء من شخصية مصر.

إلا أن الأمر يختلف تمام الاختلاف إذا تطرقنا للإرث المملوكي أو العثماني، فلا يشعر بقيمتهم سوى الصفوة، بل لنقل جزءاً صغيراً من تلك الصفوة. إننا نشك في أن تكون تلك المنشآت معبرة عن هويتهم! وهذا هو لب الإشكالية! أي الوعي بالتاريخ، وبقدر ما زادت ثقافة شعب ما بقدر ما ازداد وعيه بتاريخه، وارتباطه بأشياء رمزية تعبر عن هذا التاريخ.

وهذا هو هدف الكتاب، استثارة الوعي الحضاري، ونحن في حاجة إلى عشرات بل مئات من الدراسات المماثلة، بالإضافة إلى الدوريات الإعلامية لنشر الوعي بالتاريخ وأهميته عند الشعوب والأفراد، وهو عمل طويل المدى، لأن الحفاظ على "التراث" والوعي به لا يتم في يوم وليلة، ولكنه عمل مضني ويومي، عمل يتم على مدى قرون، لقد بدأ هذا الوعي في الغرب منذ عصر النهضة -أي أنه استمر لمدة أربعة قرون- واضطلعت به صفوة مثقفة ومستنيرة بحيث أصبح جزءاً من سلوكيات الأفراد.

يظل هناك إذن الكثير مما يجب عمله في هذا المجال، فتحديد المفهوم يؤدي أيضاً إلى رسم منهج أكثر وضوحاً، فأساليب الحفاظ مازالت حبيسة ترميم المبنى لذاته بدون المساس بمحيطه العمراني، أي إن مفهوم المدينة كمجال ثقافي لا وجود له في الواقع التطبيقي أو النظري، وهنا تجدر الإشارة إلى أن ظهور هذا المفهوم بتطبيقاته في الغرب لم يجد طريقه إلى النور إلا في خلال فترة السبعينيات من القرن الحالي في سياق تاريخي تميز بالسمات الآتية:

- حل المشاكل الملحة في المجتمع، أي توفير مسكن ملائم للعامة.
- انحسار الهجرة من الريف إلى المدن.
- انحسار النمو الديموجرافي.
- نمو الوعي بما سوف يفقد من شواهد على ماضي تلك الشعوب بسبب الدمار الذي نتج عن الحرب العالمية الثانية.

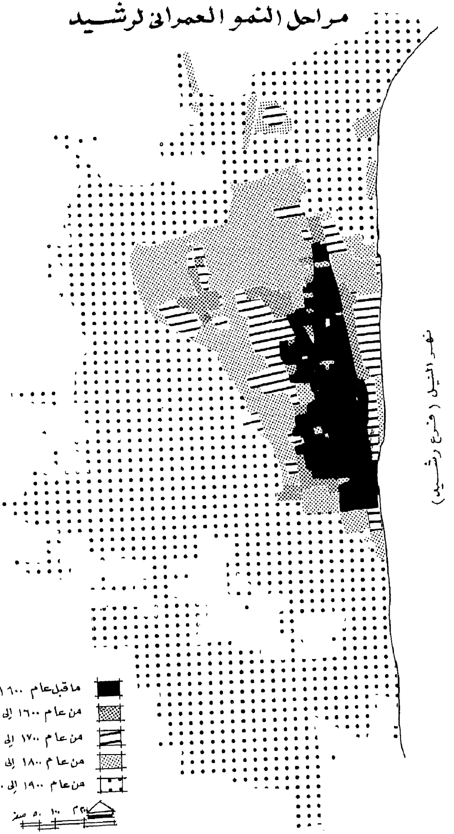
وإذا ما قارنا وضعنا اليوم بما كانت عليه مدن الغرب في الستينيات فسنجد سمات مشتركة، فنحن نمر الآن بمرحلة يطلق عليها علماء الديموجرافيا "مرحلة بداية ثبات النمو الديموجرافي وتراجعه"، أصبح كذلك انحسار الهجرة من الريف إلى المدن الكبرى حقيقة واقعة، إلا أن نوعية الحياة للعامة -أي توفير المسكن الملائم والبنية الأساسية- مازالت تعاني من الكثير من القصور، وبالتالي يصبح الحفاظ على التراث عملية "ترفيه"، فهناك شرطان أساسيان لكي تتحقق، هما:

- درجة عالية من الثقافة والوعي.
- حل المشاكل الملحة والحيوية.

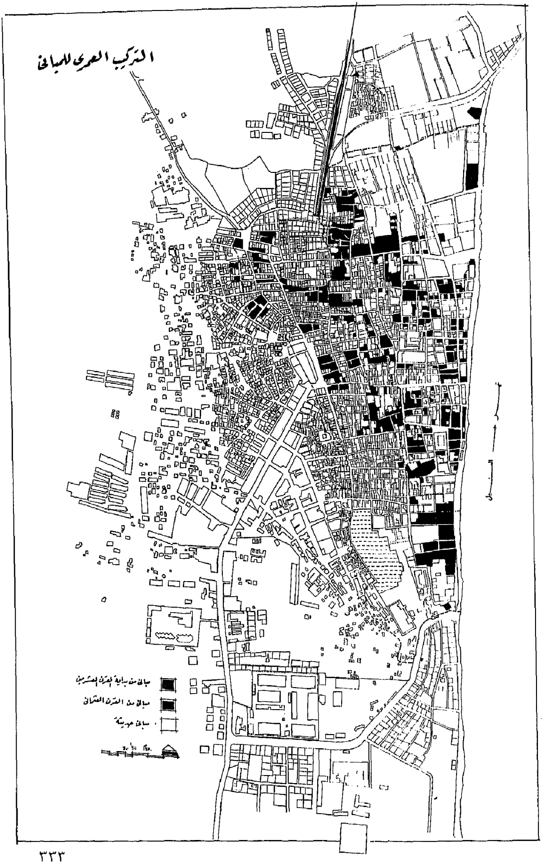
كذلك يجب إلا ننسى دور المضاربات العقارية والبحث عن تحقيق ربحيـــة عاليـــة. فلكي يحل مفهوم الثقافة محل الربح والمضاربة في مجتمع ما يجب أن تطبق القوانيـــن بصرامة، ويواكب تطبيق هذه القوانين وعي المواطن العادي بأهمية تطبيقها، ونعتقد إننا مازلنا بمنائي عن هذا السلوك.

نحن إذن بصدد إشكالية معقدة ومتشعبة، لها أبعادها الثقافية والتربوية والديموجرافية والقانونية، ولن نستطيع أن نصل إلى الهدف المنشود -أي الحفاظ على التراث وإرســاء المناهج العلمية التي تؤدي إليه- إلا من خلال عمل مستمر يخاطب المثقف والمواطــن العادي من أجل إرساء الوعي بالتاريخ، فالشعوب لا يمكن أن تشيد مستقبلها من خـــلال نسيان الماضي وطمسه، ذلك أن الذاكرة التاريخية هى الركيزة للانطلاق إلى مســـتقبل أفضل، وهذا ما حاولنا عمله في هذه الدراسة المتواضعة، ونأمل أن يتبعنا آخرون، كمــا أن هذه المحاولة لن تكون الأولى والأخيرة.

(شكل رقم ١٨، مراحل النمو العمراني لرشيد)

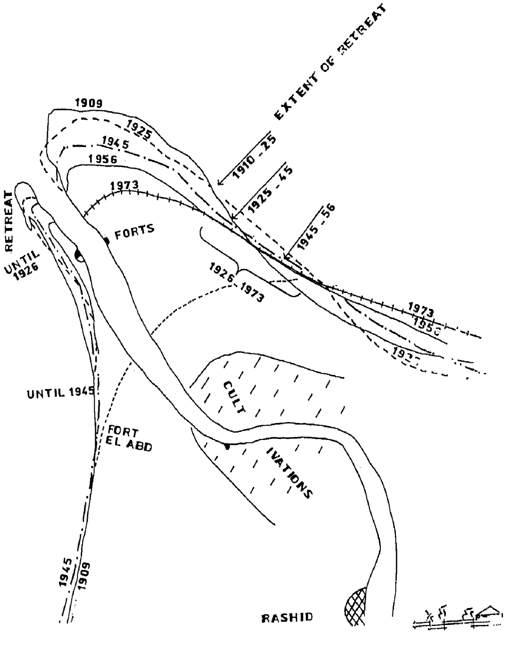


(شكل رقم ١٩، التركيب العمري للمباني)

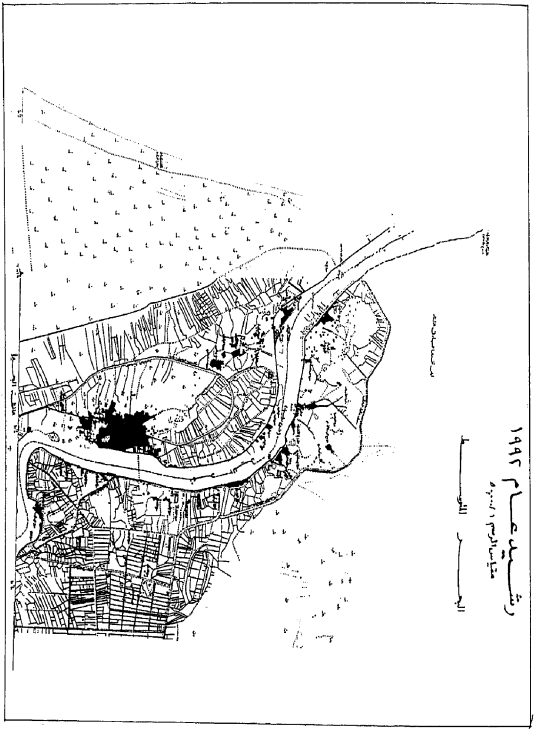


(شكل رقم ٢٠، منطقة رشيد وحمايتها من التآكل)

منطقة رشيد وحمايتها من التآكل



(شكل رقم ٢١، رشيد عام ١٩٩٢)



الملاحق

خطط وأسواق وبعض منشآت مدينة رشيد من خلال الوثائق التي تم الإطلاع عليها

ملحق رقم ١

الخطط

١ - الجهة البحرية

خط علي بريمات
خط قيسارية الوزير علي باشا
خط عبد الله قلبة
خط أبي الكرم
خط زاوية بريمات
خط العرابي
خط أولاد الصيرفي
خط الطربي
خط الشناطين
خط أبو الكرم الكتاني
خط أولاد أبي عتمة
خط فريحي الحصري
خط الفقيه محمد بن خطاب البيسي
خط أولاد مشوار وعبد الناصر الخشاب
خط الطاحون
خط أولاد طعيمة
خط الحاج عبد الرحمن الفلاح
خط الحاج حبيقة البرلسي
خط حارة القلايين
خط أولاد طعيمة
خط محمود باشا
خط مسجد نور الدين علي العمري
خط سوق الحمير
خط زاوية المغربية
خط أولاد كيمنار
خط مسجد الادفيني
خط أولاد برقوق وأولاد الجنيدي
خط الأمير محمد بن علي
خط الحاج محمد بخيت
خط زقاق الساقية
خط عثمان المغربي
خط فضيل وأولاد محز
خط العقيبة
خط ابن مهرة والشيخ شهاب الدين أحمد بريقع

٢ - الجهة القبلية

خط المعلم علي بن بركات البناء
خط ابن قطارة

خط علي منيسف
خط السنبوسكي
خط الغرابليين
خط ابن نافع
خط أولاد مشوار وأولاد فارس
خط سيدي سعد الله
خط الحاج محمد حشيش
خط المخاطة القديمة
خط المدبح
خط سلام
خط أولاد شادي وأولاد مظيمط
خط زاوية كرمان
خط أولاد بطيخ
خط يعرف الشيخ عامر هندي وأحمد العطار
خط المعلم محمد الحبيش والمعلم علي بن بركات
خط الحاج محمدي الغيطاني

خط الصارمة
خط أولاد المطير
خط الحاج جامع البقسماطي
خط أولاد وهيبة
خط حارة أولاد جامع
خط القفاصين
خط الصباغين
خط الحاج علي النسطراوي
خط أولاد العجاقي
خط الكارمية
خط المكارية
خط المرحوم شحاته الصعيدي بحارة المكارية
خط ابن كلبون
خط أولاد نوير
خط الحاج أحمد الرشيدي الكيال والحاج علي عبد المعطي

٣ – الجهة الوسطى

خط الربابات
خط الصاغة
خط الحمام الملح
خط الحاج سالم بن عيسى النجار
خط أولاد صفي الدين
خط أولاد الصديقي
خط أولاد الرويعي
خط الصيارف
خط أولاد عماد الدين الشايب
خط الصاغة القديمة
خط أولاد الدبيب

خط العصي
خط التبانين
خط حارة أبو عزام
خط وكالة أولاد وهيبة
خط النوري علي القباني
خط علي جوربجي الجاعون
خط طاحون القبصي المعروف بزقاق الربابت
خط أولاد عليوه بمحجة السوق
خط الدسياوي
خط بهاي الدين وهيبة
خط أولاد العنتري

خط الصوادمية

خط القشيري

خط سوق الحطب

٤ – الجهة الغربية

خط النسطراوية

خط محمد فايد

خط مسجد الشندويلي

خط الحاج علي غنيم

خط القاضي أحمد شختيرة

خط أولاد ياسين

خط حارة علي عبوده

خط الشباسي

خط الحاج عبد الجواد النجار في الطواحين

خط درب سكندرية

خط الشيخ شمس الدين محمد الشهير بالطيابي

خط زقاق النخلة

خط سويقة عباس

خط محماة المطبخ

خط الحاج محمد حشيش

خط طاحون الشماع

خط مسجد المدابغ

خط الكسارة

خط مسجد الثني

خط أولاد كمونة بحارة الزعربية

خط مسجد العرب بحارة الخشاب

خط الديازنة

خط عبد الله المحضر

خط سوق الغزل

خط الشيخ محمد الطويل

خط الكسارة

خط زاوية المغربية

خط الديساوي

خط الحاج وصيف المغربي

خط الوزانين

خط ضرب العز [الغز]

خط أولاد زيادة

خط عين أبي علي

خط الشيخ عبد السميع الخامي

خط زاوية الجلاد

خط فرن أولاد البقرة

خط أبي زراع

خط القطانين

خط الشعاشعة

خط أولاد زيادة

خط الحاج مسلم

خط مسجد الادفيني

خط أولاد الزقلوط

خط الحاج نجا البرلسي

خط أولاد الحكلي

خط الزاوية

خط ابن مروان

خط منصور الحصري

خط يوسف ابن المغربية

خط محمد عريقات وعلي الصيرفي

٥ – الجهة الشرقية

خط الخلاوية

٦ – خطط أخرى

خط ابن ثعلب	خط الشيخ عبد اللطيف العجاقي
خط العرصات	خط ابن قطارة
خط سوق الحطب	خط سويقة الميت
خط الحمامي	خط جامع الحاج رشيدي
خط زاوية مشتيلة	خط الحاج مرعي الحصري
خط الحاج عبد الرحمن عمر الكتاتني	خط اولاد رصاص
خط خط أولاد صبيبة وأولاد مشاق	خط معصرة أولاد تراب
خط أولاد القصبي	خط المرحوم سلامة عجينة

ملحق رقم ٢

الأسواق

سوق الجزارين	سوق الخضريين
سوق الحطب	سوق الخبز
سوق الفاكهة	سوق الغلال
سوق الطعام العتيق	سوق الطعام
سوق الخشابين	سوق القصابين
سوق الجبنة	سوق البزارين
سوق العسل	سوق الأبزارية
سوق الغزل	سوق النحاسين
سوق الصاغة	سوق العصي
سوق الحدادين	سوق الأرز
سوق الخلعية	سوق اللبن
سوق الخردكية	سوق المعروف ببيت القهوة
سوق الشعرية	سويقة عباس الحاتي
سوق الدلالين	سوق اللحم
السويقة البحرية	

ملحق ٣

الجوامع والمساجد

جامع المدبغة
جامع البقسماطي
جامع الحصري
مسجد سيدي سعد الله
مسجد البرهان
مسجد الريس منصور
مسجد العرب
مسجد القابودان
مسجد داخل وكالة يوسف القابودان
مسجد برسباي
مسجد أبي رديه
مسجد محمد بن عثمان
مسجد الجندي
مسجد النور
مسجد أحمد الرويعي
مسجد الدزدار
مسجد أحمد أغا
مسجد الخواجا نعمة الله
جامع الحاج رشيدي
جامع الريس منصور
جامع الرويعي
مسجد النني
مسجد الشيخ نور الدين علي المحلي
مسجد الرباط
مسجد أفندي نور الله قاضي القضاة
مسجد القصر
مسجد سيدي عبد الله الصامت
مسجد الحاج محمد القصبي
مسجد قرمان
مسجد نور الدين علي العمري
مسجد أولاد الادفيني
مسجد المرحوم سيف الدين بالسويقة البحرية
مسجد الشنداويلي
مسجد العرب (المعروف قديمان بمسجد حجازي الكتاتني)
مسجد زغلول (المعروف قديماً بالشيخ عبد القادر السنهوري)
مسجد الأمير مصطفى جوربجي

ملحق ٤

الزوايا

زاوية الشيخ محمد البيسي
زاوية علي الجلاد
زاوية بريمات
زاوية ابن المغربية
زاوية العيني (مسجد الأمير محمد أبو علي)
زاوية الشيخ علي بن عثمان
زاوية المغربية
زاوية محمد علي ظاظة
زاوية الحاج مسلم

زاوية الشيخ نور الدين علي الشهير بابن عنان
زاوية سيدي سعد الله
زاوية العارف بالله الشيخ برتقه
زاوية محمد القصبي
زاوية تراب
زاوية العبد
زاوية مشتيلة
زاوية أحمد الحبشي
زاوية الشيخ شعبان

فهرس الأشكال

فهرس اللوحات

٢٧-منزل البقراولي ١١٣١هـ/١٧١٨م.
٢٨-منزل حسيبة غزال، منزل أحمد باشا الضو ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م ق ١٢هـ/١٨م
٢٩-مسقط أفقي لجامع زغلول وما حوله.
٣٠-نماذج لبعض ما أزيل من منازل.
٣١-نماذج لبعض ما أزيل من منازل.
٣٢-نماذج لبعض ما أزيل من منازل.
٣٣-نماذج لبعض ما أزيل من منازل.
٣٤-نماذج لبعض ما أزيل من منازل.
٣٥-نماذج لبعض ما أزيل من منازل.
٣٦-نماذج لمداخل بعض المنازل.
٣٧-مدخل وكالة عبدالرحمن كتخدا وحمام الروبي.
٣٨-شوارع فى رشيد.
٣٩-شوارع فى رشيد.
٤٠-جامع المحلي.
٤١-مقام الشيخ المحلى.
٤٢-منزل عائلة عناني والكسار.
٤٣-منزل عائلة عناني والكسار.
٤٤-منزل عائلة عرفة برشيد.
٤٥-منزل عائلة عرفة شمال رشيد.
٤٦-منزل عائلة عرفة شمال رشيد.
٤٧-منزل عائلة عرفة شمال رشيد.
٤٨-منزل عائلة بشمال رشيد.
٤٩-منزل عائلة بشمال رشيد.
٥٠-منزل عائلة بلال، ناصية شارع الجارم وحارة نعمة الله القبلية.
٥١-منزل عائلة ابو السعادات.
٥٢-أحد المنازل المطلة على الكورنيش.
٥٣-منزل على ناصية شارع الجمهورية وحارة اصلان.
٥٤-مجموعة من أبواب المنازل بمنطقة الدراسة.

٥٥-مجموعة من أبواب المنازل بمنطقة الدراسة.

٥٦-مجموعة من أبواب المنازل بمنطقة الدراسة.

٥٧-مجموعة من أبواب المنازل بمنطقة الدراسة.

٥٨-عمارة فترة السبعينات والثمانينات.

٥٩-عمارة فترة السبعينات والثمانينات.

٦٠-مسجد الهداية.

٦١-المركز الديني "أبو بكر الصديق" شمال المدينة.

٦٢-تطوير و توزيع مستشفى رشيد المركزى.

٦٣-المجمع الإسلامي للإمام المجدد أبو العزائم.

٦٤-تعديلات واجهات المنازل.

المصادر والمراجع

أولا: الوثائق

أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية، محكمة الإسكندرية.

١-أرشيف الشهر العقاري بدمنهور، محكمة رشيد.

٢-أرشيف الشهر العقاري بالقاهرة، محكمة الصالحية النجمية.

٣-أرشيف دار المحفوظات العمومية، محكمة رشيد.

٤-أرشيف دار الوثائق القومية بالقاهرة، الحجج الشرعية.

٥-أرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة.

٦-دفتر جمرك رشيد ووارد المعاشات من مصر المحروسة ووارد التقارير من الإسكندرية ووارد بحر الشرق في الفترة من ربيع أول سنة ١٢١٣هـ/اغسطس ١٧٨٩م ربيع ثاني سنة ١٢١٤هـ/سبتمبر ١٧٩٩م، (محفوظ بأرشيف فرنسا).

ثانيا: المصادر

١-أحمد شلبي بن عبد الغني، ت١١٥٠هـ/١٧٣٧م: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٧٨م.

٢-ابن اياس، محمد بن أحمد بن اياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق د. محمد مصطفى، ٥ أجزاء، القاهرة ١٩٨٤-١٩٨٦م.

٣-ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، القاهرة ١٩٢٩-١٩٧٢م.

٤-ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج١، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، القاهرة ١٩٥٦م ؛ ج٢، تحقيق د. محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٤م ؛ ج٣، تحقيق د. نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة ١٩٨٥م ؛ ج٤، تحقيق د. محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٦م ؛ ج٥، تحقيق د. نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة ١٩٨٨م ؛ ج٦، تحقيق د. محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٩٠م.

٥-ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق د. محمد كمال عز الدين، جزءان، بيروت ١٩٩٠م.

٦-ابن دقماق، إبراهيم محمد: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المطبعة الأميريـــة، الطبعـــة الأولى، سنة ١٨٣٩م.

٧-ابن عبد الظاهر، محيي الدين: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض سنة ١٩٧٦م.

٨-البكري، محمد ابن أبي السرور البكري الصديقي: كشف الكربة في رفع الطلبة، تحقيـــق د. الرحيم عبد الرحمن، المجلة التاريخية المصرية، ١٩٧٩م.

٩-الجوهري، الخطيب علي بن داود الجوهري الصـــيرفي، ت٩٠٠هـــ/١٤٩٤م: نزهـــة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق د. حسن حبشي، ٣ أجزاء، القـاهرة ١٩٧٠-١٩٧٤م.

١٠-حسين أفندي الروزنامجي: ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية، تحقيق محمد شفيق غربال، بعنوان "مصر عند مفترق الطرق ١٧٩٨-١٨٠٠م"، حوليات كليـــة الآداب، جامعة فؤاد (القاهرة)، مج٤، ج١، سنة ١٩٣٦م.

١١-الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ٥ أجـزاء، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت سنة ١٩٥٧م.

١٢-الدمرداشي، الأمير أحمد الدمرداشي كتخدا عزبان: كتاب الدرة المصانـــة فـــي أخبـــار الكنانة في أخبار ما وقع بمصر في دولة المماليك من السناجق والكشاف والسبعة أوجاقات والدولة وعوايدهم والباشا إلى آخر سنة ثمان وستين ومائة وألف، تحقيق د. عبد الرحيـــم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٨٩م.

١٣-الرشيدي، الشيخ أحمد: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحـــاج، تحقيـــق د. ليلى عبد اللطيف، القاهرة سنة ١٩٨٠م.

١٤-السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م: الضوء اللامع فـــي أعيان القرن التاسع، ١٢ جزء، بيروت، د.ت.

١٥-علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، القاهرة، الطبعـــة الأولـــى سنة ١٩٧٦-١٩٧٩، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.

١٦-علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القـــاهرة ومدنـــها وبلادهـــا القديمـــة والشهيرة، ٢٠ جزء، طبعة أولى، بولاق ١٣٠٤-١٣٠٦هـــ.

١٧-العيني، بدر الدين محمود، ت٨٥٥هـــ/١٤٥١م: عقد الجمان في تاريخ أهـــل الزمـــان، حوادث سنة ٨٢٤-٨٥٠ هـــ، تحقيق د. عبد الرازق الطنطـــاوي القرمـــوط، القـــاهرة،

الزهراء للإعلام العربي ١٩٨٩م.

١٨-قانون نامهء مصر. ترجمة د. أحمد فؤاد متولي، القاهرة ١٩٨٦م.

١٩-المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، بولاق ١٨٥٤م.

٢٠-المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١-٢(٦ أقسام) تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة، طبعة ثانية ١٩٥٧-١٩٧٢م ؛ ج٣-٤ (٦ أقسام) تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٧٠-١٩٧٢م.

٢١-النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٦٧٧-٧٣٣هـ: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، تحقيق د. محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٩٠م.

ثالثاً: المراجع

١-آمال العمري: المنشآت التجارية في مصر في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٤م.

٢-أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في الجبرتي من الدخيل، القاهرة ١٩٧٩م.

٣-أدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة، القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨م.

٤-أنستاس الكرملي: النقود العربية وعلم النميات، القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧م.

٥-إبراهيم إبراهيم العناني: رشيد في التاريخ، الإسكندرية ١٩٨٧م.

٦-اندريه ريمون: فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية، ترجمة زهير الشايب، القاهرة ١٩٧٤م.

٧-جاستون فييت: القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة د. مختار العبادي بيروت سنة ١٩٧٢م.

٨-جمال الدين الشيال: الإسكندرية، طوبغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، المجلة التاريخية المصرية، مج٢، ع٢، القاهرة، سنة ١٩٤٩م.

٩-جمال حمدان: شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، ٤ أجزاء، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٢-١٩٨٩م.

١٠-حسن عبد الوهاب: طراز العمارة الإسلامية في ريف مصر، مجلة المجمع العلمي المصري، مج٣٨، ج٢، سنة ١٩٥٦-١٩٥٧، القاهرة، سنة ١٩٦٥م.

١١-حلقة العمران والبيئة المنعقدة في كلية العمارة والتخطيط/جامعة الملك سعود في الفترة ما بين ٢٩/٥- ٤/٦/١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م).
١٢-خالد عزب: فقه العمارة إسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة ١٩٩٧م.
١٣-سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ٥ أجزاء، القاهرة، ١٩٧١-١٩٨٣م.
١٤-سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة، الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٤م.
١٥-سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في العصور الوسطى، القاهرة سنة ١٩٧٠م.
١٦-السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية ١٩٨٢م.
١٧-صلاح عبد الجابر عيسى: جغرافية العمران الريفي، دراسة تطبيقية عند مركز رشيد، القاهرة ١٩٨٢م.
١٨-صلاح هريدي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة رشيد، المجلة التاريخية، ع٣٠-٣١، سنة ١٩٨٤م.
١٩-صلاح هريدي: الشوام وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الإسكندرية في العصر العثماني، ضمن أبحاث ندوة الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، تونس ١٩٨٨م.
٢٠-طوبيا العنيسي: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، القاهرة ١٩٦٤م.
٢١-عباس السيسي: رشيد المدينة الباسلة، دار الدعوة، الإسكندرية ١٩٧٩م.
٢٢-عبد الرحمن فهمي: النقود المتداولة أيام الجبرتي، بحث منشور في ندوة الجبرتي، القاهرة سنة ١٩٧٤م.
٢٣-عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المغاربة في مصر في العصر العثماني (١٥١٧-١٧٩٨م) دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية، تونس ١٩٨٢م.
٢٤-عبد الرحيم عبد الرحمن: الحجازيون في مصر في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، مجلة الدارة (مجلة تصدرها دارة الملك عبد العزيز) ع١، السنة ١١، يونيو ١٩٨٥م.
٢٥-عبد الرحيم عبد الرحمن: فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، سلسلة تاريخ المصريين (٣٨) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠م.

٢٦-عبد العال الشامي: مدن الدلتا في العصر العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة.
٢٧-عبد العزيز محمود لعرج: الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، الجزائر سنة ١٩٩٠م.
٢٨-عبد اللطيف إبراهيم علي: الوثائق في خدمة التاريخ والآثار (١)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة سنة ١٩٧٩م.
٢٩-عبد الله يحيى بخاري: استمرارية التراث المعماري المحلي في الاتجاهات المعمارية المعاصرة مسئولية من؟ بحث مقدم لحلقة "العمران والبيئة"، المنعقدة في كلية العمارة والتخطيط/جامعة الملك سعود ٢٩/٥-٤/٦/١٤٠٦ هـ (١٩٨٦م).
٣٠-عبد المنصف محمود: على ضفاف بحيرات مصر ، بحيرة المنزلة وبحيرة البرلس، القاهرة ١٩٦٧م.
٣١-علوي مكي: منطقة رشيد وحمايتها من التآكل، القاهرة ١٩٧١م.
٣٢-عوض عوض الإمام: الأصول الوثائقية للوثيقة الجامعة للسلطان الغوري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية آداب سوهاج جامعة أسيوط، سنة ١٩٨٨م.
٣٣-فاتن محمد عبد الغفار شريف: المقومات التطبيقية للاختيار الزواجي، دراسة أنتروبولوجية لمدينة رشيد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، قسم الانتروبولوجيا سنة ١٩٨٦م.
٣٤-فاطمة علم الدين عبد الواحد: تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢-١٩١٤، القاهرة ١٩٨٩م.
٣٥-الفريد ج. بتلر: فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد، القاهرة ١٩٨٩م.
٣٦-كلوت بك: لمحة إلى مصر، ترجمة محمد مسعود ، ٤ أجزاء، القاهرة ١٩٨١-١٩٨٤م.
٣٧-ليلى عبد اللطيف: الإدارة في مصر في العصر العثماني، القاهرة ١٩٧٨م.
٣٨-محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، قسمان، ٥ أجزاء، القاهرة ١٩٥٨م.
٣٩-محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٨م.
٤٠-محمد عفيفي: الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر، القاهرة ١٩٩١م.
٤١-محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، سنة ١٩٩٠م.
٤٢-محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر في عصر سلاطين المماليك، (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة ١٩٨٠م.

٤٣-محمد محمود زيتون: إقليم البحيرة، صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفــاح، دار المعارف سنة ١٩٦٢م.
٤٤-محمد مختار باشا: كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنـــة التواريـــخ الهجريـــة بالســـنين الإفرنجية والقبطية، بولاق، ١٣١١هـــ.
٤٥-محمود أحمد محمود درويش: عمائر مدينة رشيد وما بها من التحف الخشبية في العصر العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٩م.
٤٦-معهد التخطيط الإقليمي والعمراني – جامعة القاهرة، والمعهد الفرنسي لأبحاث التنميـــة والتعاون .O.R.S.T.O.M، "مشروع مدن مصر ذات التبادل الحضاري (مدن الدلتـــا)"، التقدير المرحلي الأول، نوفمبر ١٩٨٩م.
٤٧-نيقولا يوسف: تاريخ دمياط منذ أقدم العصور، الاتحاد القومي بدمياط، سنة ١٩٥٩م.
٤٨-هيئة الآثار المصرية: آثار رشيد، القاهرة، ١٩٨٥م.

رابعاً: المراجع الأجنبية

1-Abdul- Tawab (A. R.) et Lesine (A). Les Maisons de Rosette. Annales Islamologique. Tome XI. Le Caire 1972.
2-Amelineau (E). La Geographie de l'Egypte A l'Epoque Copte. Paris 1954.
3-Attiya.A.(A.S). The Cruisade in The Latter Middle Ages.London 1938.
4-Bertha Porter and Rosalina Moss. Topogaphical Biblioglaphy of Ancient Egyptian Hlieoglyphic text, 7 volumes. Ox ford. 1927-52.
5-Breccia (Evaristo). Guide de la ville et du musee d'Alexandrie. Alex. 1907
6-Charles de la Ronciere. La Geographie De l' Egypte.
7-De Vaujany. Alexandrie et la Basse Egypte. Paris 1890.
8-Encylopedie De L'Islam , Rashid.
9-Forster(E.M.). Alexandria . A History and a Guide" 1938.
10-Gilbert De Lanoy. Voyages.
11-Habachi (Labib). Sais and it's Monuments in Annales du Service des Antiquites Egyptiennes. 42.(1934).
12-Le Voyage en Egypte- Pierre Belon Du Mans.1517.
13-Pauty (E). Les Hammams du Caire. Le Caire. 1933.
14-Raymond (Andre). Artisans et Commercants au Caire au XVIII' siecle. 2 vol.. Beyrouth. 1974.
15-Texte de Diodore.cite' in Bernand (A). Le Delta Egyptien d'Apres les Textes Grecs. tome I .
16-Vivant Denon. Voyage Dans la Basse et la Haute Egypte. Institut Francais d'Archeologie Orientale. Le Caire 1989.
17-Voyage en Egypte. Johann Wild 1601-1610.
18-Voyages en Egypte des annees 1587-1588.

الفهارس

فهرس الأعلام

-ش-

-ص-

-ض-

-ع-

فهرس الأماكن والبلدان

-ت-

-ج-

-ح-

-خ-

-د-

-ر-

-ز-

-س-

–ش–

فهرس
المصطلحات والوظائف

—ب—

-ت-

-ج-

-ح-

-ض-

-ط-

-ع-

-غ-

فهرس

الطوائف والجماعات

هذا الكتاب

(فك رموز حجر الغلاف)

فى الخامس من يوليو ١٩٩٩ إحتفل علماء المصريات فى كل أنحاء العالم بذكرى مرور مائتى عام على إكتشاف حجر رشيد وفك أبجدية اللغة المصرية القديمة التى كشفت للمدنية أسرار حضارة عريقة أضاءت الدنيا أكثر من خمسة آلاف عاماً نوراً وعلماً وفناً .

منذ العثور على الحجر من قبل أحد ضباط الحملة الفرنسية فى قلعة قايتباى شمال المدينة أطلق عليه اسمها . فذاع صيت رشيد فى العالم أجمع بفضل تلك الكتلة البازلتية بحيث أصبحت المدينة تعرف بالحجر وتنسب إليه مما طمس جوانب أخرى مشرقة للدور الذى لعبته تلك المدينة كثغر من أهم الثغور المصرية فى الفترة الواقعة بين القرن السادس عشر والقرن العشرين حيث وصلت إلى أوج إزدهارها العمرانى بما شيد فيها من منازل ومساجد وحمامات وقلاع وطواحين وبوابات لا يزال الكثير منها باقياً إلى يومنا هذا .

وربما يجهل الكثيرون أن رشيد ثانية المدن المصرية بعد القاهرة من حيث إحتواءها على أكبر مجموعة من المنشآت المدنية والحربية والدينية يرجع معظمها إلى العصر العثمانى . بل أن عدد ما بها من المنازل الأثرية أكثر مما هو موجود بمدينة القاهرة.

ويكتسب هذا الكتاب أهميته بمساهمته فى تعريف القارىء بتلك الجوانب المجهولة للمدينة وهو يتناول بالتحديد العمران والعمار بهدف تعميق الوعى التاريخى للتراث المعمارى الفريد الذى تحتويه رشيد من جانب . وفهم الدروس الأساسية والقواعد التى شكلت بنيتها العمرانية من جانب آخر . ذلك أن الوعى التاريخى بهذا الإرث يمكن للمدينة أن تشخص واقعها وتعبر عن هويتها . معماراً وعمراناً . كذلك فإن هذا الفهم هو الأساس الواقعى لأى حركة نحو المستقبل .

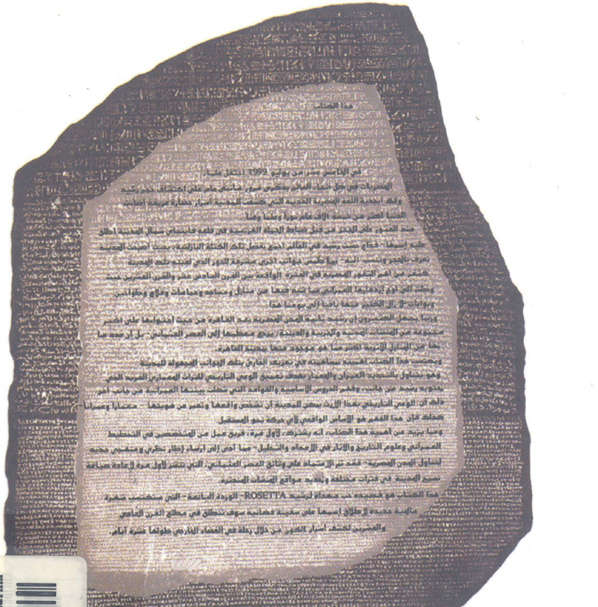
ومما يزيد من أهمية هذا الكتاب إنه يشترك لأول مرة فريق عمل من المتخصصين فى التخطيط العمرانى وعلوم التاريخ والآثار فى الإعداد والتحليل ، مما أدى إلى إرساء إطار نظرى ومنهجى جديد لتناول المدن المصرية . فقد تم الإعتماد على وثائق العصر العثمانى التى تنشر لأول مرة لإعادة صياغة نسيج المدينة فى فترات مختلفة وتحديد مواقع المنشآت المندثرة .

هذا الكتاب هو قصيدة حب مهداة لرشيد ROSETTA الوردة اليانعة التى ستكتسب شهرة عالمية جديدة لإطلاق اسمها على سفينة فضائية سوف تنطلق فى مطلع القرن الحادى والعشرين لكشف أسرار الكون من خلال رحلة فى الفضاء الخارجى طولها عشرة أيام .

د. جليلة جمال القاضى

طبع هذا الكتاب بمساهمة من معهد أبحاث التنمية الفرنسى I.R.D .

عربية للطباعة والنشر
7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين
تليفون : 3256098 - 3251043



هذا الكتاب

في الثاني عشر من يوليو 1999 احتفل علماء المصريات في كل أنحاء العالم بمضي مئتي عام على اكتشاف حجر رشيد وفك أبجدية اللغة المصرية القديمة التي كشفت للبشرية أسرار حضارة عريقة أضاءت الدنيا أكثر من خمسة آلاف عام نورا وعلما وفنا.

منذ العثور على الحجر من قبل ضباط الحملة الفرنسية في قلعة قايتباي شمال المدينة أطلق عليه اسمها - فذاع صيت رشيد في العالم أجمع بفضل تلك الكتلة البازلتية، بحيث أصبحت المدينة تعرف بالحجر وينسب إليه - بما طمس جوانب أخرى مشرقة للدور الذي لعبته تلك المدينة كثغر من أهم الثغور المصرية في الفترة الواقعة بين القرن السادس عشر والقرن العشرين حيث وصلت إلى أوج ازدهارها العمراني بما شيد فيها من منازل ومساجد وحمامات وقلاع وطواحين وبوابات لا زال الكثير منها باقيا إلى يومنا هذا.

وربما يجهل الكثيرون أن رشيد ثانية المدن المصرية بعد القاهرة من حيث احتوائها على أكبر مجموعة من المنشآت المدنية والحربية والدينية، يرجع معظمها إلى العصر العثماني - بل أن عدد ما بها من المنازل الأثرية أكثر مما هو موجود منها بمدينة القاهرة.

ويحسب هذا الكتاب أهمية مساهمته في تعريف القارئ بتلك الجوانب المجهولة لرشيد وهو يتناول بالتحديد العمران والعمارة بهدف تعميق الوعي التاريخي للتراث الحضاري الفريد الذي تحتويه رشيد من جانب، وفهم الدروس الأساسية والقواعد التي شكلت بيئتها العمرانية من جانب آخر ذلك أن الوعي التاريخي بهذا الإرث يمكن للمدينة أن تشخص واقعها وتعبر عن هويتها - معماريا وعمرانيا - كخلفية لأن هذا الفهم هو الأساس الواقعي لأي حركة نحو المستقبل.

ومما يزيد من أهمية هذا الكتاب، أنه يشترك، لأول مرة، فريق عمل من المتخصصين في التخطيط العمراني وعلوم التاريخ والآثار في الإعداد والتحليل - مما أدى إلى إرساء إطار نظري ومنهجي جديد لتناول المدن المصرية - فقد تم الاعتماد على وثائق العصر العثماني، التي تنشر لأول مرة لإعادة صياغة نسيج المدينة في فترات مختلفة وتحديد مواقع المنشآت المندثرة.

هذا الكتاب هو قصيدة حب مهداة لرشيد ROSETTA - الوردة اليانعة - التي ستكتسب شهرة عالمية جديدة لإطلاق اسمها على سفينة فضائية سوف تنطلق في مطلع القرن الحادي والعشرين لكشف أسرار الكون من خلال رحلة في الفضاء الخارجي طولها عشرة أيام.

The Rosetta Stone.